بقيـــة

الفصـل الاول

من

القسم الاول

ويتضمن تراجم هؤلاء :

سيدى الحسن التاسينتى السليمانى
سيدى صالح الاوفقيرى
سيدى الحاج بلقاسم الزاوى
سيدى عبد الله باولا الزاوى
سيدى احمد بن محمد بن عبد الله الصالحى
سيدى البشير بن الطيب السليمانى
سيدى موسى بن الطيب السليمانى
سيدى الحسين بن احمد بن صالح السعيدى
السيدة (تاكدا) بنت سعيد الواكشريرية
سيدى ابراهيم بن احمد الطالبى السعيدى
سيدى احمد أبو الفدام الافقيرى
سيدى على بن‌صالح الاوفقيرى
سيدى الحسين بن ابراهيم الصالحى
سيدى عبدالله بن احمد الصالحى
سيدى صالح بن احمد الصالحى
سيدى احمد بن محمد التهالى
سيدى احمد ابن الشيخ الالغى
سيدى عبد الرحمن بن محمد الصالحى
سيدى محمد بن عبدالله الصالحى
سيدى عبد الحى بن عبدالله الصالحى
سيدى المدنى بن‌على‌بن عبد الله الصالحى

الفقيه سيدي الحسن التياسنتى

= ١٢٦٦ هـ = ٢٩-٤-١٣٥٦ =

نسبه :

الحسن بن احمد بن محمد بن سليمان بن محمد بن احمد بن عبد الله بن سعيد

جده سيدى سليمان هو الفقيه الذى مرت بك ترجمته • وسيدى ابراهيم ابن سليمان هو عم ابيه ، وقد قرات أيضا مايتعلق به اذ نشا فى اسرة كانت تمتال العلم بسبب ، وينزعه اليه هذا النسب ، فلاغرو انرأينا اسرته مالت به للتعلم لعله يرد اليها ذلك المجد العلمى الذى تعرفه فى أيام من سلف منها وهو أصغر كمانرى من قرينه العلامة سيدى محمد بن عبد الله بسنة ، لان ولادة العلامة فى سنة ١٢٦٥ هـ وهذا فى سنة ١٢٦٦ هـ وقد يسر الله الوقوف على وقت ولادته بعد وفاته مع كونه حريصا رحمه الله على أنلايعرف عنه ذلـــك طوال حياته • ولايدرك ما العلة ؟ وقد وقفت على زواج أمه بابيه مؤرخا برمضان سنة ١٢١٢ هـ وقد عطف على كاتبه الفقيه ابراهيم بن سليمان الطيفور بن محمد ابن احمد الساموكنى ، والد العلامة سيدى الحسن بن الطيفور الشهير

منشأه ومتعلمه

نشا سيدى الحسن التياسينتى والشيخ الالغى والاستاذ سيدى محمد بن عبد الله نشاة واحدة ، واسنانهم متقاربة وكلهم لدات ، ثممازالوا جميعا عـــلى وتيرة واحدة فى كل زمان الاخذ حتى اذا حانالاياب ، وقيلقدامتلاتالاوطاب تجاوروا فرادى اطلاقا ، وكل يمعن فى احرازالسبق ، فكان من الاستاذ ابن عبد الله مارايت وظهر من الشيخ الالغى ماشاهدت فلننظر الى قرينهما هـذا لنرى اهو مثلهما كان مجدودا أمكان من المحدودين (١) ؟

اخذ القرآن فى مسجد القرية عن مودبين ، ولكنه انما تخرج بالاستاذ سيدى بلقاسم الكاني الايسى الذى تخرج به قريناه المتقدمان ، ثمالتـــحق بالمدرسة التانكرتية فى رفقة العلامة ابن عبد الله،فلازم سيدى محمد بن ابراهيمالافرانى الى حوالى ١٢٩٠ هـ فانتقل من تلك المدرسة الى ادوز حيث الاستاذ سيدىمحمد

١) المجدود بالجيم : السعيد وبالحاء غيره

ابن العربي الادوزي ، وقد وقفت على بطاقة صغيرة بخط هذا الاستاذ كصفحة وجنة الذبابة ، ولكنه خط الاستاذ الجميل الرقيق ، كتب فيها ما ياتي بالمعنى لضياع البطاقة بين الاوراق بعد ما استوعبت ما فيها :

«قد اذنا لسيدي الحسن الوفقاوي ان يتصل بالبيت الذي فيه ءال أماسين وكتبه محمد بن العربي في تاريخ ......» فوجدت رقم التاريخ قد بشره صاحب الترجمة ، ولاندري ما الذي حمله على ذلك ولولا ذلك لاهتدينا الى الوقت الذي اتصل فيه بالمدرسة الادوزية وقد نسبه الاستاذ غلطا الى ءايت وفقا اوتعمد ذلك للمجاورة ، ثم انه واظب هناك وهو من النجباء الذين يشاراليهم ويدعى هناك بسيدي الحسن الدرقاوي ، لانه كان اعتنق هذه الطريقة الدرقاوية حين كان بالمدرسة التانكرتية ، كما اعتنقها هناك غالب الطلبة ، لما رأوه من استاذهم سيدي محمد بن ابراهيم الذي انقاد لشيخها سيدي سعيد المعدري ثم ان صاحب الترجمة تحول عنها الى التيجانية بعد ذلك

وفي نحو ١٢٩٥ هـ فارق المدرسة الادوزية ، وذكر العم ابراهيم أنه كان لايودع اساتذته عند انتقالاته وقد زعم العم أنه أتى من تلك الجهة ، ثم انقطع الى المدرسة البومروانية عند أستاذها سيدي محمد بن عبد الله بصفة معاون في الدراسة وقلما يحضر دروس الاستاذ ، وكانه اكتفى بما أخذه عن الاشياخ الكبار وانف من الاخذ عمن كانوا من أقرانه ، ولكنه مع ذلك يصفه بشيخه اذا سمري ذلك فيما ياتي

مشارطاته

وفي سنة ١٢٩٦ هـ أوفي أواخر التي قبلها افتتح المشارطـة ، فشارط سنة في مدرسة (تانالت) من قبيلة أيت صواب ثم سنة في المدرسة الايغشانية ثم راجع الاولى فلازمها ثماني سنوات الى سنة ١٣٠٥ هـ ثم نحو أربع سنوات في المدرسة (التاكوشتية) من أيت صواب ، ثم ثلاث سنوات في المدرسة الفوكارضية ثم تقلب بعد ذلك في مدارس ومساجد شتى ، لانه لم يفارق قط المشارطة ، منها مدرسة (تازموت) سنتين ومدرسة (أيمور) سنة ومدرسة (ايكيسل) ثلاثة سنوات ومسجد (أكادير ايزري) ومسجد (تازمورت) ومسجد (كرامة) ومسجد (أيت امزيل) من أيت صواب ومسجد (ايزورزن) من تاسريرت ومسجد (اكرض) من تامانارت ومسجد (تاكانزا) كلها اوغالبها مر بها سنة سنة ثم لما أستلـزم داره حتى لحق بربه

نماذج من أحواله

كان رحمه الله فيما يقول الناس عنه وتمالؤوا عليه ـولم اخالطه أنا ـ

حولا قليا ، فلما يستقر على حاله فاداه ذلك ـكماترى ـ الى ان ابتدا المشارطة في المدارس الكبار ولم يزل يتقلب فيها حتى تدلى الى المساجد مع علمه وكان لو وفق ان يدرس كما ينبغي استاذا يصلح لذلك الميدان ، ومفتيا أن يخوض ميادين اقرانه من مفتي عصره ، ولكن ذلك لم يقدر له مع الشديد ، وحرقه على الارم (١) على أن يزاحم أساتذة الغ بمنكب عريض وجهده في ان يكون له مقام بينهم ، فلم تلاحظه السعادة ولاوطئت له السبل وربما منعه من ذلك صدور بعض ماينبغي أن يرمس اليوم كما رمس صاحبه مع أن من سبقوه في الميدان غير معصومين وانما سترتهم اخلاقهم ودياناتهم ووادينهم لمنصب العلم حقه من السكينة والوقار وسترعيوب الناس ، الله عيوبهم واكرر أنني لم أخالطه رحمه الله ، ولم انقل هنا الاما أسمعه ويظهر لي منه أن الذي تنكبه من المحافظة على منصبه العلمي هوالذي ابرزه الناس بهذا المظهر ، والا فانه من التالئين للقرءان ، المواظبين على الصلاة هو الاكغالب الناس (ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها؟) وما من واحد الا وفيه مايقال لولا ستر الله

عهدي به رحمه الله سنة ١٣٣٥ هـ حين فتك بالشيخ احمد الامازري وقد قدمت من المدرسة التانكرتية في بعض العواشر فاستدعاني الى داره فصار على من قصيدة قالها في قضية الامازري ولااستحضر الان كيف القصيدة ؟ كنت متى قدمت الى الغ ، زمن هجرتي الطويلة يقدم الى حتى يراني وكان على ذلك بكل دقة ، وءاخر زورة زارني فيها زورته في صفر ١٣٥٦ هـ اثر هذا الى هذه القرية ، وهو نحيف مقوس لاتكاد رجلاه تحملانه من الهرم ، يلبث أن سقط مريضا فتوفي

وكان في ءاخر عمره أكبر من بالقرية سنا ، فكان يتصدر في المجالس وحفلات (المعاريف) التي لم يحضر فيها الاستاذ علي بن عبد الله فكان الادعية التي تتلى عادة في (المعاريف) وقد كان ذلك المركز قبله اللحياني ثم ورثه عنه صاحب الترجمة ، وكان جماعة للكتب والرسائل يتوصل بها باي طريق ضنينا بما تحت يده عن المطالعين ، فيما لم تسلط عليه ولده عبد العزيز فبعثر من ذلك ماسبب جرحا نخلا في الى ان ارمس حتى انه لم يوجد له بعد وفاته من هذه الرسائل والكتب ما عنده وقد ظفرت من عنده برسائل وقصائد لاصحابها وقد خط بيده زمن اخذه رايتها ، وكان خطه وسطا ، وان كان لقلمه بعض عثرات

(١) الارم كركع : الاضراس وحرقها كضرب وهي : حكها فيما يسمع لها صريف اي صوت ، وذلك يقال فيما يتطاول اليه الانسان عليه لشدة الغيظ من أجله

امره بقصده للافتاء ولفض النوازل وقسم التركات ، ثم لم يلبث ذلك ان انقطع عنه بسبب علماء ءال صالح الافذاذ الذين ماكانوا ليسابقوا فى ذلك الميدان ، ومن جاور البحار لايميل الى السواقى

وما انت الا الشمس بين كواكب   اذا ظهرت لم يبد منهن كوكب

آثـاره

يظهر مما قرأته له ان كتابته ليست هناك وخصوصا اذا مال الى القريض فقد وقفت له على مقطعات متعددة لو كان لها معنى مستقيم لقلنا انها من مجمع الابحر ولكن لم اجدلها معنى مستقيما ، ولاوزنا متحدا ومن بين ماوقفت عليه بين أوراقه ، قصيدة خاطب بها الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله ، وقد وطألها بنثر فلنسق نثرها وبعض أبياتها ، ولاأفشى سرا اذاقلت انني قد اجتهدت كل الاجتهاد حتى جمعت من القصيدة أبياتا اتفق مصادفة أنها كانت على وزن واحد ونص ذلك :

الى درة تاج المعالى الملحوظ بعين رعاية الله تعالى ربيع الجنان ورعايـــة الاعيان قطب الدائرة ، وبدر النجوم الزاهرة ، صبح الظلام وقطب الانام ابى عبد الله جمال الدين ، سيدنا محمد بن عبد الله من سلالة السولى الربانى ، واستاذنا العرفانى وجدنا التيظاهارينى سيدنا عبد الله بن سعيد من تلميذكم الحسن بن احمد ، حسن الله عاقبته واحمد ، السلام التام والرحمة والبركة عليكم وعلى جميع من تشبث بذيلكم الباذج من الاخوان والطلبة ، والمرام الاعظم والغرض الاهم الدعاء من سيدى فى أوقات الاجابة بنيل المنى وقد قلت فى شأن سيدى نثرا على صورة نظم ، امتثالا لامره ، حيث قال :

تكلف ما استطعت من القريض   فان الدب من برء المريض

(الى ءاخر الابيات الستة) وقلت:

شوقى لاخوانى وشيخ مشايخ   يذكى الفؤاد بشعلة لاتخمـد
جرح البكاء الجفن حتى اهتاجنى   وبنا ولـوع لاعــج وتسهد
رمت السلو فما أطقت تصبرا   أودت بنا زفرات صدر تصعد

الى ان قال متغزلا ومتشكيا :

ريم وبدر طالع بـل غـادة   تفتر عن ثغر بحسن يشهد
ذهبت بلـبـى بضة رعبوبـة   تركت فؤادى فى الهوى يتبدد
ذرت كما ذرت مهاة بالضحى   فتشب فى الاحشاء نارا توقد (١)

١) المهاة : الشمس .

روح المحب وصال من يهواه ان   لم يلقه فالطرف منه مسهد
حرمن ملتذ السنات على شج   لم يستطع اخفاء ما يتوقـد
اضنى غرامكم ضلوعى كلها   حتى كانى فى المقابر ملحد

الى ان قال فى مدح الاستاذ :

شيخى اخى حلف الرشاد المجتبى   ياخير ساكن (تحت حصن) يمجد
حزت المرام من المكارم والعـــلا   سمة الوسامة من جبينك تشهد

هذا مااخترناه من القصيدة ويظهر أنه ألقى معاناة القريض بعد ذلك ظهريا فلم اسمع منذ نشأت أنه حاول أن يلقى فى المحافل الادبية الالغية المتوالية قصيدة الى ماقلت اعلم انه يتعاطى ذلك حتى اطلعت على ماقاله فى قضية الامازرى ثـم ثانه القى ذلك ايضا ، وقد بحث عن ءاثاره بعده بين أوراقه فلم توجد

وهذا البيت الذى اوله (تكلف كما استطعت من القريض) .... نسبه كما ترى مع ستة ابيات اشار اليها الى الاستاذ ابن عبد الله ، وخاطبه بذلك كما ترى وقد شاع ايضا عند الالغيين أنها له ، وأول ماسمعت البيت من الفقيه سيدى موسى بن الطيب ، ولكن استاذنا سيدى عبد الله بن محمد ابن ذلك الاستاذ ينكر ان تكون له، وقال انها قديمة ولم أدرأنا حقيقة ذلك

الآخذون عنه

ان الانسان اذا تخطته السعادة ، وكان ممن قلب لهم الدهـر ظهر المجن يكون كلما فتح جناحيه الى التحليق ردته الزوابع حتى يكون بها من المسفين

اذا لم يكن عون من الله للفتى   فاول ما يجنى عليه اجتهاده

فقد صدق ذلك فى صاحب الترجمة ، فانه ممن أخطأه الحظ فى سمعته وفى علمه الكثير وفى ذات يده كما اخطأه فى ميادين التهذيب والتخريج ، فانه مـــع كثرة دورانه فى المدارس كما رايت ومع امضائه زهرة شبابه فى معاطاة العلوم لم يتيسر له ان يكون له أتباع يرفعون رايته وذلك من سوء البخت فقط ، والا فما الذى دون بعض من يشار اليهم من معاصريه بالبنان وقديما قيل فقاتل بسعد والا فدع ، وقضية مالك وشيخه ربيعة الراى مشهورة ، فشهرة الانسان وطيران صيته واقبال الناس عليه وكونه ممن يوطأ عقبه ، كل ذلك من الحظوظ الـتـى ليس للانسان فى مجاريها يد

لااستحضر الان ، ولايستحضر العم ابراهيم ممن يمكن أن ينسب للاستاذ من علماء هذا العصر ، الا الفقيه سيدى على الجزولى الشهير اليوم بأملن والا الفقيه سيدى الحسن بن محمد التانشيلتى التملى ، فهما لاغير من يمكن ان ينسبا له لانهما قمرا بين يديه فى حقبة من احقاب اخذهما وسترى ترجمتها ان شاء

الله أمامك في مناسبهما

هذا هو الفقيه سيدى الحسن التياسينتى الكبير المسن الذى عمر تسعين سنة حتى خالطه الخرف قبل موته بقليل فقد حدث العم انه بينماهويصلى فوق المسجد السليمانى اذابه تناول تمراياكله ، وقد كان رحمه الله فى استحضار ءايات القرءان الى ايامه الاخيرة مما يتعجب منه العم ، فلايمكن أن تراد ءاية الاذكر اولها فى الحين ، من غير أن يقرأ من بعيد ، كما هى عادة غالب الناس رحمه الله رحمة واسعة ، وغفر لنا وله ، وقد فاظت روحه عند الاسفار يوم الخميس التاسع والعشرين من ربيع الثانى بعد مرض أيام وقد عقب من الذكور محمداوهو حافظ لكتاب الله محترم حسن الاخلاق من رجالات القرية (ولايزال حيا الان ١٣٨٠ هـ)

رثــاؤه

قلت فيه ارتجالا بعد وفاته وقد كنت اسمع عنه ذكرا جميلا نحوى وقد الموت بالحالة التى انا فيها الآن من النفى الى الغ من الحمراء

يرحمك الرحمن ياحسن فأنت عندى حسن بسن
كنت تحافظ على مقتى تفعم من اثنائك الاذن
تقول انى قد فرحت وقد آب اخونا المصقع اللسن
سامحك الرحمن كيف ترى بشرا بما انا بـه شجن
لكن ذلك يدل على انك صفو مابه أسن (١)
لم آك مصقعا ولا لسنا كيف يرى لمقولى لسن ؟
بل امرء زمنه خانه ياويح من قد خانه الزمن
قد صرت مغبوطا لدى وقد ضم على أعطافك الكفن
قد استرحت اليوم مما أنا مازلت فيه بين من سجنوا
لقيت غفرانا ومرحمة والروح والريحان ياحسن
وجنة الرضوان من منعم تجم من أنعمه المنن

ولم نثبت هذه القطعة الا لكونها تتعلق بهذا السيد والا لكونها صوانا لهذه الزفرة ولم تبلغ منا البلادة ـ والحمد لله ـ ان نحسب مثل هذا من الشعر الذى ينبغى أن يعتز به

(١) أسن الماء : تغير

الفقيه سيدى صالح الافقيرى

(١٢٥٩ هـ = ١٣٢٨ هـ)

نسبه :

صالح بن احمد بن احمد بن محمد بن صالح بن ابراهيم بن على بن ابراهيم ابن بلقاسم بن محمد بن عبد الله بن سعيد

قرات فيما تقدم ترجمة جده ابراهيم بن بلقاسم التاكانزى الرجل الصالح الذى تفرعت عنه فروع تاتى لبعض غصونها أن تثمر بالمعارف ، وكان صالح بن احمد هذا اسبق آله فى ذلك

قرا القرءان اولا فى قريته (اكرض اوفقير) عن بعض مؤدبين يجهل من حدثنى عنه اسمه ، ثم رحل فى تجويد القرآن وتتميم حفظه الى قبيلة أيت بعمران عند استاذ مجود هناك يسمى سيدى مسعود أفلوس كان أصله من تاكانزا ثم انتقل باسرته فحط رحله هناك ، ثم ارتحل أيضا صاحب الترجمة الى حاحة فهنالك افتتح الدراسة العلمية عند بعض الاساتذة ولم نعرف من هو ثم آب الى سوس فجاور فى المدرسة المحمدية عند استاذها الشهير سيدى سعيد الشريف وهو اذذاك ومدرسته كعلم فوقه نار ، فبقى هناك ماشاء الله حتى رجع سنة ١٢٩٣ هـ فلازم داره ثم تزوج على راس القرن وقد جاور ايضا فى ادوزستتين بين ذلك فاخذ عن ابن العربى الادوزى

صادف عند رجوعه من بنى عمه الالغيين من تمخضوا عن ذلك الفحل القرم الذى لايلز معه فى قرن سيدى محمد بن عبد الله ، فلم يمكن له ان يظهر امامه علمه ولاان تخفق معه رايته فى ميادين الافتاء والقضاء مع اصطدامه وسنة ١٢٩٠ هـ فشغله هم المعيشة وهم الزيت والحطب عن ان يتطاول الى المجاراة فى الميدان وكانت فيه ليونة ورضا بالموجود ورمى الرسن على كاهل القدر ، وترك السفينة تترامى بها الرياح كيف شاءت ، فاكتفى بأن تكون له صحبة مع ابناء عمه الالغيين ، فكان يفد كثيرا اليهم ويزور الصالحين والشيخ الالغى وهو مشتمل بشباب المسكنة غير حافل بادوات المعالى ، ولا بالتظاهر بمظاهر العلماء ولاباتخاذ شارتهم فى اللباس على العادة بل كان من لايعرف الحقائق ولايتجاوز القشور الى اللباب ، يظنه ممن ليس لهم نصيب من العلوم مع أنه ـ كما قال العم ـ يدا جوالة فى الفقهيات والنوازل ، والعربية وكل الفنون التى تعاطاها ولكنه اراح نفسه واوى الى اراحة فكره فهدا يراعه ، فقلما يجول

للعراقي ميادين العلوم الالماما في فتوى اوفي حكم في القضايا الصغيرة

هذه هي حاله كما حكى العم ابراهيم حفظه الله . اقول ان الناس اصناف قديما وحديثا فكثيرا ما نرى اناسا على هذه الاوصاف لم يحملهم عليها بخل ولا جبن وانما هي جبلة خلقوا عليها، ونرى اناسا آخرين ارجلهم في الثرى وهممهم في الثريا ، فبينما نرى بعض الناس يقول :

وقائلة لم عرتك الهمو م وامرك ممتثل في الامم
فقلت ذريني على حالتي فان الهموم بقدر الهمم

اذا بآخر يقول :

وقائلة مالى اراك مجانبا امورا وفيها للتجارة مربح
فقلت لها مالى بربحك حاجة فانا اناس بالسلامة نفرح

ويقول :

خبز وماء وظل ذاك النعيم الاجل
جحدت نعمة ربى ان قلت انى مقل

على ان العاقل يعرف الصدف من الدر ، وان جلى الصدف حتى صار براقا وصدى الدر حتى استعار من لون الفحم الحالك

لئن كان في لبس الفتى شرف له فما السيف الا غمده والحمائل

وقد شارط صاحب الترجمة حينا في مسجد أيت الطالب يعزى في تاجاجت وفي مسجد تارمست باد بنيران ، ولم يعرف انه شارط في غيرهما

وممن اخذ عنه ولده الاستاذ على بن صالح الاتي ذكره ، فمن عنده تلقى البذرة الاولى من المعارف كما اقتبس منه وراثة كثيرا من احواله كما سترى

وحكى عنه ولده هذا انه كثيرا ما ينشد ، بعد ما ابتلى بالاولاد وارغم بسببهم ان يضارب في كل ناحية طلبا للمعاش وان يقايض في كل سوق :

لقد كنت قبل اليوم بازا محررا اروح واغدو حيثما ظهر الصيد
ولما اراد الله محنة عبده أتاح له التزويج فامتحن العبد

ذلك هو الفقيه سيدى صالح بن أحمد الذى كان اكبر سنا من الاستاذ سيدى محمد بن عبدالله ، ولكن الهمم فرقت بين مقاميهما

ولم اجد الانسان الا ابن نفسه فمن كان أرقى همة كان اكبرا
فلم يتاخر من اراد تقدما ولم يتقدم من أراد تأخرا

وقد خلف ولدين الاستاذ صالحا ، ومحمدا الذى فقد منذ ١٣٤٥ هـ ولم يدر احى ام ميت ؟

الحاج بلقاسم الزاوي الالغى

١٢٨٠ — ١٣٥٠ هـ

نسبه :

الحاج بلقاسم بن عبدالله بن بلقاسم بن محمد بن احمد بن على بن احمد بن عبدالله بن سعيد

رجل عابد يؤثر عنه من الاخبار بالمغيبات والفراسات غرائب فمن قائل انه توصل بجفر فمنه يستقى الانباء التي يخبربها عن الانقلابات التي اخبر فصدق فيها ، ومن قائل ان ذلك من عند نفسه وان روحه هي التي تستمد ذلك بنفسها جبلة امثاله من المحدثين — كما في الحديث — (قد كان فيما كان قبلكم محدثون فان كان فيكم فعمر) على انه كان يخبأ حالته هذه ممن يعرف انه لايصدق بها ، ولايقول باربابها ، وقد كان الرئيس أحمد بن الحاج ابراهيم الايفشائى ممن يرسل اليه ويسأله فيفضى اليه ببعض ماينطوى عليه ، وهو على كل حال محمول عند المنصفين على الصدق والخير وان ذلك انما يعتريه كما يعترى كل من يهتم به من الروحانيين الرياضيين ، وأما أنا فلم أعرفه ولم أكن من حاله هذه على يقين الا انني اسمع مايقال عنه وأنا أحسن به وبامثاله خيرا لان الناس اصناف واجناس ، وحسن الظن بالناس منجاة للمستبرىء لدينه وخصوصا مثل صاحب الترجمة الذى سترى له ما يبين به ان له دينا متينا ، وحالا ثابتة ولا تكون تلك الاحوال للممخرقين الذين يقصدون التلاعب بالعقول ولا للمشعوذين الذين لهم في ذلك حاجة في نفس يعقوب

افتتح الحروف الهجائية على العادة المستمرة على بعض أساتذة المسجد في قرية الزاوية ، فلازم الى ان اظلت مسغبة ١٢٩٥ هـ فالتحق بتامانارت فكان في قرية القصبة هناك يرعى الغنم نهارا ، ويكتب لوحته ليلا ثم يستظهرها في المرعى وراء سائمته ، وهي همة يجب ان يرتفع له بها شأن في التاريخ ثم لما رجع الاستاذ محمد بن عبد الله من المدرسة البومروانية الى الغ واسس المدرسة كان ممن انحاش اليه من اليتامى والارامل وغرباء الطلبة فأضافه الاستاذ الى أهله لفقده والديه معا في تلك المسغبة ولم يكن بينهما الا اسبوع فبقى يتيما حتى سبق له من الاستاذ والداه ثم بعد ان ختم —١٨— ختمة في القرآن وهو بعد لم يتقن حفظه لبلادة فيه ، امره الاستاذ ان يفتتح المبادىء العلمية واخذ عليه عهدا ان لايفارق الصف الاول في الصلاة وان لايفوته الحزب الراتب فبقى على هذا

العهد طوال حياته ، وقلما يخرج من هذه الحالة الا مضطرا ، فجود بذلك حفظ القرآن ثم بعد ان جال في متون المبادئ وفي متون اهل المرتبة الثانية ، وقد مر بابن عاشر والرسالة ، وربع العبادات في المختصر والالفية ، اخترمت المنون الاستاذ فانتقل مع رفيقه السيد باولا الآتي ذكره الى مدرسة (موزايت) عند الاستاذ سيدي محمد بن عمرو البعقيلي فاخذا عنه الحساب والفرائض أخذا جيدا ثم انتقلا أيضا الى مدرسة تاهالا عند الاستاذ سيدي على الاسكاري ، ثم لم يلبثا ان رجعا الى الغ فتوجه صاحب الترجمة مع الشيخ الالغي الى اداء فريضة الحج سنة ١٣٠٥ هـ ثم كر ثانيا لشكه في الحجة الاولى حين لم يحتط بالوقوف ثانيا كما فعل الشيخ حين لم يثبت الهلال كل الثبوت في الوقفة الاولى ، وقد ثار حول ذلك ما ثار في الغ من الفتاوى بعد الرجوع ، وللاستبراء من هذا الريب وللاحتياط أعاد صاحب الترجمة حجته ، وذلك مايدل على تدينه ومخالطة بشاشة الايمان شغاف قلبه ، وهل يحتاط لدينه الامن كان مومنا حق الايمان ؟

ثم التحق بشيخ المريدين في الصحراء الامام ماء العينين فاستشاره في المجاوزة الى السودان فاشار عليه بالمكث في الصحراء فصار يشارط عند بعض الاعراب ، ويسمي السالك يعلم اولاده أربع سنوات متوالية ، فكان يقايض في التجارة بما نض في يده من أجرة المشارطة فتحصل له بعد تلك السنوات الفاريال وذلك مال عظيم في ذلك الحين ، وفي تلك البيئة ، فحينئذ قوض خيامه من الصحراء فاقبل الى مسقط رأسه بوجه مشرق ونفس مطمئنة وهو يشكر الخطوة التي خطاها الى الشيخ الصحراوي المذكور الذي وجد لاشارته بركة ، وهل يخيب ابدا من يستشير ؟ فكان شيخه الذي تبرك به لانه اتخذه شيخ طريقة

ثم استرد من أملاكه ماكان مرهونا فظهرت اه حالة حسنة وعدالة مشهورة فصار هو كاتب الرسوم في قرية الزاوية يندبه الاستاذ على بن عبد الله كبير القرية لذلك، ثم استشار الشيخ الالغي في التزوج فأمره بالتريث وفي يوم بعد سنة لاقاه الشيخ في طريق (والكوت) فقال له ان الزوجة قد تيسرت لك فزوجه بابنة اخت من اخواته كانت تأيمت من زوج قبل ، ثم لما بلغ اولاده ابان التعلم صار يشارط ليؤدي لهم ما عليه نحوهم فشارط في مسجد (ايسيل اوزامور) وفي (ادوز) من أيت همان بمجاط وفي (اكماض اوساكا) من (أيت ايزليتن) بمجاط أيضا وفي (تيبيوت) بالغ وفي (تيزوزين) من أيت وفقا وفي مسجد (مومتول) من كرامة ، فهذه هي المساجد التي تقلب فيها مع اولاده يعلمهم

مكانته العلمية

سمعت ما اخذه من العلوم ، وعن المدارس التي تقلب فيها ، ولكنه في الحقيقة ضعيف النزع الافي الفرائض والحساب والتوثيق ، فان له فيها يدا حسنة واللحن كثير في مخطوطاته ، وهو مع اقباله على المطالعة في بعض الاحيان لايطالع

الا الكتب الصوفية والفقهية وما اليها لا (الادبية) وقد وقفت له على هذه الرسالة التي كتبها الى ولده سيدي محمد ، فلنعرضها عليك لترى منزلته في التعبير:

«سلام الله مع الرحمة والبركة ، وبعد فلازائد الا الخير والحمد لله والشكر سوى كثرة غربتك عنا ، ولكن من يطلب العلم لايكون غريبا وطالب العلم افضل من غيره دائما وغربته افضل غربة

ساطلب علما او اموت ببلدة　　　يقل بها قطر الدموع على قبري

ولله در القائل ايضا :

العلم افضل مايقني الزمان به　　　والعلم أفضل ما أوعيت من زاد

ولكن العلم لايدرك الا بالادب والتقوى ، رزقك الله الادب والتقوى ورزقك الله علم الاستعمال واسال عن كتب القراءة لتشتري بمراكش او فاس او الدار البيضاء ، وارسل نحتل في قيمتها ا نشاء الله ، سهل الله علينا وعليك وعلى جميع الاشياخ والاحباب امر الدين والدنيا والاخرة ووسع عليك في جميع الامور دينا ودنيا واخرى ورضانا امامك ووراءك ان شاء الله وأيضا فان امك واخواتك في السلامة والعافية فلله الحمد ، والحسن يقرأ عندي والحسين مازال في لوحته الاولى عنده ، ولكن في نيتي ان ارسله الى العلم ان شاء الله متى اخرج هذه السلكة واوصيك ونفسي بتقوى الله العظيم ، والصلاة في أوقاتها في الصف الاول والسلام»

هذه هي الرسالة وفيها تفهم نواح من نفسية صاحب الترجمة التي كل همها في تهذيب اولاده وتعليمهم ، ولايقول كما يقول الجهلة أريدهم لمعاونتي في امور دنياي لانه يعلم ان على من يربي ان يلحظ مستقبل ابنائه قبل ان يلحظ ما يفيده هو اهم

على ان شهرة الحاج بلقاسم في الغ لم تكن الا بما يصدر منه فينات من الحالات التي تصادف ، وانما ذكرنا هذه الناحية العلمية لكونها موجودة على الحقيقة كما ترى ، وماكان أمثاله ليظهروا بهذه الصبابة العلمية ازاء أولئك الفطاحل ابناء عمه وماكان احد ليقصده من أجلها ويذر البحور الزواخر

قواصد كافور توارك غيره　　　ومن قصد البحر استقل السواقيا

اخلاقه

كان رحمه الله ممن حببت اليه العبادة والانزواء عن الناس مالم يتداخل في خصومة حول ملك من املاكه ، فانه حينئذ يهاجم ويدافع بكل مايقدر عليه حتى اشتهر في هذا الميدان بانه صخر جاس لايلين لماضغ ثم هو في ذلك لايحترم احدا في ميدان هذا الدفاع ويرى الحق فوق كل ذي وجاهة ، وقد أخبرت انه

وربما لاوم الاستاذ الجليل سيدي علي بن عبد الله حول شيء من ذلك حتى ينظر اليه الاستاذ شزرا ، ولكن لسلامة الصدور سرعان مايلتئم مابينهما وكان الاستاذ سيدي الطاهر الافراني كثيرا مايوصي صاحب الترجمة بأن لايقف أمثال هذه المواقف امام الاستاذ ابن عبدالله وكان هو أيضا كثيرا مايذكر مكانة الاستاذ ولكن اذا احتدم الغضب وانتشبت البراثن ، يفلت زمام عواطفه من يده ، هذا كل ما يعرف عنه فيه مثل هذا ، وأما سوى ذلك فانه في واد والناس في واد آخر ، وحكى عنه انه لم يملك في داره بندقية قط مع ان المرابطين كلهم قد أولعوا بها للدفاع عن انفسهم ، وان كانوا لايجدون بها ولايغنون فالمرابطي متى فارق عكازته وسبحته أو كتابه ان كان اهل الكتاب ، فقد ورط نفسه فيما لايعاونه عليه قلبه المائع بين العفاريت النفاريت من المجاطيين والبعقيليين والحربيليين الذين لايحسبون لمرابطي الغ حسابا وان تسلح بكل سلاح الدنيا فان احترموا منهم من احترموا فانما احترموا عكازته وسبحته ، أو كتابه ومكانته في الدين فما تجدي حينئذ بندقية المرابط التي لايحسبها احد من هؤلاء الا كالمغزل في يد الغزالة

خلق الله للحروب رجالا ورجالا لقصعة من ثريد

فكان هذا هو الذي رآه الحاج بلقاسم فتنكب تملك السلاح فقد اخبرت أنه وقعت يوما هيعة في الغ فتسلح مغاوير المرابطين فاقبلوا يشتدون نحو الهيعة كأنهم امثال القائل :

كنا اذا ما أتانا خائف فزع كان الجواب له قرع الظنابيب (١)

ولكن سرعان ماغلب الخلق على التخلق ، فجاءهم شاب واحد كما راهق من مجاط ، فصاح عليهم صيحة عنترية فاذا بهم ميع في ميع ؛ فجردهم من السلاح واحدا واحدا ثم ساق بعضهم أمامه ماسورين ، فلماذا لايشترى أمثال هؤلاء بثمن البندقية مايجديهم في معاشهم نفعا فلله در صاحب الترجمة فما اعقله ، وحكى لي أيضا انه مارتكب قط هذا البيع الذي يطلق عليه الرهن ويدل ذلك على ورعه لانه لايرتكبه الا احد رجلين من يستهين بأمر الربا ويعده هينا وهو عند الله عظيم حتى أعلن الله بالمحاربة على مرتكبيه ، أو من اضطر اليه ولم يجد منه مناصا كالشيخ الالغي الذي اعرض عنه في أول عمره حتى اضطر اليه ، ثم احتاط في ايفاء الثمن بالدراهم نفسها ، أو بالحبوب بثمنها الحاضر فلئن صدق من حدثني عن صاحب الترجمة انه لايرتكب هذا البيع ، فانه حينئذ على جانب غير قليل من الورع ، ولايتورع الا المراقبون الله في كل لحظة ، وهل يكون ورعا الا من عمر قلبه بتقوى الله عز وجل

١) الظنبوب : اعلى الساق وذلك كناية عن تشمير الثياب عن السوق للاسراع الى الاغاثة

كان رحمه الله ذا بركة في يده ، فيقصده الناس للرقى والتمائم ، وقد كانت حالته المالية تجعله من المستورين المكفيين القانعين ، وكان الرئيس احمد ابن الحاج ابراهيم يتفقده أحيانا ، وقد أرسل اليه في بعض المساغب ، فناوله دراهم غير قليلة فلما انقطعت المسغبة ردها الحاج بلقاسم ظانا أنها سلف فقال له احمد كلا ! ليست بسلف وانما هي اعانة خاصة مني اليك لكيلا تحتاج الى غيري رحمه الله وجعله في أعلى عليين ، وأنا لم اعرف هذا السيد ولكن هذه هي الاخبار التي بلغتني عنه

وقد أعقب من الاولاد الذين اعرفهم محمدا والحسن والحسين واحمد وعليا ، وسترى من يستحق منهم الذكر لما عنده في ميدان المعارف

سيدى عبد الله بن محمد باولا

= ١٢٨٥ هـ = ٧ـ٥ـ١٣٤٥ هـ =

نسبه :

عبد الله بن محمد بن عبدالله بن محمد بن صالح بن عبدالله بن احمد بن عبد الله بن سعيد

هذا هو رفيق الحاج بلقاسم المتقدم وقرينه ، وقد نشآ معا فى قرية واحدة ودرسا درسا واحدا ومقياسهما فى المعلومات متقارب ، وقد رأيت حال ذاك غريبا فى منزعه ، وفى الذى اشتهر به بين الناس من الفراسات فى التنبآت ، وسترى حال هذا الغريب كأن هذا الشذوذ منهما هو الذى جمع بينهما ـ وشبه الشىء منجذب اليه ـ

« إن الطيور على ألافها تقع »

رأى بعض الناس مرة غرابا وحمامة متحاذيين هويا وطلوعا ، فطال تعجبه واستغرب اجتماعهما ، ثم انهما نزلا الى الارض فاذا بكل واحد منهما اعرج ، فادرك ـ اذن ـ ما الجامع بينهما

حفظ القرآن واخذ بعض المبادىء على يد الاستاذ سيدى محمد بن عبدالله الذى آواه اليه كرفيقه المتقدم لفقدان اهله ايضا فى تلك المسغبة سنة ١٢٩٥هـ فشب ونشأ وتعلم ماقدر له تحت كنفه ثم بعد وفاته جال مع رفيقه فى المدارس التى ذكرناها ، ثم اوى الى قريته فحبب اليه الانقباض والعبادة ، والاعراض عن كل مايشغله حتى انه لم يتزوج فى حياته الا أخيرا ، وكان غريب الاطوار لايأبه بنفسه ولا باستجداد لباسه فلايزال عليه قميص غليظ من الصوف وخنيف (١) يزداد دائما اسودادا بما يتراكم عليه وربما يتزيا بهياة النساء ويلتحف بملاحفهن كأنه من الملامتيين الذين يذكرهم الشعرانى والنبهانى والكتانى فى كتبهم المشهورة

كان اولا يحترف بيده ، وقد استرد بعض أملاكه مرهونة فيتتبع حمارة له فى اشغاله وفى أسفاره ثم اعرض عن ذلك فصار يزارع فى حقوله وهو فى داره لايخرج الا الى المسجد حيث لايفوته الصف ثم ينزج فى داره وكان له فى

١) كلمة عربية : الثوب الغليظ

تزوج اخيرا ولكن لم يرزق عقبا فمات عن غير وارث الا عصبته من بنى اعمامه ، فوجدت له وصيته بثلث جائز ماله للمسجد فنفذها الاستاذ على بن عبد الله

واما معلوماته فقد كانت أولا لم ترسخ فيه ملكتها ، ثم باعراضه عنها وعدم مذاكرته بها لم يبق له الامايحتاج اليه هو فى نفسه ، وشهرته فى السغ ونواحيه انما كانت بهذه الاحوال الغريبة التى دام عليها من الاخبات والانابة وكثرة العبادة والعزلة التامة ، فكونت حوله هالة وقف الناس ازاءها طرائق قددا ، فمن قائل ولى من اولياء الله ، سلك سبيل التجريد فالقى هذا العالم كله وراء فاقبل على اصلاح معاده ، ومن قائل ان الجن استهواه فانس به فقر من الانس والكل العقلاء مع الاولين ، ثم يقولون لانزكى على الله احدا فيفوضون امره لله

واشتهر ايضا بتطبب يتعاطاه ظهر فيمن يداويهم اويدلهم على دواء شفاء عاجل ، فمال اليه الناس بسبب ذلك من الغ ومن جيران الغ والناس لايميلون الا الى من ينتفعون به ولو من ناحية من النواحى

هذا ما استقيته من الافواه ، وأخذته وتحصل عندى عنه ، بعد تمحيص لاننى لم اعرفه وان كان ابن قريتى ، لاننى فى صغرى ماكنت أعدو دارنا وفناءها أنا واخوتى ، لان والدنا لايريد أن نخالط غيرنا فى تلك السن ، ثم لما شدت يدى ازرى وصرت اخا القوم واستغنى عن المسح شاربى كانت الحمراء وما وراءها مراتعى التى

عرفت هواها قبل ان أعرف الهوى   فصادف قلبا خاليا فتمكنا

فانى اعرف من يخالطون الناس من قريتى، فضلا عن المنزوين كصاحب الترجمة؟

أيها المنكح الثريا سهيلا   عمرك الله كيف يلتقيان
هى شامية اذا ما استقلت   وسهيل اذا استقل يمانى

ثم انه رحمه الله آخر من بقى من عقب سيدى محمد بن صالح بن عبدالله فلم يبق من آله احد بعده والبقاء لله

احمد بن محمد بن عبد الله

١٢٩٢ هـ = ١٣١٣ هـ =

نسبه :

احمد بن محمد بن عبدالله بن صالح بن عبد الله بن صالح بن عبدالله ابن احمد بن عبد الله بن سعيد

شاب نجيب كان طلع في سماوات العلوم هلالا وافترت عنه رياض المعارف زهرة ذكية، وبدا بين اترابه في المدرسة الالغية وبين شبان الاسرة الصالحية مثال الذكا، والنبوغ بفهم لايفل حده وبذكاء متوقد لاتخبو ناره ثم جاء الدهر الموكل من قديم بالتقاط الخيار المعهود عنه أنه يتسلط على افلاذ أكباد الاسر فاعتبطه وهو كما استوفى عقدين فاقذى بثكله أعمامه وارمض كبد جده الحاج عبد الله الذين كانوا يتوسمون منه خلفا لوالده الاستاذ محمد بن عبدالله وينظرون اليه بين ايديهم قرة عين فيالله الكثير من الشبان الذين يفجعهم الموت في انفسهم وهم في فجر الحياة ، ويلوى بهم وبآمالهم وهم كما ابتسموا للحياة وابتسمت لهم بثغور معسولة براقة

كان اخذ القرآن عن سيدى سعيد بن عبد المومن كاخوته في مسجد القرية ثم الحفظ اهله في رفقة سيدى البشير بن المدني الناصري بالاستاذ سيدي محمد ابن الحسن الماسي ، وهو اذذاك في مسجد قرية (أغبالو) بماسة وذلك نحو ١٣٠٧ هـ ثم اعتنق المبادىء في المدرسة الايغشانية عند الاستاذ سيدى العربي الساموكني فكان يشدد عليه حتى قمص يوما من عنده الى مدرسة من (ايلالن) ففرق عمه الطلبة في البلدان يفتشون عنه الى ان أخبر به هناك ، فارسل اليه فلازم المدرسة الالغية فسرعان ما نبغ وظهرت له همة وطموح فلم تمض الا سنوات قليلة حتى صار يعين عمه الاستاذ على بن عبدالله في طائفة من المبتدئين منهم صنوه الاستاذ شيخنا سيدى عبد الله بن محمد ، فقد اخبرني انه على يده خطا الخطوة الاولى ، فحفظ متونا ويحكي عنه جدا في ذلك حتى انه ليحكى نادرة وقعت بينهما وقد اجفل شيخنا مما يلاقيه منه ، ثم لم تكن سنة ١٣١٣ هـ حتى سقط مريضا فلحق بوالده فبكى الناس على شبابه النضر ونجابته الفذة لما رأوه فيه من فلو يظهر من شياته ومن عينيه ومن استواء عضلاته ومن شباب (١) مرحه

١) الشباب بالكسر : وقوف الفرس على رجليه الاخيرتين ورفع يديه مرحا. واليعبوب : الفرس السريع الطويل والفلو كعدو وسمو : الصغير من الخيل

انه سيستحيل يعبوبا لايسبق في الميدان ولايطمع ان يشق فيه له غبار ، وقد اودع شيخنا الافراني تلك اللوعة التي اججها في الافئدة اذذاك في هذه القصيدة النونية التي ارسلها مع النثر وراءها الى عمه الاستاذ على بن عبد الله ، وهي من افضل المراثي الطاهرية :

الهوا وما طرف الخطوب بوسنان … وأمنا ومأريب المنية بالواني ؟
ونفرح بالامال والدهر مولع … بتنغيض لذات وتشتيت اخوان
ننام الى الايام جهلا بأنها … وان أظهرت صفو الهوى ذات الوان
كانك ما تدري بأن ودادها … وان راق ممزوج بخدعة خوان
فكم ذي سرور جرعته ندامة … فاضحى بلا خمر بحالة نشوان
يبيت بعيش لايطار غرابه … ويصبح من هول الرزية في شان
وكيف امان المرء والدهر شارع … سهام ردى تزرى بصعدة مران(١)
وماهو الا عرضة يرتمى بها … فان فاته سهم تلقاه سهمان
وان الفتى من لم يزل متترسا … بجنة حزم لايرى غير يقظان
يعد لما ياتي به الدهر عدة … من الصبر لايثني عرى عزمه ثان
يصادم جند الحادثات بهمة … اذا قارعت ذابت لها صم صفوان
واني وان كان التجلد عادة … لنفسي معتادا له منذ ازمان
لقد هد ركن الصبر مني حادث … اتى دون فرد ماله في العلا ثان
فاودعه بطن الضريح وما رعى … له قدر مجد قد سما فوق كيوان
وعفر خدا صفحة البدر دونه … وذاتا تردت كل حسن واحسان
وهال ترابا يالها من رزية … على جسد من وابل الفضل ريان
وغال هلال السعد عند كماله … واردى وقدكان استوى غصن البان
ومال على ذاك الشباب ومارثى … واخرج ذاك الروح من سلك جثمان
فاظلم جو الفضل من حين فقده … وبدل عرفان الوفود بنكران
وصوح نبت المكرمات واجنحت … رسوم العلا بعد الكمال لنقصان
وادبر انس الدهر واغبر جنحه … واغرى بهم لايزول واحزان
فما بالبقا من بعد احمد غبطة … وما العيش الا والمنية سيان
فيا خاطرى من بعده واصل الاسى … وياعين سحى وابل المدمع القاني
فقد حل في تلك الرزية والاسى … على قدر عظم الرزء هجران سلوان
وان قليلا للفتى شق قلبه … على مثله لاشق صوف وكتان
فلو نحت طول العمر نوح متمم … وجاريت ورقاء على ذات افنان
لما بلغت نفسى من الوجد حقه … فمالى لاابكى على جهد امكان
فلا للحنى فيه فان بفقده … تزلزل من صرح الهدى كل اركان

١) الصعدة بالفتح: القناة المستوية المستقيمة، والمران كالرمان: الرماح اللدنة في صلابة

فوا احمدا وامن تسعر بعده   من الوجد في الاحشاء لاعج نيران

ويا احمدا يامن مضى لسبيله   وما سودت عرضا له سود ادران

ويا باذلا مكنون درة عمـره   على الخير ما ان قط دنس بالران

حييت حياة ماتيسر مـثـلـها   لغيرك في تطلاب علم وقرآن

ونادالك من تلقاء ربك رحمة   فلبيته داع لـفـوز ورضوان

وسرت لما قدمت تجنى ثماره   هنيئا مريئا بين حور وولدان

تخلصت من اشراك دنيا همومها   مواصلة ما ان بها راحة العاني

وخلفت وجدا لايريم وعبـرة   تسيل وقلبا لايرى غير خيران

وغبت فما في العيش بعدك راحة   ولكن غدا ذكراك روحى وريحان

فوالله ما انساك ما ناح صادح   وما لاح في جوالسماء السماكان

* * *

الا ياامام الدين يامن وجوده   بديل بحمد الله في كل مافاني

وياجبلا ما ان يميل تجلدا   على نائبات الدهر للحادث الجاني

ويا من رسا في طينة العبد عهده   يزيد بعظم الرزء قوة ايمان

تعز رجاء للثواب ولا تـكـن   جزوعا فما بالعيش متع الفان

فما في الورى طرا مصاب بمثلما   اصبت به من كل شيب وشبان

ولكن على قدر المصيبة اجـرها   ومن فاته يظفر بصفقة خسران

وانت الذى تنهى عن الحزن أهله   وعلمك يستهدى به كل انسان

وانت خبير بالزمان فصرفـه   سرور وحزن ما توالى الجديـدان

ومن قبل ماقد قيل بيت مخفف   على كل محرور الجوانح حران

«وما الدهر الا هكذا فاصطبر له   رزية مال او تفرق خـــلان»

فمن بعد ذا فاغنم ثواب مصيبة   باراف أم ذات بر وتحنان

فبالله من اجرين في ضمن محنة   وكم محنة في طى منحة رباني

وقد هز ركن المجد بل ثل عرشه   مصابك من رزءين مرين في آن

فصبرا فما فضل اللجين سوى لما   تضمن من صبر على حر نيران

وفي فقد خير الخلق افضل سلوة   لكل فتى عن كل ذى الناى والواني

فكل مصاب دونه فهو هين   لدى كل ذى لب رصين وعرفان

عليه صلاة الله والغر آلـــه   واصحابه ما سار بدر بحسبان

سيدي الذى مازال فيض مدده السارى من عين معينه يمتد الجارى ، عــلى تعدد الوارد يروى ، وواصل النسيم ابن الارج ، عن البشير ابن الفرج عن ثابت حسن خلقه يروى.من ادلى بيراحسانه دلوى،ولاعرج اكتفاء به على الغير ولا الوى. سيدى ومولولاى ، والممتن بعد الله بجملة الالى ، شيخنا بدر الدنيا والدين. واسوة المتقدمين.ادام الله لذلك المقام عادة بره.وبارك للامة فى سارى سره.وعلى تلك الساحة ، التى خيراتها مباحة :

سلام يناجى الالف من زهره عرف   فلاسمع الا ود لو انه انف

هذا والعبد مذ طمت تلك الطامة الكبرى ، واودعت من اودعته قبرا ، ممن لايطيق احد الا بتاييد الله على مثله صبرا ، قد صار ممن طعن في تلك الصدمة. وصرع في تلك الحومة ، حتى مايدرى ماياتى ومايذر ، وصار غالب ماينطق به بعد من الهذر ، وكان يحاول ان يقول فيها فلايسعده المقال ، مما أدرك اللسان من حابس الاعتقال فعاقه عن الدب فضلا عن الارقال ، فحين انجلت بعض تلك الحرقة ، وانقشع قليلا سحاب تلك الصعقة ، تكلف مرثية تفي بأداء البعض من دين ذلك القوض؛ لاحملا لسيدى على العزاء، ولاتذكيراله بماقى الصبر من الجزاء، فانه هو المتولى لذلك ، والمبصر في تلك المسالك ، بل نفثة من المصدور ؛ واطفاء للحصل من نار الحزن في الصدور ، والمرجو من سيدى قبولها على علاتها،واغتفار زلاتها ؛ فهى جهد المقل ، ومقدور المرمل، ونسال من سيدى دوام الرعاية،والدعاء بنجح السعاية. والصفح عن التقصير ، والنظر لعيب العبد بطرف حسير ، وكتب مقبلا تلك الراحة ، معفرا خد التذلل في تلك الساحة ، ابنكم الضعيف الطاهر امده الله

البشير بن الطيب السليماني

١٣٠٨ هـ = ٢٧-٢-١٣٤٧هـ =

نسبه :

البشير بن الطيب بن احمد بن محمد بن سليمان بن محمد بن احمد بن عبد الله بن سعيد

شاب انتدب للتعلم منذ ميطت عنه التمائم ، الى ان نيطت به العمائم فحصل تحصيلا كثيرا ، وبذ كثيرا من أترابه في ميدان المعارف بالارتواء من مختلف الفنون وهو من الرعيل الثالث الذي نشأ بالغ بعد الرعيل الثاني الذي على راس طبقته شيخنا سيدي عبد الله بن محمد ، وبعد الرعيل الاول الذي على راس طبقته الاستاذ سيدي علي بن عبد الله ، وجد صاحب الترجمة هو سيدي سليمان الذي قرأت ترجمته ، وهو ابن عمتنا خديجة بنت أحمد، فوالدي الشيخ خاله ولذلك اعتنى به وبأخيه سيدي موسى الاتي حتى قرءا فكان يعينهما بالكتب وبكل شيء

اخذ القرءان في مسجد القرية عن سيدي محمد بن علي الاكميري ثم عن سيدي احمد بن بلقاسم من أبناء أعمامه وهو المشهور بسيدي احمد بن بلق بلقاسم على عادة الناس في نحت الاسماء ثم افتتح المبادىء على يد صنوه الفقيه سيدي موسى وهو اذذاك يستتم دراسته في المدرسة الالغية التي كان سيدي بلقاسم التاجارمونتي أستاذها الذي يدير الدروس العليا ، ويتصدر كبار الطلبة للمبتدئين كسيدي موسى هذا ، وكان وقت افتتاحه للمبادىء بعد ١٣٢٠هـ ثم التحق بالمدرسة الادائية عند الاستاذ شيخنا سيدي عبد الله بن محمد ، فتقدم به في الفنون وتدرب على يديه ونجب ، ولايزال معه حتى تخرج به وهو أستاذه الوحيد على الحقيقة ، وقد رابط في حين آخر في المدرسة الالغية أثناء ذلك سنة ١٣٢٧ هـ حين فارق استاذه مدرسة (اداى) ثم التحق به أيضا حين شارط سنة ١٣٢٨هـ في المدرسة الايغشانية فلازمه فيها حتى فارقها الاستاذ آخر زمن اخذه ، وقد كنت صاحبته هناك نحو ثلاث سنوات فعرفت من ادراكه واخلاقه ماأجهله من آخرين اقرانه

مداركه

كان هناك معنا في المدرسة نجباء من قدماء تلاميذ استاذنا صاحب الترجمة

والاستاذ ابن العم سيدي عبدالله بن ابراهيم وسيدي صالح بن احمد ، وسيدي احمد بن مسعود التيسولي وسيدي مبارك بن محمد الانامري الايغشاني الذي اخذ قبل استاذنا عن آخرين فكانوا يمثلون النجابة التامة ، فاكبوا على الدروس العليا فكنا ونحن صغار ننظر الى مقاماتهم العليا ، نظرنا الى نجوم السماء فكنا نستحيي منهم ، ونتنبذ عنهم بالعابنا الا اننا نجد من سيدي البشير بشاشة ومداعبة نزيهة لطيفة ، لانجدها عند آخرين فكان الينا أقرب وكنا ربما نسأله عن اعرابات فيفيدنا بملاطفة وموانسة ، وربما نجتمع اليه ، فيلقي علينا مما يمتحننا به ما لانستحيي أمامه ان توقفنا فيه لانه يعلمنا اياه بسرعة ، ذلك فاستفدنا منه اذ ذاك ، ومادعانا الى ان نجعله على راس أقرانه اولئك ثم لامضت سنوات وقد شدوت كنت متى جئت الى الغ من مدرسة افران ، أجتمع معه كثيرا فيفيدني فوائد جمة ، لاأزال استحضر بعضها منها انه سالني مرة عن اعراب هذه الاية (ان ترن انا اقل منك مالا وولدا فعسى ربي ان يوتيني خيرا من جنتك) فتهت في بعض الآية وكبوت دون سائرها ، فمما توقف به حماري في العقبة (انا اقل) فكدت اذوب خجلا لو كنت أمام غيره ولكني بما تأصل بيننا من مؤانسة لم ازد على ان اخذت بتلابيبه ليريني ماتوقفت فيه ثم بعد تأب منه وتمنع ـ مباسطة منه ـ علمني فاحسن تعليمي

ومما لاازال استحضر أنه سألني ـ وقد جالسته على الحجر المجعول دكة صغيرة عن يمين من خرج من زاويتنا صباح يوم قبل الشروق ـ عن الفجر ايصلى في ذلك الوقت قبل صلاة الصبح املا ؟ فقلت له نعم يصلى مادام الوقت متسعا لادراك ركعة من الصبح فقال حقا هذا هو المشهور ، ولكن المسألة فيها خلاف في المذهب فهناك من قال لايصلى الفجر بعد الاسفار ولو قبل صلاة الصبح وقد ذكر الزرقاني هذا الخلاف . هذا ما أستحضره كماهو مماأفادني رحمه الله ، وكانت هذه عادته متى تلاقى مع مبتدئين امثالي ولكنه يفعل ذلك بلطف وباسطة لابعنف وعنجهية ، كما يفعله آخرون ، فقد حكى لي سيدي بلقاسم الساحلي انه كان معه يوما هو والنجيب الحسين بن أحمد بالطريق الى الغ من الاخصاص وقد توجهوا لامضاء رخصة العواشر عند أهاليهم فكان في الطريق كله يشغلهم بالمسائل ، وبحفظ أبيات نادرة يلقيها عليهم ويلزمهم استظهارها فانشد لي مما حفظوه عنه ذلك اليوم ، قول ابن باجة الاندلسي :

أسكان نعمان الاراك تيقنوا ... بأنكم في ربع قلبي سكان
ودوموا على حفظ الوداد فطالما ... بلينا بأقوام اذا استؤمنوا خانوا

ومن انشاداته ايضا :

ورب ليل شربنا الكاس صافية ... حمراء في وجهها تنفي التباريحا
ترى الفراش على الاكواس ساقطة ... كانما ابصرت فيها المصابيحا

تلك لفتات سيدى البشير ورشحات مداركه التى ترقى فيها الى درجة عالية بالقائه للفنون ، واستحضاره للمسائل حتى كان يتنكبه المقصرون عند اجالة القداح حول بحث غامض ببحث رائض ، يعرف عنده المعلم من المنيح لانه يتوصل باللب ولايقنع الابه ، ان قنع غيره بالقشور

اخلاقه

رايت من ذلك الفصل ناحية من نواحي أخلاقه التى يعامل بها من تحته ، فهى رفق وحنو وارشاد ومباسطة ولكنه مع أقرانه رجل آخر لايعطى الابمقدار مايأخذ فليست لطافته مما يجلو مافى باطنها للناظرين بل كان الاحتياط هو الغالب عليه ، مع مداراة ومحاباة لاتدرى بها امعك هو ام عليك ، وذلك خلق الذين لايقعقع لهم بالشنان ولايواخذون على غرة ، ولكنه مع ذلك رب النكتة الذى لايفلتها ، ولايدع فرصتها تمر من غير ان يضع عليها سبابته ، مع تطاول منه الى الجولان فى ميادين علماء اهل عصره ويتهيأ لذلك بتأسيس أساليب الحياة على اسس متينة، ولكن الدهر لم يساعده ويد المنون تناولته وهو كمابلغ أشده فرحمه الله رحمة واسعة ، فقد سقطت منه شجرة رأى الراؤون ثمارها تونع ولقد اخبرت ان الاستاذ على بن عبد الله أرسل وراءه زفرة يوم توفى ، وقلما لايرسل زفراته الا على نجباء الطلبة الافذاذ

تقلباته

فارق المدرسة الى الميدان الحيوى وكان لابدله ان يشارك فيه ، ولما كانت المشارطة هى الباب الوحيد لامثاله فى هذه البلاد الى المشاركة فى ذلك الميدان اقبل عليها ، فكان سنة ١٣٣٤ هـ والتى بعدها فى مسجد (ايغيرويلولن) ثم فى مسجد (تيغيرت) خمس سنين ، وقد انتشرت له شهرة علمية هناك بفض بعض النوازل وتحرير بعض الاحكام ، وكانت اخلاقه التى ذكرنا نبذة منها تؤهله لمصادفة هذا المقام بما يليق به حتى يقول فيما حكم فيه ماظهر له من غير أن يخاف من حكم عليهم ومخطوطاته فى تلك النوازل موجودة فى تلك الجهة ثم انتقل الى مدرسة (للاتعزى) السملالية ، وهى صالحة من احفاد سيدى وكاك توفيت سنة ١٠٥٩ هـ فبعد عام التحق فيها بصنوه سيدى موسى المشارط فى مسجد (تيمولاى) السفلى فتعاونا فيه ولكن نشأ بينهما سوء تفاهم لان لصاحب الترجمة تفوقا على اخيه الكبير وعرف التيمولائيون ذلك فيروجون انهم سيكتفون به عن صنوه الكبير فنشأ بذلك مانشأ وكاد يخرج اثره الى الوجود لولا ان مالت الاقدار بسيدى البشير فارمته بعد مرض لم يتجاوز أسبوعا فدفن هناك فى الزاوية الدرقاوية عند قبر الرجل الصالح سيدى ابراهيم القائد، فهكذا ختمت

حياته وانطفأت جذوته ، فبقى صنوه الكبير فى محله — مصائب قوم عند قوم فوائد .

آثاره

[illegible] سيدى البشير الثاقب الفهم النادر الذكاء السريع الاستحضار [illegible] بعض الآثار ، تخلده فى الخالدين من بين الالغيين ، وكان يمكن له ان [illegible] الدراسة او تيسرت له المشارطة فى المدارس التى لاتكون الدراسة [illegible] فلو كان ذلك مقدرا لرأينا له تلاميذ ، ولكن نكتفى بآثار ما قدر [illegible] ابيات ورسائل ، سقطت الينا من حيث لانظن فاما آثاره الفقهية [illegible] لها ـ حتى لووجدناها ـ فى هذا الكتاب ، بعد ماخصصنا كتابا [illegible] ذلك ولكننا نضع هنا بعض ما وقعنا عليه ممايمكن قبوله من الادباء [illegible] رسائل وبعض مقطعات ندرك منها كيف قلمه

[illegible] ذلك رسالة كتبها الى صنوه سيدى موسى من المدرسة وهى من أولياته:

[illegible] الاديب الاريب ، والاخ النجيب نسيج وحده وفريد دهره، اخونا سيدى [illegible] ابن الطيب، لازالت اكنافه مخضلة بكل وابل صيب ، سلام الله عليك [illegible] وبركاته

[illegible] فى غاية الجد فيما نحن بصدده رزقنا الله واياكم الظفر [illegible] ان الحاجة قد مست الى دعائكم العميم ومن ذا الذى يعين الاخ الا [illegible] وان اخباركم عنا قد انقطعت وأوصدعنها الباب ، فلارسول ولا [illegible] قنع من مات بمن يجره وقيل :

[illegible] لوعة تبدو فيطفئها   مسك المداد وكافور القراطيس

[illegible] بما قال الشاعر :

[illegible] البعاد والتفرق   لنلتقى بالذكر ان لم نلتق

[illegible] والبيت السينى الذى ساقه هو من قطعة صدربها ابن مرج [illegible] الى الاديب صفوان بن ادريس وهما معا مشهوران ، والقطعة :

[illegible] فى العلياء منزلة   جداه قد أسساها أى تأسيس
[illegible] فى العلا حقا للملتمس   سيان هذا وهذاك ابن ادريس
[illegible] فازند لى جذلى   واعتضت من فرط اشواقى بتانيس
[illegible] لوعة تبدو فيطفئها   مسك المداد وكافور القراطيس

[illegible] اليه وهى من اولياته ايضا فى الترسل :

[illegible] الذى لايغيضه الماتح والحبر الذى لايبلغ مدحه المادح جامع الفضائل والمحاسن ، ومظهر اسم الله الظاهر والباطن الشهم الصادق والاخ الوامق

سيدنا وسندنا ومنبع مددنا ابوعمران سيدى موسى ابن الطيب ، لازالت اكنافه مخضلة من السلام والتحية بكل وابل صيب ، وسلام الله تعالى عليك ورحمة الله وبركاته التى لايكون لهامنتهى ، ماأجتلى الفرقدان واختفى السها

وبعد ، فان سالت فلازائد الا الخير ولله الحمد على كل خير ، غير ما بنامن نحول الجسوم بالاشتياق الى لقاء من هولهاترياق ، فالمراد من الله ثم منك ياقرة العينين ان تذكرنا بالدعاء بالعافية فى الدارين وأن تعطى لحامل الحروف الجزء الاول من التصريح ، وباب احكام الصداق من الزرقانى ، فقد مست الحاجة اليهما جدا، والشريشى لاننا وصلنا فى المقامات (الثامنة عشرة) والمختصر (أحكام الصداق) والالفية (النكرة والمعرفة) وفى التحفة (باب الضمان) ونريد أن نبتدىء الزقاقية فى قريب انشاء الله ، وخذ عمامتى من عند اخى عبد الله واعطها للحامل ، واعذرنا فى التخلف عن زيارتكم الواجبة ، بعد قدومكم من السياحة وقد وصلنا خبركم والحمد لله على سلامتكم وياليتنا نجول كما جلتم ولكننا تمسكنا بقول الشاعر :

اللازمون ديارهم ... أشباه سكان القبور
لولا التغرب ما ارتقى ... در البحور الى النحور

ولكن الرضا بالقدر من هذه الفضول لابد منه ، وأعلمك باننا وكذلك شيخنا وجميع الطلبة فى سلامة وعافية ونحن فى غاية الاجتهاد والدوام على الاصلية ، نسأل الله أن يكمل لنا المقصود ، والسيد احمد بن مسعود التيبيوتى ذهب لقصد القراءة عند أخيه فى (أداى) وماأحسن ان ينشد فى حقهما قول الشاعر :

هكذا هكذا والا فلا لا ... طرق الجد غير طرق المزاح

وقد قصدت الينا ابيات من سيدى احمد بن محمد الساموكنى اخى سيدى العربى خسيسة المعانى ، ركيكة المبانى ولكنى اغمضت فقرظتها بقولى :

يامرحبا بمن ازدهت وترنمت ... طربا به ورق الحمام فغنت
وبمن بمسراه البسيطة قد زهت ... وبنوره كل المعالى تجلت
وتعطرت ارجاؤنا بعبير ما ... نفح النسيم لزوره اذ هبت
يا احمد بن محمد الشهم الذى ... بذيوله كل البلاغة لفت
شرفتنا بنظامك اللذ قد سما ... معنى وطيبا مثل مسك مفتت
اذ ما ظهرت فلا بلاغة تشتكى ... فقدا ولا تخشى سماع السبة
فالله يجزلك العطاء بمنه ... أبدا بامداد الرضا وتثبت
فامنن على العبد الضعيف بدعوة ... تفديه من كل الذنوب وزلة

وما القصد ياسيدى من كتبها ، وان لم تكن اهلا لتكتب الاان تصلح ماعثرت عليه من الخلل ، وسلم منا على الوالدين واسالهما لى الدعاء ، ولابد ان تكتب نبذة

من اخباركم واخبار الشيخ الخال رضى الله عنه وارضاه عنا والسلام»

فاجابه صنوه موسى :

«السلام والرحمة والبركة على المحب الوامق والاخ الفائق الشقيق سيدى البشير بن الطيب هذا فلازائد فى البلد ولافى السياحة الا الخير ، والوالدن لاباس عندهما وكذلك أهل الدار لاباس عندهم كافة ، وقولك فى صدر البراءة البحر مرتين ان البلاغة بعيدة من ذلك ، وقولك اعذرنا فى التخلف ، صدقت فى ذلك فانت أولى بالعذر ولكن انما يكون الامر كذلك فى بعض الاحوال لاغير ، وأماان جاء الفقيه وأهل بلدك اجمعون فماوجه الجلوس ، فان كان الجلوس لزيادة شيء من حفظ اونظر فلاباس وقولك ان سيدى احمد بن مسعود ذهب الى اداى عند اخيه واستحق ان يقال فيهما كذاكذا فانظر أنت أيها الاخ هذين البيتين تجد فيهما ما يشفى الغليل ويبرىء العليل وهما :

اذا اعجبتك خصال امرىء ... فكنه تكن مثل مايعجبك
فليس على المجد والمكرما ... ت اذا جئتها حاجب يحجبك

وقولك ان تصلح بعضها ، فاننى أرى فيهما عدم الاستقامة فى وزن بعضها فاحب منك أن تدركه بنفسك ، الا اننى اريد منك تبديل هذا الشطر ، وهو (فقد اولاتخشى سماع السبة)

ونحن رجعنا من السياحة قرب حصن المنكب بقليل ، ورجعنا بخير وعلى خير والسلام»

عمدا اتيت بهذه الرسالة وجوابها ليكونا كانموذج رسائل طلبة الغ فى هذا الطور ، وهى رسالة عادية شخصية لم يقصد بها ان تكون آثرا قيما للادب ولكنها تصلح للمؤرخ

وكتب الى فى جواب رسالة بعد ان تخرج وتمكن ، وانا اذذاك فى مدرسة تانكرت:

«سيدى الذى به وحده نرجو بقاء العلم فى دار الخال ، والمجد الذى بدرت منه بوارق تدل على انه لايفيل راى صاحب هذا الخال ، من جعل بين عينيه الثريا على صغره ومن رأيت من تلك الرسالة التى بعثها الى ما أتصوره عالما كبيرا فى كبره ، سيدى محمد المختار الذى أنا فى وصف مقامه اليوم وفى الغد انشاء الله مختار ، فعليك الف الف الف سلام تنافح عندك وورود الكمام، بعدا خضلالها برذاذ الغمام

اما بعد ، فاول ماانبهك عليه أن تتنبه لخطك فان خطك اذا كان رديئا اسرع فى حطك ؛ فقد رايت لك بعض الحروف مستقيمة ، لوتانيت عليها بتمرن لكان لخطك قيمة ،ولاتواخذنى فى هذا الانتقاد فاننى لم احمل لك فى صدرى الا كل

احترام واعتقاد ، فياطالما كررت على ان انصحاك ولذلك قصدت اليوم بقول هذا ان انصحاك لان ان افصحاك ، ولاتقولن ايضا ان خطك مثل خطي اوخطي ارقى فانى احبك ياابن خالى من اوج المعالى واسبابها مالااطمع انا ان ارى له افقا فقد ذكروا انه من شروط المودة ، ومن علامات ان الانسان اخلص لاخيه مقته ووده • ان يحب له فوق مايحبه لنفسه وان كان كل انسان طبعا لايحب الا ان يفخر جميع بني جنسه، ولله در القائل

اذا ما اهان امرء نفسه   فلا أكرم الله من يكرمه

ثم ان السلهام قد توصلت به فدفعته لمن يخيطه خياطة جيدة احسن من خياطة ذلك البعمرانى الافاك الذى اعتذر بأن قرحة عطلت عن العمل يده ، فان وجدت من يخيط هناك جبتك فقدانالك الله منيتك وان لم تجده فارسلها لينصحها هذا النصوح ، الذى لاتعلم كفه القروح وربما تتشوف الى معنى قولى (لينصحها) وقبل ان تراجع الكلمة فى (القاموس) تميل الى رسالتى لتفضحها فاعلم انه يقال نصح الثوب ان خاطه فسرت لك ذلك وبينت لك معنى النصاحة قبل ان تطلب ذلك من أخيك خوف ان تحاول بالتغليط افتضاحه

وبعد ، فهذا جواب رسالتك ، حبرت فيها مقالة مثل مقالتك فجعلك الله مآلا كمايحبه لك من يعرف والدك واديبا باحثا تطوق دائما بيدك خرائدك والبلد بخير وعلى خير واهلك ووالدتك ماسمعنا عن الجميع الا مايسر ، والسلام»

هذه رسالة كتبها فى عام ١٣٣٤ هـ وقد كنت ذهبت بسلهامه الى المدرسة الماكرية المخياطة فلم يتيسر ذلك ، فكتبت اليه رسالة جمع الله بينها وبين هذه بطريق المصادفة ، فقد نسيت هذه فى محفظة لى كنت خططتها فى ورقة منها بيدى ثم تقلبت بنا احوال واحوال نسينا بها ذلك الدور وماشلناه فيه • وفى يوم اتانى بعض الطلبة باوراق فيها رسائل فاذا برسالتى التى كتبتها الى صاحب الترجمة ، قدروى ورقها كله بزيت صارت به خضراء بل دكناء فتذكرت هذه المكاتبة التى مضى عليها نحو ربع قرن ، ثم وقعت ايضا على تلك الورقة فى محفظتى فاجتمعت الرسالة بجوابها بتصاريف الاقدار كما تفرقا قبل بتصاريفها وهذه هى المراسلة الوحيدة بينى وبين سيدى البشير ثم انزج فى مشارطته ولم انشب أنا أيضا ان اعملت الركاب الى رحلتى الكبرى •

ورسالتى التى كتبتها الى هذا السيد قليلة الجدوى ،ولكنه لاباس أن آتى بها لتبقى كانموذج لترسل الالغيين الابتدائى ، نصها :

«أزكى السلام على من القت اليه الانام ، يد استسلام وازكى التحايا على من لايزال الوفود ببابه ابدا ويكرمهم ويمنحهم اجزل العطايا السيد الكريم والنبيل والطود العظيم اللبيب الاريب ، ومن هوالى كل الخلق حبيب ذى المكارم الجمة الكثيرة والفضائل التى هى كالدرر فى محاسنها المنيرة السيد البشير بن الطيب

عليه من أعطر السلام الشؤبوب الطيب

هذا ولا زائد بحمد الله الا الخير وسلامة الاحوال ، ادامها الله علينا وعليكم مدى الشهور والاحوال ، وقدكنت فيما مضى أتمنى ان استنشق نسيم الكتب اليكم ليبرد فى قلبى جمر الغضى ، فعسى ان يمن علينا بالتلاق كما منانا بالفراق ثم اعلم حضرتك السعيدة ان الطيلسان الذى أعطيته لى قد ارسلته الى سيدى جامع البعمرانى هو وجبتى ، فظننت انه سيخيطهما ، ثم بعد اشهر ارسلت اليه ليرسلهما لى معظنى انه قد خاطهما ، فارسلهما لى وكتب لى بانه خرج له فى اصبعه قرحة كبيرة ، ولازالت به وانه تعذرله معها خياطة ، ولما رايت ذلك علمت بأنه ماكل مايتمنى المرء يدركه فاضربت عن خياطة طيلسانك وعلمت ان ارساله لكم مصلحة وهاهوذا فى يد الحامل، كما أعطيته لى مع (فرارا) ـ اى خيوط الخياطة ـ وجميع مافيه ونطلب منكم اصلح الدعوات وسلم منا على الاخ سيدى موسى والسلام»

هكذا يتبادل الالغيون رسائلهم فى ضرورياتهم ، ولكنهم يتعالون مع ذلك الى الترسل الادبى بقدر الامكان واما نفثات سيدى البشير الشعرية فقليلة جدا فلم أقف منها الاعلى بيتين قالهما مع تلاميذ المدرسة البومروانية سنة ١٣٣٠هـ وقد أتموا التلخيص وهو لايقرأ معهم ولكنه حضر فى أيام الاختتام فتدوولت هذه المساجلة ، فانخرط فى سلكها :

قال الاستاذ سيدى الطاهر الافرانى :

قد لاح سر الختم عند الخاتمة   فاستبشرت بالرى نفس حائمة
كأنما التلخيص أم رائمة   أحسن بها مرضعة وفاطمة

وقال الاستاذ سيدى احمد بن محمد اليزيدى :

أروت ببحرها النفوس الحائمة   اذ هى فى موجب عى سالمة
فقل لمن تبذها ورا لمه   او لازم الكرى وعنها حاد (مه)

وقال صاحب الترجمة :

ابدت لنا خاتمة التلخيص   سرا سرى بختمة التخليص
فزال رين النقص من تنقيص   مايعترى البليد من تخريص

وقال الاستاذ داود الرسموكى :

ابشر بها لكل عين سالمة   ختامها مسك بعرف الخاتمة
فانها للمشكلات اللازمة   للفكر مفتاح لئد عادمة

ووقفت ايضا على قطعة للاستاذ سيدى محمد بن على يجيب بها صاحب الترجمة عن نظم لم نقف عليه وهى :

ابرق بدا من نحو تلك المرابع   ام التاج نحو الشام أم من مناصع
بل قد بدا نظم البشير بن طيب   قلائد شعر بذكل المصاقع

فلاله در ناصع فمن اجتلى ... سيخلبه لالاء ابيض ناصع
فته انه الفى السلاح زهير مع ... جرير وكفا عن دخول المعامع
ايا حائزا نقلما وعلما ومفخرا ... فرعت لعمرى فى العلا كل فارع
سموت سموا لم يرم فوقه ارتقا ... فاخفضت من كانوا صدور المجامع
عليك من الرحمن الف تحية ... ايا خير مقوال ويا خير بارع

فهذا هو الفقيه الاديب سيدى البشير بن الطيب الخفيف الروح ، رحمه الله رحمة واسعة ، وجعلنا واياه فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ، ولم يعقب ذكرا فذهب باصوله وفصوله

رثاؤه

ظفرت بعد ماكتبت هذه الترجمة بسنين كثيرة باضبارة اوراق مخطوطة بيد صنوه الفقيه سيدى موسى الآتية ترجمته بعد هذه فاذا فيها ابيات مخرمشة يرثى فيها سيدى موسى اخاه هذا فخرجتها وربما نقحت بعض أشطارها ، والابيات على كل حال الغية ، فلافرق بين موسى الالغى وبين ابن عمه محمد المختار الالغى ، فلامشاحة –اذن– فى التنقيح، والابيات :

ارثى فقد الى النذير البشير ... من بعده يقتادنا ويشير ؟
علامة فهامة ان تفق ... من العويص فى الفنون الصدور
اخى وصنوى لم عونى اذا ... حرت وقد تشابهت لى الامور
ما قال لى اف وحاشاه ان ... يقولها وهو الحليم الصبور
كل بنى اب وام لهم ... مشاكل العيش لديهم تمور
الا ذوى البشير جميعهم ... كباقة صفت عليها الزهور
والهربنا من بعده انه ... قد كان لى خير رفيق المسير
والآن احيا بعده مفردا ... نظيره آن يحل القبور
يارب جلله رضاك وكن ... له يصر هناك خير مصير

الفقيه سيدى موسى

ابن الطيب السليمانى

٢–١٢٩٨ هـ = ١١–٢–١٣٦١ هـ =

نسبه :

موسى بن الطيب بن احمد بن محمد بن سليمان بن محمد بن احمد بن عبد الله بن سعيد

هو ابن عمتنا خديجة بنت أحمد بن محمد وهو اخو سيدى البشير المتقدم واكبر منه وحفيد الفقيه سيدي سليمان بن محمد من علمائنا الاولين ، وابن اخي الفقيه سيدى الحسن التياسيتني رحمه الله ، وهو أكبر من تربه شيخنا عبد الله بن محمد المذكور فيما ياتى باسبوع

دراسته

قرا القرآن فى مسجد القرية على الرجل الصالح سيدى الحسين بن مبارك الجاطى وستقرا ترجمته فى كتاب (منية المتطلعين) لانه من المتجردين فى الزاوية ، وقد كان شارط فى المسجد هذا سنتين نحو –١٣٠٤هـ ثم عن سيدى محمد بن على الاكميرى وعن سيدى احمد بن بلقاسم –بلق– السليمانى من بنى اعمامه فعلى هؤلاء الثلاثة أتقنه وعلى المذكور ثانيا جوده

ثم اتصل بالمدرسة الايغشانية عند الاستاذ سيدى العربى الساموكنى ثم صاحبه ايضا الى المدرسة البوزاكارنية حين انتقل اليها كما ترى ذلك فى ترجمته ان شاء الله ، فعنه أخذ المتون الابتدائية على العادة ، ثم المتون التى توخذ فى الدور الثانى ومفتتح الثالث فاستتم عليه مما يوخذ فى هذين الدورين الالفية مرتين ، والرسالة والربع الاول من المختصر والمقامات والرسموكية فى الفرائض والسملالية فى الحساب وما يقرأ مع ذلك عادة ثم انتقل الى المدرسة الالغية عند الاستاذ الناجارمونتى فلازمه ، فأعاد عليه جل هذه المتون فاستتم هناك الدراسة العليا ، فجال فى المقنع والدريدية وبانت سعاد ، والسلم والهمزية ومسرودات

من البخاري في الرمضانات على العادة كما جال ايضا في التلخيص وما اليمن كل مايتعاطى في المدرسة في الدور النهائي فظهرت نجابته وتقدم للاعانة في الطلبة المبتدئين والشادين على ماهو متعارف من أن نجباء الطلبة يتقدمون للتمرن بين يدي اساتذتهم في آخرين ، وكان يحضر أيضا في نجباء المدرسة في الدروس التي يلقيها الاستاذ علي بن عبد الله احيانا ، وقد دخل بين القارضين للشعر فصار يخاطب ويخاطب ، وهكذا أمضى ــ٢٣ــ سنة بين تلقي القرآن والمعارف فاطلت عليه سنة ١٣٢٥ هـ فالتحق بالاستاذ علي بوضاص الاخصاصي المشهور بأنه من الفرضيين الافذاذ فلازمه ثلاثة اشهر حتى اخذ عنه ماشاء في علم الفرائض الذي اختص باتقانه بين لداته

بعض تقلباته في الحياة

ثم ان الشيخ الوالد الذي هو خاله ، والمعتني بامره وتعليمه والدافع له كتبا كثيرة كما حكى لي اعارة يستعين بها في الدراسة والمطالعة ، وقد أمره أن يلتحق بالمدرسة البونعمانية حيث استاذها سيدي محمد بن مسعود يضم الى دراسة هذه العلوم روحا اخرى وثابة ونزعة صوفية تنبع من شغاف قلبه الرقيق فاراد الوالد من ابن اخته هذا ان يلتفت الى هذه الناحية الاخرى لئلا يبقى طوال عمره سادرا في الغفلات كعادة جل الطلبة ، ولئلا يكون ممن استقام لسانه بالعلم وقلبه معوج بالاثم واراد منه مع ذلك أن يظهر في الوجود كعالم كبير ، وقد كان الاستاذ ابن مسعود بدا بناء مدرسة ازاء ضريح والده بالمعدر ، فاهتم ان ينتقل اليها من المدرسة البونعمانية فارسل الشيخ اليه المترجم ليتولى الدراسة هنالك وهاك رسالة من خط الشيخ الوالد الاستاذ ابن مسعود في الموضوع نصها :

«وعليكم السلام والرحمة والبركة ، وبعد ، فلاباس ولله الحمد ولا بدان شاء الله ان تلزم هذا العام مكانك الى ان يكمل المكان الآخر ، ولايمكن ان تفارقه بالكلية الآن واصبر على شرطك حتى تقبضه بالكلية وتدخل في الآخر ، ولاتقل لاحد اردت الانتقال لا الآن ولا غيره ومتى أردت ان تقفل الى المعدر ، فخلف على الاقراء هذا الذي أرسلته سبطنا ، فهاهو يقرأ ان حضرت وان لم تحضر يقرئ ، وياكل معك وهولائق والله اعلم ويصير خليفة لك فيه ان شاء الله حتى ان خرجت في الصيف في العام القابل ان شاء الله تقيمه فيه ، والسلام»

ذلك ماينويه الشيخ ، غير أن صاحب الترجمة الذي لاقاه الاستاذ ملاقاة اجلال واحترام عازما أن يتخلى له عن ادارة دروس خاصة في مجلسه تنويها بقدره ، ورفعا لذكره ، واهتبالا بابن اخت شيخه وأن يدرس معه خاصة بعض دروس علياهي البيان والاصول ونحوهما ، لم يالف في المدرسة البونعمانيـــة

وحصل له ضيق نفساني ، وذلك (كماقال) من اجل ان الطلبة كلهم جعلوه في المكانة التي جعله فيها الاستاذ ، فلايرى مؤنسا ولايلاقي مجالسا ، فحامت بــه عوادي الوحدة والغربة ثم انه في ليلة ليلاء حالكة الجلباب واقفة النجم كأنما شدت بامر اس من الكتان في آفاقها ، سرى منسابا من غير ان يشعر به احـد الى مابين قرى بني جرار فطلع في ثنية (اغيرملولن) وحيدا ينهـب الارض مشيا ويطوي تلك الشعاب والانجاد نزولا وطلوعا كأنما وراءه طلاب ثار يسومونه التي بين جنبيه ، فلم يتنفس في نفس النهار حتى راح الى الغ

تفقده الاستاذ صباحا تفقد خائف أن يعروه مايزعجه الى مالايحبه شيخه فوالى البحث حتى أعوزته الطلبة ، فأرسل رسولا الى الغ يعلم الشيخ ، فجاءه الجواب بانه وصل في يومه وأمره بان يرسل ثيابه التي غادرها هناك

كان شيخنا سيدي سعيد التناني رحمه الله كثيرا مايداعب صاحب الترجمة على فعلته هذه ، ويقول له أخال انه ماازعجك من بونعمان الاانك وجدت هنالك من يقوم لك بكل الشئون ولاتتعلق الابان تغسل يديك وتمدهما الى لحم كفيت طبخه ، مع انك كنت تالف في المدرسة الالغية ان تزاول طويجنتك بيدك • وان تطل عليها فينة بعد فينة ، وانت تتذوق طعمها ، ثم لايشاركك فيها احد ان وضعتها بين يديك فتاكل وقد فتحت نافذة بيتك وبصرك يسرح في ربا الغ المتسعة ،فلا شك ان هذه اللذة التي الفتها في بويتك في المدرسة الالغية هي التــي فقدتها في بونعمان ، فصبرت ماصبرت حتى اذا لم يبق في قوس صبرك منزع انتفضت انتفاضة مشوق متيم ، تذكر منازل من يهوى ، فاقبل اليها سعيا فكان صاحب الترجمة يباسطه ايضا ويقول له ومن يقدر على تلك الحالة الجدية البونعمانية بعد ماالف في الغ الفسيح ؟ ومن ينسى طويجنة المدرسة الالغية ؟

داواه خاله الشيخ الوالد بهذا الدواء ، ولكنه لم ينجح فيه فأراد أن يطـرق به بابا آخر ، فالمومن لاييأس لامحالة ، فلم يشعر يوما هو ووالدته حتى دهمهم من الشيخ النهيؤ للعرس ، فان خديجة كبرى بنات الشيخ رائحة الى الفقيــه سيدي موسى بعد ثلاث •

استدعى الوالد اخاه سيدي ابراهيم وسيدي الطيب والد صاحب الترجمة وسيدي موسى نفسه ، فعقدوا النكاح أربعتهم لاغير فاصبح الناس وقد فشا الخبر وأريحت الزوجة ، ومعها من يريها الطريق الى بيتها الجديد ، من غير أن تثور جعجعة ولا أن تطرق الآذان مناكر احواش ولاأمثالها مما تنماع فيه الامور المباحة في الشرع في الاعراس انمياع الملح في الماء او كمايقول الحضريون «تزوج مسكين مسكينة وتهنأت المدينة »

ثم أن الشيخ كان ينوي أن يرسله الى المدرسة التي كان فيها سيدي مبارك الملكي المقرئ المشهور ، يدل على هذا رسالة من الشيخ الى العلامة ابــن مسعود

رسالة نصها :

« حضرة الصفا ، ووارث المصطفى صلى الله عليه وسلم ، قرة عيننا وغاية رغبتنا تمام الوداد ومنية الفؤاد وجميع المراد ، الفقيه النبيه الاعز النزيه الولد الصالح ، والاخ الناصح ، سيدى محمد بن مسعود السملالى سلام الله ورحمته وبركاته

وبعد : فلاباس ولله الحمد سوى شوق الوالدين للاولاد ، الذى يحكي شيئا من شوق المعبود للعباد ، ونحن على ذلك الشوق المعهود الى يوم التناد ، ذلك فضل الله يوتيه من يشاء ، فكونوا على ماانتم عليه من التشمير على ساق الجد الى حضرة علام الغيوب من جد وجد ، ومن وحد سجد ، «ولله يسجد الآية» اهل الطلوع المذكورون فى الآية هم أهل التوحيد بمراتبه ، كل بمقامه وقد وصلنى انكم خرجتم للسياحة فى جميع البلد ، فما احسن ذكر الله ومجالسه! وغير ذاكر الله فى الغداة والعشى لايليق ان تجالسه ، فافهموا رحمكم الله ان المقصود بالصلاة فى الغداة والعشى ، وفى كل وقت ذكر الله لاغير فكل مجلس وجدت فيه قلبك مع الله فهو الصلاة حقيقة ، فهذا صلاة العارفين بربهم فان كنت منهم فافسح البر بالبحر ، وهاسيدى موسى أردت أن أرسله الى سيدى مبارك الملكى كما تذاكرت معه على ذلك يوم مرورنا عليه وهاهو قد تزوج من عندى فى هذه الايام فالله يسعدهما جميعا ، ويمشى معه ولدى محمد ليقرأ عليه ان شاء الله والسلام»

واليوم الفقيه سيدى موسى فى مركز آخر يغبطه فيه أقرانه الذين يحرقون الارم عليه لما انبه من هذا الحفل الذى حظى به ، وقد ساقت اليه السيدة من عرض المال ، والفرش والاوانى ومالى ذلك مارد دار آل الطيب الى سعادة جديدة بعد البلد عن حسادهم ، وكل ذى نعمة محسود ؛ وذلك مايقول بعض الالغيين فى هذا الشأن محموم

ماحسنت حال من اى فتى   حتى ترى تستوقف البصرا

الا وحامت حولها اعين   لهجة ان تنشر النظرا (١)

وللعيون دون ريب اذا   ما استحسنت من رونق آثرا

تاثير ما ليس حميد العوا   قيب وان من تحتها استترا

مرت شهور ، وسيدى موسى يتقلب فى نعمته ، وقد خلع مايشير بنسمة طيبة بين الزوجين ؛ ثم قدر الله الذى مارفع شيئا الا وضعه ، أن الم بصاحبنا خلل غريب ،طرقه اولا فى رجب ١٣٢٧ هـ فى آخر يوم من موسم الفقراء ، فاما هو وبعض الفقراء فانهم يرون ان ذلك من نوع الجذب الذى يحصل للذاكرين ؛

١) أثار نظره فى الشىء : اذا ملأه فيه

وقد حكى سيدى موسى عن نفسه امورا ربانية ، يحتج بها لماذهب اليه ، وأما الناس فانما ذلك عندهم خلل مزاجى عراه كما يعرو ضعفة الامزجة ، فيفعل امورا غريبة ، فيزيل لباسه ، ويزول الحياء من وجهه ؛ ويفقد شعوره ؛ وهذا ما وقع لهذا السيد ؛ فجاءت قرينته الى الدار وهى مقرب ، فبينما الشيخ الوالد مع بعض الاضياف ، فى علية بداره اذ ولج عليه سيدى موسى عريان ؛ بادى البشرة كلها؛ وهو ينادى ايها الشيخ قم واخرج لى زوجتى ، فقام بعض من حضر فالقى عليه ثوبه ؛ ثم جاء من حمله الى بيت ؛ ثم ذهب به الى دار حيث قيد حتى تراجع الى شعوره ، ولكن المصائب اذا بادات منكودا قلما تفارقه حتى تسقيه الكاس الى ثمالتها

رجعت السيدة الى زوجها بعد أن تعافى ، فاجهضت بولد ، ثم بعد اسبوع لحقت به ؛ وذلك فى أول سنة ١٣٢٨ هـ وكان قلب السيدة قد سحقته الصدمة التى اصيبت بها من الزوج ؛ ومارق قلوب العذارى وأدناها الى العطب

اتقوا الله فى قلوب العذارى   فالعذارى قلوبهن هبساء

توجه الشيخ الوالد الى سياحته الكبرى الاخيرة ، فصاحب سيدى موسى لعله يتعزى عن قرينته بما لعله يشاهده فى البلدان ، فزار اذذاك الحمراء ، فرجع بقلب ملتئم الجرح ؛ وان كان لايزال فى وسطه نغل ؛ ولكن طول الزمن وتقلب الحوادث تكفلا بمسح حزن سيدى موسى حتى يعود الى حالته المعهودة

فقلت لها ياعز كل مصيبة   اذا وطنت يوما لها النفس ذلت

مشارطاته

كان صاحب الترجمة ملحوظا دائما عند خاله ؛ يرى منه نظرة صوفية، وماكان يزول عن حضرته وبين الفقراء فى آخر أيامه ، وقد اتخذه من كتابه فى الرسائل للفقراء ؛ فكان يجلس دائما مع سيدى سعيد التنانى وفى احيان يعلم اخانا الاكبر سيدى محمدا ، فقد درس معه الوردية ؛ ومتى أراد الشيخ أن يكتب رسما فلابتعداه ؛ وخصوصا فى وقت مرضه الاخير الذى صادف مجاعة ١٣٢٨ هـ فكان يعامل بالحبوب كل من جاء على ماأراد ، بيعا أورهنا ؛ ولا يردأحدا ؛ولا ينظر مايشتريه من الاراضى ، فكثرت معاملاته اذذاك جدا ؛ وكان الذى تولى كل كتابتها صاحب الترجمة ، ثم لما توفى رحمه الله ؛ استقبل سيدى موسى المشارطة فافتتح بالمدرسة الوفقاوية ، فدرس فيها تلك السنة ١٣٢٩ هـ ثم فى سنة ١٣٣٠ كان فى مسجد (أداى) باملن ؛ وبين ـ٣١ـ٣٧ـ بمسجد القرية سبع سنين متواصلة ؛ تخرج به هناك اذذاك فى القرآن الاستاذان ابو القاسم السليمانى ؛ وابراهيم بن احمد السعيدى الصالحى ؛ وآخرون وفى : ١٣٣٩ هـ كان بمسجد (ادنبرك) بأيت موسى ثم فى مسجد (تيغيرت) هناك مع صنوه سيدى البشير يتعاونان سنوات ؛ ثم فى مدرسة (للاتعزى) السملالية عاما واحدا ، ثم فى

١٣٤٥هـ التحق بمسجد (تيمولاى) السفلى بافران حيث لايزال الى الآن محترما مبجلا ، يصلى الجمعة ويقوم بالتلاميذ القرآنيين الذين يلفوا هنالك اكثر من خمسين ، ولكنه ابتلى اليوم بكسل ؛ فالتيمولائيون يشتكون من حالته هذه ؛ وربما زاول هنالك بعض تعليم المبادىء العلمية ، وفصل بعض النوازل ، معأن فض النوازل لم يعرف له فيه مجال؛ ولاهومن رجالاته لكونه ممن لايريدون علوا فى الارض ولافسادا ، ولكون علم النوازل لم يمارسه غاية الممارسة ؛ (ثم انه فارق (تيمولاى) فمكث فى داره)

الآخذون عنه

ان الفقيه سيدى موسى كما رأيت لم يشتغل كثيرا بالتعليم الاماكان علمه كمعين فى المدرسة الالغية حين كان يتلقى فيها ، والاماعلمه من القرآن فى بعض المساجد التى مر بها ؛ فلذلك قل من أخذوا عنه ولكن اذا أردنا أن لانزيله من حقه هناك ، وأن لانغمطه ماتيسر له من شرف ذلك الميدان ، فلابد أن نجد له بعض اناس مروا بين يديه مرورما فى المبادىء العلمية والقرآن ، وهاهم أولاء :

١) سيدى عبد الله بن ابراهيم بن أحمد فى البدايات
٢) صنو المترجم البشير بن الطيب
٣) السيد ابراهيم العنترى
٤) سيدى بلقاسم السليمانى فى القرآن
٥) سيدى ابراهيم بن أحمد
٦) صنوه سيدى الحسين بن أحمد
٧) الاخ سيدى محمد فى بدايات العلم
٨) الاخ سيدى عبد الرحمن فى القرءان
٩) الاخ سيدى ابراهيم فى القرءان
١٠) سيدى البشير بن أبى بكر الاغوديدى ، انتفع به فى بدايات العلم
١١) سيدى محمد بن عبد الله الصالحى فى القرءان
١٢) سيدى احمد بن بوهوش التاوييتى فى بدايات العلم

فهؤلاء كلهم جلسوا منه مجلس المتعلم ، ثم جرى بعضهم بعد ذلك فى مجار متسعة ، وفى علوم تمكنوا فيها أكثر من أستاذهم ، وماذلك له بضائر ؛ فبعضهم علمه القرآن وجوده كاخوتى ، الا ماكان من الاخ الاكبر فانه أخذ عنه بعض دروس علمية ، وكثيرا ماأقول له مداعبا ، أنت شيخ الجماعة بين السليمانيين؛ فيجيبنى على مداعبتى بمثلها ؛ حقا لو كانوا جميعا منصفين مثلك .

مقياس معلوماته

ليس العلم بكثير من السنوات التى يقضيها الانسان فى الاخذ ولاالفهم بكثرة

الممارسة للفنون ، بل ذلك من المواهب التى لايكون ليد الانسان فى قسمة حظوظها يد ، فهذا سيدى موسى عانى واخذ كثيرا ومارس ، ولكنه فى الحقيقة وسط فى كل ذلك فى عين العلوم التى يقول انه تخرج فيها ، ثم لما أعرض عما اخذه بعدم المباحثة والمدارسة والمثافنة والمراجعة ، صار ذلك الرقم ينحدر شيئا فشيئا كما يتقلص الزئبق فى ميزان الهواء من رقم المائة الى أن يرسى على اربعين فوق الصفر ، فمن لم يتعهد ماأخذه فهيهات أن يبقى كما كان ، مالم يكن من بعض الافذاذ الذين كانت ذاكرتهم كحجر أصم لايفلت كل ماضمه من الماء :

اذا هجر العلم يوما هجر ... وزال ولم يبق منه أثر
كماء ترقرق فوق الصفا ... اذا انقطع الماء جف الحجر

أخلاقه

كان حفظه الله فى أول نشاته هادئا ساكن النامة ، ثم لم يتاثر بالبيئة المدرسية التى كانت اذذاك مما لايسر علماء الاخلاق، ثم لما قبل الى تاسيس الاسرة يلقى من الدهر تلك الصدمة التى كادت تاتى عليه ، بعد أن آنس من ثغر الزمان ابتسامة خلابة ؛ كان ظنها تبشيرا منه فاذابها كبروز نيوب الليث :

اذا رأيت نيوب الليث بارزة ... فلا تظنن أن الليث يبتسم

وكأنه لم يطرق آذانه قول التهامى :

جبلت على كدر وأنت تريدها ... صفوا من الاقذاء والاكدار
ومكلف الايام ضد طباعها ... متطلب فى الماء جذوة نار

عانى اذذاك من مرضه ماعانى ، ثم لم يلبث بعد ان عوفى منه أن اجال يوما فى داره عينيه ، فتعلقت بمجلس قرينته التى دفنها أمس ، فزفر زفرة كادت تذهب بشغاف قلبه :

كفى حزنا للهائم الصب أن يرى ... منازل من يهوى معطلة قفرا

ثم لاموضع فى وسط جرحه هذا مرهم صوفى وجدبه مزيد خاله ماوجد من الراحة والطمانينة ، استحال كله صوفيا بحتا، حتى اننى متى جالسته لااحسبنى جالست احد طلبة الغ ؛ فلااشعر الابنفس خافت وهدوء وسكون ، وميل الى الخمول والانزواء ، والاكتفاء بماتيسر ؛ حتى ان من لم يعرفه، لايظن الا أنه امى لانه مبتعد عن كل أبهة ؛ ولكن اذا فاتحه الجليس مذاكرة ؛ ومادله فيها الحبل، فانه يقع على سلامة لفظ؛ وعذوبة معنى ؛ بين مايطرق اذانه من أحاديث ممتعة، ومذاكرات حلوة ، وأبيات ينشدها بكل مناسبة .

وقد جالسته يوما فارسلنا الحديث اطلاقا ، فكنت اسمع انشادات، فجمعت

ماجرى على لسانه في ذلك المجلس فكان من ذلك البيتان المشهوران للبستي :

وما غربة الانسان في شقة النوى   ولكنها ـ والله ـ في عدم الشكل
فاني غريب بين بست واهلها   وان كان فيها اسرتي وبها اهلي

انشدني في صفر من السنة الماضية : ١٣٥٦ ﻫ هذين البيتين ، فوقعا مني موقعا كأنني لم احفظهما، وأنا حديث العهد بمفارقة اشكالي من مراكش وبنزوحي الى هذا المغترب الذي اقاسي فيه ماأقاسي ، وان كانت فيه أسرتي واهلي ، ولكن ماأصدق بعض الالفيين :

رأيت هذا الدهر لايرعوى   عن غيه ولا لمثلي يـرق
جاف فلا يرثي لذي أدب   مثلي ولا يوليه ما يستحق
ليس يبالي بالاديـب وان   اخنى عليه الدهر حتى صعق
دهر سواي أريحي ودهـ   ـري مادر كز الطباع مئق (١)

ومما انشدني ايضا يومئذ وهو بيت مشهور :

واكرم نفسي انني ان أهنتها   وحقك لم تكرم على احد بعدي

وانشدني ايضا البيتين المعروفين :

اودعكم واودعكم جنانـي   وانثر عبرة مثل الجمان
ولو لمطى الخيار لما افترقنا   ولكن لاخيار مـع الـزمان

وانشد ايضا وزعم انه من قطعة للاستاذ سيدي محمد بن عبد الله الالفي

تكلف ماأستطعت من القريض   فان الدب من برء المريض

وانشد ايضا البيت الشهير للمتنبي :

واذا صفالك من زمانك واحد   فهو المراد وأين ذاك الواحد

وانشد ايضا ، وقال كثيرا ماينشده الاستاذ سيدي العربي الساموكني:

اذا مامضى يوم ولم اصطنع يدا   ولم استفد علما فماذاك من عمري

وانشد أيضا البيت الشهير :

مامضى فات والمؤمل غيب   ولك الساعة التي انـت فيها

هذا ماتيسر له انشاده في تلك الجلسة بين المجاذبة للاحاديث ، ومن هذا نعرف انه وعاء موكو على أدبيات تسربت اليه من بين المحافل الادبية ، أو حفظها بين مطالعاته

---

١) المئق : الذي لايتحمل ، ومن امثالهم : أنا تئق وانت مئق ، فكيف نتفق اي انا متسرع ، وانت لاتتحمل ؛ وتئق ومئق بفتح فكسر

آثار الطالب تعرف من جهات ، امام تعليمه ، فقد عرفت مماتقدم كيف صاحب الترجمة من ذلك ، ومن انشاءاته ؛ وسترى بين يديك ان شاء الله ما اخترناه مما نفثت به فكرة سيدي موسى ، ومن مخطوطاته في النساخة ، وهذا مما لصاحب الترجمة فيه آثار قيمة لنشاطه في ذلك الميدان ، ولخطه البين الحسن؛ فقد عرفت أنه نسخ (الاجوبة العباسية) في جزءين ، وشرح (الجمل) في جزء، وغالب (بحرق) على اللامية ، و(الامير) الشلحي ، وهو سفر ضخم ؛ نسخ منه بيده سبع نسخ ؛ وهو مترجم الشيخ الوالد لربع العبادات من (مجموع الامير) المصري ، و(البهجة) للسيوطي جزء وسط ، نسخه مرتين ؛ و (ايسر المسالك) الى الفية ابن مالك ؛ للعربي الادوزي ، سفر ضخم ، وشرح (الميراث) للرسموكي جزء وسط ؛ وشرح الادوزي على (المرشد المعين) جزء ضخم ، فهذه ستة عشر مجلدا كلها من آثار بنانه ، من غير مالانعرفه له ، وقد تذكرت ؛ ايضا كتبا شلحية في مجلدات نسخها لنسائنا ، فهذا مايدل على صبر وتؤدة ، ومحبة فـي نشر العلم ؛ ولا اعلم مثل هذا الصبر في احد من طلبة الغ ، حتى أن النساخة انقطعت في هذين الرعيلين الاخيرين منهم ، ومالوا الى الراحة ، وكافيك دليلا على انهم اليوم عروا افراس الجد ورواحله ، انني مع كسلي المعروف يتعجبون من أنني اكتب ، مع أنني لااعد شيئا مذكورا ازاء رجال النساخة ، فهذا والدي رحمه الله كتب كل كتب الدراسة من شرح الاجرومية ، والمتون الصغار ؛ وشرح الدردير على المختصر ، والمحلى على جمع الجوامع ، فلم يترك شرحا يحتاج اليـه فـي الدراسة الانسخه بيده بقلم يتردد في انامله من سنة ١٢٨٦ ﻫ الى ١٢٩٣ ﻫ حتى نزهة الحادي للافرانـي واضاءة الادموس للهلالي ، وشرح العـروض الدماميني لم تفلت من نسخه ، وقد وقفت له في ذلك على مابهرني ؛ بعد ان كتبت في ترجمته مارايت ؛ وكذلك الاستاذ محمد بن عبدالله كتب كثيرا من المجلدات، وكذلك الاستاذ محمد بن بلقاسم التيبيوتي ، وقد رايت مانسخه في ترجمته فهكذا كان الآباء ، وأما الابناء اليوم فاستحيي ان انشد فيهم ما قالته اخـت عمرو بن معد يكرب في اخيها عمرو رضي الله عنه

ودع عنك عمرا ان عمرا مسالم   وهل بطن عمرو غير شبر لمطعم؟

وقد ذكر لي الاخ احمد رحمه الله قرب مجيئي الى الغ وقد رايت من بعض الكتب مالاينبغي أن يفرط فيه ، فقلت له هل اجد من ينسخه لي باجرة ، فقال اماهذه الخصلة فقد رمسها الالغيون اليوم ، حتى لاتجد عند فلان وفلان وفلان ـ لاناس منهم من فقهاء الغ ـ مدادا في دورهم ، ولابياضا مرصدا حتى للرسائل ، فمتى احتاج احدهم الى الشيء فانما يذهب لدوى التلاميذ في المكتب ، فيخرمش بهاماشاء وكنت احسب ان هذا من المغرافات الاخ التي اعرفها منه ، ولكن لم البث ان طلع

النهار ، فظهر ماوراء الاكمة ، وصدق ذلك في البعض ! فهبالك الله ياسيدي موسى وبيالك!فقد ابقيت ببنانك «آثارا خالدةالذكر فيالدنيا ثابتة الاجر فيالاخرة

من يعمل الخير لايعدم جوازيه   لايذهب العرف بين الله والناس

وأما «اثاره الانشائية فانله ترسلا عاديا ، لم يقع الى منه مايستحق الاعتنك بالتدوين ، ولكن شعره الذي يقرضه متى رأى الادباء الالغيين يستنون فيميدان الآداب ، فتملكه الاريحة ، فلايملك نفسه التي لميقدرالتصوف أن يتصل بها فينزعمنها هذا العرق أويذويه ، فيقول فان لايكن بين أدباء الغ مجليا، فهو على كلحال ليس بسكيت انلميكن مصليا ؛ فمنذلك مرثيته للشيخ الوالد وقد تقدمت وتقدم ماحولها مما ذكرناه هناك ، ومن أقواله أيضا ماهنأبه الاستاذ علي بنعبدالله الالغي بولدله أول ربيع الثاني ١٣٢٥ ﻫ وقد تسابق أرباب القرائح في الاجادة ، وتساجلوا وكل يحب أنيملا الدلو الى عقد الكرب(١):

جاء البشير فطار القلب من طرب   فزال ما فيه من سقم ومن نصب
فارتحت من بعدأن قاسيتمن نوب   دارتعلىالقلب فيالاضلاع بالكرب
ماأومضت فيدياجي الليل بارقة   الا وهيج بلائي من أذى النوب
فاليوم طار سقامي حين أذكر من   بنوره يستضيء كل ذي وصب
صار الاسى في ضلوعي دائما فاتى   مايثلج الصدر بالافراح والطرب
فيلك حضرة من أنسى به فاذا   فارقته فانا في الهم والعطب
نامت بصاحبها العلياء قائلة   من لم يته فرحا فليرم بالعجب
حضرة مولاي ذي المجد الاثيلومن   لفقله ابدا يلجأ ذوو الكرب
فليهنا سيدنا بنعمة حملت   بشارة لجميع العجم والعرب
قيل لم بوليد دل طالعه   ان سوف يرأب ما بالدين منريب
انوار طلعته غطت سنا قمر   في الافق ذو حسبمنأرفع النسب
يبقيه رب الورى لرغم حاسدكم   يوم يرى حاملا للعلم والادب
فاسمح لعبدك خير الناس قاطبة   بدعوة فهي قصدى منك في طلبي

وكتب الى أستاذه سيدي محمد بن مسعود البونعماني قافية مهلهلة نصها:

«سيدنا جامع الفضائل والمحاسن ، ومظهر السر الظاهر والباطن ، الذي شيد منارالطريقة ؛ وجازمن قنطرة المجاز الى الحقيقة :

قف بي على روض يحاط بـلابـلا   تنفي البلابل عن فؤاد موحد
ما للفؤاد فحزنه متوقد   ابدا ببرق مومض متوقد

---

١) الكرب : بفتحتين : الحبل الصغير الذي يجعل بين الحبل الكبير وبين الدلو ، قال : من يساجلني يساجل ماجدا   يملا الدلو الى عقد الكرب

ابلاد لعمان سموت الى العلا   وفخرت كل الكائنات بمفرد
علبت بالبدر التمام ونخبة ــ الا   مجاد نور المشكلات الاوحد
وحويت ألفى العالمين بأسرهم   اكرم بـه مـن فاضل متجرد
سمح وفخم فاخر متفضل   عنا بكل فضيلة وتمجد
حبر همام بارع متوله   شمس الوجود وغيظ كل مفند
بين الحقيقة والشريعة من غدا   سر الوجود بعلمه المتوطد
بانجل مسعود سعدت وفزت من   مولاك بالنعمي ونجح المقصد
انت السميدع والهمام وواحد الا   زمان عادلها وبغية مهتدى
اعطاك ربك والعطاء موفر   وخصصت بالعلم الرفيع المخلد
هذا واني سائل متطفل   لطفا جميلا من دعاء اهتدى
صلى الاله على النبي محمد   خير الوجود مع السلام الامجد

وليدع سيدي لنا بدعاء عام لجميع احوالنا الرذيلة ، وليكن منه اصغاء لهذا النظم الشبيه بالنثر ، فيصلح منه ونحن في بعد عن الشعر المرتقى»

فاجابه الاستاذ :

الاخ الاصفى ، والسيد البر الازكى ، ابوعمران سيدي موسى بن الطيب ؛ لازالت اكنافه مخضلة من السلام والتحايا بكل وابل صيب ، ولازائد بحمد الله سوى الخير ، وقد وافانا مرقومكم الاعز ؛ ونحن فيما تعلم من اشتغال البال بمزاحم اشغال ؛ وتصاريف الاعلال والابدال ، والحمد لله على كل حال ؛ وقد الفنا جامد القريحة في الجواب بما ستراه ، حقق الله تعالى لجميعنا منالخير مناه ، بجاه النبي الاواه ، صلى الله عليه وسلم ؛ وهو هذا :

در تناسق في نحور الخرد   أم روضة تنسي نثير العسجد
ام احرف قد فاحنشر سطورها   نفحت بها نسمات فضل أمجد
بشرى لناظم عقدها ارقاه في   أوج النجابة نور فكر مسعد
واتته عن طوع جواهر اعربت   عن غوص ذهن ثاقب متوقد
لله أنت ومن غدا لك غاذيا   بلبان آداب صفي المورد
فليهنك الادب الرفيع على زكا   طبع وسمت هدى وحسن تودد
موسى سميك مجتبي القيعليـ   ـه الحب من انجاه ساعة مولد
وتوافق الاسمين عن سر لطيـ   ـف للبصيرة مدرك للمهتدي
أبشر فغير بعيد ان تحتل من   تلك المحبة بالمكان الاقعد
لم لا وانك طيب من طيب   ياابن الكرام الطيبين المجد
حليت هذا العبد من انصافكم   وجميل ظنكم بحلية أوحد
منلي بشعر من حلاك وانني   ارجو تحققها بصدق الموعد
فتفاؤل بنظير ذلك تطفل   وتلطف في قرع باب السيد
والله جل يحقق الآمال من   افضاله عن فيض نور محمد

صلى عليه الله ما هاجت صبا … صبا الى ماوى بقيع الفرقد

الأكرنا يا اخي بصالح دعائك ، لطف الله بنا اجمعين ، واعذرنا من الكتب اليكم على هذا الوجه في ظهر رسالتكم ؛ فليس للجريض (١) سبيل الى انتحال القريض ، والشيخ رضي الله بخير ، وكذلك الفقراء ؛ ويسلمون عليكم ؛ وقد أكملوا اليوم يوم الاربعاء ــ٤ــ ربيع الثاني حصاد زرع الشيخ ، وكأنهم على نية الاشتغال بحصاد الاخ سيدى محمد بن سعيد المعدري ، ونحن قاربنا أيضا اتمام الحصاد ، وقدكان من قدر الله ، وعسى أن يكون خيرا انّ أهل داري كلهم مرضى الاصبية صغيرة ؛ وتوفي منهم بهذا المرض صبي صغير ، تقبله الله ، واذكرونا بالدعاء بعافية الدارين آمين ؛ وأخونا الفقيه العارف بالله سيدى سعيد بن محمد التناني بخير ؛ ويسلم عليكم ؛ وكذلك جميع الاخوان ممن وردوا علينا هنا لزيارة الشيخ ؛ والسلام الاتم يعود عليكم ، وكتبه اخوكم الضعيف محمد بن مسعود السملالي الطالبي كان الله له»

وكان بين صاحب الترجمة وبين شيخنا سيدى عبد الله بن محمد مخاطبات فرضية ، وهما لدنان بينهما أسبوع في الولادة ، وصاحب الترجمة أكبر من شيخنا سنا ؛ وان كان شيخنا اكبر واسنى وأرفع وأوسع معارف وافيح مدارك فمداراته لهما هاتان اللاميتان ، كتب سيدى موسى اليه يهنئه بعيد :

سلام كما فاح الهوا بشوال … على من غدا في الفضل مثل هلال
سلام محب ساقه لكتابة … اليك اشتياق ضاق منه مجالى
فهذا ميمون المحيا بشركم … فلا زلت ريان الحشا بزلال

اجابه شيخنا وهو ينصحه ويستنهض همته :

ازهر يلالي ام عقود لئالي … أم النجم في الجوزاء وسط ليال
أم الغادة الحسنا تبدت بوجهها … أم الشمس ضاءت أم بزوغ هلال
فقران رب العرش بل ذي نظام من … حوى اللفظ منه نفث سحر حلال
يحار لديه الفكر من اجل ما احتوى … عليه من المعنى عديم مثال
فيا صاح ايه في العلوم فلا تزل … لك الهمة العليا لنحو معال
وارقاك رب العرش اوج سعادة … فتجني بها أحلى ثمار كمال
فبالعلم فاق الفائقون فانما الـ … ـجهالة ادوى كل داء عضال (٢)
ولا تال في التحقيق علك ان ترى … رويا من العرفان عذب زلال
فدونكها فاقبل عروسا تزف وابـ … ـسطن لها عذرا على كل حال

١) حال الجريض دون القريض ، مثل قديم ، جرض بريقه كفرح : ابتلعه بالجهد على هم ؛ وأجرضه بريقه : أغصه ، قاله جوشن الكلابي حين منعه أبوه من الشعر فمرض حزنا ؛ فرق له وقد اشرف ؛ فقال انطق بما احببت فاجابه بذلك
٢) من باب اضافة الموصوف الى الصفة ، كالكعبة اليمانية ، وذلك قليل

ولا يمنعنك العجز عنه فغيرنا … فيع ما تراه من ترقرق ماء ال

وكتب اليه ايضا شيخنا وقد اتفق سيدى موسى جواب مسالة ساله عنها اوفصل نازلة أو مثل ذلك :

قد اجابت من الجواب نجابة … حققتكم من أزمن للاجابة
اسأل الله أن ينير فؤادا … منكم كي يزيل عنه حجابه
كي تنالوا من العلوم منالا … دونه الملك رتبة والحجابة
وعليكم من العبيد سلام … أم أهل النهى وأهل النجابة

وكتب اليه أيضا يستدعيه ، وفي ذلك مداعبة ، وقوافي المداعبة لابد أن تكون مما يغمض فيها ، وذلك في سنة ١٣٢٩ هـ

ياايها الخل موسى … وقاك ربي الغموسى
اذا آتاك رسولي … أقبل ولا تخش موسى
مني عليك سلام … يقيك من كل بوسى
وترتدى منه عونا … على الزمان لبوسا
فالله يعطيك خيرا … حتى تطيب نفوسا

وعمدا آتي بامثال هذه المخاطبات ليكون القارئ على معرفة باقوال الالغيين في الجد والهزل ، ومناحيهم في ذلك ، ومقدار اختلاف مايقولون علو بلاغة حينا ؛ واسفاف لفظ ومعنى حينا اخر ؛ لان على المؤرخ ان يسوق ماكان كماهو •

وعلى ذكر اقوال الالغيين في الهزل احكي حكاية تمثل ذلك غاية التمثيل في بعض قدماتي من الحمراء الى الغ حوالى ــ١٣٤٢هــ كنا مرة في ندوة بدار الاخ الحبيب ليلا ، في جماعة من الناشئين المتطاولين الى الادب منهم سيدى الطاهر ابن علي ، وسيدى محمد بن عبد الله بن محمد (نزيل تونس) والاديب سيدى محمد ابن عبد الله أوبلوش البعمراني (القاضي بافنى اليوم) ، وهو اذ ذاك مجاور في المدرسة الالغية ، وهذا العبد الكاتب ؛ وعلى رأس الندوة شيخ الادباء الجدد مولاى عبد الرحمن البوزاكارني ، فطرقنا صاحب الترجمة ، وقد انتظمنا انتظام الدرر في سلكها ؛ وأدارت عليه أريحية الادب كاسها المشعشعة ، ونحن نتنقل بقرارات الشباب التي لايحلو لي التصابي الا بها •

دعني على منهج التصابي … ماقام لي العذر بالشباب

فبعد ان خضنا في بحور من الاداب ، وتموجت الانشادات من كل جانب حتى شحذت الافكار ، وتدفقت القرائح بمعينها السلسبيل ، سنح لنا والذكاء الالغي يلهبنا بسوطه ؛ والاديب البوزاكارني يحفزنا بنكاته أن نقول قصيدة على طريق المساجلة بيننا ، فاشترط علينا رئيس الندوة أن لا نتروى في الاجادة مادام المعنى مستقيما والوزن قويما ، وأن تلقى الابيات والاشطار على عواهنها ، وأن يكون موضوع القصيدة مدح سيدى موسى الذى حضر معنا في وسط الجلسة ،

فكان بزبدة افكارنا من الفائزين ، فابتدا البوزاكارلي فتناولناه من شرطه، واحدنا يكتب ! فبعد قليل انتظمت هذه الابيات التي تراها من غيران اعلم ما لكل منا من الابيات ، او نسيت ذلك

غصن المسرة يانع الثمرات ... في حضرة اربت على الحضرات
وخمائل الحسن البهيج تزخرفت ... فاقطف زهـور مناك بالنظرات
وتنشقن ريـح الصبا متعطرا ... وتمتعـن بأطيـب النفحـات
فالريح ان هبت على أهل الهوى ... طاروا عـلى أنفاسهـا العطرات
ياايها الساقي ادرها (صرفة) ... فبكل ما نشهى الزمان مـوات
ان كنت تمزج لامحالة فامزجن ... برضاب ثغـرك لا بماء فـرات
فلنسكرن بشرب كاسك سكرة ... نمـلا بها الغبـراء بالشطحات
بتهتك نعلـو السماء به فقد ... (طاب الشراب لنا فهاك وهات)
نلنـا منانـا كلهـا بوصال مـا ... نهـواه من أنس ومن شهوات
مما القلوب تـوده من كـل ما ... تعنو لـه العليـا من السادات
ان كانت الاوقات تشرف باللقا ... فالوقت هـذا اشرف الاوقـات
لم لا وذا مـوسى الكليـم ممدح ... مـا بيننـا بعـرائس الابيـات
لم لا وقد لثرت به مدح الرضا ... موسى الرفيع الشان ذي العظمات
موسى وما موسى وما ادراك ما ، ... موسى الذي استغنى عن (الانعات)
موسى الفقيه الندب خير ممجد ... تسمو بـه العليا من الرتبات
موسى بن طيب الذي طابت به الا ... نحـاء طيبا في جميـع جهـات
الاسرة بنشر العبير كيومنـا ... هـذا الى الآصال من بكـرات
يختال في حلـل الكمالات التي ... ببهائها قـد فـاق كل لـدات
لبه خصه المـولى باطيب سيرة ... يغدو بها مثلا مدى السنوات
من مثله قولوا لنا ! من مثلـه ... في الحـال والماضي وعند الآتي ؟
هيهات ان تلـد النسـاء نظيـره ... أتكون أخت الشمس في الضحوات؟
علم الهدى من سار في انواره ... ما ان يضل بغاسق الظلمات
بحر العلوم فياسعادة من لـه ... من رشفة في البحر أو رشفات
ماسيبويه وما ابن بحر عنده، ... جرف العباب الكل بالـدفعات
قطب الولاية حازها من شيخه ... حوزا صحيح العقد في الحضرات
ان قال موعظة يهز بها القلـو ... ب اذا بها تنماع بالحسرات
يلج المحافل ثم يشرق وسطها ... فلتلحظوه الآن بالنـظـرات
ذيالك وجه منه اسطع مشرق ... نورا فيهتك جانب السدفات
نور من القلب المنور ذاك لا ... نور التنعم لاح ب (الـزردات)
ذاك الذي لولاه ماكانـت لنا ... فكر القريض تموج ملتطمات
انا ذو وعي ولكن حيـنـما ... فزنا لـدى رياه بالنفحات،

١) شطر من بيت قديم ، أظنه لابن النبيه

صرنا من اللسن العجيب مصاقعا ... يتسابق كالخيل في الحلبات
متفجريـن بزاخـر متلاطم ... متدفق من منبع الفكـرات
لولاه ما انتعش القريض بمجلس ... كعكاظ ضم فطاحل اللهجات
شرقت علينا شمسه فتحولت ... منا الطباع لاشرف الحالات
بشرى لنا من معشر هبت لهم ... ريح السرور باطيب النسمات
ياسيدا يامن به وبجاهـه ... نرجو النجاة ولات حين نجاة
لسنا وان فهنا بما فهنا بـه ... من مدح موسى كامل الرغبات
انا كثير غير أنا لم نحط ... بالعشر من أوصافك العطرات
رمنا مديحك كله لكن كما ... قـد جاء في بيت مـن الابيات
«الشمس أقرب أن تعد صفاتها ... من وصفكم بعضامن السادات»١
فعليك يا انس الجليس تحيـة ... تزرى بريا الورد والحبقات
مادمت تسمى في الورى موسى وما ... موسى تحز اللفت والبصلات

هكذا جرينا ملء فروجنا اطلاقا ، ونحن ننتهب الابيات والاشطار كما تيسر نثرا، ونحن في فرح وبهجة وانشراح؛ والسرور قدعقد علينا اطنابه؛ والمفاكهة قدغلبت على ارساننا، فتديرنا كيف تشاء ؛ ثم مد السماط فاقبلنا ننتهب من جديد مازخر به الموائد ؛ من شواء حنيذ ، بخبز من سميذ ، وطاجن مزعفر ؛ ودجـاج محمر ؛ بعد مازوجنا اللوز المطحون بابنة النحل ، وارينا خالص الزبدة كيف تكون الغارة الشعواء الملحاح ، ثم اقبلنا على جفان الكسكسو ، وقد طفحت لما يسيل اليه الشفاه وتلتهمه من غير مضغ اللهوات ، فخببنا فيها ووضعنا ، وأترعنا من الاشربة الهنيئة المريئة ما أترعنا ، فلم نزل نوالي الكاسات من اطيب الشراب حتى ضربنا بعطن ، فوقع صدفة ان اناء من آنية الطعام افلت مـن يـد الخادم ، فقال احدنا :

انشق من هيبات موسى حينما ... ابدى الجبين الآنيات الفاخرة

فقال آخر

لاتعجبوا فسميه انفلقت لـه ... لما تحمل كل فلك ماخـره

وقال آخر

جعلت له أطواد ماء بعد ما الـ ... ـسدا ماء واحدة تدفق زاخره

وقال آخر

وكذا الاناء يعود افلاقا واو ... ل امره شمتم وشمتم آخره

وقال آخر

ما هذه اول مفاخر سيدى ... موسى ومن يحصي لدنه مفاخره؟

١) بيت محدث اذذاك لكنه جعل كأنه قديم فضمن

وقال آخر

هذى كرامات ومن ينكر فقد عبثت به ارضات جهل ناخرة

وقال آخر

اما انا فاحب حقا ان يكو ن ليوم حشر منه حظى داخره

وقال آخر

لكننى أبغى الحظوظ جميعها فى هذه الدنيا وتلك الآخرة

وقال آخر

من جاء يوم الفخر صاحبه بما قدجاء موسى اليوم أضحى فاخره

قال آخر

الله يعلم ان ذا جـد وان قلناه في أوقات أنس ساخرة

وقال آخر

فليعلم الثقلان ان قمنـا بما نسطيع من امداح موسى الفاخرة

ثم ان الاديب البوزاكارنى قال : لابدان نرمى غدا بهذا النوادر الى الاستاذ سيدى على بن عبد الله ، وكانى به وهو يثنى أيضا على عادته فى الاغضاء على هذه العصائد فيعقل بعلى، فيسالها من خير القصائد ، فزرناه فى اليوم الثانى، فقص عليه الاديب القصيدة فى وجهها ! والقى على مسامعه ذلك اللغو من الحديث ، فاطرى كل الاطراء ، وقال هكذا تكون المحافل الادبية ؛ وبمثل هذا اشتغال الطلبة ان ارادوا ان يتفوقوا فيالى ايوهم فى صفة جد ، فقد اجرى الله على السنتكم من اوصاف سيدى موسى ماكان كله حقا! فهو نعم الرجل من جميع الجهات ، فمد وراء ذلك لسانا ما لم يعوده الا خيرا

هذا مجلس من مجالس الغ التى يجتمع فيها اللدات ، ويلقون وقار العلماء الكبار وراءهم ! وغالب الالغيين ليسوا بثقلاء ، ولو كان غالبهم ثقلاء لما جاورهم الادب ! ولما راى منهم الاريحية التى لايسكن الا اليها ، ولم يخف عنا فى تلك الليلة نفسها ما فى كلمة (صرفة) ولاما فى لفظة (انعات) ولامافى لفظة (الزردات) وامثالها ، ولكنها مقبولة فى أمثال تلك المجالس التى بنيت على مابنيت عليه من غض الطرف ، وقبول ماكان على ماكان ، ونذر ذلك الى مجالس الجد التى يوزن فيها الكلام بميزان الذهب ؛ والنقد فيها يعطى حكمه مسمطا ؛ وياويل من زلق لسانه؛ اوالتفت لفتة الى غير الجهة التى يتوجه اليها الحق ، ولله در بعض الالغيين اذقال : وقداستثيرت منه ذكريات أمثال هذه المحافل الالغية الادبية.

سقى الله هاتيك الليالى انها حجول لها الاداب فى وجهها غرر
تجاذب فيها الناشئون قوافيا كأطراف طاقات يفوح بها الزهر
تبسم فيها الدهر عن رغد كما تبسمت الحسناء عن ثغرها العطر

فما شئت من بحث لذيذ مشعشع ومن أدبيات تروق ومن سمر
ولكنها كالحلم سرعان ان مضت فلم يبق منها اليوم فيناسوى الذكر

وبعد فقد انجر بنا الحديث ـ والحديث شجون ـ الى ان خرجنا الى ماذكرنا من ان ذلك ايضا له اتصال بصاحب الترجمة كماترى ، فان الاستاذ ابن عبدالله شهد ان هذه الاوصاف صادقة عليه ، وأن المباسطين مانطقوا الا بالحق ، وأما انا فاعلم من سيدى موسى حفظه الله من الدين والخلق الدمث، والانحياش الى الخير وذويه ما لااعرفه عن كثير من أقرانه ، ولذلك تيمنت بترجمته ، فكانت الاولى فى هذا الكتاب كتابة وتحريرا .

ثم انه تزوج بعد اختنا بابنة عم من أعمامه، فرزق منها اولادا رباهم على الدين، وقد حكى لى الاخ أحمد رحمه الله فى هذه السنة ١٣٥٦ ه أن بناته الابكار وأمهن ممن لايزلن عاضات على التراث السعيدى من الصلاة فى الاوقات ، وكفى بذلك صاحب الترجمة شرفا ، وله من الذكور واحد أسمه محمد قد راهق الآن حفظه الله (ثم ادرك وقد حفظ القرءان فصار من رجال القرية)

ثم ان المترجم سيدى موسى قد التحق بربه ضحوة الجمعة ـ١١ـ٢ـ١٣٦١ه بعد مرض لازم الفراش به نحو شهر اثر ضعف شديد لازمه منذ سنة ، رق به عظمه ، وامتقع به لونه؛ وقدعدته فى داره قبل وفاته بنحو نصف شهر ، فقال انه رأى شيخه الوالد خاله فى عالم الارواح ؛ وقرأ له قوله تعالى «وان كل لما جميع لدينا محضرون» فوقع فى قلبى أنه على الرحيل ، ولكننا لانزال نرجوه حتى كان من ايدينا رحمه الله ، وقد كان صواما قواما ناسكا لينا ، تلاء لكتاب الله ؛ ما علمنا عليه من سوء ، وقد لازم المشارطة فى مسجد (تيمولاى) السفلى الى يومه الاخير ، اللهم اجرنا فى مصابنا به ، انا لله وانا اليه راجعون؛ (وفى كتاب الالغيات) (قواف بينى وبينه)

النجيب سيدى الحسين

ابن احمد بن صالح

= ١٣١٨ هـ = نحو ١٣٤٠ هـ =

نسبه :

الحسين بن أحمد ابن الحاج صالح بن احمد بن محمد بن سعيد بن محمد بن احمد بن عبدالله بن سعيد

كان سيدى الحاج صالح الذى ذكر فى هذه السلسلة من حفظة كتاب الله، وممن حج مرتين ، أولاهما سنة ١٢٨٥ هـ مع أمغار الحاج احمد التامانارتى الذى صار بعد قائدا ، وكان بين الاسرة السعيدية وبين الاسرة الرئيسية فى (تامانارت) اواصر مودة وشجت عروقها منذ القدم ، وقد وقف سيدى أحمد بن محمد بن سعيد مع هؤلاء التامانارتيين سنة ١٢٥٥هـ فى الفتكة التى ألمت بهم من ابناء اولاد الشيخ سيدى محمد بن ابراهيم ، فكان ينفذ اليهم بالماء حين حوصروا ، فبقى اولادهم بعدهم على هذا الوداد ؛ ولذلك لما عزم أمغار احمد أيضا على الحج مع اصحاب له ، وقد ذهب سيدى الحاج صالح ليودعهم فى السويرة مرموقا ماله فى المضى معهم فباع بغلته ، ولكنهم لم يرزأوه منها دانقا ، وقد كانت له حجة ثانية بعد الاول ، وهو من وجهاء القرية السليمانية ، ومن كرمائها ومن امليائها ، وهو ابن خديجة زوجة والده الاخيرة ، وقد كان مع والده سيدى أحمد حين انتقل الى (تامانارت) وسكن فيها ولما نشأ ولده سيدى محمد بن أحمد ولم يردان يضايقه فى الغ تركه له ولامه ولمن معهما دار الغ ، وكان أحمد وجيها كريما ، فكما كانت له صحبة مع الرؤساء التامانارتيين، وكذلك كانت له مع الرؤساء التازروالتيين سيدى الهاشم وأولاده ، فقد نزل عليه سيدى الحسين ابن هاشم فى زحف له مرفيه نحو (أمانوز) وهذا كله أخذته عن العم ابراهيم ، وقدمات سيدى أحمد بن محمد هناك فى (تامانارت) ، جلس فى بستان ؛ والعملة يعملون له فيه، فسقط عليه حائط، فصلى عليه الفقيه سيدى ابراهيم التامانارتى جد استاذنا سيدى الطاهر ؛ وقد كانت بينهما صحبة تعاهدا بها على أن من مات سابقا يقف عليه الاخر حتى يدفنه ، وكانت ولادته قبل ١٢٠٠هـ ووفاته نحو ١٢٦٢هـ وعلى قبره بيت هناك ، وقد تقدم ذكر والده الصالح سيدى محمد بن

سعيد ، وقد التقينا ـ نحن اولاد الشيخ ـ مع سيدى صالح فى احمد بن محمد هذا، فانا المختار بن على بن احمد بن محمد بن احمد بن محمد بن سعيد الخ .... فسيدى صالح عم جدنا احمد بن محمد بن أحمد ، ثم ان سيدى الحاج صالحا راجع الغ بالسكنى الى ان مات ، وولادته نحو ١٢٥٣ هـ وقد أدركته جدتنا تاكدا حين زوجت سنة ١٢٦٠ هـ صبيا بذوابته كما قالت ، ثم كان ممن يكتب العقود فى القرية ، ولم يكن اخذ من المعارف شيئا ولذلك لايقصده الامن لم يتيسر له عالم، وكان تلاء لكتاب الله ؛ وقد وقع له فى احدى حجتيه انه رأى أحد المعلمين للقرآن فى الحجاز ، وهو يملى على تلميذ من المصحف فقال له لماذا لاتملى عليه من حفظك؟ فقال له ومن يحفظ القرآن حفظا جيدا ، حتى يقدر ان يمليه من صدره؟ فقال له انا احفظه كله فى صدرى ، فصار يقرأ عليه ، ولكنه يهذ القرآن هذا ؛ فانتفض الحجازى ؛ فقال له أسكت أسكت ، فانك مادمت تهذه هكذا فانك لم تحفظه بعد، وكان يحكى ذلك فى معرض الانكار على قراءة المغاربة ، ثم انه شاخ فى اخر عمره، وقد كنت أرى الشيخ الوالد يرسل اليه كثيرا ويبره، لانه عم أبيه ، ثم لما توفى الوالد بقى فى ضياع لولا ولده سيدى أحمد بين أولاد له آخرين فانه قام به بعد ان بلغ به الهرم حتى انقطع عن المسجد الذى ماكانت تفوته قبل فيه صلاة،وقد صار اذا مشى لاتتمكن النعل من رجليه ، ثم توفى يوم السبت عاشر ذى القعدة سنة ١٣٣٧هـ وقد كان هو امام القافلة التى تسافر دائما من الغ واليها من المرابطين والفقير عدى اللحيانى هو المؤذن فكانت صلاة الجماعة محافظا عليها دائما فى اسفارهم ، فرحم الله تلك الهمم التى اعطت للدين وللدنيا حقهما .

وأما ولده سيدى أحمد بن الحاج صالح ، فانه أيضا من حفظة كتاب الله وممن له قبصة من العلوم قليلة أخذها من المدرسة الالغية ، فقدر أن يطالع بها ، وكان رجلا له فى الكد والنصب وراء المعيشة عجب عجاب ، لكنه غير محظوظ فى دنياه ، فكان كلما برقت له بارقة من جهة ؛ انطفات عنه نويرة من أخرى ؛ ولا يكاد يفارقه دين ؛ وقد تزوج برقية بنت عمتنا خديجة بنت سيدى مبارك الاخت للاب سيدى البشير وسيدى موسى اللذين قرات ترجمتيهما ، فكان سيدى أحمد مذكارا فولد له على والحسين والحسن وابراهيم ومحمد وعبد الله ، هؤلاء من شبوا وعرفناهم وأدركناهم ، ثم ولدت له أخيرا ابنته فاطمة ، فكان الاريحى صاحب النكت ؛ سيدى البشير يقول : غريبة فى اخر الزمان ، سيدى احمد ابن الحاج صالح طال عمره حتى ولدت له بنت ، ثم ان سيدى أحمد دارت به مصائب بديون تراكمت ، وحاول أن يتقدم بالسفينة كل محاولة بين الامواج والاجراف، ولكنه غلب اخيرا ؛ فانقطع فى حاجة وقد كان ولده الاستاذ سيدى محمد بن أحمد هناك عند القائد سعيد التيكزيرينى ، فشارطه فى مسجد هناك وذلك بعد ١٣٤٤هـ وهناك استقر وهدأ واشتغل بربه ، ووجد من الرحمة وفراغ الوقت ما لم يكن يحلم به فى الغ ، وقد كنت كتبت اليه اذذاك رسالة اوصيه فيها

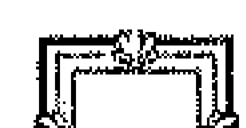
بالسكون هناك ، وان الله اراد به خيرا فهيا له ان جعله من عمار المساجد الذين هم المومنون بالله واليوم الآخر ، فكان من انصافه انه فرح بما فعلته رحمه الله، فقد كان تلا لكتاب الله هناك ؛ وكان مع انه تيجاني ليس فيه غلو البعض منهم ، فكان اذا صلى المغرب يفتتح الحزب اولا ؛ ثم يثني باوراده ، فعاكسه اناس هناك من اصحاب الغلو في الطريقة فقالوا له نريد الورد اولا ثم الحزب ، فلم يتبعهم، ثم حدث به مرض من سم، يتهم به هؤلاء ، ولم يزل يتزايد فيه حتى توفي هناك في ١٣ــجمادى الاولى سنة ١٣٥٦هـ وان انس لا انس انني كنت سمعت مرة من قريتنا ما كنت لا اعتاده منها في حياة الشيخ الوالد من مجانة وامور تزري بالمروءة ، فقلت له وانا جالس اليه امام الزاوية ما هذا الذي وقع في القرية ومنكم وانتم اصحابها؟ فقال هل كنت قط في ملعب أحواش ؟ فقلت له لا فقال ان من عادتهم ان يكون في وسطهم انسان يرأس حركاتهم ، فكل ما فعله يفعلونه ؛ فكذلك نحن وانتم ابناء الشيخ ؛ فحين كان والدكم يراسنا بخير وبمروءة وبالتباعد عن مواقف الخزي والشنار ، فقد كنا نحن والجيران كلهم بخير ؛ وحين جاء دوركم! وانتم تمشون غير مشي والدكم لا في المروءة ولا في الدين ولا في التباعد عن مواقف الخزي والشنار ، فلا غرو ان نتبعكم في مشيتكم هذه ؛ فكانه والله القمني حجرا القاما فسكت ، ثم لم انس بعد كلامه ؛ وقد التحق به صنوه ابراهيم ابن صالح في اول ١٣٥٧ هـ في (اكادير ايغير) وكان يعمل هناك وسكن فيه منذ [illegible] .

وسيدي احمد ذلك هو الذي ولد لنا الاستاذين الكبيرين الآتيين سيدي محمد ابن احمد وسيدي ابراهيم بن احمد وسيدي الحسين الذي عنوناله لنذكره.

نشأ سيدي الحسين في القرية ، فاخذ القرءان عن سيدي بلقاسم الايسي ومن سيدي محمد بن مبارك الاهريبي التاجارمونتي ، وعن خاله الفقيه سيدي موسى بن الطيب ؛ وبهاله تخرج ثم التحق في رفقة قرينه سيدي بلقاسم بن محمد بمدرسة سيدي علي بن سعيد الاخصاصية ، سنة ١٣٣٤هـ والاستاذ فيها اذذاك شيخنا سيدي عبد الله بن محمد الالغي ،فأخذا هناك متون المبادىء، ثم توفي سنة ١٣٣٦هـ انتقل مع رفيقه الى المدرسة الايغشانية ؛ وفيها الاستاذ سيدي بلقاسم التاجارمونتي ، فكان صنوه الاستاذ سيدي محمد بن أحمد معين التاجارمونتي في المبتدئين ؛ فاخذ صنوه هذا ورفيقه ، وسيدي ابراهيم (استاذ الحمراء اليوم) بالسير في التعلم على وفق تعاليم الغ ، كما ذكرناه فيما قبل ، فهذبهما وشذبهما ومرنهما حتى تفوقا بين لداتهما ، فكان صاحب الترجمة ممن يطالع ويعيد بين طبقات المتعلمين ويتلو، وقد صلح لسانه، وقد أتم الالفية؛ ومر بالمقامات الحريرية واشرف على اتمام المختصر في الفقه ؛ وجال في كل الميادين التي يجول فيها من ترقوا من دراسة الدور الثاني الى الدور الثالث ، وكان له بين اهله ذكر، ثم كبا

به الدهر العثور، وتقلبت باسرته امور، وذلك حين سقوط الكارثة على والدهم؛ فتركته تحت كلكل الديون في تململ ، فسما لعلي بن احمد اخيه ان يهاجر في طلب ثروة، يدعم بها الاسرة ؛ فجعل بين عينيه اما ان يلقى امنيته ، او يلقى منيته ؛ فسبق في القدر الذي لا يدرك بطرق الحصى غيبه، ان ذهب معه اخوه المترجم سيدي الحسين ؛ وقد جرفته سورة حزن على فراق أخيه ، او بروق اماني مخيلها ، ثم لم يكادا يمعنان في الحواضر ؛ حتى سقطا معا بالمرض ؛ فلم يمهلهما الاجل، فالتحقا بالتتابع بربهما في دار غربة، ففازا بشهادة الغربة ، ان فاتهما ان يشاهدا ما تغربا من أجله ، فذهب الحسين النجيب الذي لا شك لو امتد به العمر ان يكون ابراهيم آخر، وربما تبصر منه الحمراء استاذا ثانيا؛ ولبعض الالغيين في مثل هذا :

فكم من نفوس طلبن نفيسا	فكانت امانيهن منايا
وكم ناظر للمزايا بما	يزاوله فاستحالت رزايا



تاكـدا بنت سعيد

١٢٤٢ هـ = ـ١٤ـ١١ـ١٣٤٠ هـ =

نسبهـــا :

تكدا بنت سعيد بن محمد بن الحسن بن سعيد بن على بن بلقاسم بن عبدالله ابن سعيد •

هذه السيدة هى أم الوالد ، وجدة علماء كثيرين من الغ، رزقت هى فى نفسها حظوة كانت لهابها مزايا ومفاخر تستحق بها الخلود فى التاريخ ؛ وليست هى وحدها من يستحق ان يذكر من نساء قبيلتنا التى سابقن رجالنا الى ميدان الديانة، وجاذبنهم حبال الصلاح، فهناك أمثال فاطمة بنت سعيد بن سليمان بن محمد ابن أحمد بن عبدالله بن سعيد الصالحات القانتات ، ولكن لم يشتهر عنهن وراء [illegible] به درجة الاعتناء باسلات اليراع ، وهل قمنا بـكــل اصحاب [illegible] حتى نتفرغ لذوات القناع ؟ وقد كانت فاطمة هذه ممن يوثر عنها مايوثر [illegible] الصالحين من استجابة الدعوة ، وسمو الهمة ؛ والارشاد حـتــى صارت [illegible] الايفشاليات والوفقاويات والمجاطيات بالزيارة، فتعظ وترشد ؛ وقد [illegible] ولادتها فى اوائل القرن الماضى ، وتوفيت سنة ١٢٩٠ هـ بـعــد [illegible] ابراهيم بن سليمان بنحو ثلاثة عقود ، وقد كانت تاخذ بحجـزة زوجها [illegible] ابراهيم بن سليمان وتعظه ! وقلما يتعظ بما تقول فتصبر، وقد التحق [illegible] وقد كنت سالت العم عمن يصلح أن يذكر من نسائنا المشهورات، [illegible] فرايت بعدما استفصلته عما اشتهرن به من الحصافة والعفاف، [illegible] بالاسرة ان الشهر واحدة اذكرها كمثال لهن، فاخترت هذه المترجمة التى [illegible] من احوالها ؛ ولم تعبث بها بعد أخيلة الرواة ، ولم ينسج حولها ما كان ينسج حول من كان اتفق لها مااتفق مماستراه •

اذا صدق اهل هذا العصر فى قولهم : ان مستقبل الابناء فى أيدى الامهات، فانهن المدرسة الاولى والغارسات فى الاذهان ــ وهى كماانبثقتـ علو الهمم ، والشعور الحى ؛ فان لهذه السيدة حقا يدا طولى فيما توجهت اليه انظار بعض اولادها فنالوا ، وتساويها فى ذلك السيدة (رقية) ام العلامة على بن عبدالله ابن صالح

ابوها سعيد بن محمد من اخواننا السعيديين أبناء بلقاسم بن عبدالله بـن سعيد ، دفين تيدلى بايفشان سكنوا فى بسيط (واكشرير) بأيت موسى؛ بمجاط وقد رزق سعيد بن محمد ذكورا واناثا، منهن عائشة اقترن بها الشهم الباسل سيدى عبد السلام بن محمد بن عبد الرحمن من أحفاد سيدى محمد بن ابراهيم

الشيوخ الساكنين بقصبة (تامانارت)؛ فولدت له الرئيس الطاهر بن عبدالسلام؛ وقد امتد عمر عائشة حتى توفيت اخيرا سنة ١٣٥١ هـ بعد ان عمرت نحــو المائة ، ومنهن صفية اقترن بها بورحيم من آيت جرار الساكنين أسفل وادى [illegible] ! وقد ولدت له أولادا ، توفيت بعد تعمير المائة أيضا اوائل سنة ـ١٣٥٦هـ والشهيرة صاحبة الترجمة التى اقترنت بزوجها سيدى أحمد بن محمد سنــة ١٢٦٠ هـ ورسم نكاحها لايزال موجودا عند أهلها فى (واكشرير) ذكروه لى

كانت رحمة الله عليها من البدويات القويات الرابطات الجاش ، التى يؤدين واجبات ربهن ؛ ويقمن بماعليهن لاسرهن ، ذات همة نافذة ؛ وعزيمة مسنونة؛ وقد رايت بعض ذلك فى أخبار ولدها الشيخ الوالد ، وهذه اخلاق غالب نساء بوادينا، وفاقت عليهن نساؤنا ءال عبد الله بن سعيد ، بالديانة والصون والعفاف والعض بالنواجذ على اداء فروض الدين فى الاوقات الموقوتة، وكن فى ذلك عجبا عجابا مع غيرة منهن من أن يستبد عليهن الازواج ، بل عادتهن أن يستبددن هن بكل مايلج من باب الدار ، ويقلن فى أمثالهن (أجنغ أنوال ؛ أدون نج أوال) اى عموالنا الاستبداد بالدار، ندع لكم الاستبداد بالتكلم فيما وراء ذلك ، فبذلك [illegible] الاسر وانتظمت ، حتى لانسمع طلاقا ؛ ولاتعدد زوجات الا فى النادر [illegible] ! ممايقع كفلتات الطبيعة ؛ فهذه الصفات كلها فى صاحبة الترجمة ، وزادت [illegible] بهمة غريبة ؛ وأنفة تظهر لك فى الحكاية الآتية :

اخبرتنى فاطمة احدى اخواتى ، وهى شقيقتى الوحدة ؛ أنها ولدت مرة فربضت فى بيت نفاسها أياما ، فدخلت عليها السيدة تاكدا المترجمة ؛ فمالــت عليهـا [illegible] والمعاتبة ، والعذل القارص اللاذع ؛ قالت ــ وهى تثرب عليها مستهزئة [illegible] الله فيكن يانساء اليوم ، فقد قامت بكن الاسر ؛ وتربى بكن الرجال وعمرت [illegible] الديار ؛ تبارك الله تبارك الله؛ أوكلما القت واحدة منكن لحيمة من [illegible] ربضت فى زاوية بيت مظلم ، معتجرة بثياب ممتدة وسط فرش وثيرة؛ تبا [illegible] لعصر كن ؛ وتبا لمن يرجو أن يتربى على أيديكن رجال يسرون فى النادى؛ [illegible] فى وجه العادى ؛ فقد كنا ونحن فى سنكن لانبالى بأمثال هذه العوارض، [illegible] بالارض فى زمن النفاس الا ريثما نتناول بايدينا اولادنا الجدد ، ثــم [illegible] الى اشغالنا من هذه الوعكات ، ومن التململات اللاتى تعتدنها اليوم، وتتمددن من اجلها اياما، فلاأزال استحضر اننى فى سنة كنت فى (ايسافن) ــ تعنى مرتبع [illegible] ــ فجاءنى الطلق بولدى على هذا الذى ولدكن يااشباه النساء ، فاويت وحدى الى ناحية فى حظيرة الغنم ؛ وليست عندى هناك أية امرأة تقوم لى مقام القابلة وان كنت لااتوقف عليها لوكانت حاضرة ؛ فنفست بالولد ، فتناولته بيدى ؛ والليل مظلم ؛ وقد نام الرعاة فى عرض حظيرة الغنم؛ ولايطرق سمعى الاثغاء [illegible] ، ونباح متقطع من كلاب الحراسة ؛ فانفتلت من مكانى فى الحين ؛ فأصلحت من شانى مااستطعت ؛ وقطعت سرة الصبى ؛ ولويته فى خرقة ، فاضجعته بعدما ارضعته فى قفة ملاتها تبنا ؛ ثم اظلنى السحر ، ووصل وقت قيامى لحلب الشياه

وهي عشرات فتحاملت على نفسي وقدبذلت كل مجهودي في المصابرة ، فحلبت الشياه ثم اصبحت هذا الرعاء مع انبثاق الفجر • ثم لم يعرف من معي هناك ان عندي ولدا جديدا الابعد يوم او يومين ، هكذا كنا في سنكن يابنات اليوم ؛ لم لا نحسب انفسنا شيئا مذكورا ، واما انتن يا نساء هـذا الجيل المتخنثات المتداعيات ، فانما هي اقوال مزخرفة ، وتبرجات في أرجـاء الديار ، فلا دين الله اديتن ، ولا لاسركن عشتن ، ولا بحق الحياة المفروض قمتن ، فلا كنتن ولا كان من يرجوكن للاسرة •

هذه هي صاحبة الترجمة ؛ وقدعرفت بهذه الهمة ، وحبب اليها ان تنقطع في ذلك المرتبع في كل فصل ربيع ؛ لتقوم على الغنم بنفسها ؛ وربما وصل غنمها في بعض السنين سبعمائة، والرعاء ستة • ـ كما قال لي العم ـ ثم تقوم وحدها بكل ذلك حلبا ومخضا ؛ وطبخا للرعاء ؛ وقد كانت تضم اليها في مرتبعها صغار اسرتها لتربيهم ، وقدكنت انا ـ جامع هذا الكتاب ـ بعد سنة من ولادتي ممن ذهبت بهم هذه السيدة كعادتها مع الصغار • لعارض عرض دون اتمام رضاعي ـ وهو ولادة صنوي الحبيب بعدي بسنة ـ ذهبت بي الى (تافراوت ايكرا) بمجاط؛ فقامت بي بحليب الشياه اشهرا متوالية، ثم لما ردتني في حالة زرية من الاوساخ كانت والدتي تشكر الى ولدها المختار لولا انها غسلتني والبستني احسن ما عندها ، فنسيت الوالدة من ولدها مااكتسبه من الصحة في ذلك المرتبع

طال عمرها الى مائة ايضا ؛ كاخيها المتقدمين ، فشاهـدت مـن احفـادها واسباطها ما يناهز عشرات ، بل يناهز المائتين ؛ فقد تنبه لذلك ولدها الوالد رحمه الله ؛ فلم يزوما يحسب فروعها ، فكانوا اذذاك قبل ١٣٢٨هـ اكثر من مائة وخمسين ؛ ثم لم يمت حتى كانوا اكثر مماذكرنا ؛ وقدرأتهم كلهم وراوها، وسمعت من العم ابراهيم ان حفظة القرءان فقط من احفادها نحو ـ ٧٠ ـ رجلا، والآن هم الآن اكثر من ذلك، واما العلماء فاكثر من عشرين ، بين علامة ماهر واخر أدون منه، والكل ترى تراجمهم ، في هذا الكتاب ان شاء الله• وقد وقع لها مثل ما يحكى من فاطمة بنت يزيد بن معاوية ؛ أنها يمكن ان تنزع خمارها عند خلفاء كثيرين من بني امية، عند أبيها يزيد؛ وجدها معاويـة بن أبـي سفيان ؛ واخيها معاوية بن يزيد ؛ وزوجها عبد الملك ، وأبي زوجها مروان بن الحكم ؛ وابنها يزيد بن عبد الملك ، وابناء زوجها الوليد وهشام وسليمـان ، وعنـد حفيدها الوليد بن يزيد بن عبدالملك ؛ وعند حفيد زوجها اليزيد بن الوليد بـن عبد الملك ؛ وغيرهم ، فكذلك صاحبة الترجمة مع علماء الـغ ورؤسائه ، فان الشيخ الوالد ولدها ، والاخ محمدا رئيس الغ اليوم ومثقفه وعماده ولد ولدها والاستاذان محمد بن عبد الله وصنوه علي بن عبدالله صهراها على ابنتها مريم، والاستاذ عبد الله بن محمد حفيدها ، والاستاذ محمد بن علي حفيدها • والاستاذ المدني زوج حفيدتها ؛ والاستاذ الطاهر بن علي تزوج حفيدتها والاستاذان محمد ابن احمد بن الحاج صالح ؛ وابراهيم اخوه ، وسيدي موسى بن الطيب واخـوه

سيدي البشير والاستاذ ابو القاسم السليماني ، هؤلاء كلهم احفادها؛ والاستاذ عبدالله بن ابراهيم ولدولدها وان اردت ان تزيد من غير الالغيين ، فلك ان تقول ان الاستاذ محمد بن الطاهر الافراني زوج حفيدتها ، ثم ان الـرئيس احمـد الايفناني زوج حفيدتها ، وهذا انيبابه كمثال لشرفها في هذه الناحية ؛ والا فلو اردنا الاستقصاء من علماء احفادها وابنائها ، أوانصاف الفقهاء منهم لزدنا اخرين هم الآن في ذاكرتنا ، ولكن انما ذكرنا المشاهير ؛ ثم اننا لم نذكر الامن ظهروا وبرزوا في حياتها والا فقد ظهر آخرون وبرزوا بعدها ، وهم كثيرن حتى ليزيدون على ذلك العدد المذكور •

كانت رحمة الله عليها في آخر عمرها تدور في كل الديار ، وتقابل بالاحترامات لانها مع كل دار ممن تقصدهم نسبا ورحما ، فكانت الدعوات الصالحة تطلب منها ؛ وقد ظهرت لها دعوات مستجابة ؛ كما حكيت عنها فراسات او سمها كرامات ، وقد حدثتني الوالدة ان والدي كان يقول ان امي ولية من اولياء الله ولكن لاتحدثوها بذلك ؛ وقد كانت في اول أمر ولدها الشيخ تنكسر عليه وعلى كل الصوفية، حتى رات منهم براهين فرفعت من شانهم ؛ منها ماحكت لي بنفسها؛ وما عهدمنها التزيد والاختلاق ؛ أنها شاهدت بركة عجيبة من تمر عندها في بيت؛ كان الشيخ الوالد أوصاهم ان يبيعوامنه حين ذهب الى الحج ؛ ليجمعوا من ثمنه القدر الذي تسلفه اذذاك ليحج به ، قالت فكنا نبيع حتى جمعنا الدراهم كلها؛ والتمر كماهو ؛ بل زادت لي أنها تحس بالتمر ليلا كانه يتزايد ، وكأنها تسمـع حركته بالزيادة ، هذا ماحكت لي والله اعلم

ووقع لها أيضا أنها اقامت حفلة في دارها ؛ فاستدعت الطلبـة أولا ؛ واخرت الفقراء المنقطعين عند ولدها الشيخ في الزاوية عمدا ؛ كأنها استهانت بحالهم ، قالت ثم لما استدعيناهم ؛ دخلت بالسكرجات لاضع فيها سمنـا من خابية في قعرها بقايا ، فكنت كلما رفعت يدي تزايد السمن حتى امتلات الخابية؛ فكانت هذه الكرامة مما حملها على تحسين الظن بالفقراء ، أقول ان هذه الحكاية متواترة ؛ وأشك في سماعها منها ؛ ولست من ذلك على يقين؛ وانما الذي اتحقق اني سمعته منها تلك التي ذكرتها أولا •

وقد اعتراها ضعف كثير في ءاخر حياتها ، فكان يغشى عليها بادنى سبب؛ فسقط بالخبر السار؛ أو بالخبر المحزن؛ وكانت لاتغب زيارة القبور؛ والتصدق من اهلها ، على ماعرف من العجائز؛ ولاتفارق الارشاد لكل من لقيته ؛ وتوثـر منها مواعظ وحكم ؛ وقد أخبر شيخنا سيدي عبدالله بن محمد انه سمعها تقول؛ لايذهب بالطرف والحوائج والاشياء من ديار اولاده الى ديار بناته الا الحمقـاء المأفونة من الامهات •

تلك السيدة (تاكدا) رحمها الله ، فياطالما وصتني ان ادعولها بعد موتها؛ اللهم ارحمها رحمة واسعة وبوئها في أعلى عليين ، وبدل سيا تها حسنات ؛ انك سميع مجيب •

سيدى ابراهيم بن احمد

الطالبى السليماني

= ١٢٨٢ هـ = ليلة ٢٠-٤-١٣٦٨هـ =

نسبه :

ابراهيم بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن سعيد بن محمد بن أحمد بن عبدالله بن سعيد .

ان كان لكل واحد من كبار الرعيل الاول من الالغيين وجهة هو موليها ، بذفيها افرانه ؛ ونال فيها الشفوف عليهم ؛ فان للعم وجهة اهتم بها من بينهم تأتى له ان ينفرد بها انفراد الكواكب بالسماوات العليا ؛ فلئن كان الشيخ الوالد فى تصوفه وتربيته وارشاده ، والاستاذ محمد بن عبد الله فى همته وتاسيسه وتدريسه ؛ والاستاذ على بن عبدالله فى فتاويه الرائعة ؛ وقصائده الكثيرة وترسله الفريد بين الالغيين ، اذا كان يطل كل واحد منهم من علياء ما اختص به من لم الشوامخ ، ويشير به اليه الاكف بالبنان ؛ فان لهذا العم من الرعيل الثانى من الالغيين الناحية الغريبة مايمدله ذكرا مديدا فى حياته وبعد مماته ، وناهيك بها فى ما يقرأه القارئون عن الالغيين هنا فى هذا الكتاب ، فان تسعة اعشار ما فيه مما يتعلق بالالغيين قاطبة ، ثم بجيرانهم من أخبار العلماء والرؤساء والوقائع والحروب والانساب ومايمت به كل واحد الى ءاخر بتلميذية أوأستاذية ، غالب ذلك انما استقيته كنقطة من بحره ؛ واقتبسته منه فيما بين الظهرين فى الشهود الاول التى حللت فيها الغ من السنة الماضية ؛ مع أننى انما أتناول منه تناول الطرار الذى يتناول من جيب غافل ، لان الجو بكل أسف لم يصف لى حتى ءاخذ عنه كل ما اريد ؛ اواستنفد ماتعيه ذاكرته العجيبة من الحوادث والاخبار .

اول من سمعت منه الثناء عليه من هذه الناحية ثناء عطرا ، هو أخي احمد المرحوم ، وقد قال انه وحده من انتهى اليه خبر الغ والالغيين ؛ وتاريخ كل مادار فيه فى المجالس العلمية والقضائية ؛ حتى انه ليعرف استحضار كل النوازل التى جرت فيها مخاصمة بين أيدى قضاة الغ . وكيف جرت ، وبأى شيء حكم فيها مع معرفة الامكنة التى ثارت هذه المحاكمات حولها . قال حتى انه ليقف أمام كل حقل من حقول قريتنا هذه وماليها ، فيملى عليك تاريخه منذ عقود . بل منذ قرن أوقرنين ؛ وذلك كله لما مر بين عينيه من الرسوم التى كان يتصفحها فى

حضرة الاستاذ سيدى على بن عبد الله قاضى الغ ، الذى مامن رسم من رسوم الامربين يديه من رسوم الاسر ؛ من اجل محاسبة او محاكمة يتولى فيها الحكم ؛ فكان العم يعى كل مايرى بحافظة كأنها ءالة التصوير هذا مع تثبت ، وقول لاادرى فيما لايدرى ، وجعل اليقين مقام اليقين والظن مقام الظن ، هذا مدلول ماكنت اسمعه من الاخ رحمه الله ؛ ويقول هذه هى حسنة العم وحده ؛ ومنقبته التى اختص بها ، ثم يذهب الى الاستثناء من ذلك على عادته ممايجب علينا أن نلقيه ظهريا . لانه يالف الانتقاد ، فلايذكر محاسن ، حتى يحرص على ذكر ما يقابلها من ناحية اخرى

حقا ان العم يعرف كيف يحدث ، وكيف يتثبت ، ومن اغرب ماعرفته أنا منه فى تلك الشهور أنه اذا قال نحو كذا ، أوحدود سنة كذا ؛ فانى ان وقفت على تاريخ ذلك الذى حدده بالتقدير ، أجده كما قال ؛ اويقرب اليه بكثير ؛ وبأمارات اخرى جربته بها ايقنت صدق ماقاله الاخ ، وتحققت أنه ليس من المجازفين فى الثناء عليه فى هذه الناحية

تلقى القرءان عن سيدى مبارك بن أحمد من بنى عمومتنا الاعلين ، ثم عن سيدى الحسن من آيت المؤذن التونيني الالغي عم الاستاذ سيدى ناصر الشهير ، ثم عن سيدى اليزيد الايسى من (أكرض ايملالن) ، وقد تتابع هؤلاء فى مسجد القرية ؛ وفى ثناء ذلك كان يعرض سوره المحفوظة على جده سيدى محمد بن احمد ؛ ثم ذهب به الوالد الى (تيغمي) عند الاستاذ سيدى محمد بن بيروك ، وذلك فى سنة ١٢٩٣ هـ حين كان الوالد يتلقى فى (أدوز)

وفى ١٢٩٦ هـ افتتح المبادىء العلمية على الوالد فى المدرسة (الفوكرضية) ثم صاحبه الى (البومروانية) ، ثم انقطع بعد ذلك الى المدرسة (الالغية) من ١٢٩٨هـ الى سنة ١٣٠٦ هـ فانتقل الى المدرسة (الادوزية) ، فلازمها شهورا ؛ ثم رجع وقد اكتفى بما اخذه بعد أن حصل تحصيلا وسطا ؛ ولم يكن بالمتمكن فى القواعد ؛ كما يمكن فيها الالغيون ، وان كان أشرف على كل الفنون التى أخذها ؛ وقد حصلت له فى لسانه ملكة ماعربية ؛ ونفحات أخرى من مختلف الفنون ؛ ومن كان كذلك - وان عند غير الالغيين يجعل فى الطبقة الاولى - لايكون مذكورا بين الالغيين من ناحية المعارف ؛ لانهم يرون انه لايستحق أن يسمى عالما بالنحو مثلا الامن استحضر كل الالفية بأبياتها وأدلتها وشواهدها وقواعدها التامة على اسلات لسانه فى المحافل ، بله المتون الاخرى التى تشتمل على التصريف ؛ وقواعد الاعراب ؛ والجمل ؛ فهذا عندهم من يستحق أن يسمى نحويا ، وأما من له الملكة فقط ، حتى يستقيم لسانه بكثرة التمرين ، وان كان لـه بعض الالمام بالقواعد ؛ فهذا عندهم بمنزلة الصفر عن يسار الرقم ؛ وكذلك لايكون عندهم فقيها الامن يستحضر التحفة والزقاقية على الاقل ، ويكون ذلك منه بديهة؛ مع استحضار لغالب المسائل التى تروج من الفقهيات ، فمن أخطاه ذلك مثل

المترجم فليس عندهم ممن يوصف بانه عارف الفقه ، وكذلك لايكون عندهم استاذا في مقام الشفوف الااذا كان لغويا مستحضرا لضبط الكلمات ، حتى لايتوقف في تسعة من عشرة مما يروج في الكتب الادبية الكبرى ، كنفح الطيب وقلائد العقيان وابن خلكان مثلا ؛ مع استقامة لسانه في القراءة لكل ماعسى أن يمر بين يديه ؛ حتى لايعثر وهو يجري في غلوائه تلاوة في مجمع حافل ؛ والعيون اليه شواخص ؛ والآذان مرهفة ؛ فمن كبا دون هذا المدى ، فانه ممن لايوبه في امثال هذه المحافل ، ولايمكن له فيها الا السكوت والاطراق والتنكب لئلايفطره الزحام، وقد قال لي يوما أستاذي العلامة أبو زيد البوزاكارني انا دائما نتعجب كيف نلت مكانة بعدنا في العلوم ، مع أننا نعرف مقدار غورك فيها وانك نساء لاتستحضر ، حتى عرفنا ما وراء الاكمة، فادركنا السبب ، فان الاعمش بين العمي زرقاء اليمامة ؛ وهذه كلمة حق اعترف بها امام استاذي اعترافا، واقربها انصافا ، فلئن فاتني التضلع في الفنون فعسى أن لايفوتني الانصاف • لان الحق الصراح انني لااستحضر كما يستحضر البوزاكارني ، واحمد البزيدي وداود الرسموكي ومحمد بن الطاهر ؛ والمدني بن علي والطاهر ابن علي ، وعبد الله بن ابراهيم ، فضلا عن اشياخهم كعبدالله بن محمد وعلي بن عبد الله والطاهر بن محمد (١)

هذه بعض اوصاف من يدعى بالفقيه وبالعالم وبالاستاذ عندنا بالغ، ولما لم توفر هذه المزايا كلها في صاحب الترجمة ، فهو عندهم ليس بفقيه ، ولا بعالم ولا باستاذ ولايلقبونه بذلك ، ولذلك لم تكن شهرته من هذه الناحية ولاكانت [illegible] ، فقد فارق المدرسة سنة ١٣٠٦هـ وهو على هذا الوصف الذي [illegible] ، فاتصل باخيه الشيخ الوالد ، فتلقى منه الطريقة الدرقاوية ، فصار [illegible] مريد في تلك السنوات قال فاخذت منه تفسير كثير من احزاب القرآن ، ثم سيدي سعيد التنالي ، وسيدي الناجم التيفرميتي وسيدي الحسن الالغي ، وسيدي سعيد بن عبد الله الايديكلي ، وءاخرين من الفقهاء الذين التحقوا بالشيخ الوالد ، ثم تزوج ءاخر سنة ١٣٠٨ هـ فانقطع عن السياحات فبقي في ملازمة حضرة الاستاذ علي بن عبد الله ، فابتدأ دروسا أخرى في النوازل ، وقد تأهل لها بماكان اخذه في زمن الدراسة ، فلم يزل بفكره الثاقب وذهنه الحاد ، وهو في تتبع مايمر في حضرة الاستاذ ، حتى صار نوازليا ماهرا غاية المهارة ، متخرجا في ابواب الاحباس والشفعة والبيوعات والفرائض وقسم التركات ، وفي المسائل التي تدور كثيرا في هذه البلاد ، فاسترد بذلك ماكان ينقصه في المدرسة ، فصارت ذاكرته الواعية تضم غالب المسائل التي راجت،

١) ومن لم يعرف من أهل الحواضر كيف استحضار هؤلاء ، فعليه أن يلقى البوزاكارني نزيل الرباط ، ليرى العجب العجاب ، فيوقن ان كل ماقيل حق اليقين

فيقيس على ماحكم فيها الاستاذ نازلة مثلها تعرض من جديد ، حتى صار الاستاذ يحضره بعد ذلك عن عمد في كل ماحدث عنده ، لانه سرعان مايجد عنده الجواب ان كانت تلك المسالة تقدمت في تلك المسالة نفسها ، اوتقدم نظيرها ، حتى كان الاستاذ يعزل له دائما حقه من أجرة النوازل المفصولة على يديه ، فعلم عنه ذلك الخاص والعام ، ولهذا الاستحضار كان ركابه لايفارق ركاب الاستاذ في كل سفر ، ولاكانت مجالس العلماء الالغية تخلو منه ، وقد اشتهر بجرأته ، وانه يلقي الحق الذي يعرفه في وجه اي انسان ، كان ماكان ، وكان والدي رحمه الله يراعيه حق المراعاة ويصبر لجرأته ، لمايعلمه من صفاء سريرته ، ولانه يراه أعز ولد عند والدتهم السيدة (تاكدا) فكثيرا مايناول والدته طرفة من الطرف ، فيقول لها اذهبي بها الى ابراهيمك فتطير العجوز الطيبة القلب الى فلذة كبدها ابراهيمها الذي كان بمنزلة القلب من صدرها ، لانه أصغر أولادها

ولم تكن النوازل فقط هي التي استفادها في حضرة الاستاذ ، بل استفاد ايضا مايروج في مجلسه وفي مجلس الشيخ الوالد ، وفي مجالس العلماء الكثيرة الدائرة في الغ وفي غيره ، فتقدم اشواطا في معرفة الاداب والتواريخ القديمة والاحاديث، وتفسير بعض مشكل الآيات وفقه العبادات التي لاتخلو منها مجالس الزاوية بين الفقراء بين العشائين ، فقد حصل كل ذلك ، فصار متى راج من جديد يعلم من ذلك ماكان تحصل لديه منه قبل •

واني لاعجب منه كيف كان فرط في زمن اخذه ، حتى لم تنفعه هذه الذاكرة الغريبة ، فانني أرى أنه لوكان وجهها كما يوجهها التلميذ الذي يريد التحصيل الى رتبة عالية ، وتفوقا على كل من يضمه الغ ، كان سألني وأنا ءاخذ في المدرسة التانكرتية عن لام التوكيد التي تكون في خبران ، فتوقفت في الجواب ففصل لي فيها ماقاله النحويون ، ثم أملى علي من أبيات الالفية مايتعلق بذلك ، وفي ذلك المجلس نفسه سمعته يحدث سيدي سعيدا التناني يقول كان معنا فلان في المدرسة الادوزية ، فكان لايصلي ، فاذا قيل له في ذلك قال انما نحن اليوم في سبيل العلم ، ولندع العمل للغد، فضحكنا من قوله ماشاء الله، وكان صاحب نكات يرويها ، وتصدر منه فقد روى أنه كان مرة مع الشيخ الوالد والاستاذ علي بن عبد الله عند الاعصباويين الرؤساء السملاليين ، وقد ندبهم الحاج ابراهيم الايغشاني اليهم ، لعل قاتلا من الايغشانيين لاحدهم يقبلون عنه دية يؤديها ، فيسامحونه في الدم ، وقد كان الخبر سبق الى الفقيه سيدي سعيد الاعصباوي بما جاءوا اليه ، وماكان غرضه أن تقبل الدية من القاتل ، ولا أن يبرأ من الدم ، فقابلهم بعبوس ، وأدخلهم فجلس ازاءهم من غير أن يعتني بهم ، قال فقام الشيخ وهو يضحك ، فتناول المقراج من وتد علق فيه ، فناوله لمن يغلي فيه الماء للاتاي ، والى الفراش المطوي فناوله لمن يفرشه في ذلك البيت ، وهو يقول بمباسطة لسيدي سعيد ، ياسيدي سعيد ، اين تلك المباسطات التي نألفها

ملك ؟ اولا لتحقق قول الشاعر :

كم رجل في بيته يعبس — وفي بيوت غيره يؤنس

فحل الشيخ العقدة بهذه المباسطة ، وكملها منه من نظيرة

وحكى ايضا ان الشيخ دخل الى القائد الحاج أحمد التامانارتي ، فرأى زرابي كثيرة معلقة ، في الجدران في نهار مشمس ، وهم على حصير لازربية عليه ، فقال لماذا فعلتم بهذه الزرابي هكذا ؟ فقال القائد نهيئها لاضيافنا ، فقال له الشيخ بمباسطة ، وهل نحن الا اضيافكم اليوم ؟ فلماذا لم تفرشوها لنا ، فتجاذبوا حبل المباسطة ، حتى قال بعض أصحاب القائد — وهو الفقيه الشافعي السكتاني — حتى انت ياسيدي الشيخ تقصد دار الحاج محمد — ابن عم القائد كبير القدر — للنزول متى جئت الى البلد ، ولاتقصد دار القائد ، فقال له الشيخ حقا اننا نقصد دار الحاج محمد ابن عم القائد ، لانه يتلقانا دون القائد خارج القرية قبل ان ندخل في بساتين النخيل ، ويقود عنان البغلة الى داره ، والحق للسابق دائما ، وأما القائد فانما نزوره لله ، ولايتطلبنا حتى نأتيه ولا يلقانا الا في داره ، فكان كلام الشيخ جوابا مسكتا .

فامثال هذه المباسطات يحكيها المترجم ويتندر بها ، وقد وقع في مثل ذلك لفسه ، وذلك ان الاستاذ سيدي محمد بن العربي الادوزي سنة ١٣٢٣هـ ، وفد الى الغ ، ومعه اخوه سيدي الهاشم وهو اعمى ، فجلسوا في القبة التي هياها الوالد للاضياف ، وقد سقفت بالساج ، واجريت في سمائها الوان الاصباغ وقد فرشت بالزرابي المتخيرة ، وبالنمارق المصفوفة ، وفي جانب منها ساعات كبرى قائمة الى الحائط ، نحو ثمانية فتزن القبة بدقاتها فينة بعد فينة ، فقال سيدي محمد بن العربي مباسطا ومنكتا على الشيخ الدرقاوي المعروف برفع لواء الزهد ، هذا قبة سيدي أبي العباس السبتي ، فهذه زرابيها وساعاتها الكبيرة ولم ينقصها الا العمي ، فقال صاحب الترجمة وقد اشار الى سيدي الهاشم ، حتى العمي وجدوا فيها ببركة وفدكم الذي فيه ذلك — واشار الى سيدي الهاشم — فملأت القبة ضحكا فكان ذلك الجواب تنكيتا ايضا ربما تاثر به المنكت الاول والبادي اظلم

ماكنت اعهد العم هذا في أيام الوالد الا مختلفا الى قضاء مايرسله اليه، وكثيرا مايرسله لبيع شيء أو شرائه، وبعد وفاة الشيخ الوالد ، انقطع الى الاستاذ علي بن عبدالله الذي يجله فاحترم مقامه ، ونفعه في نواح عديدة فكان له كذلك هذا نجيا مخلصا، ومعينا ناصحا ناصرا ، ومن يقول له تحرى دون تحرك؟ ثم لما توفي الاستاذ سنة ١٣٤٧ هـ بقي وحده يندب حظه ، ولازم داره ولايخرج الا الى المسجد الذي لاتخطئه فيه صلاة ، في كل الاوقات ، والا الى مواصلة الاستاذ سيدي المدني ، فكان يقول سقطت احدى جناحي بموت الشيخ، ثم اخرى بموت الاستاذ ، وقد رزق من الحركة التامة التي يلازمها قوة يظهربها

كانه لم يبلغ سبعين، مع انه اليوم ١٣٥٧هـ في الخامسة والسبعين

ومجمل القول في صاحب الترجمة انه من افذاذ الالغيين وعلمائهم بما حواه في صدره ، ويتصرف فيه بتثبت وامعان ، وان لم يكن كالعلماء الذين يعرفون كيف يراجعون المسائل ، ويعرفون مظان المراجعة ، وقد كان ذلك في متناوله او شاءه، ولكنه لم يهتبل بذلك ، فقد كفاه ان علمه في صدره، وعلم غيره في قمطره

العلم حقا ما حواه الصدر — وليس علما ما حوى القمطر

فشتان مابين من علمه في جنانه ولسانه ، وبين من لايجيب حتى يقلب أوراقه بيمانه .

علمي معي حيثما يممت يتبعني — صدري وعاء له لابطن صندوقي

ان كنت في البيت كان العلم فيه معي — اوكنت في السوق كان العلم في السوق

ومن مزاياه التي انفرد بها معرفة من يوثق به من بين كتبة عقود هذه الجهة ، وبين المزورين منهم ، فكثيرا ماسمعت منه ، وأنا اكتب عنه ان فلانا ثقة فيمايكتب وفلان مزور لايعتمد على الرسوم المخطوطة بيده ، مع معرفته لخطوط الناس، وتمييزه ماكتبه في أول حياته ، وفي اخرها ، وذلك من كثرة ممارسة الرسوم ممارسة طويلة ، فقد أخبرت أن بعض الناس أدلى برسم فيه التوقيع باسم سيدي محمد بن ابراهيم السلامي الشهير ، فانكره اناس من علمائنا ، وقالوا هذا ليس بخط السلامي ،فرفع الى صاحب الترجمة ، فقال بل هو خطه في اخر حياته ، وقد عرا يده ارتعاش ، وقال انه رأى كثيرا من ذلك ، ويعرف مع العادات البلاد هذه ، ومكاييلها المختلفة واوقات رواج سككها ، والى اى وقت ينتهي كل واحدة وتبتدىء الاخرى ، ممابينه العلماء منذ ثلاثة قرون من اواسط القرن الحادي كعمر الكرسيفي ، والتادرارتي البعمراني واليعقوبي الايلاني ومحرراتهم في ذلك كثيرة النسخ، ولا اخال انه يستحق مرتبة القضاء في اهالينا اليوم سواه ، لهذه المزايا التي تجمعت فيه ، فصيرته بصنعته أهلا للقضاء، والقضاء صنعة كما يقولون ، وسوى أناس اخرين قليلين يتفاوتون في مراتبهم، وان كانوا ناقصين من التمرن الكثير الذي حصل لهذا السيد الجليل حفظه الله

آثار تتعلق به (١)

وقفت على هذه الرسالة للاستاذ سيدي محمد بن مسعود المعدري الى المترجم فاحببت ان أسوقها

الاخ في الله تعالى السيد الازكي الحبيب الاصيل ، النبيه النبيل ، مولانا ابو اسحق سيدي ابراهيم بن أحمد الطالبي الالغي الدار ، الجعفري النجار ، كان الله لنا ولكم، وسلام على سيادتكم العلية ، ورحمة الله تعالى وبركاته ،

ولازالت الا الخير بحمد الله تعالى ، والمرجو ان تكونوا كذلك من فضل الله ، وقد بلغ مابعثت من الهدية تقبل الله وجزاكم بالحسنى ، وزيادة العرفان ، ومجاورة الذين انعم الله عليهم فى اعلى الجنان ، امين •

والحمد لله على احتبال امثالكم بالضعفاء امثالنا ، ومن اجل النعم لدينا مراعاة قلوب الاخوان لنا ، واهتمامهم بحالنا عسى الله ان يشفع قلوبهم فينا ، وينعشنا وياخذ بايدينا ، انه ولى كل خير امين •

وليتفضل سيدى بقبول شيء من السكر والاتاى بعثناه اليكم على يد الحامل اخينا الفقيه العارف بالله سيدى سعيد التنانى ، واعذرونا من حقوقكم ، اداها الله عنا من فضله امين •

ونسالكم الدعاء الصالح ، بالفوز والسعى الناجح ، والسلام ـ٥ـ ربيع الثانى سنة ١٣٣٦هـ اخوكم ومجل سيادتكم الضعيف محمد بن مسعود الطالبى كان الله له امين ، وقد حضر الضعيف ابياتا لاباس بها بذكرها ، وهى :

سقى الله الحمى من تحت الحصن   غزير الوبل من هطال مزن
هناك من الاماجد كل ندب   وركن فى النوائب اى ركن
هناك احبتى يسلو فؤادى   بذكراهم يجلى الكرب عنى
وهم روحى وريحانى وانسى   وجنة بهجتى وجلاء حزنى
فيا رعيا مرابعهم رياضا   بساحتها ثمار الوصل تجنى

* * *

واليوم ولدان احدهما استاذنا عبد الله بن ابراهيم ، وسترى ترجمته امامك ان شاء الله ، والثانى احمد الذى وفقه الله لعمارة المسجد ، حتى صار ..... ، وهو اليوم القيم باسرة والده ، والواقف على الدخل والخرج ، وقد كان ابوه مال وجهته الى التعلم ، فامره والدى ان يتركه لمزاولة الاشغال ، وكان يقول رحم الله الشيخ ، فلولا نظره الشديد ، لعدمت اليوم من احمد معينا كبيرا ، وعضدا قويا استند اليه اليوم فى شيخوختى ، فلولاه لكان كاخيه عبد الله الطالب الذى لايالف مزاولة الاشغال •

وفاته

ادرك الاجل المترجم فى الوقت الذى استوفى فيه مناه من الدنيا ، من يوم احس انه غريب ، فصار يودع الناس والحياة طالبا ان يسامح من قبل موته سنة ، وكذلك الهرم اذا ادرك الانسان •

ومن لايعتبط يسام ويهرم   وتسلمه المنون الى انقطاع

تعزية فيه

كنت فى مراكش لما توفى هذا العم ، فكتب الى بعضهم يعزينى فيه :

عزاءك فى العم الذى وورى القبرا   وان كان مثلى لايعلمك الصبرا
فقد كان سحت سحب رحمة ربه   عليه من الافذاذ فى الفكم دهرا
فهيم ذكى اريحى محنك   فقد ذاق فى اطواره الحلو والمرا
له من جميع المكرمات جوانب   فاعلت له ما بين أصحابه القدرا
فها هو ذا ولى فاين نظيره   فيعلن ان الحق متبع جهرا
تلقى بالرضوان ما بين جنة   مزخرفة اطراف فردوسها نضرا

سيدي احمـد ابو الفدام

نحو ١٢٨٥ هـ = نحو ١٣٦٦ هـ =

نسـبـه :

سيدى احمد بن مبارك بن أحمد بن محمد بن ابراهيم بن على بن ابراهيم ابن بلقاسم بن محمد بن عبدالله بن سعيد

ذكره العم ابراهيم لى يوما فكان ذلك اول ماسمعت به ، قال انه لاباس فيه فى النوازل ، وهوممن يجول فى قسم التركات ، فكان ذلك سبب ان سالت عنه ابن عمه الاستاذ على بن صالح فنفض لى مآخذه

اخذ القرآن من سيدى الحسن بن بلقاسم التونيني عم سيدى ناصر ، ثم عن بعضهم بمقيلة ، فهنالك جود ، ثم افتتح المبادىء عند سيدى محمد بن عمرو الدوغرى ، فاخذ عنه بعضها ، ثم اتصل ايضا بسيدى عمر الاكضيبى ، فعنهما اخذ مقدارا من العلوم التى عنده ، ولكنه لم يحصل تحصيلا يعتبر عند الالغيين الا فى الفرائض والحساب ، وفقه العبادت ، واما العربية فهو فيها فى ضعف شديد جدا ، هذا ما اخبره به عنه متعددون ، وله مسكنة وديانة ، وصنعة فى الفرائض يقسم بها التركات ، ويفضى بها بعض نوازل قلـيـلة فى بعض الاحيان ، وحالته حالة التقشف لاباية برفاهية ، حدثنى الاديب الكوسالى انـه كان مشارطا فى قريتهم ، فجاءه مرة الى باب البيت ، وهو مفتوح قال فقلت له ادخل ، فقال ان هذا يكفينى ، فجلس على الارض ، فعرضت ماحضر من الطعام، فقال قد اكتفيت ، ثم ناولته كاسا ، فقال اننى لاأبالى بشرب الاتاى ، ثم رآنى اخيط كتانا ، فقال اتحسب ان اجرة الخياطة تقوم لك بالسكر ، هيهات ، فما يبقى للدورة ها الا مايكون لك كحبة الاحبولة التى يغتر بها الطائر ، فمااهلك اموال المغرب الا هذا السكر وحده ، فكم دار خلت بسببه ، هذه نظرة مـن نظراته نانى بها كاثر من الآثار التى نالف ان نسوقها لمن نترجم لهم ، فهى حكمة بالغة، ولكن المغاربة اغرارفى هذه الناحية

فما العمل وقد تبين ان الذى يذهب من مالية المغرب بين السكر والاتاى والقهوة مافوق ثلاثين مليارا •

وهذا السيد من اسرة سيدى صالح المتقدم الذكر ، وقد يشارط احيانا فمما مرفيه مسجد (ايت بومريم) و (تالات غزيفن) و (كاور) وغيرها

ثم انى لاقيته يوما مصادفة فى المدرسة الالغية ، فثاقفته على نية ان اخذ عنه مايصلح ان يذكر عنه ، فاذا به يتعجب حين يرانى أكتب عنه ، فقال ماذا نكتب الآن ؟ وهل ينبغى لنا ان نهتبل بهذه الحياة حتى نجعلها سوادا فـــى بياض؟ والحياة كلها غرور ، والدنيا كالارجوحة ، ان سرتك زمنا ساءتك ازمنة، ثم انشد :

هى الدنيا تقول بملء فيها حذار حذار من بطشى وفتكى
فلا يغرركم مـنـى ابتسام فقولى مضحك والقول مـنـك

وقد كان عليه قميص صوف اجرد ، وشملة دكناء خلقة ، وعمامة التاثها على امتناء ، ثم فارقته وقدعرفت أنه رجل ءاخر لاتمت أخلاقه الى أخلاق الالغيين بسبب ، فقد اشرب التقشف ، والانطواء على نفسه ، وكفاه شرفا انه ليس من المغرورين ، وقد أخبرت انه تلاء لكتاب الله ، ملازم لصلاة الجماعة ، ثم بلغتنى وفاته فى مراكش



الاستاذ على بن صالح الاوفقيرى

١٣٠٧ هـ = ١٤ـ٨ـ١٣٦٤هـ =

نسبه :

على بن صالح بن احمد بن محمد بن صالح بن ابراهيم بن على بن ابراهيم ابن بلقاسم بن محمد بن عبدالله بن سعيد

هذا احد نجباء الرعيل الرابع من الالغيين ، وأحد المحصلين غاية التحصيل فى كل الفنون التى درسوها ، وممن لهم المشاركة فى كل العلوم التى تروج فى الغ ، وما اليها من جنوبى سوس ، وأبوه صالح تقدمت ترجمته ، وكذلك جده سيدى ابراهيم التاكانزى ، الرجل الصالح ، ومر أيضا قريبه سيدى احمد ابو القاسم ، ولكن ما جال احدهم فى العلم جولة على هذا الذى برز فى الميدان، ولاالقرية (اكرض اوفقير) قرة بيضاء اخر الدهر فبه تذكرمنذ الآن :

وما ازين الارجاء الا رجالها والا فما ترب بافضل من ترب

[illegible]

اخذ القرآن عن والده سيدى صالح وعن الاستاذ سيدى احمد بن عبد الله الازروالى ، فى مدرسة (الفهم) والسنوات التى جاور فيها بهذه المدرسة هى سنوات ١٣٢٢ هـ ثم رجع الى مسجد (تارمست) من قبيلة (ادبنيران) وفى المسجد ذاك والده المذكور ، فافتتح عليه متون المبادىء ، فاخذ عنه الجرومية وغيرها ، وحفظها على يده ، كما حفظ الالفية وبعض التحفة والرسموكية فى الفرائض ، وقبل تمام السنة انتقل الى مسجد تاجارمونت ، وفيها الفقيه الحاج الحسين الازويفى ، فاعاد عليه متون المبادىء كلها ، وافتتح عليه الالفية الى باب ما لاينصرف ، وأتم عليه المرشد والرسالة ، وفى سنة ١٣٢٧ هـ القى عصاه بالمدرسة الالغية فلازمها كل الملازمة فأقبل بجد عرف عنه بين الطلبة ، وبامعان نظر جبل عليه ، حتى نال مبلغا كبيرا ، وقد كان مشاركه فى البيت هناك ابن عمنا الفقيه سيدى محمد بن احمد بن الحاج صالح ، فتعاونا على ماهما بصدده، فلم يزل ياخذ ويجتهد، وهو يدرس المتون للمبتدئين والشادين الى سنة ١٣٣٣هـ فرجع الى بلده موفورا تام المرام ، مغبوطا فى منازعه وأفهامه، غير انه بكل أسف لم تلاحظه عين السعادة ، والا لكان بهذه المعارف ممن تطن بشهرتهم الافاق ، وتتزين بمدارساتهم المدارس ، ولكن ابى له سوء البخت الآن يزوره ما كان

لابيه مماذكرناه فى ترجمته ، مع تحصيله وشفوفه فى مختلف الفنون ، ولله در بعض الالغيين الاقال فى مثل هذا المعنى

اذا الجد لم يلحظ فتى عند سعيه فماذا يفيد الجد والكد فى العمل؟
فكم جاهل فى حلة يمنيـــة وكم عالم دراكة ثوبه سمل

مشارطاته

اول ما شارط فى مسجد (تاجارمونت) سنة ١٣٣٣هـ وفى التى بعدها ارسل اليه الاستاذ سيدى على بن عبدالله ليعلم سيدى الطاهر ، وسيدى الحبيب ولديه القرآن ثم يدرس بعض أنصبة فى المدرسة الالغية، واستاذها التاجارمونتى غادرها اذذاك ، الى آخر ١٣٣٧هـ فشارط فى مسجد قرية (اكرض اوفقير) سنة واحدة ، وفى أول ١٣٣٩هـ شارط فى دار الرئيس احمد بن ابراهيم الايغشانى ، يعلم ولده محمدا الى آخر : ١٣٤٠هـ فرجع الى داره ، ثم شارط سنتى ١٣٤١هـ ١٣٤٢هـ فى مسجد (تاجارمنت) أيضا ، ثم لازم داره الى ١٣٤٧هـ فشارط فى آخرها فى المدرسة الايغشانية سنتين ، وفى سنتى ـ٥١ ـ٥٢ شارط فى (تيفرميت) فى (تيبوزكن) وفى سنة ١٣٥٤هـ فى مسجد قريته وفى آخر السنة الماضية ١٣٥٦هـ كان ايضا فى مسجد فى (تيفرميت) هـكـذا دار سوء البخت فقضى على هذا الاستاذ الجليل ، فصار يتقلقل هكذا فى المساجد الصغار التى لاتليق فى عاداتنا بالمحصلين أمثاله ، حتى ليظنه الجهلة الذيـن يقولهم فى اعينهم انه ـوقد رأوه مسكينا ضعيف البزة خلقها ـ ممن ليس لهم من العلم مالهم ، ثم يعين أمثال هؤلاء على انفسهم باهمالهم مظاهرهم ، فلايبالون مالبسوا ، ولاكيف كان ، أبيض أوادكن بمايلابسه مما يتطاير عليه هنا وهناك، من النقع المثار من الغبراء ، وقديما قيل

حسن ثيابك ما استطعت فانها زين الرجال بها تعز وتكرم

وقيل أيضا :

اذا ما اهان امرء نفسه فلا أكرم الله من يكرمه

ومن سنن الاسلام ان الله يحب اثر نعمته على عبده كما فى حديث

أخلاقه

ربما تعرف مما تقدم ان كنت ممن يستنتج الاخلاق من الاحاديث ، انه ما انه المسكنة وضعف الهيئة والتردد هكذا فى ميدان المدررين فى المساجد الصغار حتى وجدت من همته عشا يصلح ان تفرخ فيه ، لان من كان عالى الهمة، لابد ان يترفع ما امكن ، فكم ذى سمل فقير لايملك قطميرا تجده فى همة الملوك :

قد يدرك الشرف الفتى ورداؤه   خلق وجيب قميصه مرقوع

كنت دائما احبه لله ، واحب منه تلك النجابة ، واتمنى له معالى يستحقها، فكنت حين زرت الغ سنة ١٣٥٤ ﻫ خاطبته بان يصاحبني الى الحمراء ليكون لي خير معين في التلاميذ المبتدئين الكثيرين عندنا هناك ، فأنعم لى بذلك ، ولكن لم يتيسر له ، وذلك من ضعف همته اولا ، ثم من ضعف بنيته ثانيا ، حتى أنه لا يقدر ان يمشي المشي المعتاد لاهل البادية ، فكان هذا الضعف أيضا مما اخشى عليه ، فكان كل شمائله الدمثة ، ونجابته ولطافته ، وحسن مجالسته ، وامتاعه في المحادثة ، لم يرزق لامن همته ولامن طالعه أن يسمو الى المكانة التى تليق به وما اصدق قول بعض الالغيين فى هذا المعنى :

والمرء لا يسمو سوى ان عزم   واستنهضته للمعالى الهمم
كالطير هـل يطير الا اذا   مد الجناحين معا واعتـزم

فليعن الله الاخ عليا ، وليسدده ، وليكن له خير معين فمنه كل شيء، وان كانت العقول لتحيط [illegible] فيه ، وتحتج بان ذلك سير سنن الكون فليت شعري [illegible] سنن الكون ذلك النظام ، ام تابى عقولنا ان تتسع الى أكثر مما [illegible] الحواس الخمس فقط (والله يعلم وانتم لاتعلمون)

[illegible]

[illegible] الالفيين ، ان اهلها ماكانوا ليعتني كل واحد منهم بما صدر [illegible] لانهم [illegible] من مزاولة اشعار الشعراء المتقدمين يرون أن مايقولونه هو [illegible] ، وزادهم ايضا التواضع الزائف وانكار الذات ، فهذه [illegible] وان كانت محمودة في نفسها ، لكنها في أمثال هذه المواطن مما [illegible] ، وقد غاب عنهم ان كل آثار القلم ينبغى ان تدخر على كل حال، وان لم [illegible] الاالمنظومات موزونات مقفاة معربة ، كغالب مايقال فى هذه البــوادى ، لان اسفاف مايقولونه لايضير، والانسان واثره متلازمان ، وانما يقاس الجميع على بيئته ولاعليه ان كان محيطها ادنى من المحيط الذى نشأفيه اولئك الشعراء المتفوقون فالمنظومات التى نحرص على ايداعها فى هذه التراجم نكتبها للمؤرخين الذين يهضمون كل شيء ، ومعدتهم كمعدة النعامة تهضم حتى الحديد ، وأما الادباء خصوصا ابناء اليوم ، الذلقين المتفوقين فى الفكرة وفى الاختيار ، وفى الاجادة وفى حسن التعبير ، وفى الاساليب ، فاننا اعقل من أن نقصدهم بكل مانكتبــه فليعرف عنا هذا ، وانااكرره فى هذا الكتاب وفى غيره فى كل مناسبة ، سواء ماسوقه فى هذاالكتاب اوفى غيره بكل مناسبة ، وانما احرص على هذه الاثار حرص المؤرخ فقط ، ليدرى غدا ماهو مقدار الادب العربى فى هذه الناحية من المغرب، ولذلك ابكي حينما تعوزنى الآثار عن هؤلاء الادباء الالغيين ، الذين قد

يجيدون احيانا ، وهذا صاحب الترجمة وهو ممن يقولون فى كل مناسبة لـم اجد لدامامى الان الا قصيدتين ، الاولى هو باحداهما ، وقال لى ليس عندى سواها، والاخرى ظفرت بها فى كناش بعض المعتنين ، وقليل ماهم

قال الاديب سيدى محمد بن الحاج احمد اليزيدى يخاطب هذا الاستاذ:

قد طار من ذكر اللوى بلبــالى   لمنازل الاحــبــاب والاطلال
قد شاقنى لمعان برق باللوى   وتذكر الرشفات من جريال(١)
ومغازلات العين كــل عشية   مابين كثبان وبين تـــلال
لله ايام بطيب الوصل قد   مــرت بحسن تغنج ودلال
ومجالسات تواصل ما بيننــــا   من غير ترنيق بلوح الآل (٢)
حتى اذا قلب الزمان مجنه   وأبان ذلك الوصل مثل لئال
جاء التجنب والمهاجرة التى   تذكى بصدرى جذوة البلبال
ياقلب ان اجشاك طول تجنب   ومرور ايــام اللوى وليال
هدى منى أخرى فطب بتواصل   فلطالمــا اضناك طول مطال
فتواصل الاخوان أيضا فيه ما   فيه اذا ما انمموا بوصال
هذا الذى أرجوه عند ملمة   نزلت فتعقل ارجلى بعقال
هذا الذى طابت به الاعصاروالا   زمان هذا نجعتى وثمالــ
بحرلدى الجدوى وبدر عند در   س العلم فى الانداد خير رجال
غوث اذا الهيجاء شبت نارها   والغيث ان بخل الرجال بمال
لا لاشبهه بمعن فى الندى   هو منبع للفضل والافضال
او فى البلاغة بابن ساعدة الذى   قد جر ذيل فصاحة وجلال
فعليه ما سجعت حمائم غرد   وسرى الى المشتاق طيف خيال
فعلى الاحبة كلهم خير التحا   يــا ما يحن الصب للاطلال
وعلى النبى وآله وصحابه الصــ   ـلوات تترى من اله عال

فاجابه المترجم :

امن الحمــى يسرى نسيم شمال   أم لاح من نعمان بــرق وصال ؟
ام هـــذه ورقــاء فى نغماتهــا   تشدو عــلى الافنــان فى الاصــال
ام طاف بى طيف الخيال وهل يرى   فــى غير نوم الصب طيف خيال ؟
انى احس ببهجة جدت كمـــا   اغدو لدى هيفاء بنت دلال
ولحاظها ترمى قسى حواجب   منها بما ينسى مريش نبال
ترنو الى بفاتر فى جفــنــه   سحر ولكن كان سحر حلال
مستحوذ بفتوره استحواذ شعـــ   ــر جاءنا من شاعر مقوال
ماسحر بابل عند سحر بلاغـــة   فيــه لمستمع لــــه اوتال ؟
بل ما قلائد جوهر ان قستها   بنظامه المزرى بــكــل لآل ؟
شعر الامام اللوذعى المرتضى   من كان فى الاداب بدر كمال

١) الجريال بالكسر : الخمر   ٢) الآل : السراب

قد اعلى الافلاك منه انه	فاذا ما جال وسط مجال
بل كان منفردا فلاند له	في الحال والماضي والاستقبال
فاق ابن اوس برصفه والبحتر	ى بوصفه وابن الحسين العالى
بل فاق في اوصافه جمعاء قد	جلت ففيره عاطف اوتال (١)
بحر الندى سيف الردى غيث الورى	ليث الوغى كشافة الاوجال
مامن ما عمرو لدى افضاله	ودفاعه عن ربعه والآل
كل الفخار له تراث من أصو	ل مجد في فضلهم امثال
ياقلب لاتشك النوى هذا الوصا	ل مهنئا وافى بطيب ليال
هذا الحبيب المستراد لمثله	هذا لعمرى تاج كل معال
هذا الكريم ابن الكريم المجتبى	من خير ما حسب وخير اثال
لازال محروس الجناب ممتعا	ماكر ابكار على الآصال
بالمصطفى المختار افضل من هدى	واجل من بعثوا من الارسال
صلى عليه الله ما انست على	قنن الجبال غزالة بغزال
هادي النبي مناك القبول استمطرت	واستعطفت بالفضل والاقبال
فاليكها يا ابن الهداة فان تكن	عطلت فمدحك فوقها كلآل
وعليك ما صدحت على ملد الغصو	ن حمامة هاجت جوى الاطلال
[illegible] مخلص لك ما هفا	نحو الحمى سحرا نسيم شمال

وولد الاديب سيدي محمد بن علي ولد سماه احمد ١٣٣٩ هـ في اوائلها [illegible] الوطنية المدرسة لتهنئته على العادة ، ووالده الاستاذ سيدي علي [illegible] قطب الاداب ، يورد ويصدر ، والاستاذ هو جد هذا المولود:
قال الاستاذ الاديب سيدي المدني بن علي قصيدة مطلعها :

[illegible] من [illegible] فاسهدا	وذكر في تلك العهود وجددا

وقال الاديب ابوزيد شيخنا البوزكرني قصيدة مطلعها :

بدا البارق الجوى فاشتد اذ بدا	غرامي فها جيش اصطباري تبددا

وقال الاديب سيدي احمد بن سعيد الاكماري اخرى مطلعها :

هبت فاحيت نفوسا تلفظ الرمقا	وابرأت من بسهم البين قد رشقا

وقال الاديب سيدي احمد بن محمد التاجارمنتي اخرى مطلعها :

طلع السعد في سماء المعالى	فاضاءت انواره كل عالى

وقال الاديب سيدي محمد بن الحاج احمد اليزيدي اخرى مطلعها :

امن حذار النوى دمعك منسكب	أم شاق قلبك برق فاعتلى اللهب

١) المجل ، العاطف ، التالى ، من اسماء خيل الحلبة العشرة وهي بالترتيب المجلي ، المصلي ، المسلي ، التالي ، المرتاح ، العاطف ، الحظي ، المؤمل ، اللطيم ، السكيت .

وقال ابن عمه الاديب سيدي محمد بن احمد الواعظ اليزيدي اخرى مطلعها:

بشرى بنجل نجل اطيب النسم	آباؤه قادة للعرب والعجم

وكان الشاعر المفلق ماء العينين بن العتيك حاضرا اذ ذاك فقال كذلك قصيدة مطلعها :

هلال الدجى بالنور مرآه ينبىء	وآية طيب الفرع أن طاب ضئضىء

فقال صاحب الترجمة من بينهم هذه القصيدة التي كان فيها لمدح الاستاذ علي بن عبدالله نصيب وافر :

طلع الصباح فنوره يتبلج	وسرى النسيم فعرفه يتارج
والروض روض السعد نور نبته	بشرا فاضحى نوره يتموج
والورق تسجع والغصون تمايلت	طربا وجو اليوم يونق سجسج
اذر العيون وأرهف الاذان واستم	تع بروض يومه متبلج
فبنوره واريجه وزهوره	وحمامه وغنائها يستبهج
فالكون يبدو اليوم وسط زهوره	وجبينه بادي البشاشة ابلج
فرحا بطلعة سعد احمد من غدا	بظهوره نصر الفخار يسورج
طرز المعالى ابن الرضى محمد	من كان بالمجد الصميم يتوج
يمتد منه المجد ذاك من امجد	من ليس يدرك نسجه اذ ينسج
بدر العلا علم السيادة خير من	بحياته اسنى المنى يستنتج
نور الهدى فخر الورى سم العدا	بحر الجدى وعبابه التموج
شيخ الشيوخ اللوذعى اجل من	لهواه يجرى بالعتاق ويهزج
مولى عوارفه ابى الحسن الذى	بحضوره برحا الهموم تفرج
يا ماجدا منه الفخار تفتحت	ازهاره واريجه يتوهج
يهناكم نجل سعيد انه	فوق السماك بنوره يترجرج
لله مولده المبارك انه	بالمجد والشرف الرفيع يتوج
هل ينجب الامجاد غير ممجد	فمن الوشائج للشكير المخرج(١)
«ان المقدمتين مهما كانتا	صدقا فمثلهما النتيجة تخرج»(٢)
فالله يصلحه ويعلى شانه	ويديمه سبل العلا يستنهج
بالمصطفى الهادى عليه تتابعت	أزكى صلاة بالرضا تتارج
والآل والاصحاب ما غنت على	ملد الغصون حمامة فتهيج
ثم السلام على علاكم مابدا	وجه الصباح ونوره يتبلج

١) الشكير : ماينبت في اصول الشجر الكبار وفراخ النخل

٢) بيت قديم هنىء به والد ابن دقيق العيد لما ولدله هذا الامام، وقبل البيت:

هنيت بالبر الرؤوف ومن يكن	برا رؤوفا مثل ذلك ينتج

هذا نفس سيدى على بن صالح وهذا منزعه ، لم انه بعد هذا يفرط فيما يصدر عنه ، فياضيعة الهمم ، وياضيعة آثار لاتنكر ، سيكون لها غدا اكثر مما لها اليوم عندى من قيمة ، وفى (الالفيات) بعض آثار تجاذبتها معه ، وكل من يعرف ان الشلحى يكون دون تذوقه للادب العربى عقبات كاداء ، يقدر فى نفسه اكبار كل من يقطعون تلك العقبات واحدة واحدة ، حتى يستطيعوا ان يمثلوا دور العربى المبين

وفاته

كان ضعيف البنية ، يلزم بطنه انقباض شديد ، وربما بقى اياما بلا استفراغ وقد كان شارط فى مدرسة (تيركت) باملن سنتين ، ثم فى مسجد وفقاوى ، ثم زارنى فى رجب ١٣٦٢ هـ بدارنا فى الغ ، وبعد رجوعه باسابيع بلغتنى وفاته التى كانت فى ظهر الثلاثاء ، الرابع عشر من شعبان ، فالله يرحمه ويغفر لنا وله

الحسين بن ابراهيم الصالحى

ليلة ٣-٧-١٣١٣ هـ = -١٢-١٣٣٦ هـ =

نسبه :

الحسين بن ابراهيم ابن الحاج عبد الله بن صالح بن عبد الله بن صالح ابن عبد الله بن أحمد بن عبدالله بن سعيد .

جده الحاج عبد الله بن صالح قرأت ترجمته ، وكذلك ترجمة عمه الاستاذ على بن عبدالله ، واما ابوه ابراهيم ، فلم يرزق علما ، وقد كان له اهلا، ولكن العلم محسوب من الرزق ، كما يقولون ، وقد وقعت له غريبة فى ذلك ينبغى ان تثبت :

ذهب مرة هو وبعض الطلبة الى مجمع من مجامع القبائل ، اخاله فى بعقيلة وهو فى حلة جميلة ، وعليه طيلسان جديد من الملف ، وعليه وسامة ، تظهر أنه ممن حمل علما ، واذ عرف من حضر فى المجمع انه من آل صالح الذين شرق الخبر وغرب بانهم علماء ، مدوا اليه رسالة ليقرأها على أهل المجمع ، وقد جاءت اذذاك فاخذها ولم يقل شيئا ، فمدها بتثبت لمن كان معه من الطلبة ، كأنه انما أراد ان يقدمه على نفسه ، أو يحتاج المقام الى اعلاء الصوت كثيرا ، وهو لا يتنازل الى ذلك فملص بهذا اللطف من الخجل الذى يكسو غيره لو وقع فى مثل تلك الورطة ، فمشت الحيلة على من لم يعرف الحقيقة ، ويذكر ان مثل هذا وقع شبيهه لابن حزم، حين لم يعرف أوقات النوافل من غيرها، فخجل فاستفزه ذلك الى الاقبال على العلوم ، حتى كان امام الائمة ، وقد ولد سيدى ابراهيم سنة ١٢٨٢هـ وتوفى ١٣٥١هـ ومن اولاده سيدى عمر ، وقد حفظ القرآن ، وحاول ان يخوض فى العلوم ولكنه -كما حكى لى- لم ياخذ الا المبادىء ولم يستتمها ، ولذلك لم نترجم له على حدة وهو رجل هين مسكين ، أراه فى السنة الماضية فى حالة توذن بطيب السريرة، وولادته فى سنة ١٣١١هـ وهو الآن حى (١)، وقد تزوج الآن بنت عمه الاستاذ على بن عبدالله ، وله معها من الاولاد أربعة ، منهم ولد يتعاطى المبادىء كان يجتهد تحت يد الاستاذ سيدى بلقاسم بن محمد السليمانى ويظن به ان يكون فى المستقبل ان شاء الله ممن حصلوا على هذا التراث العلمى ويسمى محمدا (ولكنه لم يستتم ، وهو الآن فى البيضاء مقدم حومة) وآخر اسمه أحمد انجب

(١) لايزال حيا ١٣٨٠هـ

من اخيه (وستراه أمامك) ومن اولاد سيدى ابراهيم محمد وعبدالله وهما الى الآن ١٣٥٦هـ لايزالان عزبين ، وعبدالله ممن لازم المدرسة ماشاءالله حتى حصل بعض تقدم في المعارف ، ونطلب الله ان يستمر حتى يحصل ، وحين لم يتقدم الان كثيرا اكتفينا بذكره هنا ولامعرفة لي به ، ومنهم صاحب الترجمة الذى نحن بصدد ذكره

متعلمه

أخذ القرآن في مسجد القرية عن أساتذة لم استحضر أسماءهم ، ولم يتجاوز القرية ، ثم افتتح المبادىء في المدرسة الالغية عند الاستاذ التاجارمونتي وقد كان هنالك اذذاك خاله الاستاذ سيدى البشير بن ابى بكر الاغوديدى مرابطا بعد، فأخذ بيد ابن أخته ، ودرجه في المبادىء على العادة وشذبه وقدمه غاية التقديم، حتى عاد في الاعراب واستحضار أدلته من الشواهد والفقهيات ومظنات المسائل مثلا يضرب في النجابة ، ثم صاحبه معه حين انتقل الى المدرسة الايمورية ، ثم عند الاستاذ الطاهر الافراني ، ثم الى المدرسة الامسراتية اذ شارط فيها أعوام ١٣٣١هـ فنال به غاية قصوى، وقد طلع من الدور الثاني الى الدور الثالث الذى توخذ فيه الدروس العليا ، فأقبل به وادبر ، وهو يجشمه بالضغط الالغي المألوف حتى قمص من عنده مرة ، فكاد يفلت من قرن خاله، لولا بعض الطلبة من اصحابه، فهو سيدى احمد السليماني الملقب (ارعم) فانه أدركه في الطريق ، لم يزل به نفثا في العقد ، وختلا وفتلا في الذروة والغارب ، حتى رده ، ثم فارق خاله تلك المدرسة فرجع هو الى المدرسة الالغية سنة ١٣٣٥هـ وقد راجع الاستاذ عمه على بن عبدالله الدراسة بنفسه ، لان الاستاذ التاجارمونتي ، غادرها اذذاك، فلازم دروس الاستاذ ، وقد ارهف حده ، وجلى منصله وقد تعلم من خاله كيف الاقدام ،وكيف الكر والفر، فكان عمه لذاك به معجبا وقد رأى حقوله المزهرة، وأشجاره المثمرة وغرسه المدرك ، فكان يعجبه ان يراه يسابق في ميدان المباحثة ، فكان يستثيره ويوجه اليه الاسئلة اثناء النصاب ، ليستنبط بها مافي قريحته التى تتج بادنى سبب ، هذا ماحكاه لي الاستاذ الطاهر بن علي، وأما أنا فربما عرفت وجهه ، وربما لم أعرفه ، لانني في مدارس ، وهو في اخريات ، وبينما هو في هذه النجابة يجرى في غلوائه ، اذا بوباء سنة ١٣٣٦هـ قد دهم الغ ، فاجتث نفوسا ، وأدار على كثير من النشء كؤوسا ، فكان صاحب الترجمة ممن شرب من تلك الكاس ، وغربت بذلك شمس نجابته في الرمس فزفر عمه الاستاذ ابن عبدالله زفرة حارة اودعها هذه القصيدة التي قدمها بهذا النثر الذي ننقله عنه بواسطة :

في ذي الحجة الحرام عام ١٣٣٦هـ تمرض باخذ بالراس والظهر والصدر، وتصحبه كحبة وسعال ، امر الناس عن [illegible] الجن ويخبر بالغيب ، ولاشك انذلك وخز الجن ، اعاذنا الله [illegible] من استحر منهم

القتل ورزقوا الشهادة ، ومنهم من كان بخلاف ذلك ، وممن استحر فيهم القتل اهل زاويتنا هذه ، خصوصا حفدة والدنا الولى الصالح الحاج عبدالله ، فقد استشهد فيهم مابين كبير وصغير عشرة انفس ، منهم العالم النجيب سيدى الحسين ابن ابراهيم بن الحاج عبدالله ، ومنهم احمد بن عبدالرحمن بن محمد ابن الحاج عبدالله ، وهو طفل نجيب ، حفظ الامهات وهو ابن ثلاث عشرة سنة، ومنهم ابن اخيه الفقيه عبدالله بن محمد ، واسمه احمد بن عبدالله وهو طفل صغير بأدى المكتب ، وغيرهم رحم الله الجميع ، ونفعنا ببركة أرواحهم ، وفي رثاء هؤلاء والتضرع الى الله في رفع الوباء والوبال عن المسلمين ، قلت مانصه :

خطب الم فجل الرزء والكرب … وحل بالمسلمين الويل والحرب
جاءت بداد خيول الجن عادية … على أناس هم الاقمار والشهب(١)
فارخصوا مهج الاطفال فاشتريت … بحبة واستبيح اللحم والعصب
مات الحسين فمات العلم والادب … معه وأعولت الاقلام والكتب
فتى اذا حضر الدرس استنار به … افق الحقائق وانجابت به الريب
فتى رأى غير كسب العلم منقصة … ويرتضيه جليسا والورى غيب
تكملت فيه أوصاف السيادة من … علم وحلم فناقت نحوه الرتب
فمن ، وما لقضاء الله من بدل … والموت يعتام أقواما هم النجب
فقل لمن رام عد فضله مهلا … فانه البحر حدث عنه لا عجب
جادت سحائب رضوان ومغفرة … قبرا به قبر الاحسان والقرب
ومات بالوخز احمد النجيب ومن … فاق الاكابر طفلا والورى نوب
وما رعى فيه علياء ولا أدبا … ولا صباحة وجه زانه الشنب
لم يبلغ الحنث وهو الندب ماسمحت … منه القريحة ان يفوته أدب
يموت نجل عبيد الله قد بلغ السـ … ـيل الزبى فجميع الاهل ينتحب
طفل له خلق ازرى على زهر … فهل يصبر عنه الوعظ والخطب ؟
لم تفاقم امر الوخز واتصلت … به نساء وأطفال هم قضب
ومات بعد محمد بن احمد في … شرخ الشباب ونعم اللين الارب
كانت له همة في الفضل عالية … فشغله في جميع عمره الطلب
فالموت كاس بكل الدهر دائرة … تسقى الورى وجميع الناس قد شربوا
يارب يامن له اللطف الخفى ويا … اسخى الكرام ومن رحماه ترتقب
امنن بلطفك وارحم عصبة عظمت … منهم ذنوب فما في غيرك الرغب
هنا ومات بهم وخز الجنون فلم … يبق لهم في سوى احسانك الهرب
وامنن عليهم بحق المصطفى كرما … عليه اهمى صلاة دونها السحب

هذه زفرة الاستاذ الذى يكاد يذوب اسى على صاحب الترجمة ، لما كان ينتظره منه من عالم كبير، وأما احمد بن عبد الرحمن، فهو نجيب حقا بمقدار سنه ووسطه، فماأتت عليه ثلاث عشرة سنة حتى استتم حفظ متون كثيرة، وتقدم

١) اغارت الخيل بداد كخدام : متفرقة

في المبادي، وكان قرين سيدي محمد بن عبدالله ولد شيخنا ازيل لوس الذي ستقرأ ترجمته ان شاء الله فيما سيأتي وعهدي بأحمد هذا ، وقد رايته رفيقا، ولكن جسمه النحيف يظهر منه بالمباحثة فهم وادب كماقاله عمه الاستاذ ، واما سيدي محمد بن احمد ابن الحاج عبدالله بن صالح ، فانه أيضا تقدم في المبادي، وربما علا في الدور الثاني ، وقد وصفه الاستاذ كمارأيت بالادمان على الطلب، وقد اثنى لي عليه الاستاذ سيدي الطاهر بن علي ، وذكر عنه تقدما ، يظهر به أنه ممن دخل تحت شرطنا في ابناء قبيلتنا هذه ، من ذكرنا كل من تقدم في العلوم، ولو لم يستتم الدراسة العليا ، ولكن الاستاذ ابن العم سيدي عبدالله بن ابراهيم أنكر تقدمه، وذكر أنه لم يعد المبادي، ، ولهذا أسقطته، ولم أفرده بترجمة ، ولكن يكفي على كل حال هذا القدر حوله ، وسترى أمامك ان شاء الله صنويه سيدي صالحا ، وسيدي عبدالله ابني أحمد ، فانتظر فللانتظار حلاوة اخرى.

آثار سيدي الحسين

كاد هذا النجيب تذهب آثار قلمه كماذهب ، وقد مضى على موته عشرون سنة وقد تغير الدهر ، وتقلبت الايام ، وتلونت الاحوال ، ودارت أهوال بعد أهوال فنسي الاعتناء بالآثار، وكاد أصحابها يتمشى النسيان حولهم في مخاطر الذكريات من الصدور، فقد فتشت وسألت فلا ارجع عن كل مسؤول الا بخفي حنين ، حتى سقطت الى كتب لخاله ، واضبارة من الاوراق من ناحية اخرى تصفحتها ، فاذا بما أسوقه اليك، قد انساق الي من أثناء أوراقها ، فمنها هذه الرسالة التي يظهر منه أنه يجيب خاله الذي كلفه الجواب عنها ، وفي هذه الرسالة نرى قلمه في النثر، ومقوله في القرض من الاخوانيات ، ونصها :

السيادة التي سواها الله من طينة الشرف والحسب ، وغرس دوحتها الطيبة بمعدن المجد الزاكي النسب ، سيادة شيخنا الذي تعلو فصاحة لفظه بلاغة البلغاء ، ويعنو لذلاقته المكينة النابغة فضلا عن احد الغوغاء ، مولانـــا الرزين، وهو للعين القرة ، وللانف العرنين والارنبة

وبعد : فالعبد انما يروم التداني لحماك ، ولو بدعاء منك يرضيه وقـاك الله وحماك، وايضا انت ياسيدي تطلب مني الجواب ، وانكفاء مثلي عن المغازلة لابكار تلك القصيدة هو الصواب ، وما احسن من قال في هذا المقام ، الذي ينبغي للعاقل ان يتنكبه لئلا يقطره فيه الزحام :

يكلفني مولاي رجع جوابه   وما التعاطي المعجزات وماليا

ولكن لخوفي ان الخطو امر سيدي ، مددت وانا ارتعش للجواب يدي، فهالاقلة من قلبي المروع ، بعدد ابلة مهداة الغضب الجنان والمربع :

مسك النوافح فاح ام روض الربا   [illegible] في المحل على سماء

فتفتحت ازهارها وترنمت   اطيارها في ايكها الغناء
طلعت على انهارها شمس الضحى   فتلالات في الصحو بالـلالاء
ام انجم الجوزاء ارخت عـقـدها   فزهت بها الخضرا على الغبراء
فبجـوب سادرة سماوات الـعـلا   كالتاج فـوق اللمة السوداء
ام صدر غانية تنظم وسطه   درر مــن البيضاء للحمـراء
قد اقبلت بجبينها فكانـمـا   طلع الشروق لمن رأى بذكاء
ام شعر اروع لوذعي نال افـ   ـــق المجد فوق الهمة القعساء
الاي استراحة نفسه بالجد والسـ   ـهـر المدام فـفـاز بالعلياء
قد اشرقت فينا غزالته بنـو   ر ساطع مــن طلعة زهــراء
فاضات الارجاء فانجاب الغشـ   ـاء عن القلوب فاشرقت بصفاء
الى وامثالي ومن كانوا لديـ   ـه نفوز فـوزا بالسنا وسناء
قد خص في اترابه بشمائل   وفصاحة ونـزاهـة وعـلاء
ماشيت من ادب ومن كرم ومن   همم تـحـل بقنة الجـوزاء
فعليه من ازكى السلام حدائق   من بعد مسة ديمة وطـفـاء
مرت بها نسم الصباح فافعمت   كل المعاطس ما زرى بكباء
ثم الصلاة على الرسول وآلـه   وصحابه الـكـرماء والـنـجباء

وبعد ياسيدي ان كنت لاتحتاج الى (وفيات الاعيان) ،او (الاغاني) ، فارسل الى احدهما جزاك الله خيراعن الغابر والباقي والسلام

وقد وقفت في هذه الرسالة على نسختين بيده فاخترت هذه لانها منقحة ربما بقلم غيره، ولعله نقحها بعد زمن من كتابتها اونقحها خاله اوسواه ، وما فزت بالنسخة الثانية الاخيرا ، ومن أقواله ايضا ، وقد تحرش به بعض الطلبة في المدرسة كماقاله في المنقول عنه ، وأشك في انهاله ، وربما تمثل بها والله اعلم:

تحرشت بي ياانذل والله عالم   باني لولا الحلم باز محلـق
اتحسبني مثل الذين رايتهم   اذا صلت فيهم جانبوك فاطرقوا
يمينا لئن عادت الى مساءة   تمس جنابي أو اذى منك يطرق
لصرت لـيـوم مظلـم لا ترى به   سنا وبجحر جنبه بـك ضيـق
فلست بذي حلم يدوم ولا انا   بفدم حصى التجريب حوليه يطرق

ومنها متغزلا بمن يهواه ، ولاباس بها في الجملة ، وان كنت أيضا على شك في أنها له :

نام الـورى كلـهـم وانـــا   في سهد العشق على الجمر
قد كان لي بدر فلم يبق لــي   الا الذي في القلب عن بدري
وجه كـأن الشمس قد خلقت   منه ولكن فاق بالـشـعـر
ونفحة من نفس طـيـب   اذكى وآرج مــن الزهـر

وأعيـن دمـع بهـا حـود | الى النيم بهـا نغرى
قـد كنت ذا قـلـب صحيح فـاذ | رميتـه أمس الـى الكسر
باليلة سعيـدة بـات فـي | حضنى الى مطالـع الفجر
ارشف من رضابه ما الذي | ينسي نقليري اكؤس الخمـر
لاعيب في ليلتنا غير مـــا | أعقب وصلها مـن الهجـر
فمذ بعد أن مضى مدبـرا | عنى ، وقـد فارقني صبري
يرمضني الشوق اليه كـمـا | يرمض منهـوك عـلى القفر
فـي وسط الهجير لاظـل لا | ماء سوى آل الفلا يـجـرى
فهل يطول العيش بي زمـنـا | حتى يـزيـل وصله ضرى ؟

هذا ما اخترته من هذه الآثار التي وجدتها له ، بعضها في كتب خاله ، وبعضها في غيرها ، وكثيرمنها سوى هذه ممالايفرح الادباء بنشره ، ولذلك نكتفي بما ذكرناه

ذلك هو الحسين بن ابراهيم الذى شهد له عمه ، وكفى بها شهادة ان له اليد الطولى ، والتفوق على الاقران ، والمقدرة التامة على التحليق في جواء الابحاث العليا ، وهكذا ايضا شهد عندى به كل من عرف منه مماتنة متينة في الميادين ، فلذلك لانرى من الطلبة النجباء من الالغيين الامن يكثر الترحم عليه ، ويستدر وابل رضوان الله على مثواه ، فقد اعتبط أتم ماكان شبابا وفتوة ، كمااستدارت لحيته الكثة ، وقد استولت على غالب محياه ، وفي قامته قصر ، فكان اذاأقبل ، استنارت اسارير جبينه الوضاء فوق اسوداد لحيته السوداء ، وقدغلبت الانوار السواد لمااستمدته من أنوار المعارف ، ومن اسرسريرة البسه الله رداءها فلو عاش لكان اديب الغ وعالمها حقا ، ان صح ان تلك القوافي له

رحمه الله ورقاه في مراقي السعداء بمنه وفضله .

عبد الله بن أحمد الصالحى

نحو ١٣٢٠ هـ = ١٣٤٦ هـ

نسبه :

عبدالله بن احمد بن الحاج عبدالله بن صالح بن عبدالله بن صالح بن عبد الله بن احمد بن عبدالله بن سعيد .

هذا ابن عم المتقدم ، ووالده سيدى احمد من أفضل رجال الغ من جميع النواحي ، دينا وحزما ومروءة وضيافة ، وقد لاحظه السعد في ذات يده ، وان اهمله في تراث آله العلمي ، فقد سمعت اخي احمد يقول انه فريد الغ في القيام بين الكسب والقيام على اداء فروض دينه في المسجد ، ومافاته الصف ولو يوما وراء الامام ، كما أنه مافاته قط الوقوف على اشغاله ، فلايتكل لاعلى عبد ، ولا على اجير ، وان كان له عبيد كثيرون ، وقد نال من سعة المال ماوازى به أخاه الاستاذ سيدى عبدالله الذى يدر عليه قلمه وجاهه وعلمه بدرا من الاموال ، على حين ان سيدى أحمد لاباب له الا الكسب ، ولكنه مستعين بالاقتصاد والوقوف بنفسه والمشارفة بعينه على الشاذة والفاذة ، مع نية حسنة ، وقناعة بذلك عن غيره ، فاثل وبنى وشيد وملك عبيدا واماء ، وخزن اهراء فاهراء ، ومع ذلك كله ،فانه في نفسه متواضع ، عارف نفسه ، لايتجاوز قدره ، هذا ما سمعته عن الاخ رحمه الله ، وكان من عادة الاخ أن ينقب عن أحوال الناس وينتقدها ، وكان شديد الانتقاد ، غير انه ينصف ، وكثيرا ماسمعته يقول ، هذه حسنة فلان ، وفيه فيما وراء ذلك كذا وكذا ، فيملي عليك ايضا غرائب ، وحين يذكر سيدى احمد لم اسمع منه أن نعقب هذا الثناء بشيء ، وهو الذى واقف مرة الشيخ الوالد حول املاك الواقف سيدى الحاج محمد بن عدى رحمه الله ، كانت مرهونة عند ال صالح ، ثم تصدق بها على الزاوية فاذن للشيخ في فك رهونها ، فثار سيدى احمد امام الشيخ الوالد ، فقال له هذه الكلمة التي فرطت منه ــ وسبحان الله انما هو بشر ــ لقد تحولت ياسيدى الحاج على من جديد الى الدنيا ، وزاحمت فيها بالمناكب ، فاجابه الشيخ على غرار قوله ــ وكان آية الآيات في اختيار الاجوبة اللائقة لكل مقام ــ نعم ان لك ياسيدى احمد اولادا كما ان لي أولادا ، والمجاذبة في الحق محمودة ، على أن اولادهما اختلطوا بعدهما ، فقد تزوج صالح بن احمد فاطمة بنت الشيخ .

ذلك هو سيدى أحمد رحمه الله ، وأخبرتني اختي زوجة ولده المذكورة انه كان قيما على اهله بالديانة ، فلايخرج الى المسجد قبل الفجر حتى يوقظ كل من

في الدار ولابد، وكان يؤثر رفيقه بالطعام الحسن ، ويقول الهمهم الذين يكسبونه بجهودهم ، فرحمة الله على تلك النفوس ، وقد ولد سنة ١٢٧٥ هـ وتوفي في جمادى الثانية سنة ١٣٣٩هـ وهاك ماعزي به اولاده من الاستاذين سيدي علي بن عبدالله الغائب اذذاك عن البلد ، وسيدي الطاهر، وهما اذذاك في مجمع من مجامع القبائل التي تدافع اذذاك احتلال جزولة :

رسالة الاول

من علي بن عبد الله بن صالح الالغي الى اولاد اخيه وشقيقه المرحوم بكرم الله صالح بن احمد بن عبدالله ،وجميع اخوانه وأهل داره ذكرا وانثى كبيرا وصغيرا ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد : فلاباس ولازائد على الرضا بقضاء الله وقدره، ونسال الله تبارك وتعالى ان يعظم اجرنا واجركم في والدكم الصائر لرحمة الله ورضاه، مصاب ما أمضه وما اعظمه، والاجر والثواب المرتبان على الصبر والاحتساب أجل منه واعظم ، ولن تموت نفس حتى تستكمل رزقها ، وتبلغ أجلها ، (ولابد من يوم ترد فيه الودائع) ولحمد الله الذي اطال عمره حتى علمكم كلكم دينكم ، فما منكم احد الا قدمه حتى قرا وحفظ ، وعلمكم احوال دنياكم بين اخوانكم وعلمكم كيف تتعاملون اصحابكم ، فرحمه الله وادى عنا جميع الحقوق ، وكونوا انتم فيمابينكم عشيا ، معاً ، متواصين بالحق والصبر ، يرحم كبيركم صغيركم ويوقر صغيركم كبيركم ، وكل واحد يشتغل ويتصل بما تركه عليه والده ، فصالح ابوكم اليوم يتولى امور الخارج ، ووالدة عبد الله والدة الجميع تتولى أمور الدار كلها، والخير كله في الصبر والاشتغال بما يعني فمن لم يشغل نفسه بالحق شغلته بالباطل، واصل الخير [illegible] الله مجالسة الصالحين الناصحين ومشاورتهم ، وعليكم بتقوى الله ومراقبته والصبر لاسيما فيما بينكم ، والسلام عليكم ، اعانكم الله وهداكم وارشدكم امين ، وكتب اليكم مستهل رجب الفرد عام ١٣٣٩هـ عمكم الفقير الى الله علي بن عبد الله بن صالح الالغي امنه الله .

رسالة الثاني

الى اولاد سيدي الحاج عبدالله بن صالح الالغيين رضي الله عنهم، من كاتبه الضعيف الفقير الى الله ، الطاهر بن محمد التامانارتي ، وصهره ذي المكارم الظاهرة ، والاخلاق الطاهرة ، سيدي البشير بن المدني الناصري ، الى اولاد شيخنا المقدس سيدي الحاج عبد الله بن صالح الالغي ، سيدي ابراهيم ابن عبدالله واولاد اخوانه سيدي صالح بن أحمد واخوته ، والاخ الفقيه البر الرضي سيدي عبد الله بن محمد ، واخيه سيدي عبدالرحمن ، وولدي شيخنا سيدي محمد بن علي واخيه سيدي المدني، وجميع من بهم واليهم، من أهل وحواش

السلام التام العام الطيب الكريم ، والرحمة والبركة عليكم ، تعم احوالكم المرضية ، واخلاقكم الروضية ، ومكارمكم الرضية ، بوجود مدد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

هذا ولازائد على الشوق اليكم ، والنزوع لزيارة تلك التربة الطيبة ، غيرما اتصل بنا فنغص اللذات ، من وفاة ذلك السيد البركة المنور ، أخيكم سيدي احمد بن عبدالله (وذلك رزء ماعلمت جليل) فعظم الله اجرنا واجركم في مصابه، واماتنا واياكم على الصبر وتجرع اوصابه ، فتلقوا سادتي أمر الله بالتسليم، والقلب السليم ، فما عندالله خير وأبقى ، ولله در القائل :

وعوضت اجرا من فقيد فلايكن فقيدك لاياتي واجرك ذاهب

ومثلكم والحمد لله لاينبه على ماهنالك ، فانتم الاسوة والقدوة ، واحق بقول السموأل:

وما مات من كانت بقاياه مثلنا شباب تسامى للعلا وكهول

ولاتنسونا من الدعاء ، واعذرونا حتى يتيسر القدوم بالاوبة من هذه الحركة الضرورية ان شاء الله والسلام -٣- من رجب عام ١٣٣٩ هـ

وقد خلف رحمه الله من الذكور صالحا الآتي ذكره ، وهذا السيد الذي نحن تحت عنوان ترجمته ، وهما اخوا محمد بن احمد المذكور قبل في ترجمة ابن عمه الحسين ، وقد مات في حياة والده بالوباء

تلقى عبد الله بن احمد القرآن في قريته ، ثم التحق بالمدرسة الالغية ، فاخذ عن عمه الاستاذ علي بن عبدالله ، وعن كبار الطلبة الذين هناك ، وعن الاستاذ سيدي احمد اليزيدي الذي كان مشارطا في تلك المدرسة حين يتلقى هناك هذا السيد، كماتلقى أيضا عن الاديب مولاي عبد الرحمن البوزاكارني وهو الذي اجرى ذكره في الرسالة التي كتبها الى الاستاذ علي بن عبد الله ، والمذكرناها اثناء ترجمة هذا الاستاذ ، وقدتقدم في فهمه ، وخالط مختلف الفنون ، وظهرت نجابته ، وان لم تصل درجة ابن عمه الحسين المتقدم ، وناهيك بمن اثنى عليه مولاي عبدالرحمن البوزاكارني ، وهم ان يرثيه لولاانه ترك الشعر ترك الظليم لاريكته ، والسقب لغرسه -كماقال- ، وقد سمعت انه انقطع عن القراءة بعد موت أبيه ، فذهب عمه الاستاذ بنفسه ، فاستدعى أمه وعاتبها على تخلفه عن قراءته مع نجابته الظاهرة ، فأبدى الاستاذ تاسفه الكثير عليه ، وذلك مايدل على نجابته التامة ، ولكنه ذهب من غير أن يترك آثارا ، أوتركها فجرفها ماجرف كثيرا من الاثار غيرها ، لان من عادة أصحابنا الالغيين سامحهم الله ، ان لايعتنوا الا بآثار من علامقامهم ، ولاحظتهم عين السعادة ، ونبذ ماسوى ذلك ظهريا ، فهذا وان كان يظهر لنا منه أنهم ممن يفرقون بين الفضة والقضة

فيوكلون على الاول ، وينبذون الثانية ، لكنه ماكان ينبغي ان يفرط في الآثار كيفما كانت ، فانها مادامت على اى صفة كانت ، تدل على صاحبها دلالة رسم القدم على القدم ، وان كنت حنفاء فهاانا اقنع من الآثار بكل ما وجد ، لا ننتقي منه ، ولاباس بالاقتصار على شيء قليل منتقى لامثال هؤلاء الذين ماتوا قبل ان يدركوا ، لينشط القارئ في مطالعته ، ولكننا ان فقدنا كل شيء ، فمن اى شيء ننتقي ؟ وماذا الذى نقدمه للقارئ كحجة في زعمنا ان فلانا نجيب ؟ فياله من جهل لمقادير الاشياء ، ومااقسى مايقاسيه المغرب أجمع من هذا التفريط في غالب ابنائه ، جبلة قائمة ، وعادة في البوادى والحواضر قديمة دائمة ، وخلق لايزول ، وشنشنة ابوا ان يتحولوا عنها ولبعض الالغيين :

لكنها كصرخة الوادي ... فاين من يصيخ في النادي ؟
لاريخنا غاض فلا جرعة ... تنقع منه غلة الصادي
ادى به الحال الى ان عفت ... طريقه لاسوق لا حادي
فلا قديم عندنا لا ولا ... مستحدث في يومنا الغادي
فاين من كانوا جها بذة ... من حاضر دمث ومن بادي ؟
واين ما كان لهم في الورى ... من خبر كالورد والجادي؟ (١)
قد اقبر الكل واخبارهم ... كانهم من طسم اوعاد
مع انهم من كثب درجوا ... من رائح أمس ومن غادي
لم نسوا في اليوم كلهم ... وذهبوا كصرخة الوادي

توفي المترجم بعد مرض غير طويل رحمه الله

١) الجادي : الزعفران

صالح بن احمد الصالحي

١٣-٩-١٣٠٦ هـ = ١٤-١٢-١٣٦٣ هـ

نسبه :

صالح بن أحمد بن الحاج عبدالله بن صالح بن عبدالله بن صالح بن عبدالله ابن احمد بن عبدالله بن سعيد

اخذ القرآن في قريته عن سيدى الحسين بن بلقاسم الاموكاديرى ، وسيدى سعيد بن عبدالمومن التاوييتي ، وهو من اقران سيدى محمد بن علي وسيدى البشير بن الطيب ، ولذلك اخاله أخذ ايضا عن سيدى مولود الصوابي، ويذكر أن الاول تخرج به ، وأنه مر تحت ايدى آخرين غير هؤلاء ، لم يسمهم، ثم اتصل بالاستاذ شيخنا سيدى عبد الله بن محمد في المدرسة (الايغشانية) سنة ١٣٢٠هـ ثم في سنة ١٣٢١هـ جاور في الالغية عند الاستاذ التاجارمونتي ، والاستاذ علي بن عبدالله الى سنة ١٣٢٦هـ فالتحق ايضا بشيخنا المذكور في (أداى) وكان من بين الطبقة التي يعنى بها اذذاك ، وكانت له نجابة كان بها اذذاك من الرعيل الاول في اقرانه ، ثم انتقل بانتقال شيخنا الى ايغشان سنة ١٣٢٨ هـ فلم يزل هناك الى سنة ١٣٣١هـ فراجع الالغية ، حيث بقي الى ان تخرج ، وزوجه ابوه بشقيقتنا فاطمة في ليلة ١٦-٥-١٣٣٧ هـ فاقبل على ادارة شؤون الاسرة ، معينا لابيه الذى لم ينشب أن توفي ، كما ذكرنا ذلك في ترجمة صنوه عبدالله ابن احمد ، فكان هو اكبر الاخوة ، فحمل الضغث على الابالة ، فاعطى كليته لما هو بصدده ، وقد انقطع عن المجالس العلمية ، وكان تحصيله قبل انما هو وسط، ومداركه غير فسيحة ، وقد مر على كل الفنون مرارا ، فاتم الالفية والمختصر اكثر من مرة ، ولكنه حين أعرض عن ترويج علمه ، والمجاذبة حوله ، صار ظله يتقلص شيئا فشيئا ، حتى عاد الى حالة اخرى بعد طول السنين ، وقد اعان ايضا على هذا الانزواء أنه رجل واقف عند حده ، قانع بما تيسر من جميع النواحي فمدت هذه القناعة ذيلها أيضا على هذه الجهة ، وتبا لها من قناعة زجت به في المهالات .

عجبا ، انني ارى من كثير ممن تعلموا عندى بالتجربة ، ان من كان طلعة طامحا خفيف الروح ، نزاعا الى ان يسبق كل احد ، سرعان ماتاتيه النجابة فتسلمه راية التفوق ، واما من كان يميل الى الانزواء ، فيقنع، فكثيرا ما تسرى القناعة منه الى هذه الناحية ايضا ، فاذا به سكيت الميدان ، ومنبوذ الصدور،

ان اعجب فلاعجب من كل من كان ادرك وذاق العلو على الاقران ، ثم بعد ذلك ينفض يده مما حصله ، ثم يأوي الى زاوية، فيقبع فيها مع القابعين

اننى لارسل زفرة على كل من كان كذلك ، لانهم حرموا انفسهم ثم حرموا الامة من الانتفاع بهم ، وهذا صاحب الترجمة الذى له من أخلاقه الفاضلة ودينه المتين ، وصلاحه الظاهر ، ودماثة جانبه ، مالوكان مع تلك المعلومات التي حصلها في المدرسة ، لوقع به من النفع مالايستهان به ، من طل ان لم يكن وبلا

ان سيدى صالحا من خير طبقته دينا ومروءة وصلاحا ، فقد عرف بذلك عند كل احد ، وهو ذويد ظهرت فيها للمسترقين بركة ظاهرة ، فما مست يده داء الامسه شفاء، كما يحكي لى ، ولايكاد يجلس في داره لاستدعاء الناس اياه لذلك ، وحكوا ان جده سيدى الحاج عبدالله ، كان يقول ان صالحا هو وارثى فيما عندى ، فصدقه الله فى ذلك ، هذا مع تلاوة للقرآن ، وتواضع يزاول به كل شؤونه بيده ، وقد سمعت من العم ابراهيم يقول ، ما الرجل من طلبة الالغيين اليوم الا سيدى صالح ، فانه غير كسول ولامتكبر عن مزاولة شؤونه ، هذه كلها أخلاقه ، ولوكان لم يفرط فيما كان حصله من المعارف لكان بها مع هذه المزايا رجلا آخر علما وتدريسا .

آثاره

هاك قبصة من آثاره في أيام المدرسة ، حين كان يسابق أترابه ثم لايتخلف عن حلبتهم ، قبل أن يبدوله فيترك القلم ، ويغادر الدواة تذوب فيها ليقتها عليه حسرات .

من ذلك ماخاطب به قرينه سيدى محمد بن على في رسالة يستزيره :

ايا من هو الغوث المهيأ عدة   ويا من له كل الكمال بلاعد
لقد نال قلبى فى البعاد وشدة اشـ   ـتياق مقاما لايطاق من البعد
فعطفا علينا بالوصال ورفده   فانت اخ يولى الجميل مع الرفد

فاجابه المخاطب :

سلام كما قد فاح غب الحيا الند   نسيم ذكت انفاسه بشذا الورد
على بدر افق المجد والعلم صالح بـ   ـن احمد من قد لاح فى مطلع السعد
فلازال يسعى في اقتناء شوارد الـ   ـعلوم الى ان يرتقى ذروة المجد
فانى سآتيكم كما تبتغونه   بنفسى بالوصل الجميل وبالرفد

وكتب اليه هذا الاخير [illegible] بالمدرسة مع انه استلبثه

الى ان يرجع اليه :

ايا صالح ماذا فعلت الم اكن   امرتك امرا قد خرجت لدفعه
امرتك بالبقيا ببيتى فخنتنى   مخالفة والمرء يجنى بطبعه

فاجابه سيدى صالح :

فلاتنسبنى للجناية يا أخى   فكل فتى يجنى على قدر طبعه
قصدى لدى تركى لبيتك ان ترى   بانى أيضا من يسر بربعه
(نزعت الى التخفيف عنك وانت قد   نويت سوى والكل يجزى بنزعه)

والبيت الثالث من اقوال بعض الالغيين ، أجاز به بيتى سيدى صالح.

حل الوفد الافرانى مرة بالغ ، فتسابق ادباؤه في الترحيب به على العادة فقال هو من بينهم :

اهلا بمن قد شرفوا حصن العلا   واتخذوه وطنا ونزلا
وطولوا بشاءه تفضلا   وبالقوافي حسنه تبجلا
فصار ملكا لهم بلا ولا   يضفون فيه انعما بين الملا
فعلمهم عم القرى والجبلا   فدافعوا عن كل سوسنا البلا
فاوفدوا مصباحه والفتلا   اضفوا علينا بالوصال الحللا
وكثروا مددا لنقبلا   أزكى السلام دائما مكللا
عليكم او كسحاب هطلا

فاجابه رئيس الوفد شيخنا سيدى الطاهر الذى كان دائما بصدد الاجابة فى كل وفادة لاى قطعة قيلت في الترحيب به وبمن معه :

هذا نظام رق معنى وحلا   ذوقا وراق مجتنى ومجتلى
ابداه فكر صالح لما اعتلى   بالهمة القعساء آفاق العلا
فكر سقاه نهلا وعللا   غيث الحجا لما انهمى وانهملا
لازال يرقى في المكارم الى   ان يغتدى في الفضل بدرا أكملا
مكتسبا من العلوم خللا   ومدركا منها مدى ما املا

وخاطبه أيضا في بعض وفاداته :

ايا طالما على الاحبة كالنجم   ويافائقا في الدين والرشد والعلم
ورافع رايات الهداية والتقى   ومسدى احسان مع البسط والحلم
لقد حزت خصل السبق في كل مفخر   وصنت فؤاد المجد من وصمة الثلم
لقد نشأت لى من وصالك هزة   كما اهتزت الامواج من وسط اليم
عليك مدى الازمان شيخى تحية   معطرة الربا لدى كل ذى شم

ولم نقف على جوابها

وقال يخاطبه ويرحب به بين ادباء الغ في احدى الوفادات :

اهلا بمن سادوا ونالوا رفعة   عند الاله فذكرهم يدنى الارب
اهلا بمن خضع الانام لفضلهم   فى العصر فارتفعوا بالسنة الادب
فبعلمكم رفع الحجاب عن الحجا   وبطبكم تشفى القلوب من الوصب
فملكتم منا القلوب جميعهـــا   وسكنتم بالطـوع فيها والغـلـب
كم من ذوى خطل هديتم بالهدى   وأبنتم لهم السبيل وما وجب
ما الفخر الا بالتواصل معكم   وهو المنى لعبيدكم وهو الطلب
فيحق لشيخكم التجاني الرضا   الا تفضلتم بما ينسى التعب
وهو الدعاء المستجاب لديكم   ما نيل من أيديكم كل الرغب

فاجابه الاستاذ شيخنا سيدى الطاهر الافراني :

يا صالح يابن الافاضل الادب   يـا من دعا صعب المعالى فانتدب
واقبل خريدتك التى قلدتهـــا   عقد الكلام الحر لا عقد الذهب
ولك على باع وذهن قابس   بيد القريحة كـل معنى مقتضب
فاحرص ولا تخلد الى ارض الونى   فالعلم آفته الفتور عن الطلب
لازالت الشوس الصعاب من العلا   تاتى اليك اذا دنوت بلا تعب

وله ايضا مقطعة لامية يخاطبه بها مطلعها :

قد لاح وافد منزل السعد الـذى   عرفت منازله ورفعـة فضله

ومطلع جواب الاستاذ :

يا صالح يا من اقر بفضله   من لم يغط الغمط صفحة نبله

وقال ايضا وقد زاره صاحباه سيدى عبدالله بن مسعود التيبيـــوتى والاديب سيدى محمد بن الحسين البعمراني بوكرع

اهلا بمن بخطاهم فرح البشر   وتحفلت بثناء نحـوهم الفكر
بشرتنى بوصالهم يا مخبرى   فلا تنعش قلبا كما انتعش البصر

وله بيت مفرد

المرء لابد لـــه من الـوفا   لا سيما ان كان مع اهل الصفا

وذيله بعض الالغيين

من لم يكن يفى لاهل وده   فقربه من الورى كبعده
وانما المرء الوفـاء فانظرا   اين يرى قدره ما بين الورى

وقال ايضا :

وكل رزء اذا لاقيته جلـل   الا معاندة المحبوب بالمحـن
كذوق ويلا عظيما ان يزر وطنا   وانت فيه ولم يعج الى الوطن

ولسيدى صالح ابيات ومقطعات يخاطب بها أقرانه اذذاك موجودة فـى (جوف الفرى) وقد وقفت على مقطعة أجاب بها شيخنا محمد بن الطاهر عـن مقطعة له مطلعها :

ابرق لاح كالثغر البسيم   ام الريحان فاح مع النسيم

الى آخرها

وهناك مقطعات أخرى خاطبه بها ، هو وقريناه سيدى محمد بن على ، وسيدى عبدالله بن مسعود التيبيوتى ، وكذلك مقطعات اخرى لشيخنا الاستاذ سيدى الطاهر ، مطلع احداها :

يا روضة صافحتها الريح غب ندا   وغرد الطير فى افنانها وشدا

ومطلع الاخرى :

حسان العلا يهوى اللبيب عناقها   ولكن ما اغلى واسنى صداقها

وقد رايت مقطعات اخرى لهذا الاستاذ يجيبه فيها عن مخاطباته غير هذه فلا نكثرن بسوق ذلك هنا ، ولنكتف بهذا القدر خوف التطويل الممل

هذا هو سيدى صالح بن احمد الذى افتر عنه الدهر حينا، وبشر عنـــه يستقبل طافح بشرا ، ثم لم يلبث ان أعرض عن كل ذلك ، وكان امرالله قدرا مقدورا ، ولبعض الالغيين :

ومن لم يذاكر بالعلوم فانها   ستنسى وان كانت كبحر غطمطم
فمن لم يواصل سقى روضته ذوت   الى ان يصير الزهر ضمن المهشم

هذه زفرات تخرج من صدرى بغير شعور لغيرتى على العلم واهله ، وان كانت حكمة الله التى أومن بها فى كل مافعل ، ظاهرة الآثار فى كل مايجول فيه عقل الانسان .

وله مع اختنا اولاد ذكورا واناثا ، فاما الذكور فمحمد المولود فى رمضان سنة ١٣٤١هـ واحمد المولود اواسط رجب ١٣٥٣هـ وابراهيم المولود نحو ١٣٦١هـ وقد كبر الجميع فكانوا رجالا اليوم ١٣٨٠هـ) واما البنات فثلاث : عائشة ماتت بكرا ، ثم فاطمة ، اقترن الاستاذ الطاهر بن على بها ، ثم ماتت ايضا ، ثم اختها بتول وهى الحية منهن الآن ولها ولد، ثم ان المترجم كان فى (أداى) ، فى ذى القعدة ١٣٦٣ فالم به مرض شديد ، حمل به الى الغ فى ذى الحجة ، فاصبح فيه يوم العيد الاكبر ، وبعده بثلاثة ايام توفى على حالة حسنة يغبط عليها وذلك فى الخميس ـ١٤ـ من ذى الحجة   رحمه الله وغفر لنا وله .

سيدى احمد بن محمد التهالى

١٣٢٢ ﻫ = ١٧ـ١١ـ١٣٦٥ ﻫ

نسبه :

احمد بن محمد بن عبد الله بن احمد بن أحمد بن عبدالله بـن سليمان ابن عبدالله بن احمد بن عبدالله بن سعيد

اخذ القرآن عن سيدى ابراهيم الفقير ، وعن سيدى ابراهيم البعقيليين، وعن سيدى محمد بن محمد السملالى اخى سيدى عبدالله فقيه سملالةاليوم ، وسيدى محمد هذا شارط اليوم ١٣٥٧ﻫ في (تازيمامت) ، فبهؤلاء حفظ القرآن وتخرج ، ثم افتتح في المدرسة السعيدية الاخصاصية ١٣٣٤ﻫ عند شيخنا سيدى عبدالله بن محمد ، ثم انقطع الى المدرسة الالغية ، فتدرب بسيدى على بن صالح الاوفقيرى ، وقد كان اذذاك يلقى دروسا فـي المـدرسة بعـد خـروج الاستاذ التاجارمونتى ، ثم اخذ عن الاستاذ سيدى أحمد بـن محمد اليزيدى ، وسيدى المدنى ، ووالده الاستاذ الكبير عميد المدرسة، فمر على كل الفنون وحصل تحصيلا لاباس به ، ولازم داره من هذه السنة الى ١٣٤٥ﻫ ثم التحق بخاله الفقيه سيدى الحسن التياسيتنى فى مسجد (أكرض) بتامانارت ، ثم بالمدرسة الايمورية ،وبها اذذاك سيدى احمد بن صالح الافرانى ، كان يتعاطى هناك بعض الدروس،فاخذ عنه ايضا ، وفى سنة ـ١٣٤٩هـ شارط في تـلـك المدرسة الاستاذ سيدى الطاهر بن على ، واحسبه اخذ عنه قليلا اذذاك

ثم شارط فى مسجد (ايتاوحامو) بتاجارمونـت ، سنتين ، ثـم فـي مسجد (تاكنزا) اربعا ، وقد غادره فى شعبان ، ١٣٥٦ﻫ ثم فى رمضان سافر الى حاحة فشارط عند سيدى عمر امغار فى (أيتأمر) فى قرية (تيكزيرين) ، ككاتب عنده ، وقد أخبرت انه قال للاستاذ سيدى محمد بن أحمد كاتب أخيه القائد سعيد بمركز (تمنار) ، انكم ياآل سوس عندكم علم كثير ، وقد اعجبنى هذا الاستاذ الذى شارطته من كل جهة ، الا انكم لاتعتنون بتجويد الخط ، ونحـن الحاحيين عندنا الخط ولا علم عندنا ، وهى والله كلمة حق لاغبار عليها ومن شك فليجعل عينه فى وجه هذه الصفحة التى خرمشتها بهذا الذى اسميه خطا ، وليس من الخط فى شئ ، وقد قال فى ذلك بعض الالغيين : بيتين ناتى بهما وان كانا ركيكين ، فيلتحق الخط الركيك بالشعر الركيك

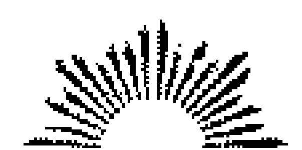
الخط حلى العالم النحرير   فيه دعامة علمه المشهور

من فاته خط ابن مقلة فليسل   منه ابن مقلة عينه بغزيـر

واصحاب الخط الجميل من الالغيين ، الاستاذان : سيدى محمد بن عبدالله، وصنوه على ، وشيخنا عبدالله بن محمد ، والاستاذ سيدى عبدالله بن ابراهيم، والاخ سيدى محمد ، والاخ سيدى عبدالله ، وأما سواهم فخطوطهم الى الرداءة اقرب ، وان كانت متفاوتة في الرداءة •

* * *

ولم اقف لصاحب الترجمة على ما يستحق الاثبات مع انه من النجباء ،وقد ادركه أجله بعد مرض فى السابع عشر من ذى القعدة عام ١٣٦٥ ﻫ فعاش خاملا ومات خاملا •



الاخ احمد ابن الشيخ الوالد

١٥-٩-١٣١٥ ه = ٩-٥-١٣٥٦ ه =

نسبه :

احمد بن علي بن احمد بن محمد بن احمد بن محمد بن سعيد بن محمد بن احمد ابن عبدالله بن سعيد .

آه أيها الاخ الصديق آه ، فبين عيني كان التراب أمس يهال عليك وانا انظر اليك ببصر حاد ، غمرته الدموع المترقرقة بين الجفون ، وانت ممتد في تلك الحفرة الطويلة بلاحركة كنت أعتادها منك ، ثم لم أزل واقفا وانا اتبع شخصك بعيني وهو يغيب شيئا فشيئا ، حتى غابت آخر لمعة بيضاء من كفنك ، وقد سويت الاحجار ، واقبل العملة يجرفون التراب بالمساحي عليها

زفرت زفرة يعلم الله ما أحس به أثناءها من الالم الممض ، تتآكل به جوانحي ويذوب به فؤادي ، ثم قلت أ أفترق انا واخي المؤنس الوحيد بالغ افتراقا ابديا؟ أهكذا يولي وجهه لتلك الحياة الاخرى ، وأبقى أنا في هذه الحياة كالحديدة المحماة بين السندان والمطرقة ، ؟ فمن ذا الذي يمسح عن صدري همومه ؟ او من ذا الذي يراعيني ويراعي غربتي هذه ، ويحول ما استطاع بيني وبين ان اقضي بنكد هذا الاغتراب أسى واسفا ؟

قد كنت لي صديقا قبل ان تكون لي أخا ، ومتى كانت الاخوة ، او كانت لها حلاوة ، اذا تخطتها الصداقة بين الاخوين ؟ تربينا معا ، ونبتنا معا كما تنبت الشعبتان من وشيجة واحدة ، فتصاحبنا دائما مصاحبة من لاتختلف أنظارهما، ولايجد الخلاف اليهما من سبيل ، فكنا في فجر حياتنا متصلين دائما في دارنا، وفي المكاتب التي ناخذ منها القرآن ، ثم في بعض المدارس العلمية ، ثم حاول الدهر أن يضرب مابيننا ضرباته ، ولكنه لم يجد الى قلوبنا ما وجده الى جسومنا، فهذا ربع قرن منذ ١٣٣٠ ه وقد توجهت الى وجهة وتوجهت ياأخي الى وجهة اخرى ، ولكننا كلما التقينا امتزجنا امتزاج الماء بالراح ، والارواح بالاشباح فتفضي الى بذات نفسك ، وافضي اليك بمافي دخيلتي ، فكنا نتكاشف دائما بيننا ونحن كبار ، كما كنا نتناجى ونحن صبية أغرار ، فما تكاد خطرة تلم بنفوسنا ، حتى تتلقفها السنتنا ، فتصل من قلب احدنا الى قلب آخر ، وكل من يرانا لايحسب الا اننا معا على غرار واحد نشاطا ومرحا واريحية

كنت تزورني ياأخي بالحمراء ، فكنت تغمرني بنكاتك ، واحاديثك الحلوة، واضحوكاتك المعسولة ، فكنت تستولي على رسني ، فتديرني كيف تشاء ، ثم لاتفارقني حتى احس بانني افارق شعبة من شعب قلبي ، ثم لا أسترجعها الا يوم ترجعك لي ايضا الايام ، ثم لما قلب لي الدهر ظهر المجن ، وبدا له أن يرجلني بعد ان اركبني تحملت معي من كارثتي ماالله أعلم به ، ولكنك مع ذلك حريص على أن تظهر لي باستهانة ماوقع ، لعلك تجد بذلك منفذا لتسليتي ، ومدخلا تدخل الي منه بانس وبهجة ، فصرت تثر علي دائما باحاديثك ، وبوقائعك وبصفحات حياتك ، ثرة الماء الثجاج ، من منبع عين تتدفق من سفح جبل عال

آه ما انس لاانس تلك العشايا التي يرى الناس في الغ شخصينا متلازمين في مهبطنا الى البستان ، أو مطلعنا منه ، وانا اتلقى منك ياأخي دروسا قيمة عن الهياة الاجتماعية الالغية ، فتنير لي طريقا لهجت بالسير فيها منذ وصلت الى الغ، ثم رايتني أربح بالقلم ماكنت تظل الغداة على بلسانك في ذكره ، فكنت ترى ذلك ، فلايعجبك نسقه ، لانه اخلاط امشاج فقلت لي في عشية في اول ربيع الاول، ان كنت لابد كاتبا فضع لنا تاريخا الغيا منظما يكون حظنا من علمك ، الذي نرى كل المغرب يبكي عليك اليوم بسببه ، فاننا اولى من ينتفع من ورائك بعلمك ، ان كان وراء علمك انتفاع . لعله يكون لالغ كتاب خاص كالكتاب المعروف عن (تيمكيدشت)

كنت ياأخي بتلك القولة سببا لهذا التاريخ الذي انتفع به الالغيون حقا، وسيتضاعف -ان شاء الله- انتفاعهم به بتطاول الازمنة ، وتقلب الاعصار . يوم يدرك قراء (المعسول) أن ما فيه يكاد ينمحي من الوجود لولاه .

آه عليك ياأخي ، من ذا الذي يحترمني بعدك ذلك الاحترام الكبير؟ فيقدمني الى كل شرف ، ويتجافى لي عن صدر كل مجلس ، ويعطر ذكرى دائما بثنائه العطر ، فقد عدمتك اليوم ، وعدمت من كان يقوم لي بماكنت تقوم لي به ، ومتى عدم الانسان من يعرف له قدرا - وان لم يكن له قدر - فانه يكاد يعدم الحياة.

رحمك الله يارفيق شبيبتي ، ومؤنس غربتي ، ففي هذا اليوم من هذا الشهر حقا ابتدات الغربة الالغية الحقيقية ، لا من اربعة اشهر كما كنت أتوهم قبل مفترا ، مع أنني وجدت منك من يجبر الصدع على قدر جهده ، ويفتاعني بمؤانسته الاحزان ، ويدراعني انقضاض الرزايا بوساوسها المرمضة ويفتح لي أبواب جيبه ، ومغاليق بشاشته ، بعد ان اصبحت في الغ نائيا ، صفر الكف ، منفردا في جو مكفهر ، تساورني فيه من الهموم والاشجان رقش في أنيابها السم الناقع (١) .

١) قال النابغة الذبياني

فبت كأني ساورتني ضئيلة   من الرقش في أنيابها السم ناقع

اليوم تركتني وحيدا ، لاصديق اليه مشتكى حزني ، ولاأنيس اليه لوكنت اجدل في الغ منتهى جدل . فهاأنذا منهذه الليلة اللقى من صدمات الغربة ، ومن شآبيب الهموم مايرخى على عزاليه ، ويصب على شآبيبه ، فاتململ فوق فراشى حتى أتمنى اليوم انلوتيسر لىالتوسد على الجانب الايمن ، كما تتوسد فى حفرتك تلك امس .

هاأنذا ياأخى تستريح من وعثاء الحياة الاولى ، وتعرض عماكنت أيضا تشتكى منه دائما بدورك ، فقد انتقلت الى جوار رب كريم ، فغادرت المختار المسكين الغريب، المرزوء فى نكبات وأنكاد،وغربة وضيق يترنح ترنحالمبطوح بينايدى الجلاوزة الاشداء ، وهم يختلفون عليه بالاسواط ، أربعةأربعة ، فليت شعرى متى يفرج الله عن أخيك مماهو فيه ، فيراجع نعماء الحياة بين أحباب هم منى بمنزلة السويداء من القلب ، فى بلد عهدت منه ماعهدت ، او انسى الحمراء ؟ انى اذن لبليد الطبع ، جامد العاطفة :

بلد صحبت به الشبيبة والصبا ولبست ثوب العمر وهو جديد
فاذا تمثل فى الضمير رايتـه وعليه أغصان الشباب تميد

مطلب إبان التعلم

كان رحمه الله ممن صلد زنده فى المعلومات ، وممن كبا جواده فى اول الميدان ، حتى ان القرءان الذى حصله فى مبدا عمره ، طار عنـه استحضاره كثيرمنا بعد انأتقناه جميعا تجويدا ، وكذلك جاور فى المدارس ما جـاور ، ولكن همته فاترة فى الاخذ ، فأصبح ممن لايعد فى الزائرين للمدارس مـن اماليينا ، وقد ذكرناه لرياسته التى أدركها فى عصر القبائل يوم تتموج دفاعا عن جزولة فى نحر الاحتلال ، ولماأدركه ثانيا بعد الاحتلال من كونه رديف اخينا الاكبر يوم ابتليا رسميا برياسة قبيلتنا آلعبدالله بنسعيد، ولكنه مع عدم ورى زنده فيما أخذه ، نلم بذلك لتعرف حياته كماهى ، فانه ـوالحق يقالـ اولى بالذكر منكثير من اولئك الادباء والفقهاء المذكورين الذين لو تخطاهم ذلك الوصف ، لاصبحوا نكرة لاتتعرف ، فغالبهم خال من مميزات غير ماذكرناه لهم يستحقون بها أن يطلعوا فى سموات التاريخ ، ولكن مع ذلك كفاهم الادب والعلم شرفا ، فان مناوتى ادبا أوعلما فقد أوتى وساما يكفيه زينة فى مصاف التاريخ، وان كان خاملا ، وأما صاحب الترجمة فله مزايا عظيمة سترى منها نبذة فـى الذى امامك

افتتح حروف الهجاء عند الوالدة رقية بنت محمد بن العربـى أستاذة الدار ، حتى اتم عندها حزب (سبح) ، وفى سنة ١٣٢٠ هـ ارسله الوالد الى جده سيدى عبد الله بن القاضى فى (الافراوتن) من قبيلة املن ، وفىآخر ١٣٢١هـ

اواول التى تليها التحق بالاستاذ سيدى ابراهيم بن الحاج الرسموكى بمسجد (بوكورة) برسموكة ، وفى سنة ١٣٢٤هـ رده الوالد الى الزاوية مع هذاالاستاذ الذى لم يلبث انذهب فاتى الوالد بسيدى عبدالله الاكمارى ، فـكـنا اذذاك منتظمين فى القراءة عليه ، وكنت مع هؤلاء الاخوة بعد انأخذت عن الوالـدة لوحزبين ، وشيئاقليلا عن سيدى بلقاسم البوزياوى فلازمناجميعا الاكمارى الى سنة ١٣٢٦هـ فارسل الوالد صاحب الترجمة الى قرية (المحجوب) برسموكة وقدشارط فيهاسيدى ابراهيم بنالحاج المتقدم وفى أول ١٣٢٧هـ أرسلـنـى الوالد معه الى (العركوب) عند شيخنا سيدى عيسى الاكمارى ، فبقينا هنـاك الربيع الثانى ، فردنى الى الزاوية عند سيدى عبد الله الاكمارى ، فأرسله هو الى (افريان) بهشتوكة عند سيدى ابراهيم بن الحاج ، ثمالحقنـى به فى اواسط تلك السنة ١٣٢٧ هـ فبقينا هناك الى رمضان ـ ١٣٢٨ هـ ـ فمر بنـا والدنا فاتى بنا الى الزاوية، عند سيدى أحمد السكتانى ، فلم ينشب الوالد انمات ، وفى أواخر ١٣٢٩هـ اتصلنا معا بالمدرسة الايغشانية ، ولكنه هوفى اواسط ١٣٣٠هـ أو فى اوائلها انتقل الى بونعمان ، فافترقنا منذ ذلك الحين، ثم التحقت أيضا به ببونعمان سنة ١٣٣١هـ شهورا ثمانزلت رحلى فى (افران) فلازمهو (بونعمان)سادرالاهيا ، وغرارةالصباتفعلأفعالها ، والفقراء متوافرون والتعظيم والاحترام والاجلال تنهال عليه منهم انهيالا

غادر التعلم إلى مكافحة الاستعمار

فىسنة ١٣٣٣ هـ اوفى التى بعدها ، غادر المدرسة البونعمانية ، لان ابن دهان حينئذ مد يديه الى كل من كان من قبائل الجبال يلقيهم فى السجـون، فخيف عليه فانتقل الى الغ ، فكان ذلك آخر عهده بالمدرسة ، ثم جال جـولـة مع الفقراء سياحة ، على عادة اولاد المشايخ الذين يظنون ان التظاهر باحوال ابائهم يكفيهم ، وقد كان يمكن أن يتهذب بأصحاب الشيخ اذذاك ، ولكنه لم يخلق للتصوف ، فلم يلبث أن انتشب فىمجامع القبائـل المجاهـدة اذذاك ، فكان اولا يصاحب كبكبة من آيت على المجاطيين ، فكان معهم على فرس فـى (وجان) يوم وقعة حيدة ، ثمفى (أيت بعمران) يوم الفتك بحيدة ويوم الاصطدام بالحملة الجنرالية ، كان متوجها اليها ، وقد تأخر فصادفه الخبر فى الطريق كما سيرويه هو بنفسه ، ويوم انكف الاخ الاكبر عنمجامع القبائل كماذكرناه فى ترجمته لازمها هو ، فبرز بروزا كبيرا حتى كان يحسب له حساب بعدان صار اولا يقبل فى ذلك ويدبرفقط ، وكان شانه اولا فى ذلك ضئيلا ، ثم لـم يزل يشب ويضمع حتى صارله شان بين رؤساء القبائل، وصار له اعوان .فكان يورد ويصدر ، ومتجهه غير متجه القائد المدنى ، بل يتجه الى وجهة آيت عـلى المجاطيين ، وبعض البعمرانيين ، احدى كفتى تلك القبائل اذذاك .

كثيرا ما يحدثني بتفاصيل عما كان لاقاه في ذلك وماشاهده ، وكنت اذذاك مهتما ان اجمع في ذلك مذكرات ، فابتدائها في جزء خاص من كتاب (من افواه الرجال)، ولكني اشتغلت في مبدا حياته باستطرادات كثيرة ، وكنت احسب ان الحبل يمتد لي حتى استشف كل ماعنده ، ولكن جاء الدهر معاكسا ، فلم نشعر حتى مرض سبعة أيام ، فاذا به من المرموسين ، وهذه عقبى التراخي دائما ، فلاسق الآن بعض ما استحضره مما يحدث به اجمالا لا تفصيلا، لان ذلك لواراده الله لاحياه حتى نكتبه عنه بتثبت ، كما يحتاجه التفصيل بالتتابع .

قال لم احضر صبيحة الفتك بحيدة في نفس الوقت ، لاننا بتنا في بعيد، فاسرعنا حين سمعنا البارود ، وهزيم الرصاص ، فوجدنا القائد المذتي واقفا بعيدا من المعركة ، لان من عادته أن يكون من نظارة الحرب ، لامن ارباب الطعن والضرب ، ففي الحين اقبل الناس على جمع الغنائم ، فشاهدنا ما شاهدنا من الاثاث والبهائم والفساطيط والسلاح ، والناس من عزبز ، فكم رجل كان سالبا اذابه عاد مسلوبا ، والملاحقون المتاخرون ينقضون على الاولين ، فينتهبون ماكانوا غنموه قبلهم ، قال ، واماانا ومن معي الذين نفرح بالسلامة من المرابطين الذين يحتجون بان ذلك حرام ، حين لايجدون اليه -لضعفهم- من سبيل ، فاننا وقفنا في ناحية حتى انفض الجمع ، وكان ماكان ، وكان يوم الفتك بالقائد حيدة صبيحة -١٣-٣-١٣٣٥ه في محل يسمى (ادواوسار) بالحصن الاحمر -اكادير زكاغن- ، وقد كان قبل ذلك الحين نحو سنة ١٣٣٤هـ قد زحف زحفا هائلا وصل به قبيلة الاخصاص ، فصالحه هنالك مبارك ابوالطعام الرخاوي، وقد حارب اذذاك في (وجان) ولكنه لم يغن شيئا ، وفي ٣-٣-١٣٣٥ه دخل تزنيت ايضا ، فزحف فلاقى ماقدر له ، ووجدت بخط بعضهم أن الذي انتهب من البغال والجمال فوق -٧٠٠ ومن الخيل ٤٨٠- وأما الاثاث فلم يدرك عدده، وهو كثير جدا ، لانه ساق أمامه كل رؤساء قبائل راس الوادي ، وهشتوكة، والازغاريين ، ولم ينج من أثاث الجميع شيء، وكثير منهم ترجلوا في تلك الشعبة من وادي (ايكالفن) فنجوا بأرواحهم ، وقدمات منهم من مات ، ولم تقف الهزيمة الا في تزنيت عشية ، هذا ماصار الى عن الواقعة باختصار عن لسان المترجم

وحدث ايضا عن يوم الاصطدام بالحملة الجنرالية ، قال كان اخي محمد ذهب قبلي ، فبقيت انا في البلد ، وفي يوم قلنا ان الزاد ربما يتوقفون عليه، فذهبت مع ابن عمتنا سيدي محمد بن بلقاسم ، والد الاستاذ سيدي بلقاسم ، والناس كلهم انحشروا الى تلك الجهة، حتى اننا لم نلتق باحد من الغ الى مدرسة(ايت رخا) حيث بتنا ، فهناك صرنا نسمع ان الواقعة قدوقعت ، فصار النساء يتحدثن بانهن يسمعن المدافع بكثرة من الصباح بكرة ، قال وكانت هذه الحملة حملة هائلة، قدحشدت فيها الحكومة اكثر من عشرين الفا من الجنود المنظمة ، وفيها كثير من القواد الكبار ، كالحاج التهامي الكلاوي والحاج عماد بن حيدة ، والحاج الطيب

الكنتافي ، وقواد حاحة كلهم ، وقواد راس الوادي ، والخليفة ابو السلام المتوكي ، فجاء اولئك كلهم بنظام ، لم يشاهد الناس مثله ، قلت وقد صحح بعضهم ان عدد الجند المنظم -٢١- الفا ، ومعهم -٣٦- مدفعا كبيرا ، ممايمكن ان يجر ، والمترايوزات الكبار اكثر من عشرات والبغال ٧٠٠ والجمال ٥٠٠٠ ويدفع لهذا الجند المنظم كل يوم ثلاثون ثورا ، وقد احتل هذا الجيش تزنيت يوم الجمعة -٢٢-٥-١٣٣٥ه فبقي هناك أسبوعا ، ثم نظم القواد في جهات ازغار، فالحاحيون في قرية (الارجام) ، وهي مسورة قبل ذلك الحين حصينة، وفيهم القائد الحاحي المسمى السيد الملقب اكيدر، الرجل الذي يذكر بخير، ثم وقعت الحرب في (وجان) صبيحة يوم السبت -١-جمادى الثانية ، فوقع ماوقع هناك بوجان ، حيث هلك من مجاط خاصة نحو -٨٠-قتيلا ، ونحو ذلك من الجرحى ، ووقع مثل ذلك في الولتيتيين ثم هرب هؤلاء عن وجان ، فاحتلته جيوش الحكومة، ويقال انه هلك من الجيش الحكومي -٤٣٣-قتيلا ، واطلق الجيش الزاحف ذلك النهار نحو -٢٠٠٠-قنبرة ، ومكث هناك المحتلون سبعة ايام ، ثم آبوا الى تزنيت في يوم -١٥-٦-١٣٣٥ه بعد ان باتت محلتهم ازاء (تالعنت) وذلك بعدما صالحهم الرئيس الولتيتي الشيخ احمد الامازري عن الولتيتيين ، فكان ذلك سبب اهلاكه فتكاعن قريب من هذا الوقت ، وفي هذا الحين وصل الحاج التهامي الكلاوي، فبادأ المخابرة مع من بالاخصاص ومجاط وايت بعمران يقول لهم ان الحكومة لاغرض لها الا استرجاع تلك المدافع التي غنمت عندكم يوم قتل حيدة ، والحكومة ترى بقاءها عندكم غضاضة لاترضى بها فلاقى الحاج التهامي مع بعض الناس فأفضى اليه بهذا ، فقال له اذهبوا وتشاوروا بينكم ، فالاولى أن تقدموا هذه المدافع ، فيرجع الجيش وترجع السيوف الى اغمادها والا فانتم تعلمون قبل غيركم أنكم لاتقدرون على مدافعة ماأتى اليكم، فواعدوه اسبوعا لينظروا في ذلك ، فابى غالب الناس ، ورأى أمغار سعيد البعمراني وبعض القليلين أن ذلك هو اولى، وأن هذه المدافع لاتفيد شيئا، لانه لااحد يعلم كيف يرمى بها ، ولكن قولهم لم يسمع ، فانتظر رؤساء الجيش بزنيت ماانتظروا ، حتى اذالم يرفع اليهم جواب ، قاموا للزحف ، وقد امر السيد ابوالسلام الخليفة المتوكي أن ينزل بمخرم (ميرغت) ليكون هنالك ردئية ولم يؤمر بمباشرة اي حرب ، فكان معسكره كانه سوق يوم السلم، يتبايع المرطاويون فيه ويشترون ، وكذلك الاخصاص ، فما لاقى كيدا ولاحربا ، ولالاقي منه اذى .

زحفت المحلة من (تزنيت) فنزلت يوم الثلاثاء-١٩-٦-١٣٣٥ ه ببونعمان وفي اثناء الليل تسلقت الجيوش الجبال ، فنووشت بحرب من نواحيها ،ولكن سرعان ماانهزم المناوشون ، وقد اصلتهم نيران المدافع نارا لاتطاق ، فسقط من المنهزمين امام (تيزي) -١٨- ومن الخيل -٢١- وسقط أيضا من الجيش

الزاحف قتل ، يقال ان عددهم –١١٥– وقد حمل ذلك النهار الساحليون حملة شعواء ، لكنها حصدت بالقنابر والرصاص ، فنزل الجيش عشية ذلك اليوم بقرية (اونفوس) ثم بكرت فى (ايسك) ازاء مشهد سيدى ابى ابراهيم الشهير، فاجفل جميع الناس امامها ، حتى بقيت المحلة لايقابلها وجها لوجه فى تلك الايام احد ، فاشتغلت بجر تلك المدافع من بيرالقيت فيها ، حفرلها من بعيد، حتى أمكن جرها من الاعماق ، ثم فى يوم الثلاثاء –٢٤– من الشهر ، قامت المحلة تنسحب بنظام ، وقد استدارت عن يسارها ، وقد بكرت عند السحر ، والناس متفرقون فى القرى بياتا ، فطارت طلقتا البارود مثنى من الحرس الذين يحرسون الناس دون العدو فاهرع الناس مسرعين لمدافعته ، فكان يوم حرب عبوس قمطرير ، ظهرت فيه بسالة الحاضرين من الصحراويين وبعض البعمرانيين من تلك الجهة ، كما ظهرت أيضا شجاعة رجالات الجيش الحكومى من المسلمين المدجنين الذين فيها ، فقدبدت ذلك النهار من الحاج التهامى الكلاوى شجاعة نادرة ، وسمعت انه سقط تحته فرسان وانه خاض الحرب فى الصفوف الاول حتى كاد يقع فى يد المجاهدين ، وهذه بسالة منه قديمة، شهدله بها قرناء القائد الناجم والسيدادريس منو الباشا فيما كان يحدثنى بعقله ، مما تجد بعضه فى كتاب (حول مائدة الغداء)

هذا والجيش الحكومى ليس مقصوده الاالانسحاب الى وراء ، بعدان أدى المناورة التى يزعم انها وضعت على عاتقه من الاتصال بالمدافع ، فصار ينسحب بنظام والجبليون يرون انه انهزم منهم ، فيضرون على مصادمته ، ولكنهم سرعان ما يحصدون بالرصاص الذى كان كما حكى لى من حضر كالمطر المنهمر، ولم يبق وراء الجيش المنسحب جريح ولا ميت ، على العادة المعروفة فى الحرب النظامية ، فمازال هذا الانسحاب مستمرا حتى نزلت الفيالق من الثنية التى تشرف على مشهد سيدى بوعبدلى ، وزعم بعضهم ممن اعتنى بتقييد ماكان اذذاك، ان عدد القنابر التى قذفتها المدافع ذلك النهار –٦٠٠٠– وان القتلى من القبائل –٩٠– والخيل –٨٢– ومن الجيش الحكومى –٢٨٥– قتيلا ، ومن الخيل ٧٠ هذا مازعم ، ولاادرى من أين يتوصل بالاخبار المدققة عمن مات من الجيش الحكومى ، مع ان ذلك عادة ممايحيط به التكتم ، وهذه ليلة الاربعاء وقد نزل الجيش ايضا فى (بونعمان) وفى الخميس نزل بتالعينت عشر ليالى . فرجعت ايضا المخابرة على ايدى القواد الحاج التهامى ، والخليفة ابى السلام المتوكى، وامثالهما فطابت نفوس البعمرانيين والاخصاصيين والمجاطيين اذذاك للمصالحة بعدان عركوا تلك العركة الشديدة الوطأة ، وقد أدرك العقلاء منهم أن الحكومة لو ارادت الاستيلاء يومذاك على تلك الجهة كلها لسهل عليها الامر بعد أن طلعت الى اعالى البلاد ، ولكن الحكومة اذذاك فى الحرب الكبرى ، وهى تريد أن تحافظ على مابينها وبين اسبانيا التى ترى ان تلك الجهة هى نصيبها فى الجنوب

المغربى ، على أن فرنسا حقيقة ليس من خطتها اذذاك الاستيلاء التام على الاطلس الصغير ، لانها لاتدرى ماعسى ان تلاقى من هؤلاء المجاهدين الذين صمدوا امامها منذ سنين ، والحرب الكبرى اذذاك قائمة ففيها وحدها همها الكبير ، فلاتبالى بهذه الزاوية التى لاتعد شيئا مذكورا ، وفى استطاعتها أن ترجىء أمرها الى وقت يليق

قال الاخ فبعد ان تشاور رؤساء القبائل ، انتدب لملاقاة الحاج التهامى ومن معه ، القائد المدنى والقائد مبارك ، وعلى الايشلحينى ، والرئيس أحمد ابن الحاج ابراهيم الايغشانى ، وأمغار سيدى الحاج سعيد البعمرانى، وآخر معه من البعمرانيين ، أظن ان هؤلاء من عينهم لى الاخ رحمه الله ، فتلاقوا مع الحاج التهامى ، وانفصل الامر على ان يبقى كل واحد فى مكانه وفى حدوده ، الحكومة فيما تحتله ، والجبليون فى ترابهم ، وأن لايتعدى أحد على أحد فى أرضه وان يسير البيع والشراء كما كانا قبل ، فأعلنت الهدنة (١) بذلك ، فتم الامر فسار هذا الجيش الكثير الذى ملأ أرض بنى جرارة حتى نزل بتزنيت ، فبقى فيها ثلاثة ايام ثم أقلع يوم الجمعة ، فتوجه الى الحوز ، وذلك فى اليوم العاشر من رجب ١٣٣٥ وقد كان الاخ يوما آخر وصف لى يوم (وجان) هذا الذى مر فى هذه الحملة الكبيرة، فقال ان الناس كانوا كلهم قد ملأوا الاطراف فى التخوم على الحدود حينما سمعوا بهذا الزحف ، فكانت مجاط وأنا معهم فى (ايغيرملولن) ، حين نزل الجيش بتزنيت ، ولايدرى احد اين متوجهه ، والولتيتيون كلهم بوجان فى صبيحة صبحوا بالزحف ، فسمعنا القنابر فتجارينا كلنا الى (وجان)، فلقتنا رسل من هناك يستحثوننا فوصلنا وفينا كثير من الطلبة والعلماء كسيدى على بن عبد الله ، وسيدى الطاهر ، وسيدى ابراهيم بن صالح التازروالتى مع تلاميذ له ، وكل علماء ولتيتة ، كسيدى المحفوظ الادوزى ، قال فبقينا جميعا وراء الثنية التى تطل على (وجان) لان بعض مجاط السابقين راوا حين انحدروا فيها من القنابر عليهم وبلا منهمرا ، ومذبحة هائلة، فقد تركوا حتى توسطوا الثنية ، فارسلت اليهم القنابر تترى ، فسقط كثير منهم، وكان هؤلاء قد سبقونا ، فبقينا نحن وراء الثنية ، لانصيب ولانصاب الى أن دخل الليل ، وقد ظهر ممن بوجان من الجبليين صبر غريب ، فانهم ربضوا الى الارض ، وكانت المدافع توالى قنابرها حتى تظن ان الطريق قد مهدت ، فيزحف فيلق من الجند ، فيتركهم الجبليون حتى يقربوا منهم فيحصدونهم حصدا ، ثم ترجع عمليات القنابر ، وهكذا الى أن مضى النهار ، فانسحب الجيش الحكومى حتى ابتعد عن وجان ، لئلا يبيت ان قرب منه .

١) فى ترجمة القائد المدنى الاخصاصى تفاصيل عن هذا ، وهى فى (القسم الخامس) كما ذكر ذلك أيضا فى ترجمة الاستاذ سيدى محمد المانوزى فى (القسم الثانى)

جن الليل فذهب بعضنا الى (وجان) فدخلها واصبحه ذكر من بين هـؤلاء الداخلين ليلا الاستاذين على بن عبدالله وشيخنا الطاهر ، فوجدوا من بها عازمين على مغادرته ، لئلا يلاقوا ثاني يوم مالاقوه اولا ، فهكذا خرج كل من بوجان حتى لاانيس فيه ولاديار مع طلوع الفجر ، وفي تلك الليلة خرج الشيخ النعمة الى (ايتمرخا) وقد كان نزل هناك بدار القائد موسى منذ ـ١٤ـ١٢ـ١٣٣٠هـ حين اجلاء التزنيتيون عن (تزنيت) قال وقد كان الكنتافي قريب المنزل من وجان ربيئة للجيش الحكومي ، فوصله الخبر ليلا باخلاء وجـان ، فجاء عند السحر ونزل هو ومن معه في بعض الديار ، وكذلك القائد عياد الجرارى ممن معه ، فارسل الكنتافي الى الرئيس الاعلى يخبره بماوقع ، فكانت هذه المزية مماأهله الى ان يكون باشا تزنيت اربع سنوات وربما رشح لذلك قبل ، وعلى يده ايضا كما ان تم ماتم على يدالشيخ احمد الامازرى كما تقدم ، وهذه بعض التفاصيل التي تتعلق بهذه الحملة المشهورة عندنا بالجنرالية ، لان رئيسها الاعلى هو (الجنرال لاموط) ، وليس بقائد من القواد كما يعتاد الناس قبل من الجيوش، ولذلك اضافوا اليه هذه الحملة ، وقد استعنت في تفاصيلها زيادة على ما اخذته من الاخ بواسطة الى من مخطوطين لبعض المعتنين ، وقد ذكر احدهما انه كتب ذلك في ٢٩ـ رجب من تلك السنة ، فهو يخط مابين عينيه ، ولكنه يتجاوز المقول احيانا ، ولذلك قلما اعتمد من الارقام على مايقول الا اذا وافق الاستاذ الرفاوي فيما يذكره من هذه الحملة في مقدمة كتابه (روضة الافنان) وقد ... ذلك مع ما اشهر به الاخ ، فامكن ان نلقى ضوءا على ذلك الزحف الذي هو الاول من نوعه، وفي مقدمة كتاب (طاقة من ريحان) تفاصيل أيضا عن هذه الحملة

وكان صاحب الترجمة رحمه الله نسخة صحيحة مصححة من كل ماوقع في الدور الاول في هذه النواحي أيام المدافعة عن جزولة ، وكان استحضاره في ذلك قريبا ، ثم لم يزل في تلك المجامع الى ان مضت سنة ١٣٤٠هـ ، فتاتى له ما علا به كعبه ، وكان لكلمته شان ،وذلك أنه كان يختلف كثيرا الى الرؤساء (ايتاومرى) الزكريين وربما يقضي عندهم شهورا متوالية ، وكان التيبيوتي منذ ايام القائد حيدة من كبار أنصاره ، وممن ينضوون تحت ابطه ، ويحتلون القبائل باسمه ، فامتدت يده الى كثير من تلك القبائل الجبلية التي بجانبه ، فيمهدها للحكومة ويجعلها مجبى للاتاوات التي يواليها لمصالحه الخاصة ، والحكومة اذذاك لاتزال ترى أن الوقت لم يصل بعد لكبح هؤلاء القواد عن المغارم ومنعهم مما يالفونه من عهدهم القديم من نهب مافي ايدى الناس ، فكان التيبيوتي يجمع من ذلك ويوعي ، وحين كان الزكريون يجاورونه والكنسوسيون ،صار ينصب لهم الحبـال حتى يستميلهم اليه ، ويكفهم عن الانـدماج في القبائل الجنوبية ، المناصرة للهيبة ومن اليه ، القائمة بالحق الواجب في الدفاع عـن تلك الناحية ، ثم تاتى له ذلك في الكنسوسيين وراى أن يلاين الزكريين ، فصارت

قبيلة امغار عابد الزكرى هناك هي الحد الفاصل لنفوذ نظر الحكومة، وللقبائل الجنوبية ، ثم صاهره التيبيوتي ، فامن كل واحد منهما من صاحبه ، ولكـن الزكرى لم ينفض يده من هذه الجهة الجنوبية بعد • وكان أصحابه كثيرا مـا يردون على (كردوس) مركز الهيبة ومن معه ، وقد استنجد عابد مرة بهـذه القبائل في مشاكسة بينه وبين بعض جيرانه ، فذهب اليه الاخ أحمد بأصحابه المجاطيين ، ثم وصل الى داره مرة مربيه ربه خلف الهيبة ، مع كل القبائل التي معه ، وفيهم القائد المدني وامثاله ، وقد حكى لى بعضهم ان هذا القائد قال اذذاك لمربيه ربه ، ان طاب خاطرك فاننا سنفتك بهذا الانسان ـ يعنى عابدا الزكرى الذى تلقاهم بالفرح وانزلهم في داره واكرمهم ـ فتبقى انت على كل امواله فابى مربيه ربه من الغدر بكل شمم ـ وذلك هو شنشنة امثاله ـ فمن هنـا يعرف القارىء من هو القائد المدني سامحه الله ، ومن هو مربيه ربه واهله ، رحمهم الله واحيا ذكرهم

ثم توترت العلائق بين حمو بن بلقاسم رئيس قبيلة اداوكنسوس ، وبين التيبيوتي وقد اجلاه هذا عن داره

التجا حمو واصحابه رؤساء ايت عبلا الى احمد بن الحاج ابراهيم الايفشاني الالغي ، ليتوسط لهم عند القائد المدني ليزحف الى تلك الجهة فيفتك بالزكرى الذى له مع صهره التيبيوتي يد ، وقد أنعم بمال كثير ان تم هذا الامر ورجع الى داره ، وقد كانت يد الحاج حماد باشا (تارودانت) اذذاك تجول سرا مع الكنسوسي ضد التيبيوتي الذى يحسده على مركزه عند الحكومة ، فانمى الحاج حماد سرا الى صاحبه القائد المدني أن ياخذ بيد الكنسوسي حتى يرجع الى داره رغم انف التيبيوتي فضمن ان تم ذلك ٣٠٠٠٠ ريال فيما قال الاخ أحمد ، وان الزكرى صهر التيبيوتي هو الذى يجب ان يفتك به أولا تمهيدا لقضاء الغرض فيه وفي كل من يخالطونه

جال القائد المدني كجولاته المعروفة ، واستنهض من امثال شيخنا سيدى الطاهر ، والاستاذ على بن عبدالله وآخرين ممن يمتعضون للدين ، ويدعـون الى نصره ويستثيرهم الجهاد والكفاح ضد الاحتلال، فخرج مربيه ربه من (كردوس) فالتام الناس كلهم في (أيت على) بمجاط ، فأعلنوا أنهم لابد مناصرون لهذا المسلم الملتجىء اليهم (حمو بن بلقاسم) ، فكان الرؤساء من البعمرانيـين وغيرهم حاضرين فقال الكل ان الزكرى في هذه المرة لابدان سيلقى منا درسا يكون عبرة لغيره • قال الاخ فحضرت ذلك النهار ، والقائد المدني وأذنابه يشيرون الى ويتناجون بانني ما جئت الا لادافع عن الزكرى ، لما يعرفون بيني وبينـه من الصلة ، وانا موقن ان في الزكرى روح الاسلام ، وأنه انما يدارى التيبيوتي، واعرف ايضا ان مقصود هؤلاء انما هو احتواش أمواله فقط ، ولكونهم يعرفون مابيني وبينه صاروا يتناجون بمايقولونه سرا ، ولكونهم يعرفون أن اتباعى

كثيرون ، وان كلمتي مسموعة خصوصا عند بعض المجاطين والبعمرانيين خافوا ان اكثر العزائم بسببي ، وان احمل اصحابي المجاطيين على ترك ماعزم عليه الناس ، وانا في الحقيقة اعرف مايقال سرا ، وادرك ان الزكريين يقدرون ان يدافعوا عن انفسهم ، ثم لايسعني الا ان اجاري الناس ، ثم كنت كلما خطرت بين المجمع او تكلمت مع احد ترتعد فرائص المدني وأمثاله لئلا افسد عليهم أمرهم المبرم ، فادركت حينئذ مقدار مالهم في أنفسهم من نجدة وقوة ، ورباطة جاش حين يرهب مثلى عندهم ، وماأنا الا مرابطي لاأخلق ولاافرى ، ولكنهم لماأسروا ماأسروا ، وطمعوا باطنا فيما طمعوا فيه من الاموال التي سيتوصلون بها ان تم الامر ، وقد علموا أن ذلك لايخفى عني ، خافوا أن أفشي ذلك للناس ، فيفسد امامهم كل شيء ، فتذهب تلك الدمعات التي يلقيها وعاظهم في المجمع على الاسلام وذويه هباء منثورا ، والمريب دائما يكاد يقول خذوني ، ويحسب لكل لفتة او نجوى الف حساب ، وقد دخلت صبيحة ذلك النهار الى مجلس مربيه ربه وهو في دهليز دار بات فيها ، فوجدت القائد المدني ، وهو اذذاك مورد الامور كلها ومصدرها ، وما مربيه ربه وجميع الناس الا اصداء لكلامه ، الا ماكان من بعض مجاط وبعض البعمرانيين الذين اصاحبهم ، فنحن جميعا جبهة متراصة [illegible] ، ينظر الينا دائما نظر الشزر ، على حين ان فلانا وفلانا من العلماء يظلان [illegible] ، قال فحين دخلت على مربيه ربه ، وسلمت عليه ثم سلمت [illegible] الى القائد ، فقال ياسيدي أحمد ، مالك أبيت ان تشتغل بما [illegible] الله يشتغل به ، فقد صرت انت تزج نفسك في الذي لايليق [illegible] هو الذي يذب عن الزكري الذي يخالف المسلمين ، ويتعدى [illegible] له وقد اتم ما اراد ان يقوله : انني حقيقة لااشتغل بما يشتغل به [illegible] عن امور اخرى ماكان يعرفها ، ولكنك مثلي في هذا ، فهل [illegible] القيادة وما انت فيه اليوم مماتزج فيه نفسك ، وترفع به راسك ؟ واما الزكري فانتم الظالمون له ، وماتتطلبونها منه انما هي خطة خسف ، [illegible] اليكم اصحابه منذ اسابيع ؟ فكنت أنت ممن جالسهم وتحدث معهم ، [illegible] لهم فيماتريد ، وأماأنا فلم أحضر ، وليس لي في ذلك كله الا السعي في ان يكونوا دائما تحت ظل هذا الشريف ـ واشرت الى مربيه ربه ـ وأنا بنفسي لايالي بي الى مثل هذا المجمع الا تطلب رضاه ، واغتنام دعواته لاغير ، فلاأتطلب مايتطلبه الآخرون ، فما وصلت هذا حتى رفع الشريف يده فختم الكلام بالدعاء ، فقمت فتلقاني القائد الناجم خارجا فقبل مابين عيني ، وقال لله درك فقد عرفت كيف تجيب ، ولقد وضعت الشفرة على محزها

ثم سار الناس جميعا وانا بينهم ، ونحن المجاطين والبعمرانيين الذين نشترك الراى فيما بيننا ، زهاء ثلاثمائة فارس ، يمشون كلهم ورائي عمدا ، نكاية بالقائد المدني ، فكنا نتعمد المرور به بسرعة الخيل ، فنثير من الغبار

مانثير به في وجه الموكب الذي يسير فيه ، ثم انني اوعزت سرا الى الزكريين بكل شيء ، فقلت لهم دافعوا عن انفسكم بكل ماقدرتم عليه ، فان هذا الذي تسمعونه انما هو سحابة صيف عن قليل تنقشع ، فنزلنا بآيت عبلا فخابرت أصحابي الزكريين ، فعلمت انهم تهيأوا للدفاع ، وقد انجدهم التيبيوتي ، والحاج حماد باذن الحكومة ، وولد للحاج حماد هو القائد الاعلى ، فحين علمت ماهناك استرحت ، وان كنت لاأحب ان أرى عند الزكريين اعانة من الحكومة ، ففي يوم قامت الحرب ، فلم يصابوا بشروى نقير ، وفي اليوم الثاني كذلك ، وقد أرسلوا من الرصاص مافتك بكثير من الزاحفين ، وكان من أغرب ماوقع ان معنا اعرابيا من آل ماء العينين ، كانه خليفة على فيلقنا ، فماسمع الطلقات الاولى حتى شمر للهروب ، فاخذت بعنان فرسه ، وأنا اعظه وانشد عليه ان يهرب في حومة الجهاد ، حتى بقي رغم أنفه ، فحين رجع الناس ، ذهب الاعرابي الى مربيه ربه ، فقال له لقد كذب الناس عن فلان ، فانه من احسن المسلمين فقد وقف اليوم وقوف الباسلين الذي لايقدر احد ان يقفه ، هكذا قال الاعرابي ، وما وقفت أنا وقوف الباسلين ولاباشرت حربا ، وماقال ذلك الا ليغطي عماصدر منه ، فصار به ضحكة •

ثم ان الناس في اليوم الثاني يهربون الى بلادهم من غير اذن احد فرأى القائد المدني أمره المبرم منتكثا ، وخاف ان يبقى حتى يفتضح أمره كل الافتضاح ، فتراسل أيضا مع الحاج حماد الذي كلفته الحكومة ان يحضر بنفسه ازاء هذه الحرب ، وقد أدركت أنه هو السبب في اثارتها ، وأن هذه القبائل ماتحركت الا بايعازه اليها ، فكنت ليلة في جماعة نائمين في دار ، فجاء الفقيه سيدي الطاهر لياخذ رأي بعض من معنا في الموافقة على الصلح الذي يجري فيه المدني مع الحاج حماد ، وقد كان المدني وصاه ان لاأشعر أنا بما يدور فجاء من أيقظ بعض الناس من بيننا خفية بطرف اصابع الارجل ، وبالتناجي في الآذان ، ثم التقى المدني والحاج حماد في مكان معين ليلا ملاقاة سرية ، والتيبيوتي حاضر ، والقائد المدني لايعرفه ، وقد كان صدر منه يوما في المجمع أن قال ، ان من قتل التيبيوتي واتاني برأسه ، فله ثلاثة آلاف ريال ، ثم صار ينعته للناس ، ولكنه حين صادفه لم يعرفه ، حتى قال للحاج حماد اريد الاختلاء معك منفردين ، فقال له اولم تعرف هذا ، فقال له لا فقال انه التيبيوتي ، ولاسر لي دونه ، فسقط في يد المدني لان كلام الحاج حماد اليوم ـ حين زعم انه لايخفى عن التيبيوتي شيئا ـ يخالف كلامه السري بينهما حين اوعز بالزحف لارغام التيبيوتي الذي هو عدوه الالد فسكت القائد المدني فتم الصلح ، واشترط القائد المدني أداء ثمن الخيل التي ماتت ، فضمن الحاج حماد ذلك ، فهكذا اختتمت هذه الحملة التي ذهب فيها رؤساء القبائل مجتمعين ، ثم ساروا يتسللون لواذا ، حتى لم يبق الا القليل ، ولا قصد للجميع الا الدراهم اولا ، فحين احسوا من الزكري بالمدافعة نكصوا على

اعقابهم ، والقائد المدني هو الذي سيتوصل سرا بما سيتوصل به من عند الكنسوس الذي سيرجع الى داره ، وقد قبل الحاج حماد رجوعه ، نكاية بالتيبيوتي ، فكان لما فعله من قبوله دفع الغرامة المتقدمة لرجوع الكنسوسي الر سي. عند الحكومة ، قال الاخ ثم انني ذهبت الى مربيه ربه ، وقد وصلني ما قاله ذلك الاعرابي فقلت له ان الناس يتفرقون ، وأنا عند اذنك ، فقال انني راض عنك ، فمتى ظهر لك أن تذهب فاذهب ، فانفض الناس ، فركبت على بغلتي فاصبحت عند أصحابي الزكريين ، وقد رفعوا الرؤوس ، وتم التآمهم مع الكتلة التي تحت يد الحكومة ، بقلة عقل القائد المدني ، وسياسته الجائرة التي تدور كلها على درهم ينتفع به ، ولايبالي بالمصلحة العامة ، ولولاه لبقي الزكري في صفوف المسلمين، قال وهذا الزحف مثل كل الزحوف التي تقع اذ ذاك، ظاهرها شيء وباطنها اشياء ، فقد رايت ما أعلن ظاهرا في هذه الحملة ، وما هو المقصود سرا ، وقد رجع القائد المدني بآلاف من الريالات من هذا الزحف ، وأما الايمان فلا ايمان الا اقوالا مزخرفة ، لاتمت الى الواقع بشيء (هذا ما زعمه الاخ ، وله رايه الخاص) لان الشيعة الاخرى ان تقول ايضا ما يضاد كل ما قاله على خط مستقيم، ولااخفي عن القارئ اني ما كنت ارضى لاخي هذا ذلك الموقف ، ولعل له عذرا

قال : لم ازلت الى هذا مع الزكريين الى التيبيوتي ليشكروه على مناصرته لهم واحداثنا ما بينهم ، فلم اشعر حتى لاقيت هناك الباشا الحاج حماد بن حيدة وانا لااعرفه الا سماعا ، وكنت احسبه عظيما في نفسه ، كما هو عظيم في سمعته التي ورثها من ابيه ، وكنت اظنه عاقلا رزينا يزن القولة اذا اراد أن يتكلم بها ، فاذا به يراع خفيف كريشة في مهب الرياح، لايقر قرارها ، قدمني اليه التيبيوتي فقال : اني كنت اسمع بهؤلاء وبدارهم وبزاويتهم ، ثم ماكان الابدار اني وبينه مفتتح الحديث ، حتى عرفت خفة الرجل ، وأنه كجناح بعوضة ، يسهل على جليسه أن يديره كيف يشاء ، فمددت له شبكة من الثناء عليه ، ومن الشهرة التي يتمتع بها في الجنوب كله ، ثم قلت له : ما أسس الهدنة التي تاسست منذ ايام الاهيبتك التي ارتعدت منها الفرائص ، حين سمعوا بحضورك بنفسك الى المعركة ، فما كاد يسمع ذلك حتى اهتز اهتزاز القصبة اللينة الطويلة بين مختلف الرياح ، فقال وكله بشر وحبور وفرح زائد، حتى كأنه يهوى الى الطيران من كثرة حركته ، لما استخفه من الفرية التي اردت ان املك بها قياده ، هل تقدر أن تقول هذا أمام المراقب بتارودانت ؟ فقلت له نعم ، ولكني اتكلم بلفظة نعم كأنما أجيل حول لساني جمرة محرقة ، لاني وقعت في احبولة كنت نصبتها له اذا به يريد أن أكون أنا هو المحبول بها لينتفع بي، وبمقالتي هناك ، ولكنني وجدتني في وسط حفرة يصعب علي ان اتملص منها الآن يريد الله ، فاقترح على جميع الوفد الزكري ان يصحبه في الحين الى تارودانت ، ولابد ، فنزلنا من مجلسنا لنذهب معه ، فحاذاني التيبيوتي ونحن

نهبط في الدرج من علية فقال : اياك ان تقول الكلمة التي ذكرتها آنفا امام المراقب فتندم ، وذلك ان الحكومة صرحت بالاستنكار للحاج حماد ، لما وصل الى مسامعها ما بذله من تلك الغرامة ، فانكر هو ان يكون لذلك أصل ، وأنه ما اقام الهدنة الا بمقدرته وحنكته السياسية ، فحين سمع ما سمع منك ، ووجد فيه ما يؤيد كلامه ، اراد أن يدلي به لعله ينفعه ، والتيبيوتي الذي يبلغ عنه الى الحكومة كل شيء ، لايريد أن امثل أنا ذلك الدور الذي يفتضح فيه هو ايضا بدوره ثم لايصدق بعد اليوم ما يبلغه الى الحكومة عنه ، قال فركبنا نحن الوفد على سيارة ، وركب الحاج حماد على أخرى أمامنا ، فوصلنا الوادي وفيه ماء كثير، لم نقدر ان نخوضه بسيارتنا ذلك النهار ، وقد كان الحاج حماد تمكن ان يجتاز بسيارته فراح الى تارودانت ، وفي اليوم الثاني وصلنا فوجدناه يسال عنا كل لحظة فقابلنا باعتناء زائد ، ولاشغل له الا التحدث معي ، وأنا اهرف له بما اعرف وما لا اعرف ، وازرف في الحديث ، وقلبي في التوجه الى الله ان يصونني من الموقف الذي يهيئني له ، فقدر الله الذي يغيث أصحاب الضيق دائما ان غاب المراقب غيبة ستستمر اياما ، فانهضت أصحابي في الحين على أن يودعنا، فرجعنا من عنده باكرام زائد جدا من كسا وأموال ، وقد قال الزكريون اننا ما شاهدنا منه قط أمثال هذه المقابلة ، ومثل هذا الاعتناء الباهر ، وقد كنت طويت عنهم ما أنا عارفه ، فصرت أضحك منهم وأنا اقول ممازحا ، ان كل ذلك ببركتي ، فيقولون حقا ، وهم يحسبون بركة كوني من المرابطين ، وأنا اقصد ما اقصد •

ثم بعد حقبة رجعت أيضا الى تارودانت ، فخفت أن يراني بعض اصحابه فيذكرني له ، ويعاتبني على ترك زيارته ، فاستأذنت عليه ، فوجدت عنده محمد ندبوهوش صاحب القائد المدني ، ورسوله الشهير الى الدوائر المخزنية دائما والمدله من عند القائد المدني صرة اخال أن فيها عنبرا ، وبعض كسا من السودان، ثم بعد خروجه ولج المراقب في تارودانت فاذا به أعرفه قبل ويعرفني فجعل يسالني عن أخبار تلك القبائل ، وأنا أقول له ما اعرف ، والحاج حماد الى يسمع ثم قال لي ما عندك عن القائد المدني ؟ فقلت له انني الآن لاجديد عندي عنه ، ثم قلت ان خبره الجديد ربما يوجد عند الباشا سيدي الحاج حماد صديقه الذي يكاتبه دائما ـ كلمة جرت من غير شعور على لساني ، ولا اقصد بها الا استعظام مقام الحاج حماد ، وأنه كبير معتن عارف بكل شيء ـ فجدحه المراقب بنظر شزر ، فالتفت الى الحاج حماد ، فقال أأنا صديق القائد المدني ، ومن يكاتبه دائما ؟ فقلت له نعم ، وقد رأيت غبرة تكسو وجهه مفاجأة ، وقد شعرت بما ألم به من الكلمة الاولى ، ولكن لايمكن لي الا الاسترسال في حديثي فسكت المراقب مليا ثم غير موضوع الحديث سويعة ، ثم قام مودعا ، فخرج معه الحاج حماد ليشيعه فابتدر الى انسان من تيبيوت من حاشية الحاج حماد ، ولكنه في الحقيقة عين عليه للتيبيوتي ، فقال لي بكل بشاشة ، قد والله رميت الباشا

بضربة عظيمة ان تفرقعت لايبقى منه ولايذر ، فبعد هنيهة سمعنا انا وذلك التيبيوتي الحاج حماد مال الى شيوخ من الجبل عنده في الدار بالخصام والصياح والصراخ العالي ، فأمر بهم الى السجن ، وهو يتلظى غضبا ، فقال لي التيبيوتي هؤلاء المساكين ماأجرموا ولافعلوا ماينكلون به ، وانما أصابتهم شرارة من النار التي تركتها في صدر هذا الانسان تتلظى ، قال فأدركت أن قعودي بعد هناك مما لايسر فانسللت من داره مبتدرا ، فخرجت في الحين من (تارودانت)

من أخلاقه

تلك بعض أحوال الاخ رحمه الله ، ونبذة صغيرة جدا تبين للقارئ نفسيته وكيف هو ، ولايحسبن القارئ انني ازخرف عنه، بل كان الحديث من لسانه اطرى واندى واكثر زخرفة ورونقا وبهجة مما بقلمي ، وكانت أحاديثه اذا نشط للمحادثة ، كسلك من اسلاك التليفون تحسبه منقطعا عند كل خشبة ، ولكنه لايلبث ان يندفع بك الى بقية أعجب وآنق ، والذي يعجبني من حديثه انه يتحرى فيه الصدق ، ويقول بكل شجاعة ماصدر منه ، وان كانت نقيصة في نفس الامر ، وقد رايت كيف انه يمالئ امثال التيبيوتي، والحاج حماد وأمثالهما ممن هم من اركان الاحتلال ، ومن الاعداء الالداء للمجاهدين اذذاك [illegible] الفرقة من جيش الاحتلال في جزولة ، غير أنه تاب من ذلك ، وتراجع [illegible] الى هذه ، وذلك ان حاله اخيرا احسن في كل ناحية ، فصار يشمئز [illegible] بعد ان تفصى منه يدمونا بمنه، بل صار كأنه يحيا حياة أخرى ، [illegible] الى التحدث عما مضى له ، فيزجي الوقت بتذكره ، ثم لاعليه أن يذكر [illegible]

وقد كان رحمه الله ممن أسعده الحظ ، فجعل البركة في ذات يده مع قلته ، فما كان يتوقف على احد في السلف ولافي غيره ، وذلك بالقناعة ، خصوصا أقرب وفاته ، فقد شاهدت منه عجبا ، وقد مر في ترجمة الاخ سيدي محمد ان هذا كان ايضا ممن يتجر في السكر الذي تنفذه الحكومة لمن شاءت قبل الاحتلال - وذلك مما اثار حول المترجم ايضا مااثار بين قبائل تلك الجهة التي تنضوي تحت ضبن -ال الهيبة - فأعانه ذلك بعض اعانة على ضنك العوز والفقر، ولكونه يستعين بذلك في معاشه غبطه أناس كما حسده ءاخرون ، ولووجد الفريقان ماوجد لما نبسوا بكلمة في جانبه

وكان محببا اليه أن يتعرف لكل أحد كيفما كان ، وأن يبحث عن الاخبار وعن فلان من هو ، وما وقع له ، فقلما يتلقى بانسان الا واتصل به من هذه الناحية ويوعي مايسمعه في ذاكرته القوية الاستحضار ، ولاأزال اعض على كفي ندما، حين فرطت ولم أكتب عنه الاحاديث التي أسمعها منه كثيرا ، وقد قال لي يوما، كنت بمراكش فتلاقيت مع القائد العربي الضارضوري فسرعان ما التحم ما

بيننا ، حين تعرفت اليه ، فذكر ان الشيخ الوالد هو الذي وقف حتى راجعوا دراهم مرة بمدجلاء كانوا فيه ، ثم حكى عن هذا القائد مالو جمع لكان جزءا ، وكذلك عمن حدثه عن القائد حيدة باخبار غريبة لاتعرف عند كل الناس ،وكذلك القائد الحاج محمد الاغبالويي الماسي فانه لاقاه مرة ، فاستقى منه أخبارا عن حياته الطويلة ، وكذلك القائد محمد بن ابراهيم التيبيوتي ، فانه كان يعرف عنه كثيرا ، وقد حكى له عن نفسه وأهله مالو جمع لكان أيضا جزءا، وكذلك الجشتيميون ، وكذلك ءال الحاج عبلا اوبيهي الحاحي ، والحاصل انه كان غريبا في هذه الناحية ، وكثيرا ما يقول لي : انني أعجب منك كيف أمكنك أن تحصل مايزعم الناس أنه عندك من المعلومات ، مع ضعف ذاكرتك ، هذا الضعف المتناهي فأقول له ان المعلومات الضعيفة التي عندي لاتحتاج الى ذاكرة ، ولو كان أخوك ذا ذاكرة لكان حقا عالما كما ينبغي أن يكون العلماء ، ولكنه قانع بالقسمة، وهل يدرك العلم الا بلسان سؤول ، وقلب عقول كما قال ابن عباس ° ؟ وغالب مالم اذكره هنا ذكرته في جزء من (افواه الرجال)

وقد كان شغف تعرفه بكل احد هو الذي عقد التعرف بينه وبين مراقبين عسكريين في مركز (ايغرم) فحين سمع ان الحكومة قدعزمت على احتلال هذه الناحية ، طلب من أحدهم هناك أن لاتمس الطيارات الغ بقنابرها فكان ذلك سبب أن تخطته ، مع ان كثيرا من القبائل قد كان لها نصيب منها ، ثم كان هذا التعرف الى رجال الحكومة هو الذي يسر له أن كان رديف الاخ في رياسة المرابطين ولكن ذلك لم يعره التفاتا ، بل أقبل على ربه منذ الاحتلال اقبالا غريبا جدا حتى قلت له قبل وفاته بنحو -١٢- يوما انني لو كنت أخبرت بمارايته منك من الرجوع الى الله ، لما صدقت به ، وقد حداه الى هذا الانزواء مرض كان يعتريه قديما من صغره ، حتى انه زاول عمل العشبة سنة ١٣٢٨هـ ونحن صغار نقرأ في (افريان) بهشتوكة ، وقد اعتراه أيضا مرض شديد سنة ١٣٣٦ هـ ثم راجعه بعد الاربعين ، وهو اذذاك في (تادلة) عند الشيخ سيدي ابراهيم بن البصير ، ثم أبل منه بعد ان لاقى منه شدة ، ثم عاوده أيضا سنة ١٣٥٣ هـ بعد سنة الاحتلال ، فكان هذا المرض شغله الشاغل ، فصار يختلف الى الاطباء في (اكادير) ماشاء الله ، وقد صرحوا له أن داءه عياء ، لكونه مرض الطحال وقد غادره ذلك المرض ضيق العطن ، حرج النفس ، لايحتمل قلبه أدنى ثقل فكان وعكات هذا المرض العضال هي التي ردت وجهته الى ربه، وله بعض ذلك منذ ١٣٣١هـ من صحبته سيدي سعيد التاناني حين يماسيه ويصابحه في وسط الدار ، بعد ان اقترن بشقيقته ، فكان يؤدي صلواته ، ولايفرط فيها أولا ، ولايخرجها عن الوقت غالبا ، ثم بعد ذلك حافظ ايضا على الاوقات محافظة تامة، وعلى هذه الحالة وجدته اخيرا ، وله أوراد يذكرها ، ولكنه لايزال في أول ذلك العهد يهب مع كل ريح ، ويجري مع كل حلبة ، ويتطلع من كل ثنية ، حتى اذا

أراد الله به أن يجتبيه وان يختاره لما عنده ، ويفضل عليه من بركة من درج بين ظهرانيهم من أهل التقوى ، مال به اثناء هذا المرض المذكور ، فاقبل على ربه بالكلية ، وكره بطبعه كل ماسوى ذلك ، ففتح عليه فتحا غريبا فى ذوق التوحيد قل مايوتى نظيره الا الاخصاء الاصفياء

صفاء عقيدته

جالسته يوما قبل وفاته ونحن نشرب الاتاى فى يوم شديد الحرارة فى دهليز مدخل داره ، وقد نشط واسترد بعض قوة من صحته ، فتناول كناشا فيه قصائد مختلفة من القصائد التى ينشدها المسمعون من الفقراء فى حلقات اذكارهم ، وفيها بين قصائد نبوية غلو شديد فى الاستغاثة ، مما لايقبله الموحدون ، فالتفت الى وقال عجبا ، أويجوز طلب أى شىء فى الغيب من غير الله أيا كان ؟ فقلت له وقصدى ان اسبر غوره من هذه الناحية ، وماذا يتراءى لك أنت فى ذلك ؟ فقال ان الذى يتراءى لى أن مثل ذلك لايجوز البتة ، وهل يملك غير الله مايطلبه أحد منه ؟ وهب المستغاث به هو النبى صلى الله عليه وسلم ، فهو لايتعدى مقام العبودية ، ولا اخال ان الصحابة كانوا يطلبون منه ما يطلبه اليوم قائلون هذه القصائد ، فالذى يظهر لى ان العبودية لله معناها الاخلاص اليه فى الطلب حتى لايطلب من غيره الا اذا كان هناك ما يجعله الله فى يد العبد من الامور الدنيوية والاعانة فيها ، او الارشاد والتعليم فى الامور الاخرى ، واما ان يطلب من العبد امر غيبى لايملكه ولايملك لنفسه أن يتناوله متى شاء فيعطيه فلا يجوز ولكن انا انما اقول بحسب ما ادرك ، فماذا تقول انت ياعالمنا؟ يقول ذلك وهو يضحك ، فقلت له (الله اكبر) الآن علمت ان الله أرادك لخير ، حيث اراك من افراده الموحدين بالتصريف المطلق ، ومن تخصيصه بقضاء الحاجات ما ضل عنه كثير ممن وقعوا فى الافراط والغلو فى جانب الانبياء والاولياء ، حتى اطروهم من حيث لايشعرون على حين انهم يظنون انهم لهم بذلك معظمون ، ثم فاتحته فى شرح ماعندى من ذلك ، وجرى على لسانى الفرق بين التوسل بجاه السائل الى الله ، مع مافيه من الاختلاف بين العلماء فتر لسانى بما للعز الدين بن عبد السلام ، والسبكى وابن تيمية ، وابن عبد الهادى والشوكانى وغيرهم مما استحضر ، وبين الاستغاثة بمخلوق ، التى لايحوم حولها المخلص فى عبوديته لله ، العارف ماله وما للعبد ، فأسهبت فى ذلك حين وجدته منصتا لما أقول ، بحسن الاستماع ، ونحن متحدرون الى البستان الذى فى شمالى الزاوية وطالعون ، فمرت لنا عشية طيبة فى هذا الدرس المتشعب ، ابين له ماعندى فى الموضوع ، فوافق منه ذلك ماكان الله أراه اياه تفضلا منه ومنة ، وكثيرا مايقول : ان الفقراء الصادقين لاشياخهم سرعان مايستولى عليهم الغلو والاطراء من حيث لايشعرون ، وربما اداهم ذلك الى اعاجيب ، وحين رانى مولعا بجمع

اخبار الوالد من الافواه ، كان يقول لى عليك بفلان ، ولاتثق بفلان ، وان فلانا صادق غير انه ذو غلو غير محدود ، فكنت اقول له انك ازاء هؤلاء الفقراء ، لتمثل دور يحيا بن معين ازاء الرواة للحديث ، حتى صرت اناديه باسم يحيا بن معين ، فسالنى عنه من هو ، فشرحت له ما اعرفه عنه ، وهكذا كانت تمضى ساعاتنا غالبا ، وانا انتفع بنظراته التى تستشف ماوراء الطوايا استشفافا غريبا ، وذلك من كثرة مااكتسبه من التجارب فى مخالطة مختلف الطبقات فى تلك الجهة ، على ان له احيانا فى ذلك الانتقاد مجاوزة للحد ، ولذلك لا اعتمد كل الاعتماد على انتقاده رجلا حتى أجربه بنفسى ، ان توقفت على ذلك ، وأما احاديثه هو ، فاذا كان يحكى عن شىء فانه يتحين الصواب ، ويتحرى الحق ، ويكثر قوله لاادرى ، وأظن ، واشك والغالب على ظنى ، الى مثل هذه الكلمات ، مما يجعل المستمع مرغما يعترف له بالتثبت ويلقى على الانسان احيانا فى وجهه حقيقة يعرفها ، ولو كانت مرة ، على انه ان خرج لسانه عن التحدث المنضبط وجرى مع صاحبه سيدى الطاهر بن على فى التكلم حول الناس ، فلاتسل عن حملات وتجريحات واقبال وادبار ، وأتذكر أننى عاتبته مرة على هذه الخلة ، فقال اطلب الله لى أن يباعدها عنى ، فقد قال لى مرة رجل صالح : انى وزنت كل أعمالك فوجدتها بخير الاماكان من لسانك فانه كالسنان فى الطعن •

صراحته وصدقه و كيف يصف الناس

قد نفعنى الله باحاديثه المنضبطة التى كان لايتكلم معى الا بها ، لانه يعرف ان ورائى قلما يتلقف كل ماسمعه مسمعى ، فعرفت بواسطتها عن كثير من أسر الغ ورجالاتها ماكنت أجهله ، وقد كان ينصف غاية الانصاف أصحاب الفضائل فيشيد بفضيلة كل وبمزيته التى اختص بها ، وقد أثنى على أناس فى (الغ) ثناء عطرا ، واضفى عليهم مناقب خالدة ، مع أننى أعرف ان بعض هؤلاء لو سئلوا عنه ، لما أقروا له بمزية ، ولما اشادوا له بمنقبة (وكل اناء بالذى فيه ينضح)

جالسته مرة فى البستان عشية ، ومعه مجاطى فقير ممن كانوا سابقا يخوضون مع الخائضين فى (الغ) فقال له ان الحق فى القضية الفلانية مع بنى فلان واما انتم فقد تعديتم ماكان لكم ، وترامتيم على ماليس لكم ظلما وعدوانا ، فاطلق فى ذلك لسانه حتى كاد يغضب ، مع أن الناس كلهم لو سئلوا عما يعرفون عنه فى هذه القضية لما قالوا الاعكس ماصرح به هو ، ولكن الحق هو المشيد عنده ، وان كان ضده كثير من الناس • جبلة طبع عليها (لاتبديل لخلق الله) •

وقال مرة ان اهل هذه البلاد لهم حقيقة الانحياش الى الديانة ، والقيام

بواجباتها ، ومبهم الوحيد ـ وكفاهم عيبا ـ انهم قساة (١) القلوب ، فقلماتجد من بينهم من يرق لمسكين اويشفق عليه ، اويراف به ، اذا عضه الدهر بنابه، ويكفيك منهم انهم يقابلون المسكين الضعيف الذى بلغ به الاملاق الى مبلغ شديد فيعيرونه في وجهه بكل وقاحة بحالته هذه على حين انه يحتاج كل الاحتياج الى ادنى كلمة تضمد جراح فؤاده ، ان لم تكن لقمة تسد ثلمة من بطنه ، ولكن قساوة قلوبهم ماتركتهم يترشحون ، وكان هو يمد يده بما تيسر ، ولكن يحاول أن يخفي ذلك ماامكن ، وقد أخبرني صاحبه سيدى الطاهر بهذا عنه وأخبرني آخرون بذلك بعد وفاته ، وكان يقول هيهات قد انطوى سماط الضيافة بالغ، بعد الاستاذ سيدى على بن عبد الله الاماكان من ولده سيدى المدني وحده ، فهو يقوم بما قدر عليه من ذلك ، غير ملوم على مالم يقدر عليه ، ويقول فى صنوه الاستاذ سيدى الطاهر كاد يكون امجد الصالحين وأجلهم واعلمهم لو تيسر له ان يجول ، وان يستتم دراسته ، ويقول فى الرئيس احمد بن ابراهيم الايغشاني مارايت في هذه الجهات من يعرف أن يجالس غيره مثله ، فلايمد رجله ولايهمل سوله في وجهه ، ولا يجبهه بما يجرح عاطفته ، وكثيرا مأأراه فاحسبه ممن جالوا وخالطوا المهذبين من اهل الحضر ، وكان يقول : ان اللطف والمروءة ونبذ التظاهر بالجشع وبالتكالب على الطمع انفرد بها الاستاذ سيدى الطاهر ابن محمد الافراني فلايماري من معه ولايشاريه ولايجادله ولايعاتبه ، ولايعرف منه مايعرف من امثاله مع اصحابهم وخدمهم ، وكان يقول : لو اعرض عما يتعاطى من تلك القضايا اوترك المغالاة على الاقل ، لكان كالثوب النقى لاتجد فيه نقطة تخالف لون الثوب ، فكنت اقول له ان مايتوصل به هو وغيره ، يتعاطونه مشتهر ، وقد تكلم الناس في ذلك ، وليس في المرتبة التي تظنها فقول : ولو امثال سيدى الطاهر العظيم فى اعين الناس بعلمه ودينه ومروءته لوأعرض من ذلك ترفعا ، لكان له مقام آخر أعظم ، فقلت له ينبغي لنا ان نعذر الناس ، وان نحمل اعمال أمثال سيدى الطاهر على محامل حسنة فنحاج حول ذلك حينا ، وهكذا يذكر لكل واحد ماله من الخصال المحمودة، ولاجرم انه يعرف اضداد هذه المناقب عن هؤلاء وامثالهم ، كمايعرف هذه ولكنه لم تشغله السيئات حتى ينسى الحسنات ، ومجمل مانختم به ماذكرناه من صاحب الترجمة ان له ذاكرة غريبة ، كعدسة المصور ، لاينمحى مارتسم فيها بمرور السنوات ، مع شغفه بوزن ذلك كله بميزانه الخاص ، فكثيرا ما نقل ونبيت، وهو يسرد على مماشاهده أوسمعه مما لوجمع كله لكان مذكرات قيمة، فقد ابتدأت تقييد بعض ذلك عنه فيما يتعلق ببعض النواحي، ومقصودي ان اجمع اطراف مااسمعه عنه ، ثم بعد أن كتبت عنه ماكتبت فى كتاب (من افواه

---

١) كان سيدى أحمد الفقيه الركني يصف الالغيين أيضا بذلك وصفا شاملا حتى من أوى اليهم فى (الغ)

الرجال) عن اوليات حياته ، شغلني عنه جمع مواد هذا التاريخ الذى هوايضا من اشاراته ، وتلك نبذة من احواله رحمه الله، وانا موجز وان كان يتراءى للقارىء انني مسهب، وما قصدى الان اظهره مااستطعت كماكان ، فلااخفي ناقصة، ولااموه بمكرمة ..

مرضه الذي قضى به نحبه والصلاة عليه واقباره

غادرت فيه تلك الادواء التى مرت به ضعفا كثيرا في مفاصله ، وضيقافي شهوته ، حتى لايقدر أن يتناول الا اشياء مخصوصة ، مما طهى له فى داره طهوا خاصا ، فلا يتناول من غيره لقمة الا أضرت به ، وقد تأثر مزاجه حتى لايقبل اكل الحلويات ، مع أنه يشتهيها ، وكانت البحة ميزان صحته ، فمتى سمع زالت ، ومتى ألمت به علم ان الداء يدب اليه من جديد ، وكثيرا مايلم به مرضه اذا أصابه غم مزعج ، وهم موثر ، أوسمع مالايريد ، فكان يحافظ على صحته بالتباعدعما يؤثر فيها ، فكثيرا ماقام عن مجلس ابتدىء فيه حديث خاف من التاثر بما فيه

وفى عشية السبت ـ٣ـ من جمادى الاولى ١٣٥٦هـ لبى دعوة الرئيس على ابن أحمد الايغشاني ، هو والاخ الاكبر سيدى محمد ، والفقيه سيدى الحسن العفياني التزنيتي ، صهر أخينا هذا ، فحمل بين يديه ووراءه فلذتي كبده السبطين الطيبين : الحسن وعبدالسلام ، ليزيرهما اخوالهما هؤلاء الايغشانيين لان زوجته هي خديجة بنت الرئيس الحاج ابراهيم الشهير ، وفى الصباح رجع الاخ سيدى محمد وصهره ، وبقي هوهناك معتذرا بحرارة الشمس الى العشي، فراح فلاقيته عند ضريح الوالد بين العشائين ، وقد خطرت فيه البحة ، والفتور يدب الى اعضائه ، فبتنا الليل ، ومانظن الا ان ذلك بعض مايلم به دائما لم يزول في الحين ويتعافى منه عن قرب ، وفى الصباح ودعنا الفقيه المذكور الى تزنيت ، ذهب به الاخ ليوصله بسيارته ، فذهبت الى صاحب الترجمة في داره، فوجدته مستندا ، فقال اني تقايأت دما عبيطا كثيرا ، وكذلك خرج الدم مع الفضلة ، ثم توالى عليه ذلك ، وقد انكف عن الطعام ، والعطش مستول عليه ، فيطلب الشرب فى كل وقت ولكنه لايزداد بالشرب الا ظمأ ، وكل ماشربه يقيئه في الحين ممزوجا بالدم العبيط ، فبقى كذلك الى يوم الاربعاء ، وقدانهكه مابه، واستنزف دمه ، حتى لم يطق بعد أن يقف على رجليه ، فتلقينا ما يصادمنا من اجله بالاحتساب عندالله ، ثم جاء أخوزوجه عبد المومن الايغشاني ، فصار هو واحمد بن محمد بن بلقاسم السليماني يمرضانه ، فلازماه ليل نهار ، وقاسيا من ذلك ماجعلهما في عيني من صبر الرجال ، ثم أصبح يوم الجمعة ، وقداستولى عليه الاغماء ، فثارت زوجته ، وظنت أن الواقعة قد وقعت ، ثم تنبه ، وفي يوم السبت كنت عنده ، فصادفته في بعض راحة ، فبقيت معه في تكلم ساعة طويلة،

والقيت اليه ماوصلني من اخبار سارة (١)، وصلتني في الحمراء هي التي اماتني الله بها حتى تماسكت كبدي ، ولم تنفطر من الصدمة هذه ، فخرجت والماسرور بهذه الراحة التي شهدتها منه ، وان كنت انا والاخ الاكبر ، نتكلم مفردين ، فاستبعدنا نجاته مما وقع فيه هذه المرة ، بامارات وقفنا عليها ، وفي صباح يوم الاحد، جاء الى عبدالمومن ، فقال انه القى اليوم دما متجمدا كثيرا جدا، فاسرعت اليه ، فوجدته في حالة أخرى ، غير أن صبابة من التمييز لاتزال معه، فعرفت من حضر ، فطلبت منه أن يبين ديونه ، وأن يوصي ، فان في الوصية على كل حال خيرا ، فدلني على بعض أمور تتعلق بشؤونه الخاصة ، وذلك عند التاسعة صباحا ، فرجعت الى المحل وقد تركت الاخ الاكبر ، وسيدي المحفوظ الايغشاني ، وبعد ساعة ، جاء من اخبرني ان المتوقع واقع ، وأنه قضى نحبه، وذلك في العاشرة ونصف ، فذهبت مغذا مسرعا فوجدت الاخ الاكبر لايحبس دموعه ازاءه ، وقد غلب على حاله ، مع أنه الطود المشهور في التجلد ، فصرت أصبره ، وانا احبس ما اجد ، وطرفي يجول في جسد اخي العزيز المسجى امامي جثة هامدة ، كأنه لم يتحرك قط فيما مضى ، وقد كان قال لي منذ يوم ،ان الذي الاقيه وأقاسيه افضل عليه ملاقاة الموت ، ومن العجب انه كان يكثر ذكر الموت ، منذ شهور ، حتى انني كنت كتبت في ذلك الكتاب الذي قيدت فيه عنه [illegible] ، انه يكثر الكلام حول الموت حتى ان العاقل ليدرك من ذلك قرب اجله [illegible] ذلك قبل موته بشهور ، وقبل موته باثني عشر يوما ، صار يسرد [illegible] ، ونحن طالعون من البستان عشية ، وفيها ذكر مايلاقيه [illegible] في حالة الاحتضار ، وكان الرجل يتهيأ لما صار اليه اليوم من حيث لايشعر ، وقد حافظ في مرضه على صلاته ووروده الى عشية السبت ، وقد صلى المغرب ، وذكر ورده ، فغلب بعد ذلك بما استرسل عليه من الفواق الشديد الى ان اسلم الروح .

جاء الاستاذ سيدي المدني ، وطلبة المدرسة الالفية ، والاستاذ سيدي أحمد البزيدي ، وطلبة المدرسة الوفقاوية ، فاجتمعوا عند الظهر ، وقد غسله العم بلقاسم ، ومؤذن الزاوية سيدي محمد بن بلعيد التاناني الذي كان غسل الشيخ الوالد قبل ، فتقدم الاستاذ سيدي عبدالله بن محمد فصلى عليه ، فحمل الى قبره الذي حفر عند رجلي الوالد ، فوقفت على شفير القبر حتى القيت على الاخ العزيز النظرة الاخيرة فقلت له الى الملتقى في الجنة ان شاء الله

ذلك احد التسعة من الذكور الذين خلفهم الوالد ، وهاهوذا الموت قد افتتح بهذا ، فليت شعري من يثني به منا ، فيارب أنت وحدك المامول في كلتا الحالتين

---

(١) رسالة جاءتني عن الاجتماع الواقع في دار الباشا الكلاوي ، وقد تقرر فيه ان أرجع الى محل بمراكش ، وهي بارقة لم تتم

اللهم لامانع لما اعطيت ، ولامعطي لما منعت ، اللهم عليك تكلاننا وحدك في هذه الدار ، وفي تلك الدار ، اللهم أحينا ماكانت الحياة خيرا لنا ، وامتنا ماكان الموت خيرا لنا ، مومنين غير مفتونين ، بحقك ياذا الجلال والاكرام ، ياحي ياقيوم ، ونستودعك الشهادة الى ان توفقنا عليها يوم نتوقف عليها بفضلك

واعقب رحمه الله ثلاثة أولاد صغار، الحسن وعبدالسلام ، وعبد الوهاب انبتهم الله نباتا حسنا ، ثم ان أدباء الغ جزاهم الله خيرا ، قد رثوه بمراث كثيرة ، قد استوعبناها كلها في الكتاب الذي نجز قبل هذا ، وهو الجزء الاول من كتاب (الالغيات) فلانحتاج الى اعادتها هنا ، فنكتفي بمطالعها .

قال الاستاذ سيدي المدني بن علي عميد المدرسة الالغية :

هوى النجم نجم السعد من افق المجد ... فأنفسنا طرا تذوب من الوجد

وقال صنوه سيدي الطاهر بن علي استاذ المدرسة الايغشانية :

هو الدهر فاصبر للذي صنع الدهر ... وان فتكت بنا حوادثه النكر

وقال أخوهما سيدي محمد بن علي ، والقاها في وقت الدفن ، وهو صنو المتقدمين :

متى تتعظ ان لم تعظك منية ... تمن بسيفها المحدد منية

وقال أخوهما سيدي الحسن بن علي ، وهو أيضا من السابقين في حلبته الى كل مجد يؤثل :

فؤادي حزين ودمعي يسيل ... لفقد حبيب كريم أصيل

وقال الاستاذ سيدي عبد الله بن ابراهيم ابن عمنا لحا :

هل الدهر الا هكذا ليس يرعوي ... يبيد ويفني دائما كل ذي فخر

وقال الفقيه سيدي موسى بن الطيب السليماني ابن عمنا :

فصبرا يابني الاخوال صبرا ... لوقع الدهر حين أتى النذير

وقال الاستاذ سيدي بلقاسم السليماني ابن عمنا :

الم بنا خطب شجاني باحزان ... وقوض في الاحشاء اطناب سلواني

وقال الاديب سيدي أحمد بن زكريا البعمراني ، من نجباء المدرسة الالغية :

خطب ألم فاضناني وأنحلني ... ومر بين أذاقني فأذهلني

وقال الاديب سيدي أحمد بن الحسن البنائي الايغشاني :

قضى نحبه السيد المرتضى ... كذا المجد نحبا قضى وانقضى

هكذا قال الادباء الالغيون ، ولم أقل أنا قافية واحدة ، وقد وجه الي تانيب غير قليل من بعضهم ، فقلت لهم ان ماأجده من الاسى الشديد على الاخ رحمه الله ليست عندي معه شاعرية تقدر أن تصور عشر معشاره ، ولكن ان فاته مني الشعر وخياله ، فليكونن مني له نثر ممتد ، تجلى فيه الحقائق الناصعة ، ثم لاادري بعد ان كتبت هذه الترجمة التي اعلم - فيما بيني وبين نفسي انها دون

مقامه ـ هل وفيت بما وعدت به أولايزال عل ذلك دينا ، ولكنني بذلت الجهد، مع تحري الحقائق ، فما عل باذل الجهد من ملام ، ولايكلف الله نفسا الاوسعها أسكننا واياه الله في الفردوس ، وغفر لنا جميعا بفضله ومنه .

حكم من مقيداته

كان الاخ أحمد رحمه الله مولعا بتقييد مايعجبه في كنانيش صغار، وقفنا عليها في خزائنه ، وهي مابين طبية وحكم وابيات ، فلنختر من الابيات التي وقفنا عليها فى ذلك ، ليدل ذلك على نفسيته ، وعلى أنه وان حرم الطلب والتعلم الحسن، لم يحرم حب الاستفادة ، وكثير من المتعلمين لاتجد فيهم ذلك الاعتناء فمن ذلك :

لا تمزحن مع الصديق فربما   جلب العداوة فى الصديق مزاح

ومن ذلك :

لعمرك مايدرى الفتى كيف يتقى   اذا هو لم يجعل له الله واقيا

ومن ذلك :

[illegible] يوما كان فيه فراقكم   اذا بدموع العين تجرى عل الخد
فوالله ما فارقتكم بارادتي   ولكن حكم الله يجرى على العبد

ومن ذلك :

اذا ضاق صدر المرء عن كتم سره   فصدر الذى يستودع السر أضيق

ومن ذلك :

اذا شئت ان تحيا سعيدا مسلما   فميز ودبر ما تقول وتفعل

ومن ذلك :

لاتزدر بالناس قبل خبرتهم   فانظر الى الفعل لاتنظر الى الجسد

ومن ذلك :

لاتحقرن ضعيفا فى تقلبه   ان البعوضة تدمي مقلة الاسد
وللشرارة قل حين تبصرها   وربما أضرمت نارا عل بلد

ومن ذلك :

لاتسلكن طريقا لست تعرفه   حتى يكون دليل يعرف السبلا
لاتخرجن كلاما لاتدبره   حتى تشاور فيه الراى والعقلا
لاتصحبن اناسا لاتجربهم   فالوغد ليس يبالى كل ما فعلا

ومن ذلك :

يمر الصباح ويأتى المساء   وما بين هذين يجرى القضاء

هذا ما انتقيناه من ذلك ، وفيه ابيات اخرى مشهورة لانطيل بها، ولاريب ان اعتناء مثله بمثل هذا مما يدل عل تشوف الى المعالى من هذه الناحية الاخرى، فرحمه الله رحمة واسعة .

ثم انني اكتب الآن بعد عشرين سنة أن اولاده قد أدركوا كلهم تحت صيانة أعمامهم ، فاما عبد السلام ، فقد نال الشهادة العالية ، فصار مدرسا في (معهد) تارودانت ، واما الحسن فانه بعد أن توقف فى الشهادة الثانوية، قد نجح فى مباراة التعليم الرسمي، فهاهو ذاأستاذ في احدى المدارس الابتدائية وسنترجم لهما ، لانهما عل شرطنا، وسيجد هما القاري ان شاء الله في هذا الجزء نفسه في (الفصل الثاني) ، وأما عبد الوهاب أصغرهم ، فانه الآن العامر لدارهم في الغ ، شاب لبق، قدعادخلقه الآن متزنا ، ويعرف ماياتي وما يذر ، وهومكب عل عمله ، ولم يرزق استمام تعليمه ، وقد تزوج وولد له ولد ، أعانه الله عل حياة الغ الشاقة ، واعطاه صبر ايوب ، وتدبير النملة لرزقه



عبد الرحمن بن محمد الصالحى

١٢٩٩ هـ = ٢٧ـ١٠ـ١٣٥٩ هـ

...ooo...

نسبـه :

عبد الرحمن بن محمد بن عبدالله بن صالح بن عبدالله بن صالح بن عبد الله بن احمد بن عبدالله بن سعيد

صاحب صنوه الاتى سيدى عبد الله بن محمد استاذنا الكبير فى مآخذه فكان معه فى المكتب فى مسجد الزاوية ، عند سيدى سعيد بن عبد المومن ، ثم فى (تاويست) كما ستراه فى الترجمة الآتية لاخيه ، ثم فى الاختصاص عند سيدى محمد بن الحسن الماسى ، ثم افتتحا المبادىء معا فى المدرسة الالغية ، فالمدرسة الايغشانية ، ثم لما شدوا تقدم الاستاذ سيدى عبد الله الى الامام ، وتاخر عنه صنوه هذا ، ومازال الاستاذ فى الترقى الى ان كان من بين من جلوا فى الميدان، وصنوه هذا مازال يفرط فى تنمية ماأخذه ، حتى كان لايعد من العلماء الالغيين، وان ماانفك يجتمع مع العلماء فى محافلهم الحافلة اذذاك من خير من يستمع ، ويعرف ما يقولون فيه ، ولكن ليس له من المقدرة مايدخل به فى ميـدان الباحثين ، فهو فى درجة العم ابراهيم فى هذه الناحية وان كان للعـم عليه تفوق فى النواحى التى رايتها فى ترجمته

ذلك ان له اخلاقا ومحافظة على دينه ، واقامة ذلك فـى اهله خير قيام ، فقد حدثنى جيرانه بما اغبطه عليه ، واتمنى أن لو كنت فى سعادته ، وفى حفظه لاوقات ربه ، فانه فى رمضان يجمع اليه أهله فيفسر لهم الحديث، وهم مستديرون به ، وفى الليل يصطفون وراءه للتراويح ، وقل من يفعل هذا من اهالينا اليوم باهله ، بل لا اعلم من يفعل ذلك على هذه الكيفية ، هذا الى مسكنة ومعرفة لقدر نفسه ، ولكنه مع ذلك طلعة يلتقط الانباء حتى سمعت من قال انه اول من يسبق اليه كل خبر جديد بالغ ، ثم منه ينتشر ، هكذا حدثت ، فدل ذلـك على نباهـة وحصافة ، لانه لايعطى هذه المكانة الاحياء النفوس ، والنفس اذا كانت حـيـة تتطلع دائما للجديد فيعيش صاحبها حياة انسانية عامة ، وهل يحيا من ليست له نفس طلعة ؟ وكان يلقب (مرحبا) لانه اول مايسمع منه كلما لاقى ضيفا ، وان كان لوى ابى الحسن الاستاذ الكبير هو محل اضيافه ايضا غالبا

وليس له اليوم من الاولاد الا البنات ، وهو الذى مات له ذلك البنى النجيب الذى حفظ القرءان والمتون ، ونجب فيما دون ثلاث عشرة سنة ، وقد ذكره الاستاذ

على بن عبدالله فى قصيدته البائية التى رثى بها من انقرضوا فى وباء : ١٣٣٦هـ وقـد تقدمت فى ترجمة سيدى الحسين بن ابراهيم ابن الحاج عبدالله بن صالح

وعهدى بصاحب الترجمة يقوم على رؤوس العلماء اذا كانوا فـى دارنا عند الوالد وانا صغير ، وكان الوالد يستخدمه فى ذلك ، لانه ابن أخته ، ولانه أصغر القوم ، وله الى الان كمية كبيرة من المشاركة حفظه الله ووفقه للخير ، (ثم انه توفى بعد مرض قرب عصر الاربعاء ـ٢٧ـ١٠ـ١٣٥٩ هـ ثم تلته بعد أيام قرينته ، ولم يذرا الا ثلاث بنات رحمهما الله)

ومن أكبر ماينبغى أن يخلد للمترجم سعة اخلاقه ، وتعاليه عن المخاصمات فلم يعهد منه انه خاصم ، ومن عرف بيئتنا فى الغ ، يعرف أنها مزيـة له وحده لايشارك فيها .

وبمناسبة ترجمته هذه أحكى مستطرفة ، فقد كان المترجم فى ركب فيه سيدى صالح بن احمد ، وأستاذنا سيدى عبدالله بن محمد ، وغيرهما ، وقـد جاءوا من سملالة الى الغ ، فى السنة الماضية ١٣٥٦هـ وقد عزوا فى الفقيه سيدى سعيد الاعضياوى ، فجرى ذكر هذا التاريخ الذى ابتدأت فيه اذذاك وقد شاعت اخباره عند الالغيين ، فقال قائل لسيدى عبد الرحمان تهيأ أنت أيضا ليترجم لك فلان، يعنى القائل لذلك الاستهانة بصاحب الترجمة ، كانه خال من جميع المزايا التى تعتبر فيمن يسلكون فى سلك رجال التاريخ ، اويعنى القائل ـ والله اعلم ـ الاستهانة بتأليف هذا الكتاب الذى نؤدى به واجبنا نحو الالغيين ، واياما كان فهذا سيدى عبد الرحمن بن محمد قد ترجم له ، ولو كنت جالسته كثيرا ، وقيدت عنه من منشداته التى يحفظها كثيرا ، أوقيدت من الاخبار التى يوعيها فى صدره ـ كما قيدت عن آخرين ربما كانوا دونه بكثير ـ لطالت ترجمته ، ولكن ماقدر له هو هذا ، وهذا قلمى يؤدى الواجب نحوه كصلة للرحم ، لانه ابن عمتنا مريم التى توفيت بعده بكثير ، وقد كنت رثيتها بهذه القطعة يوم اقبرت فى ذى الحجة ١٣٦٢ هـ فقد كتبت الى اخى المترجم شيخنا عبد الله بن محمد والى صنوه الاديب محمد بن على :

سبق القضاء بما يكون فكانا ماذا تفيد وان تذب احزانـا ؟
حال الزمان كذاك ليس بحائـل عما تـعـود كائنا مـا كـانـا
خطب جسيم طم الغ جميعه لم يبق لاقمما ولا غيطـانـا
هذا الزمان وتلك غاى حياته كـم آذنت بخطوبها ايـذانا
اوما ترى استهلالة المولود فـى فجر الحياة أما كفت عنوانا ؟
من ذا يسر بذى الحياة وانها مثل السراب بقيعة لمعانا ؟
تبدى السرور لكى تغر اذا بها تلقى عليك من الاسى الوانا
ان الحياة هى الخيال بعينه لاكان مغرور بـهـا لاكـانـا

من دان للدنيا وزور حياتها ... أيخاله لسوى الفقاقع دانا ؟
كم من مليك عز في سلطانه ... امسى ولا عـز ولا سلطانا
او عالم يسقي الورى ببيانه ... كاسا سقاه حمامـه كيسانا
البس من الوان الدمقس ومس كما ... يرضى الهوى واسحب به الاردانا
فمدى حياتك ان تجلل يوم ما ... يحدوك أهلك للثرى اكفانا

* * *

أواه انا في الجنائز خشع ... حتى تبل الادمـع الاجفـانا
لكننا ان نرتجع أهواءنا ... سرعان ماننسى الاسى سرعانا
عجبا لها من أنفس صماء لا ... تندى كأن قد خلقت صوانا

* * *

شيخي الامام أبا محمد الذي ... قد كان في مقل العلا انسانا
ومن الذي بعلومه وفهومه ... حلى الزمان فزين الازمانـا
ومن الذي من علمه اقرانه ... قبسوا فبذوا في العلا اقرانا
الله يعظم اجر سيدنا الهما ... م فمملىء بأجوره الميزانـا
[illegible] الصونة نعمها من حالة ... حلت بها الابصار والآذانـا
[illegible] من بعدها احدولة ... قد عطرت بأريجها الجيرانا
[illegible] فانا قضيت ايامها ... في متجر أمنت به خسرانا
فالله يرحمها ويلهم فضله ... مـا بين جنبي رمسها غفرانا
فهو الامام وهل يخيب لزيل من ... يغدو الجدا من كفه هتانا ؟
وابوها في قبرها ان خلفت ... شمسا وبدرا زينا الاكوانـا
شيخي الامام وصنوه من يجتني ... منه القريض قصائدا افنانـا
داما لنا قطبين للآداب مـا ... قالا بيانا منسيا سحبـانا
فعليهما مـني سلام طيـب ... كالزهر يصبح بالندى ريانا

محمد بن عبد الله بن محمد الصالحي

ليلة ١٧-١٢-١٣٢٣ هـ = سحر ١٣-٨-١٣٧١ هـ

نسبـه :

محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن صالح بن عبدالله بن صالح ابن عبدالله بن أحمد بن عبد الله بن سعيد .

هذا أحد نجباء النشء الاخير من الالغيين ، وقد رأيته ممن يجوب في طرفهم الادبية من بعض حكايات تقدمت لنا ، أخذ القرءان بقريته ، ثم لازم والده فهذبه وشذبه في المبادىء حتى ظهرت نجابته غاية ، وقد أخذ عن أبيه في المدارس التي يشارط فيها أعوام ١٣٤٠ هـ ، ثم كان ماشاء الله في المدرسة التانكرتية ، عند شيخنا الطاهر وابنه سيدي محمد ، ثم اتصل بالاستاذ سيدي محمد بن أحمد ابن الحاج صالح في دار القائد سعيد التيكزيريني بآيت أمرمن حاحة عند اخوتنا هناك ، فاخذ وازداد ، وفي سنة ١٣٤٨ هـ أوفي السنة التي بعدها كان معنا بمراكش ، فكنت أرى له نجابة تؤهل منه للمستقبل أن يكون ابن أبيه ، ولكنه لم يتيسر له ذلك ، فالتحق ببعض اناس هناك كخادم أو معلم ، ثم راجع أهله ماشاء الله ، ثم ذهب أيضا مغاضبا لبعض اهله ، وقلما يصبر الشباب حتى تمخض الاوطاب . وقد كان حينا في أيت صواب عند سيدي الحاج الحبيب - فيما سمعت -

ومن آثاره رسالة وقفت عليها ، كتبها لبعض الالغيين ، بعد أن عول على أن يكيل تراب الارض بالقدم ، وأن يجول في أرض الله الواسعة ، وهي هذه مكتوبة بالنثر المرسل ، وياليت الالغيين الادباء تنبهوا لمحاسن النثر المرسل ايضا ، فيكفوا من غلوائهم في السجع الثقيل : وهذا ماكتب ملخصا .

لا عن قلى فارقت موطننا الالغي ... ولكن من يحيا فلا بد من ملغ

لقد جازيتمونا آل الغ بضد ما نؤمل منكم ، فخالفتم الضابط المعهود الذي فيه ان الجزاء من جنس العمل ، ولكن ذلك كله من أمور النساء ومتابعتهن ، وقد ذكرتني هذه الواقعة أخرى ، والشيء بالشيء يذكر ، وذلك أن أعرابيا له حليلة خاصمته ، فتوجه الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فصار يذكر وقاحة زوجته ، وما يلاقيه من لسانها ، فانشده ابياتا منها :

«وهن شر غالب لمن غلب»

فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يكرر هذا الشطر ، وذلك لعمري حكمة بالغة ، والآن اننا ما اسفنا على مافعلتم بناولله الحمد ، ولم نترك عندكم مـــا يستميل بعض عقولنا سوى شقيقة صغيرة ، ولكن علم الله اننا لم نقدر على ان نفهمها شيء ، فلو قدرنا ما فتحت عليها عين هناك ، فان لم يعجبكم الان تميتوها فاميتوها أيها الالغيون ، واما نحن فنشكر الله على أنه هو الواعد برزق الانسان حيثما كان الغ تلك الرسالة التي أودعها كل مايجيش به من الغضب والحنق على أهله بالغ ، ولم أعرف كيف وقع له ، ولالمن كتبها ، ولكن الغالب أنه كتبها لبعض اقرانه من اهله ، وانما اختصرنا منها لاننا لاغرض لنا الافي عرض انموذج من نثره ، لنسوقه كاثر ، وقد وجدنا من هذا القدر مانكتفي به ، وأيضا انني رأيت في آخرها بعض مالاحب أن ينشر ، ويجب أن يطوى ، وماعودنا أقلامنا الا نشر الحسنات فقط

ثم انه اليوم يذكر لنا في الحواضر وراء المغرب ،ولاندري ماالله به فاعل ووالده شيخنا يدعوله بخير ، وقد قال امامي : انني رضيت عنه أينما كان فيه، فهنيئا له برضا والده ، وقدكان أبوه يتمنى لورجع ، لانه ولده على كل حال وقد علمت بعدما كتبت ماتقدم أنه كان في (عنابة) بالجزائر ماشاء الله، ثم تقلبت به الاحوال وضرورات الحياة ، الى ان استقر في (تونس) سنين ، وقد [illegible] سنة ١٣٦٧هـ ثم لم ينشب أن اعتراه السلال ، فعاقه عن أي عمل ، [illegible] الا ان يلتحق باهله ، فكان ثاويا بين أيديهم في الغ ، وهناك لحقه [illegible] رحمه الله ، وقدكان فكره ترقى في الحواضر ، ولكن جاء الاجل الذي [illegible] ولا جموده ، وقدكان له خط اشبه شيء بخط والده الجميل، [illegible] راجح، وادراك لمحاسن هذا العصر ، فكان بذلك من نجباء [illegible] في رونق شبابهم ، رحمه الله

ومما يتعلق به انه كتب من (تونس) اومن (الجزائر) رسالة قال فيها مانصه ...... هذا فانني الآن اقدر ان أصرح بان ماكنا فيه ، ولانظير الا بقوادمه وخوافيه ، ليس من العلم الا كخيال يخطر ببال ، أو كاحلام تلم في المنام، والا فاين من هذا التفكير ماكان يستولى علينا ونحن في البوادي ؟ وأين مانحن فيه في مدارسنا هناك ، مما نجده الآن في الحواضر ، في كل النوادي ؟ هيــهــات فالحق ابلج ، والباطل لجلج ،ومن لم يكن اكمه ولاذاعمى وعمه ، فانه يفرق بين الحالين ، كلما اجال العينين ، فالحمد لله الذي هدانا لهذا ، ومــا كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله

النجيب سيدى عبد الحى

ابن عبد الله الصالحي

١٣-٦-١٣٥٢ هـ = ليلة ١٩-٧-١٣٧٤ هـ

نسبـه :

عبد الحى بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن صالح بن عبدالله بن صالح بن عبدالله بن أحمد بن عبدالله بن سعيد

هذا من نجباء الابناء الالغيين ، حفظ القرءان ثم درس على والده الاستاذ الكبير كل الفنون في المدرسة الايغشانية ، حتى شدا وكاد يتفوق ، وقد سمعت مرارا بنجابته وبما يوثر عن نباهته ، ولاريب أن الشبل ابن الاسد ، وأنه ابن ذلك العلامة الكبير والعرق نزاع ، قال زهير

وهل ينبت الخطي الا وشيجه ... ويغرس الا في منابته النخل

وقال بشار :

وليس الجود منتحلا ولـكـن ... على أعراقها تجرى الجياد

وفى اوائل ١٣٧٦هـ بلغنا أنه كان اختلى في بيت من بيـوت المدرسة الايغشانية ، وأدخل معه مجمرا من الفحم موقدا ، فوجد صاحبنا ميتا في الغد ولاريب أن ذلك بسبب ذلك الجمر ، فذهب مبكيا على نجابته، فماكان الاكزهرة ذوت اثر ماتفتحت ، وثمرة نخلة يبست بمجرد ما تلقحت ، رحمه الله وغفر له

تأبينه

ومن خط اديب الغ سيدى محمد بن على مايل

(في اليوم التاسع عشر من رجب الفرد عام ١٣٧٤ هـ توفي عبد الحي السيد البر الحافظ الفطن ، قائد السيادة والمجادة بالرسن ، نجل شيخنـا واخينا البركة ، ميمون السكون والحركة ، العالم العلامة ، اللابس من اردية الفخار أبدع لامة ، سيدى عبدالله ابن الشيخ الاكبر عمنا سيدى محمد بن عبدالله رحمه الله ، وبارك في خلفه ، ءامين ، وهذا السيد المتوفى كان يقرأ عند ابيه بمدرسة (غشانة) ، ملازما لدروسه ، مشتغلا بما يعنيه ، معجبا بسرد كتب الادب ، حتى كاد يقضي منها الارب ، فعاقه الحمام ، دون التمام ، فللـه الامر من قبل ومن بعد ، فانالله وانا اليه راجعون ، وذلك أنه يسرد كتاب (الكافي

في علم القوافي) فوجده الطلبة في الصباح صائرا الى رحمة الله فعظم الله اجرنا في مصابه ، بجاه النبي واصحابه صلى الله عليه وسلم فرثاه اخونا الاديب ، من له في العلوم اوفر نصيب ، سيدى الطاهر بن علي معزيا لوالده واخويه بابيات حسان ، ذكر فيها بعض مآثره الجمة ، ونص الابيات

رمتنا صروف الدهر بالحادث النكر ... مصيبة عبد الحي ذالكم البر
اذاب مصابه العظيم حشاشتي ... واودع في الاحشا احر من الجمر
بكتك حمامة الاراك بشجوها ... بدمع يحاكي القطر من شدة الهمر
كذاك دفاتر العلوم باسرها ... بكته كاعوال المحابر والجهر
فان كان عبد الحي خلى مكانه ... فقداعقب الشوق الاليم مدى الدهر
لحبيب راى غير العلوم بطالة ... فأدركها بلا حياء ولاقسر
حسبنا له عشرين عاما وكلها ... قضاها من المجد المؤثل والفخر
فصبرا بني عبد الاله وكلنا ... بنوه ، فكل العالمين الى القبر
فلازال في رحمى من الله ذي العلا ... الى ان يحل الخلد في حلل خضر
بجاه اجل الرسل سيد خلقه ... عليه صلاة الله تترى الى الحشر

كتبها العبد الضعيف عمه محمد بن علي ختم الله لنا بالايمان والاسلام آمين بجاه النبي الامين في ٢٦ يوما من الشهر المذكور ، ثم انشأ الكاتب شبه تعزية [illegible] بقول القائل :

انا نعزيك لا انا على ثقة ... من البقاء ولكن سنة الدين
فما المعزى بباق بعد ميته ... ولا المعزى وان عاشا الى حين

ولله در القائل

خير من العباس اجرك بعده ... والله خير منك للعباس

ونص الابيات المذكورة

أمن بعد ما أودى الهمام الذي سما ... علاء وهمة ومجدا على السما
اريد طوال العمر ابغي مسرة ... وأستنشق الزهر المطير تنسما
وكيف وعبد الحي سيف مهند ... فأغمده كف المنون مثلما
وليد أخي عبد الاله وشيخنا ... ومن كان احرى بالعلوم وأعلما
ولست المصاب مفردا بل جميعنا ... مصاب برزء ما أحر واضرما
فمن بعده للدرس والحفظ انه ... عقول فان يسئل أجاب مصمما
لقد طمحت عين الكمال لرشده ... ولكن اصابته فصار مرخما
الا هكذا الدهر الخئون فان اتى ... بشيء يقر العين اتبع صيلما (١)

١) الصيلم الداهية

الا تستحي ياموت لما خلسته ... يتيمة سمط كان عقدا منظما
خلست خلا لا كالنسيم اذا سرى ... حياء عفافا في شباب تكرما
وقد قيل تعتام الكرام وتصطفي ... عقيلة نذل كان قد ما مدمما (٢)
فلله ما اودعتنا من كئابة ... بغير وداع اذ رحلت مكرما
نايت عن الدنيا الدنية مدبرا ... فأعطيت في الجنات مأوى وانعما
رضينا بما قد قدر الله انه ... سياجرنا عن فادح الوقع اعظما
فصبرا أخي صبرا جميلا فانما ... دواء المصاب الصبر مهما تحتما
فنرجو له الرحمى من الله منة ... بجاه النبي صلى عليه وسلما

هذا مانفث به الخاطر الكليل من المصدور العليل في تابين هذا السيد الكريم رحمه الله آمين)

١) من بيت قديم

العلامة المدنى بن على الصالحى

١٣١٢ هـ = ١٧-٦-١٣٦٥ هـ =

نسبه :

المدنى بن على بن عبدالله بن صالح بن عبدالله بن صالح بن عبدالله بن احمد بن عبدالله بن سعيد

هذا هو الثالث من عمد المدرسة الالغية ، بعد والده العلامة سيدى على بن عبدالله ، وعمه مؤسس المدرسة سيدى محمد بن عبدالله ، وقد رأيت من الرجلين مارايت ، علوهمة ، وسعة معارف ، وشفوف مقام بين كل من يعرفون لهما ماخصهما الله به ، وهذا ثالثهما توصل بذلك التراث المنفس بعد والده المرحوم ، فحاول بكل مااستطاع ان يواصل الجهود التى يحتاج اليها من يريد القيام بذلك الصالح العام ، وان كان الوقت قد تغير فى عصره عما كان عليه الحال فى عصر اسلافه ، فقد تبدلت الهمم ، وفترت العزائم وتغيرت النيات وتلك النظرة العليا التى كان ينظر بها الى العالم الدينى أمس ، نظرة الهزء والاحتقار الى السجادة ، ولانعين على الاقدام ، فقد جاء احتلال هذه الجهات بعد ١٩٣٤ بداهية دهياء نزلت على هامات رؤساء المدارس العربية الدينية، وعن حملة مشاعل الارشاد الى المعارف ، اثر ماأعلن أن جزولة داخلة فى حكم الاعراف ، وانها خارجة من نطاق الشريعة الاسلامية ، فبينما كان امس علماء الدين والفقهاء ، ينظر اليهم باكبار واجلال واحترام ، اذابهم اليوم يضطهدون ويذلون ، ويتنكبون كما تتنكب الجربى ، فمال ذلك الاحترام التقليدى المتسلسل فى عصور جزولة ازاء علماء الدين ، وقادة الارشاد ، وناشرى علوم الاسلام ، الى سفلة رعاع همج يقدمون للادلاء بآرائهم التى ليست بنبع ولاغرب، فى مسائل وقضايا كانت دائما من اختصاصات الفقهاء والقضاة والمفتيين ، فيالها من ضربة وقعت على نخاع العلم العربى فى هذا العصر فى جزولة، ايستفتى الرعاة الاجلاف، الاميون الذين مازاولوا قط علماء، ولاجالسوا علماء ، ولا عرفوا قانونا ، ولاتلقوا اى درس فى مشاكل النوازل ، وقضايا الخصومات، ثم يوخذ برايهم ويسجل ، ليتكون منه غدا قانون على رغم الانوف يرجع اليه ؟ فمتى كان بالناس فى جزولة عرف يتحاكم اليه الناس، او يتخذ قانونا ؟ أم يظنون ان ماراوه فى بعض نواح مغربية ساد عليها الجهل من قديم ، يوجد مثله فى بلاد تسلسل فيها القانون الاسلامى ، حتى مازجت الشريعة المحمدية دماء شرايين

سكانه ، فهذا التاريخ هو خيرشاهد لماكانت عليه جزولة من الانصياع الى الدين والى قانونه الذى لايمكن ان تجد ازاءه من يخطر فى باله اى عرف اخر يحاول ان يجعله اساسا لفض النوازل ، وحسم المخاصمات (١) ، فلئن عاش الاستاذان سيدى محمد بن عبدالله ، واخوه سيدى على بن عبدالله فى زمن سادفيه قانون الاسلام ، وخفقت فيه راية العلم العربى ، وكان فيه المغرب مغربا حرا عربيا مسلما ، فامكن لهما بما يتمتعان به تحت تلك الراية ان يقوما بما قاما به فى المدرسة ، فكيف يمكن للمترجم سيدى المدنى أن يؤدى المهمة كما أدياها فى الوقت الذى تبدلت فيه الاحوال ، وتنكر فيه لامثاله من حملة العلم العربى ، ولكنه مع كل ماكان يلاقيه هو وامثاله فى هذه الفترة ، باذل كل جهوده فى القيام بالمهمة على قدر الامكان ، ومن بذل جهده حق البذل فانه لايلام فى التقصير ، ان وقع منه بعض تقصير

متعلمه للقرآن

ستري فى ترجمة اخيه سيدى محمد بن على الاديب ، وفى ترجمة اخويه الآخرين سيدى الطاهر ، وسيدى الحسن ، كيف كان والدهم الاستاذ معنيا بتربيتهم غاية العناية ، ويتمنى لو كان كل من خرج من صلبه كبش الكتيبة، وبحرا زاخرا بالمعارف ، وعلما خفاقا فى الاخلاق الفاضلة ، وفذا من افذاذ علماء الغ ، وكثيرا ما يتلون لهم بحسب ماتقتضيه الاحوال فتارة يصول صولة الاسد المشبل ، حتى ترتعد فرائصهم ، وترتجف من الصدور قلوبهم ، وتصتك فرقا مفاصل ركبهم ، وتارة يكون لهم الين من الحرير ويسرى الى ثنايا عواطفهم بما هو ارق من نسمات الاسحار ، الجارة ذيولها على حدائق الازهار

فقسا ليزد جروا ومن يك راحما   فليقس احيانا على من يرحم

وهو فى كل ذلك لايعدو مقتضيات الاحوال ، فيلبس لكل حالة لبوسها ، ويكون كالنطاسى الذى يقابل الحار بالبارد ، والبارد بالحار ، نصحا منه لافلاذ كبده، وسنا لغرارهم ، وصقلا لصفائحهم ، وشحذا لهممهم ، واثارة لعزائمهم ، فبهذه الهمة تاتى له أن نرى اولاده أربعة علماء أدباء مشاركين، مامنهم الازينة المجالس وصدر المحافل ، وطراز المعارف ، وقطب المباحث ، ونزهة المطمئن ، وعقلة المستوفز ، وكعبة الادب ، فمن رآهم وقد حلقوا على كتاب أدبى ، يتناقشون ويتباحثون ، رأى كيف ينجب الاولاد ، وتتكون حلبة فى ميدان رضعت كلها من ثدى واحد ، ودرجت من حجر واحد

نعم الاله على العباد كثيرة   واجلهن نجابة الاولاد

نشا المترجم كما نشا اخوانه فى المكتب القرآنى ، فقد استظهره على يد

---

١) ليرجع القارىء الى اوائل كتاب (سوس العالمة)

اساتذة منهم الاستاذ سيدى احمد اخساى فى مسجد القرية ، ومن الاستاذ سيدى ابراهيم بن الحاج القاسمى البعقيلى ، من أسيف أودرار (وادى الجبل) ومن الاستاذ سيدى محمد بن محمد الانامرى من أنامر نيت الطالب السملالى، كما شارك اقرانه من اهله فى آخرين ذكرناهم فى تراجمهم، فى (الفصل الثانى) فى هذا (القسم) نفسه ان شاء الله

فى مناغاة المعارف

افتتح اولا فى المدرسة الالغية التى يدرس فيها ابو القاسم بن مسعود التاجارمونتى ، وقد يلم بها والده بالقاء بعض الدروس ، ثم نقله والـــده الى المدرسة الايمورية عند الاستاذ سيدى احمد بن صالح التانكرتى الافرانـــى، فلازمه سنين ، حتى استشف الفنون المتداولة الى ثمالتها ، وقد اعتنى به الاستاذ، فحفظ عنده كل مايعتنون بحفظه ، من متون النحو واللغة والفقه والادب والفرائض والحساب والسير والحديث والتفسير ، ويطالع معه كتب الادب والتواريخ التى تروج عندهم ، ثم لم يفارق الاستاذ تلك المدرسة حتى نال تلميذه هذا شفوفا مقلبا ، وكان فى كل وقت ورد فيه الى (الغ) فى العواشر المعتادة ياخذ مـــن مجالس والده الذى يطفح دائما بالبحوث ، ومن عاداتهم ان الطلبة فى أمثال هذه المجالس يعطون كتابا من كتب الادب لتلاميذهم فيتلـــون فيه امامهم ، فيتناول الكل فيما يتلو فى التصريف والاعراب وضبط الكلمات اللغوية ، ويمتد المجلس بامتداد الجلوس ، وكثيرا مايستمر ساعات ، مـن الصبـــاح الى الزوال ، او من المغرب الى ان يهار الليل ، عادة الفوها لايحول بينهم وبينها الا طارئ يحول بينهم ، لايجدون منه مناصا ، وبأمثال هذه المجالس ينبغ ابناؤهم ، وما لايطمعون فى مثله لو اقتصروا على الدروس المدرسية وحدها ، فليتامـــل القارئ كيف البيئة العلمية الالغية التى يقرأ ويسمع عنهـــا كثيرا فـــى هـــذا الكتاب ، وفى اخواته من كتب اخرى

حدثنى المترجم أن اباه كان دائما يواخذه مثل هذه المواخذات بـــالاسئلة ، ياخذ بعضها برقاب بعض ، قال وماكان لى أن أتملص من أنشوطاتها لـــولا أن الشيخ –يعنى والدى– كان كلما دخل فى العشايا على عادته من الالمام بمجلس الفقيه كل عشية يسرحنى من قبضة من يسائلنى ، ويقول له ان الولد ماجاء من المدرسة فى العواشر الا ليستريح ، قال ولكن لايكاد المجلس ينعقد ثانيـــا حتى ترجع المباحثات والاسئلة وحل الالغاز والاحاجى جذعة ، كما تكون دائما، وقد وعده والده يوما ان حفظ كتاب (مثلث قويدر) أن يعطيه حمل سكر ، فكاد يحفظه ، وهذا الكتاب مطبوع فى ارجوزة مربعة

هكذا دام المترجم على الاخذ ، حتى نبغ نبوغا يشهد له به كل من يعرفون

مقدرته ، ويسبرون غوره ، وقد سمعت اخاه الاستاذ سيدى الطاهر بن على، يثنى على هذه الناحية منه غاية الثناء ، ويقول لم ارقط مثل درسه المحكم الذى يرى منه التلاميذ ما لايرون من غيره ، فانه حسن البحث ، دقيق الفهم ، ممتع الصدر حسن المجالسة ، يحسن التكلم كما يحسن الاستماع

بهذا يعلم ان الذين انتفع بهم ، هم هؤلاء الثلاثة ، والده الذى يلزه كلمـــا لاقاه بالمباحثات ، والاستاذ التاجارمونتى ، ومهذبه الخاص سيدى أحمد بـــن صالح الافرانى

يشارط فى مدرسة بالاخصاص

تتبع كما رأيت حتى صار محصلا غاية التحصيل ، وكان مثلا يضرب فى النبوغ ، استحضارا وفهما واقتدارا ، فكان والده يهتم أن يدير شؤون المدرسة اثر ما غادرها الاستاذ التاجارمونتى ، ولكن غرارة الشباب ، وعدم ادراك الاولاد المغزى الذى يرمى اليه الآباء ، حالادون ذلـــك ، فاضطر والـــده أن يشارط اليزيدى العلامة الكبير ، سيدى أحمد فى المدرسة الالغية ، وان يرسل ولـــده المترجم الى مدرسة سيدى على بن سعيد ، لعله يدرك كيـــف ينتخل الانسان آراءه ، وكيف توكل الكتف فى هذه الدنيا التى لاترحم احدا ، فتصدر هناك، وحلق عليه تلاميذ أفرغ وسعه فى تعليمهم ، فكانت هذه الدراسة باكورة اعماله فى هذا الميدان وذلك حوالى ١٣٤٠هـ

ومن اللطائف الادبية ما وقع فى هذا الحين ، وذلك أن مابين المترجم وبين شيخنا البوزاكارنى غير متصل ، كعادة الاقران ، والمعاصرة تمنع المناصرة، ولم يكن سيدى المدنى محظوظا بين أمثال ابى زيد البـــوزاكارنى ، وأحمـــد اليزيدى ، فلم يزل مابينه وبينهم غير عامر ، وقد كان شيخنا البوزاكارنـــى مرابطا فى الغ واحد اوتاد مجلس الاستاذ سيدى على بن عبد الله ، فكـــان التراشق بين المتعاصرين لاينقطع ، ففى يوم أراد الاستاذ أن يبعث المترجم الى مدرسته بالاخصاص ، فتداول مع من حضر مـــن المسافرين الى الاخصاص اين يبيتون ذلك النهار ، فقيل يبيتون عند الفقيه سيدى احمد الرخاوى ، وقيل بل يبيتون عند فلان ، وهو جاهل أمى جاف جلف ، فقال شيخنا البوزاكارنى ، الاولى أن يبيتوا عند هذا الاخير ، ثم انشد والاستاذ على بن عبد الله يسمع كما يسمع كل من حضر وهو يقصد ذم صاحبه المترجم :

ارسل الى الوغد وغدا ان بليت به ... ان الطيور على اشباهها تقـــع

فلم يزد الاستاذ سيدى على بن عبد الله أن أغضى وسكت على مضض ، لان للملموز المترجم عنده مكانة ، فكان الموقف احد مواقف حلمه واغضائه رحمه الله، ولم يكن ليخفى عنه مابين الرجلين ، وقد كان شيخنا يحكى هذا فى معرض حلـــم

الاسناد ولتجرعه مرارة مايسمعه من الكلام الجافي احيانا

بعد رجوعه من الاخصاص

بقي هناك مابقي، وقلب والده الحنون الذى هو كقلوب كل الاباء، يترجى من ولده هذا العلامة ان يؤوب بعقلية كالتى تعهد من الاسلاف ، تدعمها المروءة ، ويقومها التثبت ، ويحوطها المشى بالهوينى فى جميع الامور ، ولكن صاحبنا الذى تشافى عز الجاه ورفاهية المال ، واحترام العلم ، لما يدرك كل مايراد منه ، حتى انه بعد مارجع من الاخصاص ، وقع بينه وبين والده مايقع دائما بين مختلفي الافكار ، ومتوزعى النزعات ، ولكن الاستاذ ساير واغضى ، وهو ينشد بلسان حاله ماقاله الاول :

فان يك عامر قد قال جهلا ... فان مطية الجهل الشباب

ولم ينشب الجرح ان اندمل بسرعة من غير أن يترك حتى يكون نغلا

يتزوج

زالت تلك النفرة التى ما سببها الا مايلفقه القتاتون النمامون بين اكرم والد وابر ولد ، وكل نفرة تسبب عن امثال ذلك فسرعان ماتزول ، لان الباطل لايطول الا الوقت الذى يغفل فيه الحق عنه ، وماثورة والده عليه الالكونه يريد ان يتزوج ويركز ليحصر المقام الذى لابد له منه ، بعد أن يتقيد بقيد الزواج ، وان يتحصن بحصن المروءة ، ولكن الاقدار لاتغالب ، فلم يتزوج الابعد وفاة والده بسنوات ، وذلك فى سنة ١٣٥١ هـ والابعد ان اوصى والده بالمدرسة له ، فكان ذلك علامة رضاه عنه كل الرضا

تزوج كريمة من كرائم احدى عماته ، وهى بنت السيد محمد بن الحاج ابراهيم الايفشالي ، فقام عرس عظيم لانظير له ، وقد زف السيدة نحو ثلاثمائة من الايفشاليين ، يقودهم الشاب على بن احمد الذى هو اذذاك فرهدكما ابتدا يظهر تحت نظر والده فى الميدان ، فظهرت منه وممن معه مما يملونه كشروط على عادة الذين يجلون عروسا الى زوجها ـ أعمال لاتليق ولاتوافق مكانة الاستاذ المتزوج ، ولامكانة آله آل على بن عبدالله اجمعين ، ولكن ذهب الرجال ، فجاء امثال هذا الشاب الغر على بن احمد الذى لايمكن ان يقدر الناس قدرهم

اذا غاب ملاح السفينة وارتمت ... بها الريح يوما ضببتها الضفادع

والده يستخلفه في المدرسة

احتضر والده سنة ١٣٤٧ هـ فاحاط به أبناؤه ، كالنجوم تحيط بطلاوة البدر فى علياء السماء ليلة الصحو ، فكان مما اوصى به الحاضرين ان يسلموا

مفاويد المدرسة لسيدى المدني فانه احق بها واهلها ، لمكانته فى التحصيل ، ولما يرجى من القيام بها ، لانه كريم سمح جواد (فليتق الله سائله) وهكذا وضع مجد الغ العلمي فى يد سيدى المدنى كامانة يحافظ على كنزها حتى يسلمها مصونة كما تسلمها الى من يرثها من بعد ، والله خير الوارثين

في القيام بالمدرسة

كانت هالة مجد الاستاذ سيدى على بن عبد الله ، متسعة غاية الاتساع ، وشهرته فى كل تلك النواحي طنانة ، سواء فى ميدان المعارف ، اوفى ميدان الرياسة ، والناس فى ذلك الوقت لايزالون ملتفين حول آل الهيبة يدافعون عن كيانهم ، ويذودون عن سرحهم وعن دينهم ، وعن شرفهم وعن وطنهم العزيز وقد كان للاستاذ فى كل ذلك من المقاومة وتصدر المعارك ماهو كالشمس فى رابعة النهار، ومايوم حليمة بسر، فلما استاثر الله به سنة ١٣٤٧ هـ وخلفه المترجم فى مركزه صار يظهر بمظهر والده فى المجامع ، وفى منتديات الرؤساء وفى مجالات الجيوش المدافعة ، حتى وقعت الواقعة التى ليست لها دافعة اواخر ١٣٥٢هـ ، فاحتلت جزولة ، واستسلم كل من فيها ، وانزل الله اللطف بالناس، فلم ير من المحتلين اى عنت ولاعناء ولامغرم ولااسر ولانهب ، فاذذاك برز أناس، واختبأ أناس ، وظهر رجال ، وقبع رجال ،وكان ممن قبع فى عقر بيته ، والتزم خويصة نفسه كل من ينتمى الى علم اومرتبة ما، فاوى كل الى شغله الخاص، فكان المترجم احد أمثاله، فسكن فى مدرسته يزجي الايام بتعليم من ياوون اليه فكانت الدراسة وان سارت حنفاء فى غيرجد غير منقطعة بالكلية ، فاشتغل بها اشتغالا ما ، وذلك بعد ما حاول ان يكون له حبل متصل بمسيرى الشؤون فى مركز (تافراوت) وبعد ما سافر الى (الرباط) بظهائر الاحترامات التى توارثتها قبيلتنا منذ الجد الاعلى ، فاستطاع أن يرجع بظهير بطابع ملك العصر ، مفخرة العلويين سيدى محمد بن يوسف ، يريد بذلك أن يملأ مركز الرياسة فى القبيلة ، ولكن سبقه بذلك عكاشة ، كما انه لم يجد فى مركز تافراوت بابا مفتوحا ، ويا طالما طرقه واستوصل حبله ، ولكن الحبل وان لم ينقطع لم يات له اتصاله بفائدة

ما بيني وبينه

وعلى هذا وجدت أنا المترجم لما نفيت الى (الغ) مفتتح ١٣٥٦هـ بعد ثلاث سنين ، اثر احتلال تلك الناحية ، فكنت اواصله بالمراسلة بنثر اوشعر ، مما يجده القارىء فى كتاب (الالغيات) وقد كنت احس بلاذع فى نفسى كلما سمعت بان كرمه الجارف قد يتركه احيانا بلا ممضوغ فاقول اهكذا يعيش العلماء فى هذا البلد الذى خوى فيه نجم العلم، وخر سقفه على عرشه ، ولم ينقصم تواصلما

يبنى وينه حتى ودعت الغ ١٣٦٤هـ فبينما انا فى مراكش اواسط السنة بدهمانا بالاستاذ نعى الينا ، فقلت هذه صحيفة اخرى الغية طويت من جديد ، وهذه قسى الرزايا لاتبقى سهامها ولاتذر ، فياحسرتا على مجد الغ العلمى ، لقداتته الحوادث الماحقة من كل ناحية

ان كان عندك يازمان بقية مما تهين به الكرام فهاتها

فلولا الرجاء اذذاك من اخويه سيدى الطاهر وسيدى الحسن ، لقلت ان المدرسة افلت شمسها ، وصوح نبتها، ولكن -والحمدلله- للبيت رب يحميه ، فقد اتصلت حلقات السلسلة واتبع الخلف اثر السلف ، فقام سيدى الطاهر وسيدى الحسن فى المدرسة أحسن قيام ، فهاهى ذى الدراسة متتابعة الحلقات على قدر الامكان، وهاهم اولاء التلاميذ يردون عطاشا خماصا ، ويصدرون بطانا قدرووا حتى ضربوا بعطن ، ولولم يثن على همم هاذين الاستاذين مثنى ، لاثنت عليهما اعمالهما ، وهل يفصح عن الانسان الا أعماله ؟

فالنفح افضل من يثنى على الزهر ان لامسته ذيول الطل فى السحر

ناحية من أخلاقه

رحمك الله يااخى احمد ، فقد اكثرت عليه يوما واكثر على ، ونحن منحدرون فى ناحية الى بسائط الشمال ، فقال لى تعال ارك حسنات كل واحد ممن اعرفهم واتركهم من الاخرين ، فقلت له على شرط ان تترك انتقادك الآن، وان تعدنى على الانصاف ، فقال هاانذا انصف ، ثم صاريسرد على منهم الى ان وصل الى صاحب الترجمة فقال انه احسن الناس مجالسة ، وأفضلهم استماعا ، فقد كنت اراه فى محافل المذاكرة والمباحثة ، ملازما للتؤدة والوقار ، فلا يجادل ولايطاول ، بل يقول ويرد بالادب ، كان دائما يعجبنى بذلك ، فليس كفلان وفلان اللذين اراهما فى مثل تلك المحافل يثاور احدهما صاحبه ، كانهما ديكان يتناقشان ، فقلت اولم اطلب منك ترك الانتقاد ؟ فاننى لااحب ان اسمع اى انتقاد منك فى ابناء العلم الذين هم شعارى ودثارى ، اشيد بحسناتهم واتغافل عن سيئاتهم

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلا ان تعد معايبه

ثم قال ومن خلق سيدى المدنى أيضا الكرم ، فانه اليوم من لم يزل يتصف بهذه الخلة التى نفض منها الالفيون ايديهم ، فلايمكن أن يبصر ضيفا فيروغ عنه ، اويتجهم فى وجهه، اويجيف بابه أمامه ، فهذاماقال الاخ رحمه الله اذذاك، ثم اعاده مرات اخرى ، وزاد ان الجهة التى يوتى منها سيدى المدنى هى عدم اقتداره ان يملك سره، اويهدئ أعصابه ، فيقول فى كل مجلس اومع من يلقاه ما فى صدره ، فلايقدر على الكتمان ، فلوكان يزم لسانه عن الناس ، ويتظاهر بما يتظاهر به الناس من الاغضاء وعدم الصراحة ، لما وجد فيه أحد مايقول ولو

قبع فى مدرسته، وزم لسانه واغضى عن كل شيء ، لزاد الى فضل العلم الذى عنده مايجعل كل الناس يثنون عليه كل الثناء بكل المحامد التى هو اهل لها، وسمعت الاستاذ سيدى الطاهر بن على صنوه يقول : ان سيدى المدنى دراسته افضل دراسة، فانه يستفرغ فيها وسعه ، وتظهر سعة اخلاقه فى التقرير ، حتى أنه فريد بين اقرانه فى الدراسة ، ولوكان له مراعاة لملأ مركزه كما ملاه أبوه قبله لماله من سعة معارف ، وحسن ادراك

هذا ماسمعته من هذين السيدين ، وذلك مايدل على مقام كريم أوتيه الاستاذ ، وفاز به من بين أترابه ، فالتؤدة فى المباحثة والكرم ، والتقرير البليغ الذى يفيض عليه من سعة أخلاقه ، هذه الثلاثة هى التى تتفرع عنها شمائل الرجال ، وتتاصل عليها مناقب الكبار الذين يفرعون غيرهم ويتسلقون بها قمم المعالى فى التاريخ ، كما أن الاغضاء عن عيوب الناس هو الباب الوحيد الى اجلال الناس ، وأعرف انا منه أيضا كثرة الموادة وحسن المخالقة ، وهذا الخلق وان كان متفرعا على ماتقدم ، لكننى ذكرته على حدة لادلى بما عرفته منه أيضا بنفسى مع أننى لااخالطه فى هذا الدور الذى تصديت فيه لدرس رجالنا ، ولذلك عولت فى ذلك على غيرى ، وان كان كرمه أشهر من نار على علم ، سمعت كثيرين يصفونه به، فقد حفظه الله من الكزازة وأيده لعمارة المدرسة فى عصر لابد له فيه من الصبر الكثير ، ان أراد أن لايضيع التراث من يده ، وأن لاينعق البوم فى بيوت المدرسة فى عهده

آثاره

صاحب الترجمة من الادباء المكثرين الذين يقولون فى كل مناسبة دائما فكان له بذلك سيل طافح من القصائد والمقطعات ، ونحن نختار مما بين أيدينا مايروق الافكار ويعجب القارئين ، ولواعجابا ما

من ذلك قصيدة رفعها الى سلطان العصر سيدى محمد بن يوسف ، وقد وفد على حضرته اثر احتلال تلك الناحية ، فاجفل فيمن اجفلوا ، لعدم ثقتهم بالامان اذذاك ، وان كان ماظنوه اظهرت الايام أنه غير موجود ، وقد وفد -١٢- ذى الحجة عام -١٣٥٢ هـ ليجدد ظهائر المرابطين طامعا ان يجد عضدا ليتمكن من الهدوء ليعمر مدرسته ، فتم له الامان ، فراجع مدرسته

ايا ملكا اربت علاه على العد بما نال من ارث السيادة والمجد
ليهنك ملك طبق الارض صيته وذكر كما النسرين والاس والورد
ليهنك تاج حزته عن جدارة على رغم أنف الحاسدين ذوى الحقد
ليهنك نصر قد جنته يد القنا فقد فتحت سوس على اليمن والسعد
فصادف هذا النصر غيث فاعلنت تباشير خلق الله بالشكر والحمد

فاضحت الافاق من بعد قحطها … فولت جيوش الجدب مفلولة الحد
فيا ايها الول المجيد ومن له … علو على هام المعالى بلا جهد
تحولك ابقى من علاك تمام ما … وشته يراع جدك الجوهر الفرد
فتكتب تحريرا لاخواننا على … ظهائرهم لازلت تهدى الى الرشد
فنشكر نعماكم ونثنى عليكم … باسدائكم للعبد ما جل عن عد
فلازلت محروس الجناب ممتعا … بملك جدودك الغطارفة الاسد
ولازلت فى عز السعادة مالكا … زمام العلا والدهر من جملة الجند
بجاه رسول الله جدك من غـــدا … سنا دينه الوهاج نورا لمستهد

مر فى ترجمة الاستاذ على بن عبد الله والد صاحب الترجمة الاشارة الى ان هنالك بعض مقطعات ، خاطب بها الاستاذ الحاج أحـمـد أضارضور ـالاصبـ الابراهيمى ، يستنهضه الى الفتك بالايشتيين الذين غصبوا أموال الالغيين ظلما وعدوانا ، ثم فى ليلة أصبح الاستاذ شيخنا سيدى الطاهر ، وعلى لسانه هذا الشطر :

اقرت (اشت) عيون الشامتين بها

فالقى الشطر الى من حضر عنده ، فانتدب صاحب الترجمة ، فذيله بما [illegible] الا لاولئك الماكرين ، دعا الله تعالى ان يجتاحهم ، فبعد عقد من السنين [illegible] الفرية القاصية على الكل من يد (ايت خباش) بعد ان كانوا شواظا من نار [illegible] الناس ، فسقط منهم من سقط على رأسى الرئيسين احمد وعلى [illegible] فالجدلا فى معمعة نارا اليها بغتة ، وربما نتعرض لتفصيل ذلك [illegible] الى محل اخر فى هذا الكتاب ، او فى اخر بمناسبة

[illegible] صاحب الترجمة فى تذييله

[illegible] العيون الشامتين بها (١) … وحل فيها على الاعداء ما ارتقبوا
[illegible] به الابطال ايدى سبا … وحكمت فيهم الهندية القضب
واستسلمت للقنا رقابهم فغـدت … أجسادهم نهبة فالوحش ينتهب
ياأهل اشت وللاقدار دورتها … لازال للحتف فى أرجائكم خبب
الى تعلون حلت فوقكم نقم … فيها قلوبكم تلظى وتلتهب
هذى منى حققت من قول من فخرت … به المراتب وازدانت به الرتب
صدرالافاضل شمس الدين من خضعت … له الاماجد وانقادت له الشهب
رب الخصال اللواتى من مصابحها … يزهو القريض ومنها تشرق الخطب
حسب الكواكب لومن بعضها حسبت … يوما فينظمها فى سلكه الحسب
فالله يبقى سنا أنواره علما … ياوى اليه الالى نور الهدى طلبوا
يارب بالمصطفى والآل من نزلت … فى حقهم آية التطهير فانتخبوا
والصحب اسد الشرى يوم الوغى لهم … من كل من حاربوا المسلوب والسلب

---

١) يظهر أن الاولى ان يقال : فداقذت (اشت) عيون الشامتين بها ، تأمل

وبالشهيدين سبطيه اللذين هما … فاقا الورى نسبا ما فوقه نسب
وبخلائف امجاد ذوى كرم … ترضى سيوفهم اذا هم غضبوا
حقق لنا قول ذاك الشيخ عن عجل … بنسف اشت ومن لجورها انتسبوا
وزلزلنهم فلا يبقى لهم ابدا … ذكر ففى مثلهم يستحسن الحرب
عتوا فعاثوا وجاروا فى تحكمهم … اذ يحسبون لهم فى القهر ماحسبوا
قدحاربوا الله فعل الكافرين بـه … وعادة الله فى الاعداء ترتقب
فلاعدا البؤس والاقواء منزلهم … والمحل والفقر والطاعون والغضب
يارب أنت معين اللاجئين الـى … اكنافك الشم زعزع من هم غصبوا
وانصر عصابة من طاحت منازلهم … ظلما ولا زلل منهم ولا ريب
بحق خير الورى المختار من مضر … وصحبه الغر ما خانوه مذصحبوا

لله در سيدى المدنى ، فقد بانت غضبته من القصيدة ، والقت عليها وسامة ماتعرفه من الشعر العالى ، وكثيرا ماأقول ، ان الالغيين لو خاضوا فى غير الاخوانيات فانهم ستتجلى مقدرتهم غاية التجلى ، وفى آخر القصيدة نحو بيتين البعض قبل اختتامها

وقد صدرت منى قصيدة حول آل (اشت) لاباس أن أسوقها هنا ، لاننى المممت فيها باخلاقهم ، وبماالفوه من الغصب والفتك وهتك الحرمات ، ونصها:

تلك ضياع يالها من ضياع … كم طاف فى أكنافها من ضياع
استاسدت ضباع سكانهـا … فاحتوشت ما للاسود الضباع
كم كبد معروفة بالـتـقـى … قد كويت من عندهم بالتياع
فما لهم فـى العدل شنترة … لكن لهم فى ظلمهم ألف باع (١)
يغبن كـل مشتر بـيـنهم … والغبن راس المال عند الرعاع
املاكـهـم أملاكـهـم دائما … وان فتى بالبت والقطع باع
فالحبس فيما يزعمون له الـ … ـمجال فى كل رباع ربـاع
مخبؤ من تحت آباطهم … زورا وداعى الزور فيهم يطاع
ليس بمذكور لـدى بيـعهم … كيما يغر عـنـدهم ذوابتياع
حتى اذا ما وجـدوا فرصة … سانحة للضيم ذات اتساع
ادلوا بـه افكا ومخرقة … على ضعيف مـالـه مستطاع
يدلون بالزور بكف وفى الا … خرى سيوف الرغم ذات شعاع
كذلك الباطل ليس لـه … وقـع بغـير عضد وذراع
كذا بنو (اشت) ومن ملكوا … بين ديار (اشت) اى متـاع
معرضون دائـمـا عندهـم … للنهب والفتك وكـل ضياع
امن لهم فتك ببعضهـم … بعضا فعال ضاريات السباع

---

١) الشنترة بضمتين : مابين السبابة والابهام

يحترمون بينهم عالما ... اوصالها مهات لاسى الطباع ؟
فليحترس كل غريب فما ... لقلبه هناك الا انصداع
والنهب والفتك فكم طعنة ... يغمرها دم كثير شعاع (١)
وكم دفين ردموا قبره ... ليس بمكفون ولو بالرقاع
وكم غريب معه صرة ... ليس له من بعد ذكر يذاع
زائرهم ميت ومن سلموا ... من عندهم ءابوا بكل ارتياع
لكنهم كيلوا بايدى بنى ... خباش ذاك العام صاعا بصاع
ان الحديد ليس يفلحه ... الا الحديد ان يجد الصراع
فليعرف التاريخ (اشت) وما ... هم صانعوه بين تلك الضياع
فيدهم خرقاء لكنها ... فى حوك ظلم الغرباء صناع
افضل ممن يشترى بينهم ... ربعا جديدا بين تلك الرباع
من طلقت همته ارضهم ... طلاق بت ليس فيها ارتجاع
بارض (اشت) لا رجعت الى ... أرضك ما كان بظهرى النخاع
هذا وداع شاعر معلن ... حقا وان لم تستحق الوداع

وقد كان للقائد الحاج احمد اضارضورى التاغاجيجتى مكانة فى قبيلة اد ابراهيم ، ويستطيعون قبل الاحتلال ان يتوصلوا بقوتهم للحكم على الناس، فكتب اليه الاستاذ والد المترجم سيدى على بن عبدالله ، هذه القصيدة يستغيث به وهل الضعيف الذليل سوى الاستغاثة بالاقوياء ؟ والناس حينئذ من عزيز

اولوا امر اهل القوة والندى ... ويردى العدا والمبغضين وقد بغوا
عليهم [illegible] الجود فانهم ... اذا حقروا لانوا وان عظموا طغوا
وان [illegible]هم باللطف زادوا تجبرا ... وان عركوا انقادوا وان تركوا عصوا
وارجو من الرحمان كسر صفاتهم ... على يدك البيضا فعن غيرها قسوا
والم قد عرفت الشر فيهم ولم يروا ... سوى أن يجازونى بسوء فقدأسوا
ولاشرف فيهم كبيرا يريد ان ... يكون لهم شيخا ولا ولدة نشوا
فكلهم افعى لافعى وان هم ... صغار وما انكا الصغار اذا عتوا
فجعجع بهم وانهض اليهم ولاتبل ... بشوكتهم فالله يجزى من اعتدوا
فانا نجيش بالدعا ونضرع ... يعين لعل الله يهلك من عتوا
فلاتراقن ان كنت تعرف فعلهم ... من الشر فى أهل الصلاح وما أتوا
فبادرهم بالسيف قبل انتباههم ... فهم بين ناب الليث والظفر قدغفوا
ولاتعف عن شنعائهم وسفاههم ... فعن مثلها اجدادك الغر ماعفوا
وانى عن جود المهيمن ضامن ... لفضلك ان ياتوك بعد وقد صغوا
عليك سلام من اخ لك ود ان ... يراك شكيمات العداة اذا نزوا

١) شعاع بالفتح : متفرق

ثم كتب اليه ايضا فى هذا الموضوع ، وقد استبطا اغاثته :

الم يان للاعداء ان يتمزقوا ... وان ينتهوا عما اذا عوا من الظلم؟
الم يان للقوم الا راذل ان تصيـ ... ـب جمعهم بالشت عاقبة الضيم؟
الم يان ان يطهر الله ارضه ... باهلاك اجلاف عداة ذوى الظلم ؟
الم يان تدمير البغاة وحيفهم ... بصب عذاب الله من عارض الغيم؟
الم يان للقرم الهزبر محبنا الا ... صم يريهم ضربة البطل المصمى؟
فقم نحوهم وانزل صباحا بساحهم ... فساء صباح المنذرين اولى الجرم؟

وقد ذيلها بعض الالغيين لما قرأها فاستفزت شعوره ، والاسى يبعث الاسى، والالغيون ذات واحدة ، مآسيهم واحدة ، وأفراحهم واحدة ،

لماكنت تجلو السيف ان لم تزل به ... رؤوس ذوى عيث كطلس لدى البهم؟
لامثالها كنا نعدك دائما ... شجاعا يذود الخسف عن حرم القوم
وكنت كما قد كان حسباننا لها ... فهل خائب حسباننا منك فى اليوم؟
الى (اشت) حيث الظلم ان كنت فاعلا ... ولا تعتذر فعل الفتى الصائل الشهم
والا فلا فرق يرى بين حاسر ... وشاك ازاء المعتدين ذوى الغشم
فان كنت ذا سمع فهذا نداؤنا ... والا فدون الريب أنت من الصم
فقد جاء فيك الوصف وصفا محققا ... وجاء المسمى فى الحقيقة كالاسم

وقد اجاب القصيدة عن لسان المخاطب الحاج احمد اضارضور ، علامة اكرار سيدى محمد بن احمد الرفاكي بقصيدة على ذلك الروى اخترنا منها مايأتى:

الى سيد حاز الكمال بدينه ... وشتت أقيال الجهالة بالعلم
ابى حسن أطال للناس عمره ... اله الورى مع السلامة فى الختم
سلام حفى لايريم وان ناى ... خديما لآل العلم بالصدق والعزم
اجابك للمطلوب قومى وعترتى ... وان بقرت بطنى (١) وفت له لحمى
فطب أيها الشيخ السرى فاننى ... أعالج قدر الطوق بالجد والحزم
وان لم أكن أهلا لذاك فعترتى ... بحمد الاله قامعون لذى الضيم
فبشراك بشرى عن قريب ترى المنى ... ويهتك صون الظالم الفاتك الغشم
فبلناك ياشيخ الجماعة فلتكن ... هنيئا من الامر المهول من الدهم
لقد علم الاقوام أن حليفنا ... عزيز فكيف بالعليم اخى الفهم
فقد ما نذود الضائمين عن الحمى ... ويعلمها قلنا لدى العرب والعجم
لقد علمت سعدى بذاك فاننى ... أحدث بالنعمى فزال بها لومى
فيارب لاتخب رجائى فاننى ... بجدى وجدى واحتزامى وبالقضم
بامرك اقبالى بنفسى واخوتى ... ومالى وعرضى بالدماء وبالجسم
فثق ايها الشيخ المربى بقولتى ... ولا تعددنها من خيالات ذى النوم

١) البطن : مذكر لامؤنث غالبا

الى انقال :

شكوت الى بحر الطويل فعاقني   على ساحل لولاك غائلة العوم
فحاكيت لا كالنسج ضرب بطوبة   يقولون خير من هروب على شتم

وقال بعض الالغيين أيضا في هذا الموضوع :

قالوا غدت اشت ظلما في النهار على   (الغ) فقلت رويدا في غد ستري
عما قليل ستعلي الغ هامتها   عزا ويبصر (اشت) الذل من نظرا
فالغ (الغ) وان تذهب بساتنه   و (اشت) ان ذهبت أملاكه حقرا
هم حفروا لبني الغ البئار فهل   يهوى لاعماقها الا الـذى حفرا ؟

رجع إلى آثار المترجم

كان ورد كاتب آل كردوس محمد بن عبدالعزيز الصحراوى الى الغ ـ ١٧ ـ رجب عام : ١٣٤٦ هـ فتلقى ترحيبا به على العادة الالغية بقصائد عديدة ، من بينها قول هذا الاستاذ :

بسم العلا وامام العلم والادب   ومن له بمحياه سنا الشهب
[illegible] بين اهل الفضل ليهنه   قطاب محتده في العجم والعرب
ومن [illegible] العلماء عزمته   فراضها فغدت منه على كثب
اهلا بمقدمك الاسنى به انكشفت   عن القلوب دياجي الهم والنصب
[illegible] مبشر بطلعة من   اخلاقه كابتسام الكاس عن حبب
انا البلاغة والاعجاز ان كتبت   اقلامه فهما من اعجب العجب
تنسي فصاحته قس بن ساعدة   يوم عكاظ اذا ماستن في الخطب
والقم [illegible] طرسا في انامله   فصار ينسج منها حلة الادب
وابن عطية ان ينشئ الرسائل او   يزج القريض وقد اشفى على العطب
الخصال غدت الطف من زهر   في روضة أنف بـاثر منسكب
هذا ومن رام ان يحصي مآثركم   فانما كان في كد وفي تعب
فانتم الانف والاذناب غيركم   هل يدرك الانف يوما عقدة الذنب؟
فذي عجالة ذي عي وذي حصر   أغضوا عن النقد فيها يابني الحسب
من فكرة مالها في الشعر من خبب   فكيف تغدو من السباقة النجب ؟
مني عليك سلام طيب أرج   يامن له هالة فيحاء من أدب

وقال يهنئ اخاه الاديب سيدى محمد بن علي بولده احمد الذى استاثر الله به صغيرا ، وهو احد القائلين في هذا الولد اذذاك على العادة الالغية :

تألق وهنا من حماهم واسهدا   وذكرني تلك العهود وجددا
بريق سرى من نحو نجد ولعلع   فانعش ما اذوى النوى فتبددا

فبت بليل ارمدى بطول ما   اقاسي من الوجد المبرح قد بدا
واصغى الى سجع الحمام لعلها   اذا سجعت تسلي فؤادا مسهدا
ولكنني ما ان ازيد بسجعها   سوى مضض اقسى وأنكا وانكدا
لك الله من صب رمته يد النوى   بسهم غدا بالذكريات مسهدا
فاضحى لقى لم يبق فيه تجلد   سوى زفرات تستطير تصعدا
وقلب كطير قد أحس باجدل   اقض بهزة مشارفة الردى
فياليت أحبابي وفوا لي بزورة   ومدوا باشفاق بوصلهم اليدا
لاسعد منهم مثل ماسعد الورى   بطلعة نجل قاد سعدا فاسعدا
فينا أنا ما بين باك وواله   أريغ سلوا معوزا أو تجلدا
اذا بتباشير السعود تواردت   تهنئ بالنجل المبارك احمدا
فابسم ما بين الدموع كأنما   همي القطر حين الشمس اسبلت الردا
فتغمر انوار السرور جوانحي   بطلعة هذا البدر انور من بدا
فجاء التسلي بالجديد وطالما   ينسي نديم بالذى قد تجددا
وليد تبدى بالمفاخر والعلا   فيجمع ما قد كان منها مبددا
فيغمر آفاق البسيطة ذكره   فيغدو سريعا متهم الصيت منجدا
تولى اله العرش حفظ مقامه   وسوى له أوج المراتب مقعدا
وابقاه بدار نيرا متكاملا   واسس أوج المجد منه ووطدا

* * *

فياسيدا اربت مآثر فضله   على العد اذ حاز العلا فتفردا
ليهنك نجل قد اتيحت له العلا   وريقت له شوس المعالي مؤيدا
فلازال مامونا مصونا بجاه من   هدى فاهتدت منه القلوب وأرشدا
عليه من الرحمن ازكى تحية   تدوم دوام الدهر ليس لها مدى

وهذه القصيدة كنت وقفت عليها قبل اليوم ، فكنت أحاول تخميسها ، فوضعت بعض أشطارها ، وبعض أبيات تامة ، ولكن لم يتم ذلك ، واليوم ادخلت فيها ماأعجبني من ذلك الذى قلته ، ولما بيني وبين صاحب الترجمة من الصحبة الاكيدة ، أردت اليوم أن يمتزج قولانا هكذا حفظ الله لالغ وللأدب آثاره

وذهب مرة صاحب الترجمة الى زيارة الاستاذ شيخنا سيدى الطاهر فكتب ابوه الى شيخنا سيدى محمد بن الطاهر مع رفقائه هذه الرسالة:

«الاخوان الصدور ، ومن على فلك افهامهم درارى الافق العلمي تدوز ، قطب الدائرة ، سيدى محمد بن الطاهر بن محمد بن ابراهيم ، وفلان وفلان والجميع بابي مروان ، اصلحكم الله وأصلح بكم ، وهداكم الى الطريق المستقيم وجعلنا واياكم من حزبه السليم ، وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته •

وبعد فالاحوال لله الحمد بخير ، ويرد عليكم الولد الابر محمد المدني ، وقد

القدره على المشى شوقه وتوقانه ، وان كان ضعيفا ، واستشعر بوصولكم سعدا جديدا وقدرا منيفا، وهو بحمد الله كما قيل :

طرفك في الفضل بعيد المدى ... طرفك للمجد شديد الطموح

فاقدروا قدره ، واكرموه بدعاء ينور ويشرح صدره ، فما جزاء من يحب الان يحب ، والسلام عليكم ورحمة الله ، كتب اليكم الضعيف الراجي كرم مولاه اللطيف ، علي بن عبدالله بن صالح الالغي أمنه الله»

ثم لما رجع الوفد كتب معه شيخنا الاكبر سيدى الطاهر بن محمد مايلي :

مولاي اوفدت ـفضلاـ شبلك المدني ... على فقير غريب نازح الوطن
فجدد الانس مذ وافى وانعش ما ... أذوى النوى فتبدى مورق الفنن
ورد ما عصفت أيدي الحوادث من ... نشاط فكر طواه الهم مذ زمن
لله منه ذكاء يستطير سنا ... ويرتمي فطنا ناهيك من فطن
وهمة لاتنى او تبتني شرفا ... عزمنا لا ويستولى على القنن
وشيمة كنسيم الروض غب حيا ... وصدق عزم وجد واضح السنن
والله ان النجيب السيد المدني ... يحفظه الله لا وان ولا بدني
سجية لله منه [illegible] محدثة ... لكنه قد حواها عن سناء سني
مولاي دم للعلا تعلي معالمها ... وللمكارم توليها وللمنن
[illegible] بها خولت من نعم ... تجنى جناها بلا من ولا ثمن
[illegible] الدين والدنيا امر حمى ... ان لم تكن سيدى قطب العلا فمن ؟

[illegible] تحية يتضوع طيبها ،وينهل صيبها ، من عبد ذاب شوقا ، وضاق بالبعد طوقا ، [illegible] المثمل من ذلك الملجا الاوضا الذي سيقت اليه ركائب الامال [illegible] اداماللة امتداد ظله ، وانفساح فضله ، وكلاءة اهله

[illegible] الرسالة التي نشرت في ترجمة سيدى أبي القاسم التاجارمونتي في (الفصل الاول) في (القسم الرابع)

وفي هذه الوفدة خاطب محمد بن الطاهر المترجم بهذه القصيدة :

بدر الكمال ببرج السعد قد بانا ... فزال عن افق العلياء ماران
بطلعة الشبل شبل المكرمات ومن ... بوصله جـادت الايـام احسانـا
نتيجة الفضل برهان المكارم مفهـ ... ـوم السيادة روض الفضل ريانا
نجل المشايخ من تبدى نجابته ... مخايل السبق لاحت فيه عنوانـا
ذاك الفتى المدني من علا رتبـا ... في المجد من دونها كيوان قد كانا
اهلا به نيرا جلى بطلعتـه ... دجا الهموم بقلب عنه ما بانا
فالله يمنحه في العلم مرتبة ... عنها تقاصر عمرو وابن كيسانـا
وفي البيان مقاما لايقوم به ... عبد الغفار البديع وابن خاقانا
ويجعل السر سر الجد فيه وفي ... اخوته الغر معروفا وعرفانا

بالمصطفى المجتبى صلى عليه كما ... جرى نسيم الصبا في الروض اردانا
وآله الغر والصحب الكرام ومن ... كانوا لنصر الهدى والدين أعوانـا

هذا ماوقفت عليه مما خاطب به أدباء المدرسة البومروانية المترجم في وفدته هذه، ولايمكن ـ على ماهي عليه العادة ـ الأن الاديب شيخنا البوزاكارني والاديب سيدى أحمد بن محمد اليزيدى ، والاديب سيدى داود الرسموكى ، والاديب سيدى محمد بن العسرى التملي ، والاديب سيدى محمد بن علي أخا المترجم ، خاطبوه أيضا ولكن لم أتوصل من ذلك الى الان بشيء ، على أن هذا الذى صار الى انما دخل يدى عرضا، لاننا الى الآن لم نجد(١) حرية في أن تتصل بكل ماتريد لنتمكن من الاستقصاء كما ينبغي أن يكون عليه البحث المستقصي ، لاسيما في الادبيات التي هي شعار الالغيين ، ومن اليهم أينما حلوا وأين ساروا (سيماهم في وجوههم من أثر السجود)

كان المترجم تقع بينه وبين شيخنا الافراني المذكـور مراسلة، بعد تـولي شؤون المدرسة ، وكان قطب رحى أهله ، وتحمل ماتحمل ، فكان يبث الشكوى اليه كلما دهمه أمر ما ، ومن ذلك هذه الرسالة التي كتبها اليه يوما وقد لاقـى مالاقى من مركز (تافراوت) ، حيث أقيم فيه اقامة جبرية اياما ، وذلك بعض مـا كان يصيبه اذذاك من ضيق وعنت وحرج صدر ، وقد رأى أن ماكان يتمتع به أهله الصالحيون قبله من امتداد اليد ، ووطء العقب ، وطروق الوفود ليل نهار، يتضاءل شيئا فشيئا ، فكتب اليه شيخنا الافراني يسليه ويدله على أن مـلاك الامر مسايرة الوقت ، ومخالقة المجتمع ، اتباعا لحديث (المخالقة نصف العقل) ولحديث (خالق الناس بخلق حسن) الى غيرهما من الكلام النبوى الذى يكثر في هذا المقام

الرسالة

أزكى السلام على بدر الدجى المدني ... سلام داني الفؤاد نازح الوطن
اشكو النوى وأود لو أطير على ... جناح شوق لو ان الدهر اسعدني

ورحمة الله وبركاته ، على من شملته الحضرة ، ورعته النظرة من اخـوة وطلبة، وحواش وذوى المحبة ، حفظ الله الجميع

هذا وقد وصلت الرسالة ، والبلاغة المسالة ، من الفكرة السلسالة ، وما شكاه سيدنا من تخلف العبد عن زيارة سدته ، فبشؤم ذنبه ، ونرجو أن يكـون الخير في الحال ، فاختيار العبد في اختيار مولاه له، فان كـان لابد مـن التدبير، فليدبر أن لايدبر ، وأرجو أن يساعد القدر، فنغنم الزورة بعد العيد، صحبة الولد النجيب حفيدكم المدني بن محمد ، فقد عزمت أن أزيره أخوالـه ، ليتبرك بصلة رحمه ، وبنظرة جدته ان شاء الله، وماذكرت من لزوم الولد المتربي بنعمتكم

(١) كتب هذا في المنفى يوم المنع من ملاقاة اى انسان

«احمد» لذلك المحل المبارك فى المواشر ، ليتدارك مافاته، فقدكتبت اليه بذلك وان كان هو طلب خلافه ، ليطمئن قلبه ، فجزاه الله من شيخ ناصح ، ومرشد صالح ، جار على سنن السلف من آل صالح ، ونرجو ان يكون الله قدجمع لك ماتلهف عليه من قال

بالهف نفسى على شيئين لو جمعا ... عندى لكنت اذن مـن أسعد البشر
كفاف عيش يقينى ذل مسالة ... وخدمة العلم حتى ينقضى عمرى

فاشكر النعمة ، وارض بالقسمة ، وانشد بملء فيك على رغم معاديك ومصافيك

رضينا قسمة الجبار فينـا ... لنا عـلـم وللجـهـال مـال

(واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ، ولاتعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا) ولاتنس حظ الفقير المسكين مـــن زكاة دعائك ، لاسيما عند الاضرحة المقدسة انشاء اللــه ، والسلام ، وليساير الاخ الدهر واهله ، ليسلم عرضه ودينه ، فالله يكلأه بجاه النبى الشفيع

وورد المترجم على الامير احمد الهيبة يوما بكردوس للزيارة، فقابله بانشاد هذين البيتين :

لو علمنا مجيئـكم لفرشنا ... مهج القلب مع سواد العيون
وجعلنا من الجفون طريـقـا ... ليكون المرور بين الجفـون

ومن [illegible] سيدى المدنى ما اجاب به شيخنا سيدى عبد الله بن محمد ابن [illegible]

ايها السيد الامـام عبيد اللـ ... ـــه انسان عين كل بيان
قرة العين ذروة المجد مغنى ... للعلا والعلـوم فخر الاوان

وهى اكثر من هذا ، وقصائد المترجم ومقطعاته كثيرة ، وربمـا نتعرض لذكر بعضها عند كل مناسبة ان شاء الله ، ولنكتف الآن بهذا القدر ، وهناك رسائل وقصائد سبق لى أن كتبت ماوجدته لدى منها ، فى (الجزء) الذى نجز قبل هذا ، من (الالغيات) فيكتفى بذلك (ثم كتبت فى الجزءين الثانى والثالث بعده ماكان بيننا ايضا، وهما تمام الالغيات)

وهذه بطاقة أرسلها الى ، وقد أبت من الغ زائرا ، وتطلبت منه ان يوافينى بما عنده من قصائد اهله ، وتواريخ وقائعهم

«حليمنا الارضى ، العلامة المرتضى ، مغنى الفضل والافضال ، ومركز السيادة والكمال ، والداركة الفهامة ، اللابس من أردية العلم الدرع واللامة ، أبو عبد الله سيدى محمد المختار ، بمحروسة مراكش ، أيد الله مجدكم ، ووطـــد فخركم وسعدكم ، وسلامه الاتم يغادى ويراوح حضرتكم

هذا وقد بلغنى التفارك لتلك التواريخ والوفيات ، وانى لم اهمل ، ولكن اخونا الطاهر اخذ من الناسخ النسخة التى كتبها لى مع ماكتب له ، وقال انه سيرسل اليك الجميع ، فان فعل فذاك ، والا فارسل لننسخ أخرى ، واما القصائد التى اكدت عليها ، فسننسخ منها ماتيسر ، فلانهمل ، لان من حرص على اكتساب المعالى وجبت اعانته

كل عز ان لم يوطد بعلم ... فالى الذل ذات يوم يصير

وقد حفظت لوالدى أبياتا يخاطب بها من يحضه على ترك نعاس الصباح وهى

السر فى الصباح من نامه ... مامولـه بنومـه فـاتـه
أنفاسه نـفـائس للحـجـا ... ياويح مـن ضيع اوقاتـه
العلم قوت الروح هل ممكن ... يحيا الذى فارق اقواته ؟

وقد اخبرت أنك فى انتظارى لدى الرحيل ، فلم يتيسر الوداع ، كتب فى سرار جمادى الاولى ١٣٥٤

ادبيات بيني وبينه وأنا في الحمراء

كنت كتبت اليه نحو ١٣٤٠ هـ رسالتين على نمط الترسل القديم ، فامـا احداهما فتحققت اننى أرسلتها اليه من مراكش ، وفيها القصيدة الجيميـة، ولكنه أخبرنى بعدم توصله بها اذذاك ، وهذا من الغرائب ، وأما الثانية فقد وجدت عندى منها نسخة ، ولاأدرى هل أرسلتها اليه ثم لم تصل اليـه أيضا اولم أرسلها ؟ فأما الرسالة الاولى فهى مكتوبة فى كناشة لاتزال بين الاوراق التى بالحمراء ، وياليتنى كنت ازاءها هناك ، وأما الثانية فهاهى ذى فى محفظة بين الاوراق التى تغربت مثلى عن ذلك المقام السعيد ، فآه آه آه على فراقنا لذلك المقام السعيد فلننشرها فانها كنموذج من ترسلى فى اعوام ١٣٣٠ هـ حين كنت لاازال مكبا على (نفح الطيب) و (قلائد العقيان) و (المطمح) و (ريحانـــة الالباء) و (ديوان الصبابة) و (خزانة الادب) لابن حجة الحموى وهى :

سلام من النسرين أذكى واعرف ... الى من عرفت القلب منه ويعرف
سلام أخ قد فارق الاخوة الالى ... فؤادى أراه بعدهم يتقصـف
بنى الغ هـل ذاك النسيم معرف ... كعهدى به أو هو فى اليوم اعرف؟
وهل زهرات الروض يسطع طيبها ... صباحامتى يغدى الى الروض تقطف؟
كما قدغدت اذنحن فى ضمن اخوة ... أجلاء كل نحو خدنه يعطـف

الفقيه الكبير سيدى المدنى ، الذى له على كل أقرانه مقام سنى ، من لايساجله عمرو بن عثمان فى النحويات ، ولايجاريه عمرو بن بحر فى الادبيات ، مـــن

اذا ارعف القلم بالنقس (١) رايت كيف ينتظم الجوهر في الطرس، فما ابن بسام اذا سجع ، وما الفتح اذا ملا اكواب النثر واترع ، الناس كلهم له من الخدم ، منذ بايعه على الولاء القلم ، الفقيه اللوذعي ، والفصيح الذي اذا تكلم سحبان امام كلامه فهو كله حصر وعي، علامة العلماء ، وقدوة الشعراء ، من اذا جال في النظام ، فضح ابا تمام ، واذا جال في الحكم والمعاني بالشفتين ، إستحيا من الوقوف امامه ابن الحسين ، وقال مالي بمباراة هذا من يدين ، وان لمح بيانه في القريض البحتري ، نفض يديه من انتحال الشعر ، وقال انني من هذا الفن بري

اما بعد ، فياسيدي انني فارقتكم كالمفارقة التي قال فيها ابن عنين الأخرج من دمشق باكي العينين

فارقتها لا عن رضا وهجرتها ... لا عن قلى ورحلت لا متخيرا

وبودي ان لا افارق ايها الادباء مجالسكم الحافلة ، لكي استفيد دائما من كل نوع من العلوم مسائله ، ولكنني لست بمختار ، وان سميت بالمختار ، فما اقصر تلك الايام التي قضيتها عندكم نتهادى بالادب ، ونترشف الفوائد ، فكانما نترشف ابنة العنب ، فها انا ذا وحدي الآن هنا في هذه المدرسة اليوسفية التي لا يملاها الا طلبة من الاعراب ، وليس منهم من يعرف ولو كلمة من الاداب، فقد [illegible] بعدكم تصدي ، حين لم يجد لساني من يذاكره في الادب سواء [illegible] تهامة او نجدا ، وان كانوا كلهم افاضل ، محصلين للعلوم الاخرى حتى [illegible] في المعاقل

اعرابه فمن لهم دين بلا ادب ... ومن لهم ادب عار من الدين

اديبهم غريب الشكل منفردا ... كبيت حسان في ديوان سحنون

وقد خطر لي ان ارجع الى السوس تماما ، واقول لهؤلاء الاعراب سلاما سلاما فادع الله لي بالتيسير ، فالله هو الذي يسر كل عسير ، وسلم على كل من معكم ، كل واحد باسمه ورسمه ، وقل له ذلك عني ، وحيه مواجهة وسمه

هذه هي الرسالة التي اقف ازاءها ، كما يقف كل قارئ مفكر ، واتعجب كيف كنت في هذا المقام في الترسل ، ثم استطعت ان انفلت من احبولته ، وان امشي مستويا، فالحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والذي ذكر في الرسالة من العزم على الانقطاع الى سوس كانت فكرة خطرت لي نحو ١٣٤٠ هـ وكنت نويت ان القي رحلي عند الاستاذ سيدي المحفوظ الادوزي ولكن وقف امامي شيخي سيدي سعيد التناني رحمه الله ، كما ستري الالمام بذلك في ترجمته ان شاء الله ، قائلا لا هالله ، لا تعود بعد الى تلك المدارس ،

١) النقس بكسر فسكون : المداد

فتنتظم ثانيا في اخلافها ، بعد ما فرحنا حين تملصت من نطاقها ، فهذه فاس بل مصر ان لم تعجبك الحمراء ، ثم ذكر الحديث «اللهم اتم لاصحاب هجرتهم، ولا تردهم على اعقابهم»

وهذه الرسالة الغية حقا ، الغية المنزع ، الغية المبنى ، الغية التركيب، وقد كتبت من الغى الى الغى ، ممن يشتاق اذ ذاك الى الغ ، ويهيم بالغ ، ثم ها هي ذي اليوم تبعث في الغ في تاريخ الغ (واهل وزان يفعلون في وزانهم ما شاءوا) كما هو المثل السائر في الحواضر ، فلم اذكر انني قراتها قط، ونحن في الحمراء ، اذ نحن في الحمراء على السبع الطباق

آمنت بالدهر وتصريفه ... وانه يلعب بالمرء

آليت أغتر بعيد بما ... اسمعه منه وبالمرئي

(ثم انني توصلت بعد كتب ما تقدم بتلك الرسالة المتقدمة ، فرايت ان اثبتها ازاء اختها ، لانها الغية ايضا ، ذوقا وصناعة ونسجا ، فوجب ان تكون على ما هي عليه في تاريخ الغ ، والاضاعت ، ونصها :

عصر بتيجان البهاء متوج ... عصر باعلام الوصال مدبج

عصر ندير به الصداقة بيننا ... ونفوسنا في جوها تتأرج

ونجول في روض الوصال وما له ... الا التصافي سوسن وبنفسج

تومي الى بدر المزار يد المنى ... فيبين عن كثب له متبلج

قد مد الغ لنا ظلال سعادة ... ما مدها لابي عبادة منبج (١)

ويد لنا سعد به نلنا الذي ... قد ناله اوس به والخزرج (٢)

والكاس دائرة بكف معذر ... للعين في وجناته متفرج

تذر العقول طوائرا لاسيما ... لما غدت بجنى المباسم تمزج

فكانها وحبابها منتظما ... ملك لدى ايوانه متتوج

وكان ردف مديرها متهايلا ... في بردتيه غطمطم يتموج

وكان قامته على بان الحمى ... قد قاسها مستنبط مستخرج

وكان شعر عذاره من خده ... طرد الى حرف الصحيفة تخرج

وكان جوهر ثغره متناسقا ... شعر الذي هو للبيان نموذج

السيد المدني آدب من له ... شغل بتوشية القريض وملهج

من فكره ياتي بنظم وشيه ... اعلى من الوشي اليمان وابهج

ابدت قصائد للعقول صوائدا ... كالروض يعجب والنوافح تارج

١) وهو البحتري ، وله في منبج أبيات

٢) فيه الاستخدام بين السعد المعروف وبين سعد بن عبادة الخزرجي وسعد ابن معاذ الاوسي ، ولذلك في الادب القديم حلاوة

من كل معنى كالنسائم رقة ... نفحاتها حاجات من يستارج
او كل لفظ كالحديقة بهجة ... رضيت به آمال من يستبهج
طرف الفصاحة والبلاغة ملجم ... ببيانه الطامى البحار ومسرج
فاذا افاض بديهة من قوله ... فالوائلى أمامه متلجلج
او اذا وشى قرطاسه بيراعه ... فابن العميد على حياء يدرج

* * *

ياسادتى عذرا وان قصرت فى ... قولى فانى فى الفهاهة مدرج
من كان فى بحر التغرب راسبا ... مثلى فدون مناه باب مرتج
تتسابق العبرات فى خدى وفى ... كبدى أوارناره تتاجج
تتناهب الجلاس جوهر مدمعى ... أو للجواهر فى المدامع مخرج ؟
والله اسال ان يكون بفضله ... من سجن هذا الاغتراب المخرج

صاحبنا السنى ، سيدى المدنى ، المتفرع عن قوم ، جلوا عن سوم ، سادوا بالسعد لا بالجهد ، وبالبخت لابالتخت ، وبالعزة لا بالبزة ، وبالشرف لا بالترف ، وبالكظم ، لابالعظم ، وبصفاء السريرة ، لابكثرة العشيرة ؛ وبالتخشع لا بالترفع ! وبالاحكام ، لا بلبس اللام ، وبالاقلام ، لابضرب الهام ، وبالدفاتر لا بالسيف الباتر ! وبالفصاحة ، لا بالوقاحة ، وبالقول الفصل ، لابجردالاصل وبالجد ، لا بالجد ، وبالحسب ، لابالنسب ، انتسقوا فى المعالى ؛ كاللآلى ؛ وعلوا فى المراتب العوالى ! كالعوالى ، واقتعدوا صهوات العلوم ، برقائق الفهوم ، [illegible] قصورها ، وشادوا دورها ، وأطلعوا بدورها ، وحلوانحورها وازهروا بحورها ، وشرحوا صدورها ، وأناروا عصورها ، بابحاث رقيقة لم تترك مقالا لقائل ، ولاسؤالا لسائل

ابنى هل ان ما اوليتم ... عجز اليراع لدى عن تبيينه
على عجبت وحق لى من حمق من ... فى عده اجتهدوا وفى تدوينه
اولستم كنز العلوم ؟ ومن يفز ... بكم تقر عيونه من حينه
اولستم اديتم لنزيلكم ... فرض الجدا فى الحين مع مسنونه؟
فبقيتم ابنى العلا فستوكم ... أنست لنا نجدا وذكر سنينه

هذا وانهى الى الحضرة المدنية ان الاشواق فى الافئدة ، وفى الجوانح المحجوبة مشبوبة متقدة ، بتذكر مامر من العيش المخضر ، وما مضى من الوصل الرضى المفتر ، اذ نتهادى فى ساحات الصفو ، ونتهادى كؤوس اللهو

سران فى خاطر الظلماء يكتمنا ... حتى يكاد لسان الصبح يفشينا

يوم انشرح بنا صدر اللوى ، وغيض العدا من تساقينا الهوى ، فياله من زمان به تؤرخ المسرات ، ومن عصر ايامه فى وجنات أعمارنا شامات

سيدى ، ليت شعرى كيف ذلك الاخاء المتأكد فيما قبل ، وروض الوداد

الذى صاب فيه من مصافاتنا الوبل ، احى فيرجى ، ام ميت فيسجى ؟ اواذبل زهره التغير بالنأى اذاطالنا غير النأى المحبين ، واغاض بحره التنائى ، وقلما يبقى على فيضه مع البين وداد المتنائين ، لكنك ان تغيرت ولااظنك ، فغيرى عندك ، اوعفت رسوم صفائك ، فقد حدت عن سنن وفائك ، وعلى كل حال ، فتغير ودى انا من المحال ، بل يتزايد على كر الجديدين ويتجدد ، ويتطاول باعه ويتمدد ، وغدا يظهر الصادقون من المتصادقين ، والذائقون طعم الوداد من المتذائقين

سيدى مأطول هذا البين الجائر ، والارواح بالاشواق قد بلغت الحناجر ، فكم مرة جزمنا على رفع حجابه المنصوب بين المحب والمحبوب ، فيابى الله الا مااراد ، من عكس المراد ، قرب الله لنا كل المنى ، وأنال كل متمن ماتمنى؟

انتهت الرسالة التى كتبها مختار ذلك العصر ، المولع اذذاك بكتاب (الفتح القسى) وامثاله من الكتب المسجعة ، على ان الادب أدب كيفما كان لونه

أخبار أخرى عن المترجم

اقترن صاحب الترجمة بعدوفاة والده سنة ١٣٥١ هـ فولد له ولد سماه احمد فى -١٣- ذى الحجة ١٣٥٤ هـ فرفعت اليه على العادة قصائد كثيرة فى تهنئته بالرائد الميمون، فمن بين من هنأه الشاعر الفحل محمد سالم الشنقيطى ثم الالغى ، وسيدى عبد الله بن محمد شيخنا ، فاجابهما بقطعة اولها :

اتى فاطبانى مزدر بازاهر ... بروض وسيم غب سح مواطر

ونختم هذه الترجمة بجواب له ، حول لفظة ذات بمعنى الحقيقة ما جمعها؟ وما اصلها؟ وهو جواب عن سؤال رفعه اليه شيخنا سيدى عبدالله بن محمد ابن عمه

الا أيها المولى الامام ومن له ... علو على هام المعالى بلا نكر
اتى من جنابكم سؤال تجوبه ... بلاغة نظم كالقلادة من در
تسائل عن أصل لذات وجمعها ... مرادفة للنفس فى كل ما يجرى
الا فاعلمن والعلم خير ذخيرة ... وأفضل ما يحدو الرجال الى البر
بان الذى اعطاه نص محقق ... عليم بسر العلم فى الورد والصدر
جواز لجمعها بجمع مؤنث ... سليم من التكسير فى السر والجهر
وتعويض تائها عن اللام اذ غدت ... بحذف لها شبه النظائر فى الذكر
فلامها واو وعين لها كذا ... على حمل وزنها اذا كنت ذا خبر
وقد قيل معناها كمعنى حقيقة ... ونفس لدى أهل اللغى صاحبى الخبر
ولكن اذا اطلاقهم فى اصطلاحهم ... فروعى والمعروف عكسه فلتدر
فمنى على مغناك الزكى تحية ... يفوق شذاها ماتفتح من زهر

هذا وسلام كاللطيمة ، اوكالديمة ، ينتاب جناب الشيخ الاصعد ، والصدر الاوحد ، ابي محمد سيدي عبد الله بن محمد

وبعد ، فالظاهر من ذات بالمعنى المسؤول عنه ، انها معتلة العين واللام بالواو، وان التاء فيها عوض عن اللام كامثالها ، على أن بعضهم قال انها بالمعنى المذكور، لاتستعمل لغة ، انما هي ذات بمعنى صاحبة ، ولعل ذلك هو السبب في عدم ذكر القاموس اها ، والمحشي ، وهذا الذي اجتنابه ذكره الموضح مع المصرح، صدر باب النسب ، حين قال وقول العامة ، وقول الاصوليين خليفتي وذاتي لحن من وجهين ، فليراجع ، واخيرا أقول ما المسؤول باعلم من السائل والسلام»

اثبت بهذا النظم الذي في هذا الجواب على مافيه تغليبا للاستفادة والقراء الذين لايرتاحون للفوائد أمثال هذه ، نطلب منهم ان يتخطوا هذه الصفحة ، فنبقى مع حضراتهم في مسالة ، لايواخذوننا ولانواخذهم ، والحامل لي على سوق هذه الفائدة انني تذكرت انني في نحو ١٣٥٣ هـ كنت في الجديدة مع الاساتذة المراكشيين ، سيدي عبدالجليل بن القزيز ، وسيدي محمد بن عثمان المسفيوي وسيدي احمد بن الفاضل ، فاستدعانا الفقيه سيدي ادريس مقدم الطريقة التجانية ، فتغدينا عنده ، وقد حضر معنا الفقيهان ، سيدي الحطاب ، والسيد [illegible] ، فجرت المذاكرة في هذه الكلمة واصلها، فتوقفنا فيها جميعا ،فراجعنا القاموس ومحشيه ، فاعوزنا مانطلب ، فبقينا في حيرة، واليوم وجدت الالغيين قد اهتدوا الى كلام الموضح والمصرح ، في حين اننا اذذاك لم يستحضر واحدنا [illegible] مراجعة الكلمة ، فهل يتقبل علماء مراكش الجدد ، وعلماء الجديدة [illegible] هذه من ابناء الالغيين الكرام ؟

[illegible] كان المترجم منذ صغره مناط رجاء والديه ، الاستاذ علي بن عبدالله ، والسيدة نفيسة بنت الشيخ سيدي المدني الناصري ، وقد حرصا منذ أن دب بين يديهما ان لايفلتا دعوة كل من يرجى منه استجابة الدعوة من أهل الخير ، فقد حدثتني اختي فاطمة عن امه السيدة نفيسة أن زوجها الاستاذ دخل عليها يوما، وامرها ان تنظف الولـد ، وتلبسه أحسن لباسه ، فاخرجـه الى الشيخ الالغي وهو في ثوى الدار ، قالت فنويت أن يدعوله الشيخ أن يكون قطب عصره، ليرث مزارث جده الشيخ المدني ، الا ان أباه لما رجع به ، قال ان الشيخ دعاله ان يكون عالما كبيرا ، فمضى ما مضى، فاذا بالولد استحال عالما يخوض في فنون العلوم ، فكان ذلك نصيبه وحده ، وقد أصيب باحدى عينيه ، وهو لايزال شابا فرهدا ، وكذلك صحته ، يلم بها ضعف ، ولم يكتسب صحة الالغيين ، ولذلك لم يعمر تعمير اهله ، فمات دون الشيخوخة

الآخذون عنـه

من الآخذين عن والده من اخذوا ايضا عن ولده هذا مترجمنا اليوم، وقد كتب الى بعض المطلعين قائمتهم ، وغالبهم لا أعرفهم ، وسادرج القائمة كما جاءتني ، وعـنـد تراجمهم في (القسم الرابع) ان شاء الله سأتحرى فيهم جهدي فلا اذكر الا مـن ادرك انه على شرط الكتاب

الالغيون

١) سيدي الطاهر بن علي اخو المترجم
٢) سيدي الحسن بن علي اخوه ايضا
٣) سيدي عبد الله أخوهم
٤) سيدي احمد بن محمد التهالي
٥) سيدي محمد بن عبد الله الزاوي
٦) سيدي محمد بن عمر الصالحي
٧) سيدي احمد بن عمر أخوه
٨) سيدي محمد بن ناصر الزاوي
٩) سيدي محمد بن الحاج بلقاسم
١٠) سيدي الحسين بن الحاج الزاوي
١١) سيدي محمد بن أحمد السليماني
١٢) سيدي ابراهيم بن الحسن السليماني
١٣) سيدي احمد بن محمد السليماني

التاكَانزيون

١٤) سيدي الحاج الحسين بن صالح
١٥) سيدي صالح بن مبارك
١٦) سيدي ابراهيم بن أحمد

الايغشانيون

١٧) سيدي احمد بن الحسن البناني
١٨) سيدي محمد بن الحسن اخوه

الوفقاويون

١٩) سيدى عبد الله بن احمد الكليزى
٢٠) سيدى مبارك بن احمد
٢١) سيدى على بن عبد الله المستلاتى
٢٢) سيدى صالح بن احمد

السلاليون

٢٣) سيدى محمد بن سعيد الاعضياوى
٢٤) سيدى محمد بن محمد الوليلى
٢٥) سيدى عبد الله الوليلى
٢٦) سيدى محمد الدروش الزيمامى
٢٧) سيدى المحفوظ الزيمامى
٢٨) سيدى محمد بن احمد الوجيى

الكرسيفيون

٢٩) سيدى الحاج بلقاسم بن عبد الله
٣٠) سيدى احمد بن عبد الله
٣١) سيدى شعيب بن اسمعيل
٣٢) سيدى احمد بن الحسن
٣٣) سيدى عمر بن عبدالله
٣٤) سيدى محمد بن عبدالله الاسكاورى

الزيديون الايسيون

٣٥) سيدى احمد بن المكى
٣٦) سيدى محمد اخوه
٣٧) سيدى عبد الله أخوهما
٣٨) سيدى عبدالرحمن بن محمد
٣٩) سيدى عبد الله بن محمد

التمليون

٤٠) سيدى ابراهيم بن محمد الايغالنى

الساماتارتيون ومن إليهم

٤١) سيدى محمد بن الحسن الايموكاديرى
٤٢) سيدى ابراهيم بن الحسن اخوه
٤٣) سيدى محمد بن عبدالله الاموكديرى
٤٤) سيدى الهاشم بن الحسين من هناك
٤٥) سيدى الحسن بن المدنى من هناك
٤٦) سيدى عبدالله بن محمد الساموكنى
٤٧) سيدى محمد بن ابراهيم الساموكنى
٤٨) سيدى محمد بن احمد الساموكنى

المجاطيون

٤٩) سيدى المحفوظ بن محمد الابفرى
٥٠) سيدى المدنى بن احمد ابن أخيه
٥١) سيدى بوبكر بن يحيا التاجارمنتى
٥٢) سيدى محمد بن محمد بلانهمو

الافرانيون

٥٣) سيدى المهدى بن البشير الناصرى
٥٤) سيدى بلخير بن محمد الامسراوى
٥٥) سيدى سعيد الاساكى
٥٦) سيدى احمد بن الطاهر
٥٧) سيدى الحسن التاعرابتى
٥٨) سيدى احمد بن محمد اخوه

الباعمرانيون والساحليون ومن إليهم

٥٩) سيدى احمد بن زكريا التادرارتى
٦٠) سيدى محمد بن زكريا اخوه
٦١) سيدى محمد بن مبارك الايكسلى خالهما
٦٢) سيدى على بن ابراهيم الإخصاصى العلوى
٦٣) سيدى محمد بن محمد البيشوارينى الساحلى
٦٤) سيدى احمد بن محمد اخوه

الجراريون

٦٥) سيدي الطاهر بن الحبيب السكرادي
٦٦) سيدي عمر بن محمد السكرادي

التزنيتيون

٦٧) سيدي محمد بن الحسن التزنيتي الساموكني

البعقيليون

٦٨) سيدي الطاهر بن العربي الادوزي
٦٩) سيدي احمد بن سعيد الاكماري
٧٠) سيدي محمد اخوه
٧١) سيدي عبد الله بن احمد الاكماري
٧٢) سيدي محمد بن ابراهيم الاكماري
٧٣) سيدي ابراهيم بن الطيب الاكماري
٧٤) سيدي محمد بن خالد الافلاوكنسي
٧٥) سيدي ابراهيم اخوه

الرسموكيون

٧٦) سيدي احمد بن محمد الرسموكي

الغرباء عن سوس

٧٧) سيدي احمد بن محمد الجبلي

وفاته ومراثيه

في يوم من الايام دهم علي نعي الاستاذ وانا في الحمراء ، كما استقررت فيها ، ولم يطل عهدي بمساجلته ، يوم فصلت عن الغ باهل ، حوالي مفتتح ١٣٦٥هـ فقد كنت قلت للالغيين حين اودعهم قطعة مطلعها :

وداعا بني الغ الكرام وداعا ... وان طار قلبي بالوداع شعاعا

فاجابني رحمه الله برسالة ، توجد مع تمام هذه القطعة في مختتم الجزء الثالث من كتاب (الالغيات)

وصلني نعيه فلاتسل عن وقع ذلك مني ، ولما أبّنه الارجل المعارف

وقطب المدرسة ، ومضياف الغ ، فلولا ان الرجاء في اخوانه كان كبيرا ، لانشقت المرارة عليه اسفا ، ثم توسلت من أخيه لابيه ، سيدي محمد بن علي بهذه المرثية:

بانوا وما ودعوا فخلفوا كمدا ... شوى وانحل منا القلب والجسدا
رحيلهم أسكن الاسقام في كبدي ... من لي باطفاء حزن جمره وقدا
ياعجبا كيف ينسون أخا حرق ... لم ينس قط عهودهم وان طردا
فكيف عيش الفتى غضا اذا فقدت ... أترابه وهو يبغي عيشه رغدا
كيف الحياة وهذا السيد المدني ... نجل علي قضى ووجهه فقدا
من لي به من فقيه أيد ندس ... أمام من قدهدى في الدين اورشدا
من لي به من أديب مصقع حذق ... يفري فري كمي لابس زردا
من لي به من أديب مفلق خضر ... مخلف ايعاده واف بما وعدا
من لي به من محقق اذا ذكرت ... أبحاث قوم فبحثه غدا السندا
من شب يقري الى دب بمدرسة ... يروي الالى صدروا عنها ومن وردا
فان بدت أزمة وبددت زمرا ... فهو على الدرس مقرئا وقد صمدا
فياله من كريم داره قصدت ... شرقا وغربا فلا يجفو بها احدا
بني علي فصبرا ان ذاعمم ... في كل خلق وان طغى وان حشدا
فالله يرحمه فضلا وينهله ... بمقعد الصدق مأواه مع الشهدا
بجاه اشرف خلق الله كلهم ... صلى عليه صلاة فاتت العددا

وقال شيخنا سيدي عبدالله بن محمد الالغي

ياعين جودي بدمع ... مطرد كالفري
منسجم كانسجام ... تهطال جود الولي
لفقد مولى الموالي ... خدن الصفاء الولي
من بذ في المجد سبقا ... الاريحي الابي
قائد شوس المعالي ... السيد الالمعي
أمامنا ابن امام ... المدني بن علي
من ذا يقوم مقاما ... قد قام بالمدني
ومن لمجلس درس ... ومن لذاك الندي
لقد قضى الدرس لما ... قضى وحق العلي
تركتني يا ابن عمي ... (لحا) بقلب شجي
عليك مني سلام ... يذكو بعرف شذي
فيابني الغ صبرا ... لرزء فذ جلي
ونسئل الله عفوا ... له بلطف خفي
وان يكون شهيدا ... من حزب آل النبي
عليه ازكى سلام ... مطرد كالقري

وقال ايضا

لقد اصبنا بموت السيد المدني … فذ المعالي ابى النفس غير دني
لئن مضى ما مضت من بعده جدة … تفتت القلب والاحشاء من حزن
يعتادني كل حين طيفه فجفا … جفني القريح لذيذ النوم والوسن
قد كنت جاري بيت بيت لا احد … ارعى لحق الجوار منك بالحسن
حفظت عهدي فما نالتني قارصة … منك ولا بادرات الغيظ والاحن
وانت جار ابي دؤاد لي كرما … بل ابن شور لما اسديت من منن
ماانس لاانس منك كل صالحة … كيف وانت سمير الروح لم تشن
ان العلا ايم والدرس ذويتم … ياخير بعل ويا خير اب ففني
تسلبت واحدت كل غانية … من المكارم مذ ادرجت في كفن
عفت مدارس علم منك واندرست … اعلامها طامسات ايها المدني
ان مت حسا فما معنى تموت ولـ … ـكن خلقك الفذ يحيي غابر الزمن
لكن يخفف بعض الحزن اخوتك الا … علون من طاهر والسيد الحسن
فسحت من عالم علت مراتبه … ومن بليغ فصيح من ذوي اللسن
فالموت لا ملجا منه لكل اخي … نفس وان عاش ماقد شاودي بدن
والموت لم ينج منه ذو الحياة وان … نال من العز مانال ابن ذي يزن
والموت فرض فلا مفر منه فكن … معد زاد التقى في السر والعلن
اهدي اليك سلاما طيبا ارجا … وكنت في منزه من جنة العدن (١)

وقال الاديب سيدي الحسن بن علي في ذلك :

من للجهادة بعد السيد المدني … من للمكارم من للعلم والوطن
من للارامل ان عرتهم نوب … بعد فقيد العلا والروح والبدن
اودى فقامت بمن اودى قيامتنا … وانهل سحب الاسى والغم والحزن
واظلم الجو مذ غابت مشارقه … تنحو رحيم الورى في النعش والكفن
بان فبان جميل الصبر يتبعه … وغاض ماء المنى في السر والعلن
بان فخلف اكبادا محرقة … فمن يعاتبني فالوقر في الاذن
خلف افئدة حوت على كمد … من اخوة فقدوا عونا على الزمن
جلت مئاثره لكن مصيبته … تمنعني عد مايحويه من منن

وقال الاستاذ الاديب سيدي احمد بن الحسن البناني :

الدهر ذو عجب اما ترى فرحا … يوما من الدهر كم يبديه من حزن
اليس من عجب يوما ترى احدا … في غبطة وغدا تراه في كفن
قد كان ممن اجاب اذن خالقه … على هدى قائد العلياء بالرسن
مات الكمال ومات البحث واندرس الـ … ـتدريس حقا لفقد سيدي المدني
هو المحقق لايدع مسالة … الا ووضحها توضيح ذي لسن

(١) يعني جنة عدن بفتح فسكون

هو فتى كامل علامة فطن … وهو المحل بخير خلق حسن
يهش للضيف وقت ما أتاه كما … بفعله القطب شيخنا ابو الحسن
عليهما رحمات الله ما سجعت … ورق الحمام على لدن من الغصن
فمن لبث العلوم اليوم يعلن تر … حيب الضيوف ومن ومن ومن ومن
ياعين سحي لفقد سيدي المدني … وافرغي قانتا من دمعك الهتن
بواه الله امين بجنته … وهو الغفور الرحيم الرب ذو المنن
صبرا بني المجد ان الموت مسلك من … يحيا فسيان مرفوع الورى ودني
أين النبي ادم واين سيدنا … نوح وتبعهم واين ذويزن
ان الالى قد قضوا سننهم ابدا … بث العلوم فنعم خير ما سنن
الحمد لله فيكم الكفاية والـ … ـدهر يساعدكم في السر والعلن

ثم قلت اناشيه مرثيه وهاكها :

أتفقد الغ خير أفذاذها أيضا … فاي دموع لاتفيض له فيضا ؟
مصاب بالغ صوحت بسمومه … اجل نظرات هل تحس به روضا؟
أفي كل يوم يفعل الموت فعله … فتبقى حيارى لاسماء ولا ارضا ؟
أيزخر جهل الجاهلين وقد غدت … تغيض بحور من فطاحلنا غيضا ؟
فما الغ الا علمه فاذا أنطوى … فقد انطوت منه صحيفته البيضا
بنو صالح هم لب الغ وركنه … فان صالحي رض فالمجد قد رضا
هم المجد كل المجد فيه فهل ترى … لغيرهم في مجد الغ ولو بعضا ؟
فهذا عميد العلم منهم مضى فهل … لنا في سواهم من يرى علمه غضا؟
مضى المدني الفذ فليبكه الندى … وكل الذى أدى له النفل والفرضا
فهل بعده من أهله من عشيرة … تعض على ماكان من ارثها عضا ؟

قولة ابن الحبيب فيه

قال في ترجمة والده علي بن عبدالله انه اولادا اجلاء فقهاء مذكورين : «أكبرهم المولى الاجل ، الفقيه الاكمل ، سيدي المدني بن علي ، اخذ عن ابيه المذكور ، وعن أعيان بلده، واستولى على كرسي ابيه في التدريس ، بلاضرر ولا تعبيس ، وقد وفد مرة على القائد عياد الجراري ، وعنده وقع التعارف بيننا، فوجدته طيب الاخلاق ، حسن الادب ، حافظا لغريب اللغة وغوامضها، فنه الادب واللغة والعربية ، حفاظ لقصائد اهل العصر ونوادرهم ، لايمل مجلسه، وهو الى الآن لزم بلده ، وعمارة مدرسته بانواع الانصبة ، ولم يقصر جهده في نشر العلم وتلقينه لطالبه ، عادة والده المقدس بكرم الله مع باقي اخوته ليلا ونهارا

(شنشنة أعرفها من أخزم)

توفى رحمه الله فى جمادى الثانية ، عام خمسة وستين وثلاثمائة والـف ، ببلده ، رحمه الله ورضى عنه «امين»

اقول انه ليس باكبر اخوته كما توهمه هذا المؤرخ ، بل ان محمد بن على الاديب الكبير اسن منه ، كما سترى ذلك ، فى ترجمته قريبا ان شاء الله

نجز (الفصل الاول) من (القسم الاول)

ويليه إن شاء الله (الفصل الثاني)

وهو تمام هذا الجزء

بعون الله

الفصل الثانى

من

القسم الاول

ويتضمن ذكر الاحياء من ١٣٧٥ هـ

وهاك اسماء من فى (الفصل)

سيدى عبد الله بن محمد الصالحى
سيدى محمد بن على الصالحى
سيدى الطاهر بن على الصالحى
سيدى الحسن بن على الصالحى
سيدى صالح بن عبد الله الصالحى
سيدى أحمد بن عمر الصالحى
سيدى محمد بن ناصر الزاوى
سيدى محمد بن الحاج بلقاسم الزاوى
سيدى محمد بن عبدالله المدعو الشيخ موح الزاوى
سيدى محمد الخليفة ابن الشيخ الالغى السعيدى
سيدى عبد الله ابن الشيخ الالغى السعيدى
سيدى عبد الرحمن ابن الشيخ الالغى السعيدى
سيدى ابراهيم ابن الشيخ الالغى السعيدى
سيدى الحسن بن احمد ابن الشيخ الالغى الاستاذ
سيدى عبدالسلام بن احمد ابن الشيخ الالغى الاستاذ
سيدى محمد بن احمد بن صالح السعيدى القاضى
سيدى ابراهيم بن احمد بن صالح السعيدى الاستاذ
سيدى عبدالله بن ابراهيم السعيدى الاستاذ
سيدى بلقاسم بن محمد السليمانى الاستاذ
سيدى محمد بن احمد بن ابراهيم السعيدى
سيدى محمد بن احمد السليمانى الاستاذ
سيدى ابراهيم بن الحسن السليمانى الاستاذ
سيدى عبد الله بن مسعود التيبيوتى الاستاذ
سيدى أحمد بن مسعود التيبيوتى الاستاذ
سيدى عبد الحميد ابن الشيخ الالغى الرئيس
سيدى عبد الله بن اليزيد التاهالى الرئيس

شيخنا الاستاذ عبد الله بن محمد

-٢- صفر - ١٢٩٨ هـ = حـــى

نسبـه :

عبد الله بن محمد بن عبد الله بن صالح بن عبدالله بنصالح بن احمـد ابن عبدالله بن سعيد

اذا قال ابن الطمحان منالشعراء القدماء في قومه هذه الابيات الخالدة :

وانى من القوم الذين هم هم ... اذا مات منهم سيد قام صاحبه
نجوم سماء كلما راح كوكب ... بدا كوكب تاوى اليه كواكبه
اضاءت لهم احسابهم ووجوههم ... دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
ومازال منهم حيث كانوا مسود ... تسير المنايا حيث سارت كتائبه

فاني فيهذه السلالة الصالحية التى ارتشفت اول رشفة من العلوم عـلى شيخنا هذاالذى هومنها اليوم بمنزلة الهامة من الرأس ، أقول هذه الابيات ، ولم أقل مثل ذلك ، فانى يدرك الظالع شأو الضليع ؟

بنو صالح بلو المعالي وفضلهم ... باحراز مجد العلم والادب الغض
وراعهم جمعاء بين علومهم ... فظلوا عليها بالنواجذ في العض
وانهم كانوا منالعلم فيالسما ... وغيرهم من ءال الغ على الارض
شمائلهم في العلم والشيب مثل ما ... تفتح أصناف الزهور من الروض
فمن تلق منهم تلق فكرا ومبحثـا ... وذهنا سريعا مثل أجدل منقض
اذا مامضى منهم همام تمخضوا ... عنءاخر مرهوب الظبا صارممنضى
فيقبل والتدريس يخفق بنده ... ويدبر في ميدانه بالذى يرضى
فهم سيف الغ المشرفى وذكره ... فشهر في طول البلاد وفي العرض
فما الغ لولا علمهم غير مجهـل ... متىشام منهالطرف يسرعالى الغمض
ولكنه روض أريض وجنـة ... بها كل ما تشهاه من زهر غض
من ءالار ما يسقونه من قرائح ... تثج بأمواج الترسل والقرض
«فما زيـن الارجـاء الا رجـالها» ... والا فما أرض باشرف من أرض(١)

---

١) أصل البيت
فمازين الارجاء الا رجـالها ... والا فما ترب باشرف من ترب

تلك هي الاسرة الصالحية المباركة ، التي هي في العلوم كسلسلة منذهب كلما مضتحلقة تتبعها حلقة اخرى على غرارها ، فقد شاهدنا مـن الاستاذ الكبير والد شيخنا هذا فحلا لايقدع انفه ، ويعبوبا لايشق غباره، ورأينا مـن الاستاذ الاديب علي بن عبدالله عم صاحبنا هذا ، كذلك سباق غايات ،وصاحب ايات، ثمجاء الدور الثالث بشيخنا هذا ، فكان خير نتيجة لتلك المقدمات ، ممخوض الوطب ،مصفى الراح ، مسدد السهم ، مجلو النصل ، كأنما خلـق للمعالي كما اقترحت ، ولابحاث المعارف كما شاءت ، فنشأ كما ينشأالخيزران فيروض خضل وارف الظلال ، متدفق المذانب ، قد أخذمنكل مايتقوم بهقوام المدن ، فتراه من عهداتصاله بالعلوم متى تناول البحث أمامه مسالة عويصة، كما قال ابن الوردى :

انا كالخيـزور صعب كسره ... وهو لين كيفما شئت انفتل

ينصت بكلتا أذنيه المرهفتين الى من يجيبه عنبحثه ، ثميراده بلاطفة ، وهو بين هذا وذاك، لايسلم لمباحثه ، حتى يدرك مايقوله غاية ادراك، وحتىيشاهده بعينيهعيانا، وكل ذلكمنه خلق لاتخلق ، وهولايرهبءاثارة مبحثبين يدى من كانوا اسن منه، فلايمنعه صغره فيريق شبابه انيقابل عمه الاستاذوخالـه الشيخ الوالد ، بمرادة فيمالميظهر له أنهالحق ، ثملاينقاد الااذا استـبان الحقيقة ناصعة، وقد كان ادرك ماادرك منأيام والده ، فلاحظ منه والده بتفرسه منذذلك الحينهذا الاقدام، فقال كلمته المأثورة : «ان ولدى هذا لجسور» فبين هذه المباحث درج، وبين هؤلاء الفحول شب، وفي هذه الاخلاق الوثابة والنفس الطموح ، نشأ مقداما لايهاب في الحق احدا ، ولايحنى هامته الااذاحناها لمن يعرفه حقا،فلاخير فيطرف لم يك قماصا ، ولافي باز لايكون منقضا، ثممازالت به عناية الله حتى تكشف عن عالم خريت فيكلالفنون التيدرسها ، وشاعر خنذيذ في الطريقة التي يسلكها الالغيون ، وفي الموضوعات التيىطرقونها ، والانسان لايطلب منه أن يخرج عن نطاق بيئته علما ونظرا وتفكيرا

مبتـــــدأ لا

ان في اليتم لنعما ادخرها الله لليتامى وحدهم، وزواها عنكل مندرج بين احضان والديه مدللا مرفها ، وفي مقدمة هذه النعم تكون الاعتماد علىالنفس فيالانسان، حتى انك انجلست بينك وبين نفسك ، فامررت بين عينيك من نشأوا فيهذه الحالة ، ومن نشأوا بين احضان الوالدين، لتماين عشرات مـن الاولين ناجحين في المعترك الحيوى ، ثملاتجد في الشق الآخر الا وحدانا هم الذين صافحهمالنجاح ، وتخطاهم مايلازم غالبا من نشأوا ابناء الاحضان، من سفالة الهمم والاخلاد الى الارض

كفله عمه الاستاذ ، وجده الرجل الصالح الحاج عبدالله ، فهما اللذان مالا به الى العلم ، ورجوا منه ومن اخوانه ان يكونوا خير خلف لابيهم •

اخذ القرءان عن الاستاذ سيدى سعيد بن عبد المومن التاوييتى فى مسجدهم فى القرية الزاوية ، ثم فى مسجد تويبت اخيرا ، وربما أخذأيضا هناك عن الاستاذ سيدى الحسن بن عبد الله السملالى فى بعض الفترات التى ينتاب فيها سيدى سعيدا بعض الموانع، فعليهما جود ، ووافق اتقانه عام ١٣٠٩ هـ ثم ادخله اولياؤه بشيخ الجماعة سيدى محمد بن الحسن فى مدرسة (سيدى هوداو الحسن) بالاخصاص ، فبقى هناك حتى أتقن عليه بعض حروف غير قراءة ورش ، وقد كان يتلو القرءان احيانا على آخرين فينة بعد فينة •

في مشاغلة العلوم

فى مفتتح عام ١٣١٣ هـ افتتح بالمدرسة الالغية ، وكان صنوه الذى يكبره سيدى احمد المتقدم الذكر يأخذه بالحفظ وباتقان ما يأخذ ، وبعد شهور التحق بالاستاذ سيدى العربى الساموكنى فى المدرسة (الايغشانية) فعليه درس المتون الابتدائية بعد ، وكان الاستاذ يعركه تلك العركات المعلومة عن اساتذتنا الالغيين ، فبدا لصاحب الترجمة يوما ، وقد جاشت نفسه ان يحمل بعض متاعه على كاهله ، فانسل فلحق بمدرسة (تافراوت) باملن عند الاستاذ سيدى عبد الله بن القاضى ، فحين بلغ الخبر اهله ، توجه اليه العم سيدى ابراهيم ، فما زال يفتل لـه فى الذروة والغارب حتى أتى بـه ، وقد وعد لصاحبنا عليه ، انـه لا يقرب بعد اليوم الاستاذ الساموكنى ، قـال صاحب الترجمة ، فركبنا البغلة وفى بالى أننا متوجهون الى الـغ ، ولـم اكن اعرف الطريق ولا وجهات تلك الناحية ، فلم أشعر الا ونحن أمام باب المدرسة فسقط فى يدى ، ولكن ما عسى ان اصنع ، فهكذا رددت الى هذا الاستاذ أيضا وقد وعد ان لا يمسنى بعد ، ولكنه سرعان مـا نقض الوعد فعادت هيف الى أديانها (١)

ثم فى اواسط ١٣١٤ هـ انتقـل الى المـدرسة الالغيـة ، بعد ان سافر الاستاذ الساموكنى والاستاذ شيخنا سيدى الطاهر الى فـاس ، سفرتهمـا المشهورة ، وقد انفرد الاستاذ التاجارمونتى اذذاك بالمدرسة الالغية ، فلازمـه شيخنا فكان الاستاذ سيدى محمد ابن الحاج الافرانى ممن يعتنى به أيضا فى المتون الابتدائية •

١) هو مثل ، ويروى أيضا هكذا : ذهبت هيف لاديانها • وهيف ريـــح حارة تيبس النبات وتعطش الحيوان ، وتنشف المياه ، أى عادت الريح لما هو مالوف منها ، يضرب لمن رجع الى عادة منه قبيحة •

وفى عام ١٣١٥ هـ ، انتقل الى المدرسة (التانكرتية) التى فيها اذذاك الاستاذ سيدى الطاهر بن محمد حفظه الله ، فاقبل على المجاهدة والمواظبة والاكباب، وقد تملص من قبضات الالغيين الشديدة التى لايسلم منها حتـى عند الاستاذ التاجارمونتى ، فكان ذلك من اسباب انتقاله ، والاستاذ الافرانى الهين اللين ممن طلق عادة الالغيين هذه ، وقد وقفت على رسالة للاستاذ سيدى على بن عبد الله أرسلها مع المترجم حين ارسله اول يوم للتلقى من الاستاذ الافرانــى، فاحببنا سوقها هنا ونصها :

«العلق الخطير ، وروض من الادب مطير ، وهمام لاكتساب المفاخر ، سيدى الطاهر بن محمد بن ابراهيم الافرانى ، لازال مصون الجناب ، وخير باب لمن بالهمة الصادقة اليه اناب، وسلام عليه ورحمة الله وبركاته ، وبعد فلاباس لله الحمد، فلاتنس حق الاخوة من الادعية المرضية ، فى الاوقات المرعية، ثم ان الاخ عبدالله شاقت همته لاكتساب المعالى ، ونيل المقام العالى ، واورد واردالاهى سوام همته من عين العناية نهلا وعللا ، فرأى كل جليل دون اكتساب العلوم جللا (ومايقال لفضل ذابكم) ثم انه لم يران يعنو هاديه (١) لهادسواك ولاان يعتمد فى بلوغ امله على غيرك بعد رب سواه وسواك ، ولقد اعطى القوس باريها، واسكن الدار بانيها ، وعليه فتطول أيها الاخ بغرس الصنيعة فى أزكى ترب ، وضع التجافى عن الاخلاد الى الراحة موضع القرب ، فالله سبحانه يبقيك اخذا بزمام الفخر ، ناهضا باعباء البر ءامين ءامين»

وقد وجدت على ظهر هذه الرسالة بخط شيخنا سيدى الطاهر مانصه :

«قرة العين ومنية النفس ، ونجى الروح ومنتهى الانس ، سيدى ابومحمد عبدالله ابن شيخنا القدس بكرم الله الالغى ، أدام الله ارتقاءه، واطال فى معارج السيادة بقاءه، وسلام عليه سلام مشوق اليه، ورحمة الله وبركاته، هذا

فطر بجناح الشوق نحو متيم لقاؤك دون الناس غاية مرماه

يقوم بنفسه فيتزوج

فى عام ١٣١٨هـ ، رجع الى البلد ريان ، وقد احس انه اكتفى من الاخذ، فتزوج فى ذى الحجة من السنة، فاستقل بنفسه ، وأدار شؤونه بيده، وقد كان ممن خلقه الله ليكون رئيسا لامرؤوسا ، وءامرا لامامورا ، كماتكون عليه جبلة بعض اباة الضيم، وسبب انعزاله عن ءاله بعض أمور وقعت بينه وبين بعض ءاله الكبار، ممالايسلم بين الناشئين المتطلعين الى امتلاك الحرية فى شئونهم، وبين الكبار الذين استمرؤوا الاخذ بازمتهم ، فتفرقت الاسرة بذلك، فاغنى الله كلا من سعته

١) الهادى العنق

في أولى مشارطاته

ان كل من احب ان يستقل بنفسه، وان يدير أسرته بيده، وعول ان لا يكون كلا على الناس، فليستدر بهمته وعزيمه الى ان يدعم ذلك بكسب يجعل يده هي العليا دائما ، ونفسه باقية بانفتها واستنكافها ، فمن لا كسب له لا مال له، وان الفته تذهب ادراج الرياح

في عام ١٣٢٠هـ ، شارط وهو ابن اثنين وعشرين ربيعا في المدرسة الايغشانية المرة الاولى، فاقبل على التدريس والتهذيب ، وقد انضوى اليه تلاميذ مبتدئون وغيرهم، ومالت اليه النوازل في تلك الجهة، قال ولكنني لما جربت نفسي، وجدتني لاازال محتاجا الى بعض ريشات تستطيع الخوافي والقوادم من جناحي التحليق فلذلك طلق المشارطة حين تمت تلك السنة، فاقبل على الاخذ أيضا

يأخذ من الاستاذ ايكيك

كان الاستاذ سيدي محمد بن علي ايكيك مشهورا اذذاك بانه فرضي عالي الكعب واماكان علم الفرائض وما يحتاج اليه من الحساب ، من الامور التي لا يزال [illegible] ان ينخلع منها، وكان ايكيك اذذاك مشارطا في مدرسة بايلالن، التحق [illegible] المحتنى اتقن هذا العلم اتقانا، وحصله اصولا وفروعا ، فقوض [illegible] من تلك المدرسة ، معلنا لاستاذها شكره العطر

[illegible] الاستاذ سيدي الطاهر الافراني

[illegible] السنة التي التحق فيها بايكيك الحادية والعشرين ، ثم حط رحله في المدرسة (التانكرتية) يستتم من معارف الاستاذ ، ويستشف ثمالة الكاس التي لا ازال متطلعا اليها، قال كنا اذذاك تلاميذ قليلين في المدرسة، وانا قد شب اواري وانفتحت كمام ذهني ، ولكن قلما أجد من يتعاون معي، فكانت الدروس تجري فينة ، وفينة تمنعه الموانع، فاكببت متكلا على الله الى مختتم عام ١٣٢٤هـ فاذذاك راجعت المشارطة، وافرغت في التدريس غاية جهدي ليصفى الراووق رحيق المعتقة، والمدرسة أفضل مصفاة للفنون

في مدرسة أداي

قال كنت لازمت البلد عند مفارقتي لتانكرت، وانا انتظر محلا ييسره الله للمشارطة ، ففي عام ١٣٢٦هـ تيسرت مدرسة (أداي) بايت حربيل، حل بذلك المسجد الكبير الذي رده مدرسة مسموعة مقصودة بهمته ، كما حكاه عن الشيخ الوالد الذي كان يقول له، جئت بعجب ياعبدالله ، حين أصلت جذور العلم

ودراسته في (اداي) وردت مسجد الحربيلين الباب مدرسة عامرة ، كانما اسس على العلم من أول يوم

انثال اليه الطلبة من كل جهة، فاجتهد معهم اجتهادا كبيرا تكونت بسببه في تلك الايام طبقة عالية من الالغيين وغيرهم ، صاروا فيما بعد اساتذة اعلين وسنترى من هم فيما بعد

ثم في أول ١٣٢٨ هـ ، أطلت مسغبة القت على الناس كلاكلها ، فكان ذلك هو السبب في مفارقته لمدرسة (اداي) بعد سنتين كاملتين

في مدرسة ايغشان أيضا

لقد صدق زعيم الشرق جمال الدين الافغاني رحمه الله حين عرض عليه مال يوم نفي من مصر ، ليتخذه ذخيرة ليوم ما، فرده على من عرضوه عليه قائلا: انفقوه في مصالح وطنكم ، فان الاسد لا يعدم فريسة اينما حل ، فهذا ما وقع لصاحب الترجمة الذي رأيناه مهتما بالدراسة والخوض في العلوم في هذا الدور، ثم حالت المسغبة بينه وبين ذلك في (اداي)، ففارق المدرسة بقلب مضطرم ولكنه ماكاد يبقى في داره بالغ حقبة حتى تيسرت المدرسة الايغشانية ، وقد غادرها الاستاذ الساموكني ، فحل بها فتطاير اليه تلاميذه ، فبقى فيها أربع سنين في اجتهاد وملازمة غريبين، فقد كنت ممن حظي بالمثول بين يديه اذذاك في أواسط عام ١٣٢٩ هـ فكنا بين طلبة كثيرين، ونحن في طبقتنا فوق عشرة من المبتدئين، يلزنا بالتعليم الابتدائي على مالوف الالغيين لزا ، فسار بنا أشواطا فكانت تلك الاسس التي وضعها مني في تلك الايام، هي الباقية محفوظة عندي، حتى وجدتها كما هي، بعد أن ثاب الى الرشد ، وطاف بي الندم ، وقد مضى عني شرخ الشباب ضائعا ، وذلك بعد أن فارقناه بنحو عشر سنين

كنا عنده هناك ونحن نيف وعشرون، او نناهز ثلاثين بجميع الطبقات، فكان يتعهد نا جميعا ، كل يسيره بسيره الذي يليق به

فآونة بالضغط ان عاين الونى　　　وءاونة باللطف ان شاهد الجدا
يعامل كلا بالذي كان لائقا　　　فيذكو لنا حينا وحينا لنا يندى
كطب نطاسي درى كيف يعتني　　　فابدى من انواع المهارة ما أبدى

أخذت عنه مع طبقتي سيدي احمد بن الحسن البنائي ، وسيدي محمد بن أحمد الايغشانيين وءاخرين ، متون المبتدئين ، ونحو نصف الالفية، وبعض الرسالة للقيرواني ، ولامية العجم ، وحفظنا هذه كلها ماعدى الرسالة على يده، فكان حفظه الله مهتما بنا اهتماما كبيرا، يلقي علينا من المسائل بكل مصادفة فيباحثنا ، ولاأزال استحضر انني ذهبت اليه بالوضوء ظهر يوم فقال لي بالعربية الفصحى : هل كان من مطر ؟ وكان اليوم غائما ، فقلت نعم، كان من مطر، فقال

اجعلت أنت ايضا (من) في عبارتك ، فاجلس واعرب عبارتي ثم عبارتك، فوقعت في الاحبولة، وانا لاادري من ابحاثه اذاك الاطفيفا ، فماكدت اتملص من اعراب عبارته (هل كان من مطر) وانا لااكادانفذ في أسئلته التي لم تترك تصريف (كان) على جميع اوجهه الفعلية والوصفية والمصدرية ، الى ان درنا في كل أبواب اللامية ، وفي عمل (كان) واخواتها ، فطرقنا بابها في الاجرومية والالفية ،حتى وصلنا ءاخر عبارته (من مطر) فوقف حمار الشيخ في العقبة الكئود ، فصرت ارتعد خوف أن اكون ممن صفع منه قفاه ولهازمه، ثم بعد أن أراني كيف تعرب الجملة ، دخلنا في باب ءاخر ، هل (كان) هنا تامة او ناقصة ، ثم خرجنا منه الى باب (من) في اي محل تزاد، ومن قال من النحويين أنها تزاد في الاثبات، فلم انفتل من بين يديه حتى تصببت عرقا ، ولكني رجعت بفوائد كثيرة، فصرت اقفز في تلك الدرج عند النزول وانا فرح بسلامة قفاي ولهازمي ، فجئت أحكي لاترابي ماوقع لي ، فقالوا ذلك من اسراعك اليه بالوضوء ، فلئن عدت ايضا لتعودن الى مثلها، فقلت لهم : مادمت أسلم من الصفع وأرجع بالفوائد ، فانما ارجع بما افوقكم به ، والتفوق في التحصيل هي شهادة عصرنا ذاك، وقد كان الشيخ معنا (لامية العجم) بالصفدي ، فكان ياخذنا بحفظ الابيات التي ينتقيها لنا، فمما حفظته واستحضره الآن ، قول الشاعر

لا يعدم النفس ان كانت مدبرة الا التنقل من حال الى حال

وقول ءاخر

ينقل فؤادك حيث شئت من الهوى ... ورد كل صاف لاتقف عند منهل

في الارض احباب وفيها منازل ... فلا تبك من ذكرى حبيب ومنزل

ولا تسمعن قول امرئ القيس انه ... ضليل ومن ذا يهتدي بمضلل

اوبين المقصود بالبيت الاخير ، وانه هو مطلع قصيدة امرئ القيس الشهيرة:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ... بسقط اللوى بين الدخول فحومل

ومما حفظناه ايضا قول الشريف الرضي

ولقد مررت على ربوعهم ... وطلولها بيد البلى نهب

فوقفت حتى ضج من لغب ... نضوي ولج بعذلي الركب

وتلفتت عيني فمذ خفيت ... عنها الطلول تلفت القلب

فكان ذلك اول نواة غرست في ذهني من الادب العربي ، ثم مازالت تنمو حتى كانت كماترى ، وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

كذلك كان استاذنا يسيرنا جزاه الله خيرا ، الى اواسط عام ١٣٣١هـ فغادر المدرسة ، فتفرقنا نحن شذر مذر

في المدرسة الايغشانية أيضا

رايت ان الاستاذ فارق هذه المدرسة اواسط عام ١٣٣١هـ ، فذهب كل واحد منا لجهة، ثم كنت أظن انه لازم البلد الى عام ١٣٣٤هـ ، ولكن الاستاذ ابن العم ذكر لي انه راجعها أيضا بعد ذلك في هذه الفترة ، فأما انا فلم أعرف من ذلك شيئا كما ان استاذنا لم يذكره لي بين ماسرده علي من تنقلاته، ولكن ابن العم عارف كاف في مثل هذا

في مدرسة سيدي علي بن سعيد

ثم التحق سنة ١٣٣٤هـ ، حين فارق المدرسة الايغشانية ، بتلك المدرسة التي في الاخصاص ، فرجع الى ديدنه في التدريس ، وسرعان ماحلق عليه تلاميذ كثيرون ، فامضى فيها عاما واحدا ، فجاء سبب أزعجه فغادر ذلك المكان

في المدرسة البومروانية

في سنة ١٣٣٥ هـ ، شارط في المدرسة البومروانية التي رأت من الولد ما ترى كانت تعهدها من والده قبل أربعين سنة، فماامجد اسرة تتسلسل حلقاتها فياتي أبناؤها في معارض ءابائها ، ثم كأنه عاين هناك مالايعجبه، وهو من اباة النفس في المكانة التي عرفتها ، فبعد سنة رجع الى البلد، فربض يشتغل بشئون داره ، وادارة اموره بيده وكأن دمعات الدراسة التي تركها في يتمها وزفرات العلوم التي غادرها في زيزاء مجهل (١) ، سمع الله تضرعاتها، فامن على دعواتها التي تجأربها اليه، فراجع الاستاذ تراث والده، فاقر عين المجد وذويه

في مدرسة أداي ثانيا

في عام ١٣٤١ هـ شارط في مدرسته الاولى التي لم تنس هي ولا اهلها اياديه، فاقبل أيضا على التدريس ، ولكن بدأ الفتور يعتريه، وصارت برودة الكهولة تطوف بهمته ودوام الحال من المحال كمايقولون ، واظن ذلك من اعواز الطلبة المهتمين الذين يحفزون همم الاساتذة ويستنهضونهم ، لان هذا العقد الخامس ما كاد يطل على طلبة سوس حتى ظهر فيهم الفتور الذي كان بدا فيهم مندمقين، ولكنه الآن ظهر للعيان ، وصارت جذوات الهمم تتدرع باثواب رمادها ، فكيف لايغيض ضرع عدم راضعا ، أم كيف لاياسن راكد عدم مصفقا

(١) الزيزاء : الفلاة ، قال الشاعر :

عدت من عليه بعد ما تم ظمئها ... تصل وعن قيض بزيزاء مجهل

في المدرسة الاسرائية

فيعام ١٣٤٣هـ انتقل ايضا الى مدرسة (اسرا) فيافران ، فصار يدور في بعض دروس، وقد التأمت عليه ثلة منالطلبة ، ثمفياثناء السنة وفد عليه وفد من الاخصاص يتطلبون منه الرجوع الى مدرسة سيدى على بنسعيد ، فواعدهم راس السنة حين رءاهم يلحون عليه كل الحاح

في مدرسة سيدى علي بن سعيد ثانيا

برغم ان الاسرائيين عضوا عليه بالنواجذ ، وأبواأنيغادر مدرستهم ، فانهرأى انقيد الحر منلسانه، وانالوفاء بالوعد واجب فيشرع المروءة وانكان الفقهاء يقولون فيه ما يقولون ، فانتقل الى الاخصاص ، فلازمها عام ١٣٤٤ هـ فوفى لاهلها عمارة مدرستهم بما وعدهم به، ثمراجع السابقين ، فان الصيد لمناخذه لالمنالاره

في المدرسة الاسرائية أيضا

[illegible] فيها سنتي ١٠-١٣١٦هـ ، وقد مد فيها من جناحي تدريسه بعض ماهد، [illegible] الفجاج بالمسغبة العامة في سوس ، فاقفرت المدارس،وحلق [illegible] وتقلصت الامعاء سغبا ، فتنكرت الدنيا لـمـن كان يعرف [illegible] ، ودب الدهر وغيره من الجوع بالحرب لمنكانوا قبلذلك [illegible] في مسالمة شاربة اطنابها ، فكانذلك كله من الاسباب الـتـي [illegible] الاستاذ ، على انينفض يده من مجامع الناس ، ومن مدارس القبائـل، [illegible] التي تريد ايضا من يقوم بها ، ويلتفت الىادارة شئونها ، فاذلم يكن التدريس الا فيالمدارس المقفرة ، وزهد الناس فيالعلم، واستبد كلجاهل برأيه ، فعليكابها العالم بخويصة نفسك ، هذا ماحمل الاستاذ على انقبع في داره

في المدرسة الايمورية

كان فيهذه المدرسة بعد ١٣٥٢هـ نحو عامين ثملازم داره الى الآن ١٣٥٨هـ

هل هذا عذر مقبول ؟

في السنة الماضية ، سنة ١٣٥٦هـ ، بعدنفيي الىالغ ، كنت كلما جالست الاستاذ ، اجرمعه الحديث حتى نصل هذه النقطة ، فيدلي بماتقدم وبمثله من الاعذار، فاقول له، انهذه اعذار حقيقية ، لو اعتذربها غيرك من العلماء الذين

دونكلربما قبلناها منهم ، واما مثلك ممن ظهرت ءاثار هممهم في التعليـم، وعرفوا بالتدريس ، فيجب عليه انيتنكب كل هذه الاعذار ، وان يتخطاها رغم انوفها، فلنيعدم ياسيدى مثلك منالطلبة منيعرفون قدره، ويعطشون الىمورده العذب، فان الهمم السوسية بل المغربية كلها ، وانماتت اليوم واستولى عليها الفتور العام ، وتنكبت المسابقة في المعارف ، فانفي بعض الزوايا خبايا،ولايزال هناكبعض شباب يجعلون بين اعينهم العلم وادراكه ، فاضرب لهمثلا بالاستاذ سيدى احمدبنمحمد اليزيدى استاذ المدرسة الوفقاوية اليوم الذى دأب عـلى التدريس، فلميعدمعشرة منالطلبة يجتهد واياهم ، ثمأقولله ان الحكومةاليوم قدوطأت لامثالك السبل، وازالت ماكان يستنكف منه الابيمثلك من الخنوع لعامة النفاليس الذين يشارطون العلماء في المدارس، فلميبق اليوم الا رؤساء رسميون ، فيأيديهم وحدهم الامر الذى استمدوه من الحكومة، ولم تقف قط الحكومة ظاهرا -علىالاقل- موقفا يقضى ان لايعطى للمدارس ماكان يعطىلها قبل ، الا تستغل انت وامثالك ذلك الاعراض من الحكومة فتوءدوا ما عليكم والحال اليوم في هذه البلاد على كل حال افضل منه أمس امنا وتوصلا بالحقوق»

هذا مااقوله مرارا ، وفي رمضان الماضى من عام ١٣٥٦ هـ، جاءني يومابرسالة أرسلها اليه الاسرائيون يستحثونه الى مدرستهم ، فقلت لـه اسرع ياسيدى أسرع، لعلك تخرج من هذا الذى انت فيه، فـذهـب اليهم وقد طـاب نفسا بالمشارطة ، لان له من ولده صالح منيتطلب العناية بتهذيبه، ولكن سبق في القدران وجد احدالافاكين قال للاسرائيين ، انالاستاذ لاياتى اليكم، فقدشارط فيمحل ءاخر ، فشارطوا عالما من عندهم ، فقضىالامر ، فرجع وقـد اختار الله له مافيه الخير كما قال

بعض أحوال الاستاذ

انلكل انسان من اعاظمالرجال وافذاذ العلماء ، ناحية كانهامقصورة عليه ، يستولى عليها ويتمكن من ناصيتها ، ويستحوذ على ذروتها العليا ، ويكون لـه فيها القدح المعلى ، ويكون في ميدانها هو المجلى الحائز الخصل، فباى ناحية تفرداستاذنا هذا بين علماء بلدته ياترى ؟ وباى ذؤابة توصلت يده فادارها كيفشاء ، ثم لم يتمكن منها اقرانه غاية التمكن ؟ ان شيخنا الاسـتـاذ الكبير كما بوأته السعادة في مجد مؤثل ، واصل اصيل ، واسرة عريقة فـي الفضل وفي بحبوحة نسب كريم ، كانفيه معما مخولا ، كذلك بوأته في ناحية هي اشرفالنواحي التى من استولى عليها فقد استولى على ملاك العلم ، ووضع يده على ما تستنبط به الافهام ، وتذكى به القرائح الوقادة ، فلئن كان والدهالاستاذ مشهورا في ميدان التدريس والتاسيس ، والهمم النافذة ، وعمه الاستاذ عـلى ابنعبدالله معروفا بوثبات الخيال فيالاداب العليا ، والترسل المحبر الموشى،

فان استاذنا مع إلمامه بكل ذلك قد سبقهما في الامعان في المباحثة امعانا غريبا فلاتراه في كل المجالس التي تروج فيها تلك المسائل ، الاكرارا جوالا ، طلعة بحاثة . لايفلت مبحثا مربه الامد اليه فكره ، ولايعرض ما يعرض الا أصلاه بحثه الذي لايعرف اغضاء، ثم لايطوي غراره الابعد استطلاع الحقيقة كما هي، فلا يداجي في ذلك ولايغمض ، ولايعرف الاالوصول الى اللبن الصريح من تحت الرغوة ، حتى لقبه الاستاذ علي بن عبدالله عن جدارة (مفتاح العلوم)

نشأ الاستاذ ونشأ معه هذا الفكر الحاد، فكان يكبر وهو يكبر معه ، حتى اذا استوى سيدا ضخما ، استوى معه فهمه الثاقب ، كنصل عضب مرهف الطرفين ، مصقول المتنين ، اينما جال في مختلف الفنون لايلبث ان ياتي بفوائد معجبة باهرة

سمعت الاستاذ يقول كنت مرة في موسم (تازاروالت) فوقفت في مكان الفقيه سيدي اليزيد الروداني ، وهو اذذاك متصدر للاتجار في الكتب ، قال فلاادري في اي حديث كنا حتى احتجنا الى مراجعة المصحف ، فقام لياخذه من بين الكتب، فقلت له هل توضأت ؟ فتراجعنا نتباحث هل يرخص للتاجر في الكتب في مثل ذلك الموسم ، ان يتناول المصحف بلاوضوء ، كما ذكره الفقهاء من انه مرخص فيه للمسافر ، اولابد من الوضوء على كل حال ، قال فجاذبته الحبل مجاذبة من لايسلم لمدعي يضع اليد على البرهان ، ذلك وازاءنا عالم واقف ساكت يتعجب من ... مصقول العارضين ، اراد سيدي اليزيد الذي ابيض عارضاه ، ثم بعد ذلك في بعض وفدات سيدي محمد بن العربي الادوزي الى (الغ) عرفت انه هو ذلك العالم الواقف ازاءنا ، وعرفني ايضا ، فكان سيدي محمد بن العربي يذكر ... تلك المراقة باعجاب ، كتنويه واجلال وتقدير لصاحبها

وحكى ايضا انه كان مرة في ثوى عمه الاستاذ ، وفيه الشيخ الوالد يجري ذكر الزكاة ، وكان الاستاذ عمه اذذاك يجمع غنم الزكاة ، وقد تنازل عنها القائد سعيد الحاحي الكيلولي للمدرسة الالغية، قال فسالني الشيخ والدك هل زكيتم ياعبدالله ماشيتكم ؟ فقلت له لازكاة فيها ، فقال اوليس غنمكم تناهز المائة؟ فقلت حقا، ولكنني انا واخي عبدالرحمن واخوتنا متشاركون فيها، ولذلك لازكاة علينا، الا ايصح لكل واحدنا نصاب في نصيبه ، فقال الشيخ ولكن الشركاء في الماشية كالمالك الواحد، فقلت نعم ، ولكن بعد أن يكون لكل واحد نصاب، والا فليزك من له نصاب وحده دون الآخرين ، فقال الشيخ او الفقه المالكي على هذا قال فاوقفت الشيخ على النص، فقال عجبا ، انني نسيت كل هذا فترجمت (مجموع الامير) للفقراء على ان الشركاء كمالك واحد مطلقا ، ولم افصل هذا التفصيل، فقد غاب عني او نسيته ، فسبحان من لاينسى، فقام الشيخ في الحين ، وذهب الى زاويته ، فاتى بما ترجمه فاصلحه في الحال ، فقال لولاك ياعبدالله لبقيت هذه كما كانت

قلت هذا الذي يشترطه المالكية قل من اشترطه من ارباب المذاهب، واخال ان ذلك مما انفرد به مذهب مالك عن غيره ، وهذه المسالة من المسائل التي ردها الامام الليث بن سعد على مالك في رسالته المشهورة اليه ، وقد اوردها ابن القيم في (اعلام الموقعين)

وحكى أيضا انه وقعت المذاكرة هناك حول مسألة في التشريح مايقصد به عند الاطباء ، فبينت لهم مااعلمه عنه، فقال الاستاذ علي بن عبدالله مباسطا ، انما هذا كله من عنديات عبدالله، فقالوا لي من أين رأيت ماقلته ؟ فقلت رأيته في كتاب (التذكرة) للانطاكي ، فقال الشيخ مباسطا ، أو تحسب ان احدا لايملك التذكرة سواك ؟ فذهب في بهرة الليل ، وقد تجلببت الارض بالثلج ، وتلوثت الطرقات بالاوحال ، فخاضها الشيخ من دار الاستاذ الى زاويته تحت اذيال الظلام، فلبث مليا ، ثم رجع وفي يده الكتاب ، فقال ان الذي ابطأبي هو اني وجدت مجلس الفقراء قد خر سقفه، فوجدتهم واقفين متعجبين، فقلت لهم دعوا العمل واستريحوا الى الصباح ، فلاعمل مع الليل، فروجعت المسألة فوجدت كماقال الاستاذ بعينه

بهذه الحكاية وامثالها تعرف همم القوم في المسائل العلمية ، فمن ذاالذي يخوض الثلج والاوحال من دار الاستاذ الى الزاوية ذهابا وايابا ، في ظلمة الليل الحالك، مع أن مابين الدار والزاوية غير متقارب، ثم لايعوقه ماخر من سقف داره فيلغي ذلك كله لتتم استفادة الفائدة في الحين ، حتى لاتؤجل الى الغد ، وما أصدق قول بعض الالغيين في مثل ذلك :

لخوض الثلج والاوحال أولى … لدى العلماء من خوض الجهالة
وخر السقف والجدران أولى … من أن ينهار علم بالبطالة
يثيرون القرائح حول بحث … قد اكتنفوه بينهم كهالة
فلا ينفك جمعهم لزاما … الى ان يستشف الى الثمالة
بذلك يخدمون العلم حتى … غدوا من بين كل الناس آله
فذلكم بنو السغ ومن لا … يكون كذلكم فأخو سفالة

وحكى أيضا انه حدثهم يوما بانه قرأ في كتاب ان النبي صلى الله عليه وسلم يرسل حماره يعفورا الى من يريده من الصحابة ، فيدفع بابه براسه ، فيعلم أنه رسول رسول الله اليه فيجيبه ، فقام عليه من في المجلس ، فقالوا له في كل يوم تسوق الينا غرائب ، فان لم تغرب في فهمك اغربت في نقلك ، فهذا غير ممكن، ومتى عهدنا من الحمر الادراك قال فقمت فاتيتهم بالكتاب الذي قرات فيه ذلك، ولعله (حياة الحيوان) للدميري ، فتعجبوا وعلموا ان ذلك ان صح معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم لا للحمار ، وقالوا لم نرقط مثل هذه العقلية في الحمر قبل اليوم، ولم نقع على نظيرها فيما يمر بايدينا الى الآن ، ومن بين من في ذلك المجلس الاستاذ علي بن عبدالله والشيخ الالغي، وحكى أيضا ان الشيخ

هو الذي يتولى الامامة في مجامعهم ، واذا لم يحضر فالاستاذ علي بن عبدالله ، فكان هذا الاستاذ مولعا بدعوات كثيرة جدا ، يقرؤها مابين الاقامة والتكبير، وفي يوم قلت له ان هذا التطويل ربما يذهب بحكم الاقامة، ونحتاج الى اعادتها ، فاجابني الاستاذ بان ذلك لاباس به، وان الطول في ذلك المحل لايضر ، ثم قال انني لا أطول كثيرا، وكان الاستاذ سيدي الحاج احمد بن محمد اليزيدي حاضرا ، فالتفت اليه الاستاذ ، فقال ماظهر لك ، هل اطول كثيرا ؟ فقال نعم، ربما تطول ، فبينما نحن نستعد لمراجعة المسالة، اذا بالوفد الافراني في الباب فقمنا فتلقينا الاستاذ سيدي الطاهر، والاديب البشير الناصري ومن معهما ، فدهانا الترحيب عن اتمام المسالة في الحين ، ثم لما استقر القرار ، واستراح السفر، وطاب المجلس القى الاستاذ ابن عبدالله المسالة على القادمين ، فكان سيدي الطاهر لم يكن اذذاك على ذكر فيما قالوه في ذلك الطول، اواستحيا من شيخه ان يرد عليه، وتلك كانت حالته معه دائما ، فقال لاباس ، والاقامة أمرها سهل في أمثال هذا الكلام الذي ليس بخارج عن الموضوع ولاداخل فيه، ثم مالوا الى مراجعة المسالة ، فوجدت كما قلت فالتفت الاستاذ ابن عبدالله الى الاستاذ الافراني ، فقال له ءان لنا أن نرجع الى الحق ، فالانصاف من شيم الاشراف • ثم كتب الاستاذ الافراني رسالة فيها ان المسالة مبسوطة في كتاب (سنن المهتدين) للمواق

هذه الحكايات كلها حكاها لي الاستاذ شيخي حفظه الله وانا اسائله عن مجالسهم ... ، وقد قال لي عنها انها كلها مملوءة بالمذاكرات دائما وبالمباحثات، قال وكان ... خالي الشيخ ان لايترك المجلس اذا حضره للكلام الفارغ ، ولا للتكلم ... المسائل العلمية ، وان خالي الشيخ هو الذي رشحني هذا ... الى الابحاث ، فيشجعني دائما عليها، وكان يحب ان أكون ممن يسترسلون في ذلك ، فكان بمجرد ما يلج دار الاستاذ ابن عبد الله في كل يوم يرسل الى في الحين ، ويامرني اما بالتلاوة ، واما بمراجعة شيء في كتاب، وكثيرا ما ياتي بالسم معه في العشايا ، فابقى اناوهو بعد أن يقوم الاستاذ الى مضجعه ، في التلاوة والمراجعة الى مابعد نصف الليل ، ثم يتوجه الى داره ، وهو حقا في المباحثات شيخي الذي جراني وقومني ، وسن غراري بمثاقفاتي التي يملأ بها المجلس كل يوم ، قال هكذا كان الحال في عهده ، ثم تبدلت هذه الحال في المجالس بعده، ودخلها بعض القيل والقال ، حيث لاتروج الابحاث كثيرا رواجا متصلا، الا بعض المرات ، ثم لما مات الاستاذ ابن عبدالله خوى النجم، وخرت سقوف المباحثات وثلت عروشها ، هذا معنى ماقاله لي حفظه الله •

اقول لم يزل استاذنا الى الآن في كل مجلس يحضره يثير الابحاث ، ويستطلع خبايا الافكار، فانه وان قال ان المباحث خر سقفها وثل عرشها بعد وفاة عمه، فانما ذلك في مجلس لم يحضره ، واما متى حضر ووجد من يجاذبه، فديدنه لايزال اليوم كما كان بالامس ، واما مجالس الاستاذ ابن عبدالله التي تثج بالابحاث في كل

حين ، فقد طويت حقيقة ، ثم لانعوض عنها بكل اسف ، وكان دائما يرخي العنان في البحث لصاحب الترجمة، ويحب ان يتصدى له من يباحثه، ويقف هو متفرجا من بعيد، فقد انتشبت مرادة بيني وبين شيخي هذا ليلة حول مسالة في حضرة عمه الاستاذ

زرت الغ في أثناء عام ١٣٤٢ هـ ، فاجتمعنا ليلة زهراء في ثوى الاستاذ ابن عبدالله جماعة من الطلبة ، يرأسه الاستاذ ابن عبدالله نفسه رحمه الله، وشيخنا هذا صاحب الترجمة ، والاديب مولاي عبد الرحمان البوزاكارني ، والاستاذ الاديب سيدي احمد بن محمد اليزيدي واولاد الاستاذ ابن عبدالله ، سيدي محمد ابن علي، وسيدي المدني بن علي ، والاستاذ ابن العم سيدي عبدالله بن ابراهيم، والاستاذ سيدي محمد بن احمد بن الحاج الصالحي ،وقد كان معنا اذذاك، فجلسنا من العشية الى ان صلينا الفجر ، فكانت والله احدى الليالي الغر التي عرفت بها اخواني الالغيين ، فشاهدت من اخلاقهم وتؤدتهم في المباحثة ماتخذته درسا اخذ نفسي بآدابه منذ ذلك الوقت •

كنا نتداول اول (نفح الطيب) تلاوة على العادة ، ثم نتشعب فيما عسى ان يعرض لنا في الكتاب، اما في المعاني واما في غيرها ، وكثيرا ماتختلف في شيء ، فياخذ الاستاذ قطب المجلس سيدي علي بن عبدالله اصواتنا على الانفراد ، فيقول كل بحريته التامة مايظهر له ، فتجلى بذلك من أريحية الاستاذ ابن عبدالله وتواضعه للطلبة، وديموقراطيته العلمية مالم أنسه الى الآن

فمما اختلفنا فيه واخذت فيه الاصوات على حدة ، لفظة (معجم) الذي يطلقه كثير من أصحاب الفهارس على المجموعات التي يجمعون فيها اشياخهم ، وما اكثر المعاجم عند المحدثين ، فقال الحاضرون كلهم (معجم) بفتح الجيم ، الا صاحب الترجمة فانه قال بل (معجم) بكسر الجيم ، لان الكتاب ازال عجمة ما الف فيه، فاغتررت بهذا الكلام الذي ذكره، فذهبت معه وحدي ، وبعد سنوات ، عرفت أنني واياه سقطنا في هوة الغلط ، لان المعنى ان ماذكر في الكتاب قد أزيلت عجمته، فهو وصف لما الف فيه الكتاب، لا وصف للكتاب حتى نقول فيه (معجم) بكسر الجيم، وان كان هذا المعنى أيضا صحيحا في نفسه لمن يقصده ، ولكنهم لايقصدونه ، وهذا مؤلف البكري سماه (معجم مااستعجم) فان الاول فيه ما يقصدانه كان معروفا عنده، وقد ازيلت عجمته ، فبذلك جاء اسم الكتاب بفتح الجيم في الكلمتين معا ، وقد ذاكرته في ذلك في السنة الماضية ، فكانه مال الى ذلك هذا اليوم بعدما فهم المقصود

ومما جرى أيضا تلك الليلة التي تنسي ليلة الشريف الرضي بذي سلم، ان سال أحد الحاضرين ، أصحيح مايقال من النهي عن قراءة القرءان فوق ظهور البهائم؟ فبادرته بانكار ذلك مبتسما، وبينت ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتهجد فوق

لناقته بالقرءان، كما ينزل عليه القرءان وهوراكب على ناقته ،حتى اثقلها مايلاقيه النبي صلى الله عليه وسلم من الوحي لامن القرءان نفسه ، كما هو معروف في حجة الوداع ، بل ان الفقهاء اجازوا التنفل على ظهور البهائم لصوب سفر قصر، وهل هنالك صلاة بلا قرءان ؟ لهذا بادرت الى انكار ذلك ، ولم استدل بأن ذلك ظاهر فقط ، فقال صاحب الترجمة ، مباحثا على عادته المالوفة من انه لابدان يباحث في كل ماعرض ، وان وضح وضوح الشمس ، وماذا نصنع بقول الله (انا سنلقى عليك قولا ثقيلا) اوليس ان الممكن ان ينهى عن اثقال الدواب بذلك فقلت له : ان الثقل هنا معنوى، وان المقصود ثقله على قلوب المنافقين والكفار، فباحثني ايضا في الجواب فقلت له بمباسطة ـ وقد تنكبت عن الدليل الاصلي ـ ينبغي لنا الآن ان نزن اوراقا بيضاء ، حتى نعرف ثقلها ، ثم نكتب فيها القرءان فنعيد وزنها ، لندرك هل الثقل حسى او معنوى ؟ فمال الاستاذ سيدى على بن عبدالله ضحكا حتى بدت نواجذه من هذا الجواب ، وقد كان قبل يلحظنا ونحن نتحاور، وهو ساكت ، فقال له انهذا ياعبد الله جوابك الحقيقي ، فاقتنع به وهل الى الوزن بالمكاييل ، يقول ذلك مباسطة ايضا ، فقال شيخنا لابد من التفاسير ، فانه لا يقال بالراى في القرءان ، فاتى بتفسير البيضاوى المجرد عن الحاشية ، فالفى فيه ان الاية مكية قبل الهجرة نزلت عليه صلى الله عليه وسلم وهوفي حجرة عائشة ، فقلت انذكر عائشة هنا غلط ، فايدني استاذى مولاى عبد الرحمان البوزاكارني ، وقال ان عائشة لم يدخل بها النبى صلى الله عليه وسلم ولاكانت لها حجرة الا بعد الهجرة في المدينة ، فتوقف الاستاذ على بن عبدالله ، واستبعد غلط البيضاوى ، فرجع في الحين الى داخل الدار حيث المكتبة فاتى بالحاشية للخفاجي ، فاذا به قد نبه على ذلك الغلط الذى مضى عليه البيضاوى

وقد وجدت ابياتا مساجلة بين الاستاذ على بن عبدالله وبين شيخنا هذا، وقرأتهما بيتان لى ، وانسيت فى اى وقت قلناها ، ولااخال الاان ذلك كان فى تلك الليلة ، ولم اكن فى ذلك على يقين ، ولم اجد من عنده علم ذلك ، وربماقال شيخنا بيتيه الاذاك ، ثم ذيلهما عمه الاستاذ بعد، فذيلتهما أناحين اطلعت عليها، ومن العجب ان ينسى الانسان ماصنعه بنفسه

قال شيخنا :

الما يئن للدرس ان يتقوضا ... وساهر جفن العين ان يتغمضا
فقد كاد ماء البحث ان يتغيضا ... كلالا ونور الفجر ان يتعرضا

وقال الاستاذ على بن عبدالله :

تجلد فما كل الزمان مواتيا ... لما نبتغيه مذ زمان لنا مضى
فما المجد الا للمجدين والالى ... صلى الجد منهم كل وصل وارمضا

وقال محمد المختار :

فصعب من اخلاق الزمان سماحة ... بتاج اجتماع مثل هذا مفضضا
فما كل وقت صافيا من مكدر ... ولا كل يوم مشرق الوجه ابيضا

من فوائد المترجم

سمع الاستاذ المترجم من ينشد هذا البيت :

اهن عامرا تكرم عليه فانما ... أخو عامر من مسه بهوان

فبنى تكرم للمجهول ، فتامل شيخنا مليا ، فقال له الاولى ان يكون مبنيا للمعلوم ، من كرم يكرم ، فان المعنى على ذلك يصح ، وان اعتاد الناس فيمابينهم في المحافل انشاده بالبناء للمجهول

وسمع أيضا ءاخر ينشد هذا البيت :

اهين لهم نفسى لاكرمها بهم ... وهل تكرم النفس التى لاتهينها؟

فانشده أيضا كذلك كماشاع أيضا ، فقال له المتعين تكرم بالبناء للمعلوم من كرم يكرم ثم قال لى فى مذاكرة ، كثيرا مايغلط الناس فى هذين البيتين ، وكنا يوما ناكل لحما بالبطاطس فتساءل معنا عن اسمه بالعربية ، ثم افادنا ان اسمه القلقاس (١) ، وقال بعض الحاضرين ان النبى صلى الله عليه وسلم اوتى به اليه من اليمن ، فاكله واستطابه • كما افادنا يوماءاخر ان التناية اوالتناوة ترك مدارسة العلم والمذاكرة فيه

ذلك هو شيخنا سيدى عبدالله بن محمد الذى لايزال يفيد كل من جالسه ولوساعة ، فقد مضت بيننا فى السنة الماضية ١٣٥٦هـ مجالس قيمة ، فيهاابحاث لطيفة ، كتبت بعضها فى الجزء الاول من (الالفيات) ولكن اكثرهاباق في صفحات قلبى منقوشا •

منها انه كان يوما يحكى نوادر ، فحكى أن أعمى قاده ولده فوصلا جدولا متسعا فقال اقفزن بالنون الخفيفة ، فقفز الاب قفزا خفيفا ، فاذا به فى وسط الجدول ، فمال على ابنه بعد خروجه بالضرب ، فقال له لم لم تات بنون التوكيد الشديدة التى يحتاج اليها المقام ؟ لاقفز قفزة كبيرة ، فحين اتم الحكاية ، قلت له ان مقتضى النون الشديدة أو الخفيفة ان تؤكد أصل مدلول الفعل الذى هوايجاده ولابد ، فمتى وجد مايطلق عليه الفعل فقد امتثل المامور بذلك ، واما النونان فالفرق بينهما فى كثرة التوكيد لمن يحتاجه من المخاطبين او قلته بحسب

١) الحقيقة ان القلقاس نوع ءاخر لاهذا البطاطس الذى نعرفه

امارات الانكار اوقلته، فقولنا اضربن واضربن معناهما فى ايجاد الفعل واحد، فمتى اوقع الضرب الذى يمكن ان يطلق عليه الفعل ايقاعا محققا ، فقدامتثل بلافرق فى المؤكد بالخفيفة او بالمشددة ، وأماكثرة الفعل او قلته، فلابد أن اريدت احداهما من شئ ءاخر يفيدها خارج هذه العبارة ، قلت له هذا ماكنت افهمه دائما ، وما كنت افهم مدلولا لهذه الحكاية ، والدليل على ذلك انك اذا حلفت على انسان ان يأكل واكدت الحلف بالنون الشديدة ، فصدر منه مايطلق عليه اكل مافقد بررت ، وان كان ذلك الاكل قليلا جدا ، ان لم يقتض البساط اوالعرف اكلا كثيرا ، ثم لافرق فى بره ان اكد بالشديدة او بالخفيفة ، فناقشنى فى ذلك، فقلت له تراجعون المسالة ، ولكنهم بعد مراجعتها لم يحرروها ، وأنا الآن فى هذا المنتاى ليس لدى ماأراجع فيه من كتب ، فبقيت المسالة بغير تحرير وان كنت انا لااكاد ارتاب أدنى ارتياب فى الذى ذكرته (كتبت هذا يوم منعت فى المنفى بان اتصل باى انسان)

ومنها انه قال لى فى ليلة ٢٠ من رمضان ١٣٥٦ هـ ، وأنا وهو جالسان فى دارنا كيف تعرف هذا الحديث (ابلى واخلقى) فقلت له اننى اعرفه للمرأة المخاطبة فى الحديث الشريف هكذا ، ومعناه دعاء ان يطول عمرها فى ذلك الثوب حتى تبلى عليها ويخلق ، فقال لابل المقصود أبلى وأخلقى اى تصدقى الآن وأنت لابسة لهذا الجديد بذلك الثوب البالى الخلق الذى نزعته ، قال فقد كنت انا أيضا على ماانت عليه، ثم وقفت فى (تاج العروس) على هذا المعنى الذى ذكرته لك ، وقال انه هو المقصود، فاجبته بكل جرأة انه لعمرى بعيد ، وان ذكره صاحب (التاج) فقام فى الحين الى داره ، وهى بعيدة عن دارنا بغلوة او غلوتين، وقد ابهار الليل ، فاتى بالتاج ، فاذا به وقع له ذهول عما قاله صاحب التاج ، فتحررت المسالة لناوله على وفق ماكان اولا كما قلت ، لكننى ازددت تحصيلا ، وقد كان هو السبب جزاه الله خيرا •

وقد نبهنى الى فوائد كثيرة ، وضبط كلمات كنت الحن فيها ، ومن عادته بل ومن عادة كل الالغيين ان لايغمضوا على لحنة سمعوها منك كنت من كنت • فلا يستحيى الصغير ان يرد على الكبير ، ولايتعاظم الكبير من ان يستمع للصغير، ثم يرجع اليه ان كان الحق معه ، ولم ار هذه الخلة فى غير الالغيين جبلة ، وان كان كل الناس يدعونها

وكان المترجم فى سرعة الذهن وتلفته الى الانتقاد عجبا عجابا ، قلت له مرة ان بين فلان وفلان الشقيقين تسعة اشهر تامة بلازيادة ، فقال لى بديهة : هذا محال عادى، فتنبهت الى انه راعى زمن النفاس الذى وان لم يطل لابد منه على كل حال، مع ان المحل يقاسى مايقاسى ، فلا تتاتى المباعلة فى الحين ، فعلانى خجل من تنبهه الى مالم انتبه له، ثم غلبنى الضحك حتى كنت أضع كمى فى فمى استحياء منه

وكان مرة يذكر قصة سيدنا سليمان ، وماحكاه المفسرون من انه احتجب سنة عن اهله ، وهو مستند على منسأته ، حتى سقط حين اكلت الارضة المنسأة، فقال ان العقل هنا لايجوز ان يغفل اهل الرجل عنه سنة تامة بل ولو شهرا، والممكن اسابيع فقط مع ظنهم انه أدخل معه مايتقوت منه ، فى كلام مثل هذا ذكره، وهذا العمرى واضح وان خالف الوارد

وكثيرا مايقع بينه وبين الاخ سيدى محمد الذى اتقن علم الجغرافية وتثقف بالمطالعة فى الكتب العصرية ، مباحثات حول اعاجيب هذا العصر ، فكان شيخنا لايسلم ذلك ، ومما وقع بينهما محاورة طويلة حول كروية الارض ، ولم يسلم مغناطيسيتها التى يعلل بها كون احد السكان يقف فى وجه على الارض فى الوقت الذى يقف فيه ءاخر فى الجهة الاخرى التى تقابله ، فينافح فى دفع ذلك ماينافح واخيرا يسكت ازاء كلام أخى ، سكوت من لم يدرك عقله مايقال حول ذلك

هذه نبذة من احوال شيخنا الذى هو أول من غرس فى قلبى البذرة الاولى من العلوم ، ثم لا يزال يتعهدها بالسقى كلما اجتمعت به جزاه الله خيرا أفضل الجزاء •

تلاميذه

رايت من جد شيخنا حفظه الله فى التدريس ما رايت زهاء عشرين سنة، وقد سمعت أن له تلاميذ عليه عولوا ، وبه تخرجوا ، وءاخرون مروا به وتخرجوا بآخرين ، ونحن ذاكروهم ان شاء الله كلهم هنا ، ثم عند التراجم يظهر لك من تخرج به اوتخرج بغيره وان كنا لانلتزم ان نترجم من تلاميذ الالغيين الا لمن أخذوا من المدرسة الالغية لاغير اومن كانوا من الالغيين انفسهم

١ ـ أخوه الاديب سيدى محمد بن على
٢ ـ سيدى صالح بن أحمد
٣ ـ الفقيه سيدى عبدالله بن مسعود
٤ ـ صنوه سيدى احمد بن مسعود
٥ ـ الاستاذ سيدى عبدالله بن ابراهيم
٦ ـ الاستاذ سيدى البشير بن الطيب المتقدم
٧ ـ هذا العبد محمد المختار لطف الله به
٨ ـ الاستاذ سيدى بلقاسم السليمانى
٩ ـ سيدى الحسين بن أحمد بن الحاج صالح
١٠ ـ الاستاذ سيدى احمد بن الحسن البناء
١١ ـ سيدى محمد بن احمد الايغشانى
١٢ ـ سيدى مبارك بن مومادين الايغشانى
١٣ ـ الاديب سيدى محمد بن الحاج اليزيدى

١٤ ــ سيدى محمد بن احمد العابد اليزيدى
١٥ ــ سيدى محمدبن عبدالله اوبالوش
١٦ ــ الفقيه سيدى على بن سعيد الامسرانى
١٧ ــ وولده سيدى محمد بن عبد الله
١٨ ــ وولده الاخر سيدى صالح
١٩ ــ وولده الثالث سيدى عبدالحى
٢٠ ــ وولده الرابع عبد الحق
٢١ ــ سيدى محمد بن الحاج عبد الرحمان الساموكنى
٢٢ ــ سيدى احمد بن محمد التاهالى
٢٣ ــ سيدى داوود بن عبد المنعم الرسموكى
٢٤ ــ سيدى عبد الله بن الحسين المسكناوى
٢٥ ــ سيدى عبد الله الاخفش الايغشانى
٢٦ ــ سيدى مسعود الايكدمانى ــ لعله حى
٢٧ ــ سيدى محمد بن عبدالله الايكدامانى ــ لعله حى
٢٨ ــ سيدى محمد بن بوهوش الايغشانى
٢٩ ــ سيدى احمد بن الحسن اليزيدى
٣٠ ــ سيدى عبدالله بن احمد السملالى مشارط اكادير ايزرى
٣١ ــ سيدى يعزى ابن عمه
٣٢ ــ سيدى محمد التيمولاءى التاغنونتى والد الحسن الزمورى الوزير اليوم
٣٣ ــ سيدى محمد بن على بن همو توفى نحو ١٣٥٥ ه
٣٤ ــ سيدى عيسى التيمولاءى التاغنونتى لايزال حيا
٣٥ ــ سيدى البشير بن بلا بن مومو الشقراوى • لايزال حيا
٣٦ ــ سيدى بلقاسم بن احمد الشقراوى من ايد حمزة • توفى نحو ١٣٦٩ه
٣٧ ــ سيدى أحمد الكسيمى الامسراوى • توفى نحو ١٣٥٤ ه
٣٨ ــ سيدى محمد بن احمد الامسراوى الاستاذ المدرس المشهور
٣٩ ــ سيدى محمد بن أحمد الفقيه الامسراوى • توفى بعد أبيه
٤٠ ــ سيدى الحسن بن حسانة الامسراوى لايزال حيا • كان يكتب فى المركز وقت الاحتلال • ويشارط
٤١ ــ سيدى احمد بن بلخير العلوى الاخصاصى المشارط فى تيمولاى العليا • لايزال حيا
٤٢ ــ سيدى الحسن الشعودى الاخصاصى نجيب حسن
٤٣ ــ سيدى عمر بن بلقاسم البوياسينى الاخصاصى • لعله توفى
٤٤ ــ سيدى احمد البوياسينى من قرية ايكيووتا
٤٥ ــ سيدى ابراهيم بن عثمان الامسراوى فقيه حسن يقطن الان فى بعمرانة لايزال حيا

٤٦ ــ سيدى زكرياء الاصبوياوى • لايزال حيا
٤٧ ــ سيدى زبير الاصبوياوى • لعله لايزال حيا

فهؤلاء بعض من مروا الى الآن بين يديه ثم كان لهم ما يذكرون به ، وسترى ترجمة كل من كان منهم على شرطنا اذا يسر الله ذلك بفضله وحوله ، فعليه الاتكال فى انجاز الاعمال

كيف يخيب من على الله اتكل ... ام كيف لاينجح مع ذاك عمل
والله لايخيب الرجاء ... فليرج منه من يشا ماشاء

آثـــــارلا

من آثار الاستاذ حفظه الله رسالته القيمة الخالدة التى تضم الى آرائه السديدة ، استشفافا لما فى المستقبل ، وتوسم لما تلده المقدمات التى شاهدها من النتائج كتبها الى بعض آله بتزنيت ، حين اجتمع الناس هناك يأتمرون فيما يفعلونه فى أمورهم وقد برز الشيخ أحمد الهيبة الى الميدان رافعا لراية الجهاد المقدس ، فآزره فى ذلك المجتمعون هناك ، وذلك فى جمادى الثانية عام ١٣٣٠ه

الرسالة :

«وفق الله جمع الاخوان ، الذين هم على البر والتقوى نعم الاخوان والاعوان وأعانهم ووجههم لمافيه رشادهم ، لتحصل بذلك استقامتهم وسدادهم ، وسلام الله عليكم ورحمته ماتسددت لمن تانى فى ارسال سهمه رميته»

هذا ولازائد والحمد لله الا مادهمنى من مضمن كتابكم الوارد على بالوطن ، المنذر والعياذ بالله بانقداح الفتن ، وتواليها على هذا القطر المغربى الممنو من قديم الزمان بالمحن ، نسأل الله لنا ولكم السلامة منها والعافية ، وشمول رعايته الوافية ، آمين آمين ، بجاه النبى وآله الغر الميامين ، وكان هذا المتشوف لهذا الامر الذى انبعث اليه اليوم ، ممن باء باشارة الاصابع اليه بانه عمر (١) بين القوم ، ولم يدر هذا القطر وغدر أهله ومكرهم لانهم جميعا من جهلة البرابر ، فتطاول بحسن نية منه الى ارائك الملوك وعروشهم ، بعد ان لم تكفه فى مساجد الدراسة والارشاد الكراسى والمنابر ، وأهل المغرب كما قيل قبل ، معادن الهمز واللمز والمجون والاستخفاف بنظام الملك مالم يصل عليهم صاحبه بالصارم المسنون ، وأخاف أن يندم حين لاندم نافع ، يوم لاينفع جاه ولاشافع ، لكن من صفعته يده لايعول على مافعل بنفسه بيده ولايبكى ، ومن القى بيده الى التهلكة

---

١) تلميح الى قول الشاعر :

اذا ايقظتك حروب العدا ... فنبه لها عمرا ثم نم

وهو ينظر ما جزاؤه الآن لصم دونه بعد المسامع فلايشكي ، وكأنه لايدري ان لاهلك ، سوى الملك ، وان لامنجي ، لمن زلقت رجله في المهواة والليل قداجي، لاسيما في هذه البلاد ، العديمة الاوتاد والعماد :

والبيت لايبتنى الا بأعـمـدة	ولا عماد اذا لم ترس اوتاد
فان تجمع أوتـاد واعـمـدة	وساكن بلغوا الامر الذي كادوا

فياليته ان كان لابد له من هذا تستتر اولا بالجهاد ،فقاد العباد، حتى يتمكن في القلوب ناموسه ، اذ يمكن ان ينجح في طلب الملك بعض نجاح ، وان يرجى له في ذلك بعض الفلاح ، لكنه قد اغتر اليوم بمايسمعه من أنـه كـان سلطانا منصورا، وكان أمر الله قدرا مقدورا ، وطالما قام قبله لهذا الامر من ابناء الزوايا رجال ، فلم يتم لهم شيء ولاصلح لهم حال ، ولذلك ولامور أخرى تعلمونها أيها الاخوان احذركم ان يكون منكم لهذا الامر أقدام، فان كل خطوة تخطونها فانمـا تتقدمون بها لمزلة الاقدام ، فلا تغلطوا فان مثل هذا الغلط ماح لصحف المناقب، ويفضي بلاريب ـ والله اعلم ـ لسوء العواقب ، لاسيما اليوم والحالة تعلمـونها جميعا، وقد حدث الواردون من الغرب فملأوا بماقالوه لنا ولكم سمعا ، وقـد تحقق من اخبارهم خروج العدو وانه غادر فاسا (١) ، حين اذاقه أهلها اعانهم الله مرارة الحرب وأروه نجدة وباسا ، وأهل فاس وأهل الغرب أهل الحـل والعقد ، والتسليم والنقد ، فهم آل الدار البيضاء وأهل النظام والملك وماسواهم ربما أهل فوضى ، أفتظنونهم يخرجون الملك من حضرتهم وهم ماهم وفاس هي ماهي ، ام يعدون ذلك عليهم من اعظم المصائب والدواهي ، كلاأنهم لايرضون بذلك هم ولاأقل من بالمغرب ، وفيه مافيه من قائد عظيم وعالم معرب ، وغيرهم في العامة جهلة بهذا وسوقة ، لايعرفون كيف يقايضون في هذا الامر ان دخلوا فيه ، وكذلك جميع الامم حول المغرب ، لاتقبل كلاما الااذا كان من هـؤلاء الذين فهم يعرب ، ففاس ومراكش وماحولهما هما عماد القطر الكبير، وأما سوس والاطراف فلاتعد في عير ولانفير، فلو دام استيلاء العدو على تينـك الحضرتين الى اليوم واخذ منهما بالنواص لقلنا يمكن هذا الذي يحاول اليوم عندنا ان نجد لنا فيه عذرا مع مافيه من الاعتياص ، اماالآن فمن المحقق ان من سعى في احداث شيء بهذه البلاد ، انما سعى في اراقة دماء المسلمين فيمـا بينهم وفي افساد العباد ، وقد علمتم حفظكم الله مافي اراقة محجة دم، مـن معصوم الحرمة والدم ، فاتضح لكم وضوح الشمس أيها الاعلام، أن الواجب اليوم الامساك والاحجام ، رعيا لمصلحة البلد والقوم ، لئلا يكون أحد منكم عونا على العدوان والاثم ، وان طلبتم مني الجواب الاخير في هذا الامر، فلاأرى الا

١) راج بين الناس بعد واقعة فاس ان العدو قد انهزم ، وان جيش السلطان قد انتصر

التوقف والتريث حتى يتبين الخيط الابيض مـن الخيط الاسود من الفجر ، واعتذروا بان بيعة المولى عبدالحفيظ في الاعناق، وجمع بيعتين فـي حيـن لايجوز باتفاق ، لان موته المتداول لم يثبت كمايجب بالعدول، والمسارعة الى شيء اخر سوى هذا من الانحراف عن الجادة والعدول، سدد الله اراءكـم لغرض الحق والسداد ، وذهب بناوبكم مذاهب المحبوبين من اتقياء العباد ، فلا ينبغي ان ينسى ماصدر من امثال هذا الذي يتطاول اليوم من العلماء المتهجين هذا المنهاج الوعر السلوك ، المردى لكل من زاحم فيه الملوك ، كابي محلى رحمه الله، على أنه قال أردنا أن نجبر الدين فاتلفناه، والشيخ ابي عبد الله العياشي، والشيخ سيدي محمد بن ابي بكر الدلائي ، والشيخ أبي زكرياء سيدي يحيا بن عبدالله بن سعيد بن عبدالمنعم الحاحي ، وغيرهم من العلماء رحمهم الله، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر له شروط لم اعلم بعضها اليوم ، ولكن الله متم نوره بالصالحين اللائقين لهذا الشان ، دون الاغمار ، المنتحلين لـهـذه الطريقة الجالبة للشنار، بالمكاثرة برعاع همج كالرمل والحصى، فهؤلاء حقا من يطرق لهم بالحصى ، ويقرع بالعصا ، ولكنهم مع ذلك قلما ينـتبـهون من الضلالات ومذاهبها ، وقديما قيل ان حب الرئاسة لايقلع حتى يذهب براس صاحبها، فعليكم بالاستثناء بهذا الامر ، فلا تعجلوا فيه بالسير ، اللهم الااذا استحكـم لهذا الانسان أمره وقرله القرار، فحينئذ نحن بالخيار ، فأما ان ندخل في أمره أو نتركه هذه الديار ، وكأني بأمره قد انتقض عن قريب كماانتقض أمر امثاله المتقدمين، أتزنيت هي التي يتخذها الملوك دارا؟ وهل سكان الفحص الذين بايعوه اليوم هم الذين يأمن منهم غدا من حوله قرارا؟ أم يقفون له على عهد ، اويفون له بوعد ، أويعرفون لمثل هذا معنى، أم يقدرو ن أن يحموا بدورهم مغنى، بل هم في ساعة الوطيس ، يولون الادبار لاول وهلة تولية جديس ، وأيضا يوم يقر للملك بالفحص قرار ، لاتحفظ لناولالعقبنا حرمة ولايحمى لنا ذمار، يومئذ تستباح هذه الاصقاع السوسية ، وتغشى بالمناهي والمناكر التى تنالها باستيلاء الملك ودوامه عليها فيغتالها بالجبايا والمغارم المخزنية ، الحذر الحذر، فقد قال الله جل من قائل ، وخذوا حذركم، اذلاداعي اليوم الى هذا الامر ، وقد كنا منه في سعة مانام عنا الدهر، وخصوصا حين نصر الله الدين بخروج العدو مـن كبرى الحضرتين اللتين هما قاعدتا الملك بالمغرب ، فلاينزع الامر من اهلـه كمالا يسند لغير أهله، كمافي علمكم ممالايحتاج قلمي ان يعرب به ، ايدكم الله وأرشد ، وأعان وسدد ، على أن الملك اذا قارب الهرم لاتشتد وطاته الاعلى من والاه ، ويستريح منه من باعده وناواه ، ويستمر كذلك الى ان يحدث ملك اخر صنديد، بصنع سديد، فيشعب الصدع ، ويضم الاصل والفرع، واتقوا الله ياأولي الالباب لعلكم تفلحون ، فلا يرتجى ورى فيماانتم تقدحون، فلاتجعلوا مدخلا لهلاككم وهلاك من بعدكم من أولادكم واخوانكم من المسلمين والمسلمات، والمومنين والمومنات، فلايخفى ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة

(١٢)

امثها الاله ، وكذلك يفعلون ، فهل انتم تصيخون ايها السامعون ، ثم انني وان اكثرت الكلام ، وتفيهقت فما على من ملام ، فالله يعلم صفاء النية وحسن الطوية، فانتم وان لم تحتاجوا لكلامي هذا لنفوذ بصائركم ، واستنارة سرائركم، فان الذكرى تنفع المومنين ، والتناصح واجب على كل حال بين المسلمين، فاوسعوني عذرا ، واسالوا لي من الله ثوابا واجرا ، وكتبه اليكم مسلما عودا على بدء ، اخوكم الجاني الفقير الى ربه ، عبدالله بن محمد سامحه الله في المقال ، واصلح له الاحوال ، «امين»

هذه هي الرسالة الفذة التي ظهرت بها ناحية اخرى من نفسية الاستاذ وحزمه، وانه ممن يزن الامور بما يراه من القسطاس ، ولايستهويه ما استهوى كل الناس ، فقد حدثني بهذه الرسالة في السنة الماضية ، وذكر أنها قليلة الجدوى ، وان عهده بها في شق من سقف بيت في داره ، فالححت عليه أن يوصلها الى ، فبعثها فاذاهي قطع ممزقة ، قد تطاير بعض اطرافها ، وأتى القطع على سطور منها ، ولكنها قليلة جدا ، بل ماذهب يبقى بعض حروفه للعيان فكان من سخرية القدر ، بعد ان قراتها فوجدتها درة يتيمة ، وأدركت لها من القيمة مالابصر فهلهاربها الذي جعلها من سقط المتاع ، طويتها في رق اخر، وكنت جالسا منه في سطح الزاوية، ثم قمت ونسيتها الى مابعد الغد ، فأتاني بعض اولادنا بقطعة منها وجدها في المركع ، فماكدت أرى القطعة حتى تذكرت فقمت [illegible] منها فلم اجد شيئا ، وبعد ايام أتاني موذن الزاوية ببعض القطع [illegible] وجدها في فناء الحائط الخارجي تتلاعب بها الرياح ، فأعدت قراءتها [illegible] بين قطعها ، فاذا هي تكاد كلها تجتمع من جديد ، على مافيها من محو [illegible] في الجمل غير قليل ، ثم دفعتها الى انسان غير حاذق بالفهم ينسخ لي، [illegible] مزيده من التصحيف والتحريف وترك السطور بينها طامة جديدة، ثم جددت ثانيا حين حررتها بيدى فاصلحت ، وأتممت ماكان نسيه الناسخ أوكان ممزقا من الاصل الذى نسخ منه، وقدكنت رددت الاصل لربه، وبقيت هذه الرسالة العالية بعد ذلك في يد التاريخ ، بعد ماتجاوزت هذه العقبات التى كادت تاتي عليها ، وهي الآن على كل حال بعد تخريجها وتتميم ماسقط منها خلقت خلقا جديدا بهذا الاعتناء

ثم ان قول الاستاذ ان الاجانب خرجوا من فاس ليس الامر كذلك، ولكنه معذور ، لانه كتب ماسمعه عن الواردين (وما آفة الاخبار الا رواتها) ولعل هؤلاء غرتهم وقعة فاس الشهيرة آخر أيام مولاى عبدالحفيظ ، فبنوا عليها ما يشتهونه ،

واما رأى الاستاذ في الشيخ احمد الهيبة ، فقد أصاب في البعض واخطا في البعض، على أننا لايهمنا الآن اصابته او خطاه ، وانما تهمنا الرسالة وحدها التي خرجها تلميذه فسواها وقدمها بقلمه للتاريخ مستسمحا استاذه فيما فعله

بالرغم من آثاره

وكتب الى عمه الاستاذ سيدى على ، وهو اذذاك لايزال يتلقى عن الاستاذ الافراني في المدرسة التانكرتية قبل عام ١٣١٨ هـ :

«سلام الله على من به تنورت ازهار تلك الرياض ، وبه نبعت فينا عيون وامتلات حياض ، ابى وشيخي وسيدى وسندى ابى الحسن ، حفظكم الله من كل مالايليق بجنابكم، ولايليق لكل من كان في حسابكم ، وقد وصلني ياسيدى سرورك بتلك الابيات ، التي أتت الى ياشيخي وابى من الموهبات ، فادع لي ياسيدى أن أرى في منزل الحق كالبدر ، مجتنبا للباطل لاأدنو منه بشبر اوفتر هذا ولاباس عندى ولله الحمد، فمرامي ان ترسلوا لي ماأتوقف عليه، مع طلبي من سيدى المعذرة ، فالحر من قنع لامن قنع ، واستاذنا الفقيه لايزال بالاخصاص يطلب غنمه المسروقة مع غنم جيرانه ، وقد ذهب الى القائد بوهايا ، وهذا ماتجدد عندنا والسلام»

انتهت الرسالة وقد اختصرتها ، ولنكتف بهاتين الرسالتين كانموذج في ترسل الاستاذ ، فقد كفتنا وشفتنا ـ يكفى من العقد ماأحاط بالعنق ـ

أما آثاره الشعرية فهناك منها ما انتقيناه من اشعاره الكثيرة ، ولكن قبل ان ندخل في ذلك ، أذكر أبياتا كتبها اليه أستاذه الافراني عام ١٣١٦ هـ ، حين كان يأخذ عنه ، نصها :

اجب عبد الاله وقيت عيا ... جوابا بالصواب يرى حريا
ووجه للبشير (١) فتاة فكر ... تروق اذا بدت حسنا وزيا
وشحذ للجواب شباة فكر ... اذا رام الكلام فرى فريا
فلا تخلد لارض العجز واخلع ... لباس العي عنك وكن جريا
فاحسن ما اقتناه المرء فكر ... يرى مهما قدحت به وريا

هذا ماكان الاستاذ الافراني يحرض به تلميذه لقول الشعر، فحمله ذلك على ان كان منه ما نقرؤه الآن

قال يرحب بالاستاذ شيخه وشيخنا سيدى الطاهر بن محمد الافراني، وهي من مبادئه :

يا أيها السيد الترضى سجاياه ... ومن بافصح خير النطق فحواه
ومن له في سماء العلم منزلة ... ليس ينال لديها الفهم علياه
نال المعالى والاقوام في سنة ... منتشين بكاس العجز قد تاهوا
مدت له الراحة العلياء وهي له ... طوع يديه فيرضيها بفتواه
والقول في مدحه جد المقال وفي ... مدح سوى وصفه هزل وبهباه(٢)

---

١) البشير الناصرى او البشير العزى

٢) البهباه : صوت الهدير العالي

ومنكر نوره من بعد ما سطعت   شموسه خر فى شفير مهواه
اهلا بمقدمك الميمون طالعه   ومرحبا بك ، والحمد لك الله
قد اقبل البشر اذ اقبلت ثم على   قلوبنا واستبان الجسم أدواه
ادامك الله للاسلام مكرمة   وانت تجنى بدوح العلم احلاه
من ابنك البر عبد الله يسالكم   ماء رضاكم لنار ضمن احشاه
ويستمد دعاء لينال به   صلاح داريـن دنياه وأخراه
ازكى السلام وعرف المسك يصحبه   من الاله ، الذى فى العد ضاهاه
اسبل رضاك وأهم سحب أدعية   على العبيد لينجاب اللذ أرداه
بجاه احمد من تجلى به كرب   ويستجاب الدعاء عند ذكراه
تترى عليه صلاة الله صاحبة   سلامه وعلى كـل من والاه
اعذر اخا عذر ان يخط مرقمه   فى نفث فكر عليل الطرف مضناه

فاجابه الاستاذ الافرانى :

لبيك من والد احيا محياه   قلبا رماه النوى عمدا فاصماه
ما انت الا حيا وافى على ظما   روضا ذوى زهره يوما فاحياه
لله منك سجايا كالنسيم اذا   صافحه الروض وهنا ذاع رباه
وفكره كلما جال الذكاء له   محبرا من برود الشعر وشاه
وصارم الذهن يفرى كلما عرضت   كتائب البحث لاينبو غراراه
وهمة فى سماء المجد سارية   كالنجم لاتنثنى من دون أقصاه
[illegible] فقد حزت الفخار بما   ورثت من والد قد طاب مثواه
[illegible] من علياه قد ملئت   بها من الناس اذان وافواه
فجد فى قفو ذاك النهج مجتهدا   فالمجد لايرتمى بالعجز مرماه
وحل نفسك بالعلم الكريم فما   للمرء قدر بلا علم ولاجاه
لاتخلدن اذا رمت الكمال الى   ارض البطالة فهى شر أدواه
ولا تمل لسوى تقييد شارده   فقد عنا صعبه من كان عاناه
فان مثلك لايرضى وليس يرى   فى صهوة العز والعلياء مغناه
لازلت ترقى الى ان تستطيل على   نعائم الجو او فوق ثرياه
ممتعا بنعيم العلم تقسمه   بين الانام كما أعطاكه الله

ووفد الوفد الافرانى الى (الغ) يوما ءاخر والفقيه سيدى العربي الساموكنى بالمدرسة الإيغشانية ، فلم يات اليهم ، فعاتبه بعض الحاضرين على ذلك ، فقال الاستاذ على بن عبدالله فى ذلك :

دعوى المحبة والحبيب على كثب   مع ترك وصلته دعاوى من كذب
ما للمحب ، وقدزعمت وفاءه ،   لم يعتذر (زورا) ولا عذرا كتب

ومما قال صاحب الترجمة :

ماذا الجفاء وذا الاعراض ياعربي؟   فما رعيت حقوق الود والادب
وقد الاحبة حثوا فى زيارتهم   ركائب الشوق فاستظهرت بالهرب

وقدكان أعار شرح الرباطى على العمل الفاسى لابن عمه الاستاذ قاضى (الغ) الآن ، سيدى الطاهر بن على ، فكتب اليه بعدما ابطا عليه فى الرد :

ان لى بكتاب شرح الرباطـى   طاهر بن على أى ارتبـاط
انه ليس عنه صبر لانـى   قد شغفت بحبه من قماطى
فاذا ما قضيت ما أنت فيه   مبتغ فلتـعده دون تسباط
لم حكمت وأنت قاض بمطل   فيه ، والمطل ما اقتضاه بساطى
لاتلمنى فالكتب كل افتقادى   ما حييت لها وكل اغتباطى
وهى أنسى فى جلوتى واختلائى   واشج عرقها بعرق النياط
كيف بالصبر عنه وهو سكابى   هل تسام سكاب بالاشتطاط (١)
واستحثاث للرجع للكتب دومـا   من معار ، من أوكد الاشتراط
فهى مثل الشيوخ يلزم أن نســ   ـأل عنها مخافة الاغتماط
فبها نستضيء فى ظلم الشـ   ـك ، وندرا بها مزل الغلاط
والذى لايطالع الكتب دومـا   عن قريب يمنى بداء الحباط (٢)
وسلام على مقامك لازلـ   ـت دواما على سواء الصراط

وقال يخاطب الاستاذ سيدى المدنى ويسترد منه كتاب بحراق :

برح بى الوجد منذكراى بحراقا   واحرق القلب والاحشاء احراقا
فوجهنه الى اليـوم مبتدرا   تورق اغصنه فى الحين ايراقا
لكى تكون سماء الهجر نيرة   تشرق منها شموس الوصل اشراقا
بورك فيك مصونا ءامنا أبدا   من الحوادث ارعادا وابراقا
عليك منى سلام الله ما سجعت   ورق فهيجن فى المشتاق أشواقا
ماحن قلب الى رمق الدفاتر من   كل أخ مطرق للعلم اطراقا

وقال يعاتب صنوه سيدى محمد بن على الالغى ، وقد رءاه يوما فى بطالة ملاها بالجرى على فرس فى بسيط الغ ، مع ان مثله ليس ممن يتفرغ لمثل ذلك ، وذلك ءاخر صفر ١٣٢٦ هـ :

---

١) سكاب كخذام : اسم فرس قال فيها ربها :
أبيت اللعن ان سكاب علق   نفيس لاتعـار ولا تبـاع
مفداة مكرمـة علينـا   تجاع لها العيال ولا تجـاع
٢) الحباط بالضم : كمدام : داء تنتفخ به بطون الابل من أكل الحندقوق.
يعنى به داء الجهل

محمد بن عـلى جرى القراطيس   أولى بحالك من جرى الكراديس ١
مثلك يمعن فى جنى الدروس من ال   ـعلوم غضا من افنان الكراريس
حتى تحوز من العلياء ما شرفـت   به مناصب ءاباء قناعيس (٢)
فلو علمت لما انفككت عـن نظر   منقبا عن علوم فى الفهاريس
بذاك يرضى الفتى احبابه وبـه   يغيظ اعداءه غيظ الدهاريس(٣)
لكن جرت بك افراس الغواية فى   ميادين الجهل والجون الخناديس(٤)
اليك أهديتها أريد منك سليـــ   ـمانى عزم بدا فى شكل بلقيس
زفت اليك عروسا فاقبلنها فقد   آتتك ترفل فى حلة طاووس
واسأل الله توفيق الجميع عـلى   طريق سادتنا الغر النباريس(٥)
ثم عليك سلام ما سمعت أخـــى   (محمد بن عـلى جرى القراطيس)

وقال ايضا يخاطبه ويهنيه بولد كان ولد لـه فمات بعد، وقـد سماه عبد السلام ، والخطاب فى القصيدة موجه الى الولد، وذلك فى المحرم عام ١٣٥٤هـ

حفظت مـن كـل هامة   عبـد السلام ولامـة
ولقت عمرا طـويـلا   مـهـنـئـا بـالكرامة
تلقنا ما بـين ام   ووالـد بـالسلامة
شمرا ساق جـد   مجانبـا للسئامـة
حتى بـنال غرار   نافر دهرا منامـه
فيه تحل مقاما   عجز عـنـه قدامـة (٦)
فانت وارث سر   تنال منـه الامـامـة
تكون فى العلم بحرا   والجود كعب بن مامة(٧)
ومن أنالك اهتـداء   بك جـلـوت ظلامـه
او ان أنالك اعتفـاء   فانـت قاض مرامـه
او ان أنالك ارتـواء   منك نقعت اوامـــه (٨)
محمد يا ابـن أمـى   أبشر بفرد السلامـة

---

١) جمع كردوسة وهى القطعة العظيمة من الخيل
٢) جمع قنعاس ، بالكسر ، وهو فى الاصل العظيم من الابل
٣) جمع دهرس كجعفر : الداهية
٤) جمع حندس وهى الظلمة ، وهو بكسرتين ، والحناديس بالياء جائـــز فى الشعر
٥) جمع نبراس وهو المصباح
٦) قدامة ابن جعفر شيخ الادباء والكتاب المشهور
٧) عربى مشهور يضرب به المثل فى الجود
٨) الاوام كغراب : العطش

وبـهـلال كـمـال   والزهر غب الغمامة
فلا عـراه افـول   ولا ذبول الكمامـة
يبقى منـيرا مضيئا   وراءه وأمـامـه
والسعد حيث حماه   فليس يعدو خيامـه
حتى يرى ولد ولد   فى نعـمـة وزعامـة
بجاه أحـمـد والـى   علـيـه ربـى سلامة
بعـد الصلاة علـيـه   تترى ليوم القيامـة
ويجعل الله حسنـى   ختامـنـا وختـامـه

وقال أيضا يجيب تلميذه وابن عمه سيدى صالح بن احمد عن قطعة خاطبه بها لم نطلع عليها الآن :

لبيك لبيك ياخير اللدات ندى   وطالعا في سماء المجد نجم هدى
انا لك الله ماتبغيه من شرف   ومن علوم وسر ظاهر ابدا
هذى الجواهر أم هذى الزواهر ام   حسناء خود ام الاصباح حين بدا
غفرانك الله بل نظم الاديب حوى   حلال سحر ودر فى الطلى نضدا(١)
لفظ لذيذ ومعنى رائق حكما   تهدى لسامعها الآداب والرشدا
يقوله المنشدون الشدق فى نغم   كالصوت من بلبل فى غصنه غردا
كأنه لؤلؤ فى السمط تنثره   حسناء من بعد ان قد كان منتضدا
لله درك من فذ قصائـــده   مصفقات الطلى بالماء من بردى(٢)
فاحرص أخى على كسب العلوم فقد   رأيت أن العلا مـدت اليـك يـدا
فمن يكن صالحا تصلح طرائقه   لاخير فى صالح ان بعضه فسدا
عليك أزكى سلام الله من قلمى   واسمع جوابى ياخير اللدات ندى

وكتب الاستاذ سيدى الطاهر الافرانى الى صاحب الترجمة ، والى سيدى البشير الناصرى ، وشقيقه سيدى الطاهر ، هذه الابيات يستدعيهم الى داره بافران وهم هناك أما فى المدرسة واما فى دار الناصريين :

الى الثلاثة الاقمار، المزرى لطافتهم بنسمات الاسحار ، على صفحات الازهار، السيد عبدالله بن محمد الالغى ، والسيد البشير ، وشقيقه السيد الطاهر ابنى الشيخ سيدى المدنى الناصرى ، قدس سره ، أمابعد :

---

١) الطلى جمع طلية : العنق ، مضمومة الطاء فيهما
٢) الطلى بالكسر الخمر ، يشير الى قول حسان بن ثابت رضى الله عنه فى بنى جفنة :

يسقون مـن ورد البريص عليهـم   بردى يصفق بالرحيق السلسل

والبريص مسكنهم ، وبردى نهر مشهور ازاء دمشق

فصلوا الفقير لدى القروب بداره   لتطيب من رياكـم ارجـاؤه
فبانسكم وحياتكم يجلى صدى   قلب المشوق ويستجم رجاؤه

فاجابه سيدى البشير بقوله :

لبيك ياعقد جيد المكرمات ومـن   لبى العلا اذدعـتـه غير ذى وكـل
دعوتنى ولهيب الشوق متقد   فجئت أسرع للقيا بلا مهل
أبقاك رب الورى للدين تصلحه   والادب الغض فى الاظعان والحلل

واجابه صاحب الترجمة بقوله :

لبيك يا مولاى يا من دابه   تعجيله المعروف لا ارجاؤه
انت الذى يهدى العفاة لبابه   عرف العبير تنمه أرجـاؤه
العبد يسترضيك كيما ينثنى   وتحفه من وصلكم ارجـاؤه

ومما كتبه الى الطلبة يوما :

اذا كنت تبغى دوام الشبع   وتلبس أجمل ثوب صنع
وان لا ترى كدرا ابـدا   وأن لايمسك شيء قـذع
وان لايطالك حر الشتا   ولا حر صيف اذا ما ارتفع
وتسكن فى مسكن بهـج   وتنعم فيه بـنـور سطـع
فهيهات ان تدرك العلم يـا   مريد الروى دائما والشبع
فهم الفتى هم منقسم   فشمر لعلم والاقـذع
تمام الديانة من يبغه   فلا بد من ميلـه للورع
الا يكن علمه للورى   سموما فيردى به من جرع
نصحتك نصح المجرب يـا   أخى فاتبعنى ولا تبتدع
فلا يدرك الطير الا الذى   اذا ما أشرت اليه اتبع

وقال مرحبا بالوفد الافرانى فى احدى وفداته الى (الغ)

جرت الصبا فتضوع النشر   ودنا المنى فتناسق البشر

(وقد ذكرت كلها وجواب سيدى الطاهر عنها فى محل ءاخر)

ووفد الشاعر السيد ماء العينين بن العتيك الشنجيطى على (الغ)فنزل على الاستاذ سيدى على بن عبدالله هو واصحابه ، فخاطبهم المترجم بقوله :

أ (ماالعين) بل يانورانسانهاالذى   جلوت به السراء لائحة النقش
انخ مرحبا اهلا وصحبك من بهم   أتتنا المنى تختال مسرعة تمشى
وقروا عيونا انها دار سيد   يلاقى النزيل بـالمرة والهش
فابقاه من ارقاه حصن سعادة   يقيناصروف الدهرذى المكروالبطش

---

1) القذع كمرح ذو القذع بفتح القاف والذال : القذر ، الخنا والفحش

فاجابه ابن العتيك بقوله :

انخنا بكم لله در ابـيـكـم   فبادرتم بالرحب والبش والهش
بدار من اعتاد القرى فكانـه   يضيق به ذرعا فراحته تفشى
وانى أرى سيما السيادة والـعـلا   ايا ءال عبدالله داركم تغشى

فأجابه أيضا الاستاذ عبد الله بقوله :

عروس غدتفوق الارائكوالعرش   تتيه دلالا فى غلائلها الرقش
امالشمس فى برج السماءتبرجت   اشعتها وسط الهواء وفى الفرش
امالزهر فى روض الرياحينجاده   لدى سحر سح الغمامة بالـرش
نعم انهـا الفاظ در تروق اذ   ترق وصافى الود منضمنهاتفشى
إمام الهدى (ماالعين) سيدناالذى   أتته حسان المجد سافرة تمشى
عليكم سلام الله ماجن غاسق   على عاشق فجن مذكرا ينشى

وقال أيضا يرحب بابن العتيك المذكور ورفيقه الامام من قطعة :

أهلا وسهلا بالامام وما الـ   ـعينين مـن ضيفين قـد وفـدا
ونازلين منزل القلـب فـى   ضلوع هذا العبد طول المدى
بشراكما عينى قـد وردا   ماء كما الزمزم عذبا ردا
لازلتمـا ولا ازال أنـا   معكما على بساط الندى

فاجابه احدهما بقوله من قطعة :

أمن لاركان الـنـدى شيدا   واعتاد مـا مـن فضله عودا
واذهب الوحشة ايـنـاسه   وأبهجت رؤيته المنتـدى
وروح الروح وجثـمـانهـا   وأحسن المنشأ والمنشدا
ساعدك الدهر لـقـد سرنـا   يـوم بلقـيـاك لنا أسعـدا
اتحفك الله بنيل المـنـى   وكف عن نيلك كـف العدا

وولد للاستاذ سيدى المدنى مولود اثر عيد فقال يهنئه به كما هناه ءاخر :

اتى فازدهت انسا صدور المنابر   وما ست به نشرا بنات المحابر
وحلت به العلياء اوج كمالها   وحلت به النعمى على كل شاكر
ووفت به الآمال ما وعدت به   وقرت بما تبغى عيون الاكابر
وليد سعيد من سعيدين كيف لا   وطالعه سعد الزواهى الزواهر
اتى العيد بشرى ثم اشرق بعده   بعيد عظيم لايماثـل ءاخر
وما هو الا البدر اشرق نوره   فاشرقت الانوار أفق البصائر
او السيف يفرى فى غد كل شبهة   بعرفانه فرى الطلى والاباهر
او الورد فى روض نضير تفتقـت   كمائمه غب الغوادى المواطر
او النجم يهدى فى مهامه ضلة   لوجه المعالى كل سار وحائر

بل البحر بحرالعلم يقذف موجه ... بدر نفيس قيم وجواهر

فاجابه سيدى المدنى بقوله وقد لوح الى منهناه معه

الى فاطباني مزريا بالازاهر ... بروض اريض غب سح المواطر
الى ساحرا لب الاديب بما حوت ... معانيه من معنى بديع المناظر
وما هو الاالسحر حل ارتشافه ... بكاسات الفاظ زواه زواهر
بل انه شعر يروق رواءه ... فيطربنا انشاده فى المحاضر
حوى كل معنى عبقرى كانه ... مغازلة من طرف احور فاتر
رقيق الحواشي مثل طبع اللذين قد ... أجاداه صوغا قادرا تلو قادر
اديبين بذا فى البيان سواهما ... سريين حازا خصل كل المفاخر

الى ءاخرها

وحدث مرة ان ذهب وفد من العلماء وفيهم المترجم للسعى فى صلح بيـن متقاتلين ، فدارت بينهم ، وهم سائرون مساجلة كلها دعاء وتيمن ببلوغ الغاية التى يسعون اليها ، (وهي كلها فى ترجمة سيدى بلقاسم التاجاروموتني) فـى (القسم الرابع) فى (الفصل الاول)

وقال مرة وقد راى الناس يتانقون فى الملابس ، فارسلها زفرة اعتبار وتعاظ من ... مستغثا بالله من عقبى ما عسى ان يفرط منه، ومن عادته هوان ... فى اخشيشان اللباس كلماراى الناس يمعنون فى لبس المستحسن منه

ارى الناس قبرى يلبسون ملابسا ... رقاقا كما ديني وبيضا كشيبتي
وما ضرلى لو تبت لله عاجلا ... تصح دياناتي وتنصح توبتي
واسأله التوفيق صفحا عن الذى ... جنيته من ءالاف جرم وحوبة
والى عبد الله ارجو كرامة ... بما قد حباني من اضافة نسبتي
وقد قال فى الذكر الحكيم (عباديا) ... لها مـن اضافة تفرج كربـتـي
فيارب انت المستغاث وانت مسـ ... ـتعان على تانيس وحشة غربتي
بجاه اجل الخلق احمد مـن غـدا ... شفيعي فى حالى شهود وغيبتي
عليه صلاة الله ثم سلامـه ... الى أن يفوز القارظان بـاوبـة

وقال فى ءاداب مدير الكاس بين الناس ، وهو مقيم الاتاى

لابد فى المدير من نظافـة ... ومن لطافة ومن ظرافـة
وان يكـون طاهر الاعضاء ... من وسخ وظـاهر الاغفـاء
بكسوة حسـنـة نقـيـة ... وبزة مغـبـوطـة مرضيـة
فان يكـن متسخ الابـدان ... فما له فى المنتـدى يـدان
لانـه مجلبـة للـتـرح ... مبخرة مدفـعـة للـفـرح
وان يرى اهـلا لسرد ادب ... مناسب لشرب أهل الرتـب

مراعيا من مقتضى المقـام ... والحال ما يفضى الى الوئام
مجانبا ذكر التنافى المنتدى ... فانه مستهجـن متـى بدا
لا سيما والمنتدى بالادبـا ... قد خص أو بعض لبعض قربا
وليحفـظـن محاضرات الادبـا ... محترسا مما يشـيـن الادبا
من كل ما يفضى الى تكدير ... خواطر الاصحاب أو تغيير
فلا يرى فى مجلس نومانا ... ان الكرى قد يحفظ الندمانا (١)
ولينشرح منبسط الايـنـاس ... مستقبلا بـوجـهـه للناس
فلا يرى يبصق لكن ان خرج ... عن مجلس القوم لضر لا حـرج
ولا يـرى يحـك بالاظـفـار ... ءاباطـه او داخـل الاشعار
كذاك لا يدخل من أصابعه ... فى أنفه حرصا على توابعه
نعم ولا ممتخطا او ناتـفـا ... لشعر ولا لصـدر كـاشـفـا
وليحترس مـن أخذه القذانا ... والقمل والبق او الذبانا (٢)
وليحذر الشغل بالاستـيـاك ... اذذاك بالاصـبـع او اراك
ولعبا بـطـرف العثـنـون ... ويا لسبال فهو من جـنـون
الى هنا الهنا بـي وقـفـا ... من أدب المدير حسبى وكفى

وسيجد القارى ءانشاء الله مثل هذه الارجوزة فى ءاداب المقيم للاتاى فى (القسم الثالث) فى ترجمة سيدى محمد بن العربى الادوزى ، ومن أراد الموازنة بين ماقاله وماقاله الادوزى فان ذلك ممكن ، لان الموضوع واحد ، وكذلك ماللرفاكى ولاهله الاكراريين فى (القسم الرابع)

وكان خاطب عمه الاستاذ على بن عبد الله بقصيدة يطلب منه ان يلقنه أذكارا ولكننا لم نقف عليها ، ولم يستحضر القصيدة لماسالته عنها حتى كونه قالها، وقد أجابه عنها الاستاذ عمه بما نصه :

على الحبر عبد الله نجل محمد ... عبير سلام كل حين مجدد
ورحمة مولى لم يزل فى تعطف ... لمد من قرع بابه وتعـهـد
وبعد فقد وافى نظامك مزريا ... بمنظوم در فى قلائد عسجد
يبرد منه وقد علة غلـتـي ... معين المعانى فهو أعذب مورد
ينسى شهي الراح من مد راحـه ... اليه ويسلى الصب عن حب خرد
ويخجل طلعة الغزالة فى الضحى ... ويحسب سحبان به ذا تبلد
يذكرنى عصرا تقادم عـهـده ... فيا برد ما أهدى الى قلبى الصدى
وبالغت فى وصف العبيد بمااقتضت ... عيون الرضا من كل أسود أصيد
وتستسمن الاورام فيه ومن تحـ ... ـطه فعلته لم يعله قول منشد

١) أحفظه : أغضبه
٢) القذان بكسر القاف وفتح الذال مشددة ، جمع قذة بضم القاف ومن معانيها البراغيث والذبان كالغربان جمع ذباب

وتطلب اذنا في الخلا طريقة الت سجاني ، وتلك جنة التعبد
يروح الى نيل المكارم لابس لخرقته من غير جهد ويقتدي
ولم ار اهلا للشروط التي ترى من الناس الا الطاهر بن محمد
فزره على شوق يبرح واتخذ عليه ، ومكنه القيادة في اليد

وقد كان ذلك في عاشر ربيع الثاني عام ١٣٢٥ هـ

هذه نبذة مما قاله شيخنا المترجم اوتعلق به، اختصرناها من كثير بين ايدينا وانتقينا مايمكن ا نيقبل عند القراء ،على انه حفظه الله كثيرا مايقول انني لااعرف للادب طريقا ، ويتبرامن الافلاق فيه ، ويدل ذلك منه على شيئين اولهما تواضعه مع هذه المكانة التي يراها القارئ ، وقد رأى امامه ماتقدم، وثانيهما ان لهمقاما كبيرا وذوقا سليما عالى المنزع، فكان يحب أنيجول فى اعلى ممايجول فيه، وكفاه ذلك شرفا ونبلا ، وقديما قال أمثاله : مانريده لايواتينا ، وما يواتينا لانريده •

هذا وقد وقفت على رسالة صغيرة كتبها استاذنا الافراني الى صاحب الترجمة في التهنئة باحد اولاده :

«الاخ الذي حل في محل السيادة ، وأتى من معجزات الفضل بما خرق العادة ، وتكفل له رائد السعد بالبشرى والزيادة ، محل الولد في الشفقة، والاخ في الثقة ، والوالد في المقة ، سيدي عبدالله ابن شيخنا المقدس المتقلب في اردية الرضوان ، واودية الروح والريحان ، اعز الله مقامه ، وأراه من الدهر ابتسامه ، وسلام عليه، ومن به واليه

اهنيك بالبدر الذي مطلع النجم بيمن الرضا والسعدوالسوددالجم

فالله يبارك فيه ويلبسه النبات الحسن، ويبقيكحتى ترى ولدا قدشب من ولده واولى ابازيد بمثله ، ونسال الله انيبارك فيه وفي نجله، فوالله لقد قرت العين بهما ، وطال السرور لمطلعهما ، جعلهما الله قرة عين للمتقين ، وعلم هداية للمهتدين ، «امين ، ويسلم عليكم الصهر سيدىالقرشي مهنئا وداعيا والسلام»

ثم وقفت على اخرى مثلها نصها :

«الاخ الاسعد والامجد الاصعد ، والفذ الاوحد ، قرة العين ، وانس القلب، سيدي عبدالله ابن شيخنا المقدس ، أعزالله مقامه، وأنجح بمنه مرامه، وسلام عليه ورحمة لله وبركته ، هذا فالله يقر عينكم بالولد وينبته النبات الحسن

هنئت بالبر التقى ومن يكن برا تقيا مثل ذلك ينتج

* * *

هنئت بالليث الشرى بالشبل فانتما خير اب ونجل

وقد فرحنا غاية الفرح بشروق طلعته ،ويمن غرته ، والسلام»

اخبار عنه اخيرا

عرفت فيما تقدمكيف يدير استاذنا التعليم ، وكيف يزاوله بهمة عالية انفرد بها من بينالالغيين ، وءاثارها تظهر في تلاميذه ، وفي كل من يمر بين يديه، وذلك منخلقهومن صراحته ومن محبتهلنشر العلوم ، ومن خوض المعارف ولكنه لما فوض اطناب المشارطة في المدارس ، واعرض عن ميدان التعليم والتهذيب ، تقوض به مطنب عالى العماد ، متسع النواحي ، حتى ان الذين يعرفون منه ما يعرفون ، ليرون اعراضه هذا أحدالاسباب الكبرى لهذهالظلمة التي صارت تخيم على الالغيين ومن اليهم ، فقد تولى عن ذلك الميدان فتولى تبعا له كثيرون ، ولما كنت جاريته في ذلك اذانا في (الغ)منذ عام ١٣٥٦هـ الىمختتم ١٣٦٤ هـ ، كان يعتذربالحالة التي خيمت على كل هذه النواحي بعد الاحتلال حيث لاحرية متسعة ، ولاارادة مستقلة لاى انسان، فكنت لااقبل عذره،كما انني لااحسبه مقبولا عند خالقه الذي وهب له ماوهب ، ممافيه منفعة العباد وتنوير البلاد ، وكم ءاسف حين أراه لايشتغل الافي الدفاع عن أراضي الاسرة الصالحية ، اذ يقف بنفسه ـ وهومنهو ـ أمام المحاكم التي تشتغل بالفض في النوازل فاقول بيني وبين نفسي : ألمثل هذا خلق هذا الاستاذ العظيم ؟ اوليس الاجدربه أن يكب على التعليم والتثقيف والتهذيب ؟ فانذلك هو المقام الذي لايقومبه سواه • أما مقامات المخاصمات فاناي فرد منأفراد الصالحين ـ وقدوفر الله جمعهم وكثر عددهم بفضله ـ يستطيع ان يقوم بها احسن قيام ثم فيما بعدعام ١٣٦٥ هـ بشرني مبشر ـ وانا بمراكش ـ أنه شارط فيالمدرسة الايغشانية • فعادتبه الدراسة جذعة • فقلت الحمد لله الذى اعاد المياهالى مجاريها واعطى القوس باريها

وها هوذا الآن منذتلك السنوات يبدئ هناك ويعيد ، ويقبل ويدبر• وانكانت همته الآن • وهوابن سبع وسبعين سنة • ليست بهمة ذلك الشاب القوى المقدام ، وانكانالاسد هوالاسد وانشاخ ، مادامتمعهبراثينه وأنيابه ، ولايزال هنالك الى الآن ، ١٣٧٧ هـ محمود المساعى مشكور الاعمال

وبعد فقد جمعت في الالغيات كثيرا من ءاثاره التي بيني وبينه اذكنت فى الغ مابين مفتتح عام ١٣٥٦هـ الى مختتم ١٣٦٤ هـ

حفظ الله شيخنا وجعل فيه البركة وارانا من أولاده الآخرينمما ارانامن ابنه النجيب العالم الكبير سيدى صالح خليفة أبيه ونتيجته الصحيحة •

وأخيرا

فارق تلكالمدرسة (الايغشانية) فلزم داره حيث هوالى ءاخر ١٣٧٨هـ ثمانه اتصل بمدرسة والده بعدما غادرها بسيدى الطاهر بن علي بن عبد الله الى

(تامكروت) فهو يوالى فيها الدراسة محللة من الطلبة يتناوبونها ، عل ضعف فى جسم الشيخ حفظه الله

اولاد ٢

ادرك له اربعة محمد ، وعبد الحى (وقد ذكرا فى الفصل السابق) ، وصالح وسنراه امامك • وعبد الحق ، وهو اليوم ازاء والده ، وهو وسط فى معلوماته وقد عانى حينا التعليم فى بعض المدارس الحديثة ، وهاك رسالة كتبها الى

الى معالى سيدى الوزير المحترم ، والى مقامه الافخم ، خير السلف ، وبركة الخلف ، ازكى السلام ، واجل احترام ، حضرة سيدى الارضى والاستاذ المرتضى أرضى الله مقامكم الافخم • وشيد صيتكم الاعم ، وطيب سمعتكم الشهيرة ، ووطد مجادتكم الكريمة ، واحدق معاليكم باليمن والسعد واظل سيادتكم بمديد العمر ، شيخ الجماعة ، وعلامة الساعة ، سيدى محمد المختار السوسى من به نفتخر بيـــن الصادر والوارد

ويقول القائل شبه أبيات لاتقل ولاتقف من دون حد القصائد

يكفى لسوس اذا ما الغير فاخره … مجدا ومكرمة مختارنا السوسى
قد قام بالجد حتى نال مرتبة … شماء من كل معلوم ومحسوس
لله دره من مستطرح نكتا … تذكر فيما مضى من جنس مرؤوس
ومنشئا حبرا جلت محاسنها … ومقذعا زمرا تسعى بتدليس
ومفيدا انه قد فهى الزهو بها … ومنعشا رقبا ءالت بتفليس

هذا وان الغرض فى سيادتكم بعد الحمد على سلامة الاحوال ان احيطكم علما انى وقفت بالوقت المفرق عليه من الرجوع الى تناول الغداء بحضرتكم الفخيمة فاعلمنى بعض الحراس بان سيادتكم توجهت الى البيضاء ، فرجعت على قدمى صوب بعض الاخوان هنالك ، لان الوعد بلا وفاء كما قيل عداوة بـلا سبب ، وقد رجعت الى مكتب وزارة التعليم حين وصلنى ذلك الطلب المعلوم ، فلم يقبل منى عذر التأخر لمضى الاجل ، وبهذا اعلنوا واستغرقت هناك مدة لاتقل عن ثلاثة ايام ، ثم توجهت الى البيضاء ، حيث أبلغك شكرى خوف أن يقال ذهب بلا وداع ، ولولا كثرة الحياء الذى حال بينى وبينك ، ولولا أننى أطلعت على انك فى التحام الكرم والجود ، واختلاف الاضياف والوفود ، وارضاء رغبة كل بلا من ماقصدت سيدى ، ولااتخذت معاليك رهن اشارتى ، ولكنى رايتكم أهلا لحاجتى فقصدتكم راجيا من الله بعض بركاتكم ونفحاتكم ، عسى أن أعطى حظا كافيا من النصائح والارشادات كامثالى ، واملا منى ان لايخيب فيكم هذا الظن الجميل •

كفكفت عنى همومى حين قلـت لها … هذا أبو دلف حسبى به وكفـى

(الى ءاخر الرسالة)

ابنكم المخلص عبد الحق بن عبدالله بزاوية تحت الحصن فـى (تافراوت) بناحية (اكادير) وفقه الله ٢٣ــ٢ــ١٩٥٩م

الاديب محمد بن على الصالحى

١٣٠٦ هـ = حــى

نسبه :

محمد بن على بن عبدالله بن صالح بن عبدالله بن احمد بن عبد الله بن سعيد

هنيئا بدا للفضل من فلك المجد … فضاء به افق الهدى كوكب السعد
وقرت به عين الفضائل واشتفت … رسوم العلا مما بها من ضنى الوجد
وطاب بها مجرى النسيم فلو سرت … لما قلت جاءت من سوى روضة الورد
واصبح سارى البرق يعدو مبشرا … باشراقه من حل فـى جانبى نجد
فعاد محيا الكون مستبشرا بـــه … واعلن للرحمان بالشكر والحمد
فلله طفل شاع فى الكون فضله … جنينا وعمته السعادة فى المهد
والقت له شوس المكارم امرهـــا … رضا وتلقته السيادة بالايدى
وترمق عين البـــدر نـــور علائـــه … حياء كما يرنو ذو والاعين الرمد
فسوف ينيل المستميحين من جدى … أنامله ما يخجل البحر فى المد
وتضرب من شرق البلاد وغربهـــا … اليه نحور العيس للفوز تستهدى
ويشرح من قوم ببالغ حكمة … صدورا وألبابا أصم من الصلد
ويشرب مـــن حوض المعارف عذبها … ويدرك ما أعيا الفحول بلا كـــد
فلم لا ولم يقصر بها عن بلوغـــها … ندى والد ندب كريم ولاجد
ومايتكر الزهر الشميم بروضه … ولا الدرة العصماء فـــى وسط العقد
فياسعده نجلا نـــزيها بأصله … شبيها كما قد قد سير من الجلد
فلازال محفوظ الجناب مباركـــا … يسدد مايخفى من الامر او يبدى
مصونا بلطف الله من كل حاسد … ومن ماكر غاو ومن كل ماكيد
ونفسى ونور العين منى وكل مـــا … حويت له من كل نائبة تفدى

* * *

اياسيدى يامرشدى يامؤيـــدى … ويامن جميع الخير منه لنا أسدى
ليهنك ما اولاك مولاك منعمـــا … عليك به من فلذة القلب والكبد
واطلعه من افق مجدك منة … وشد به عضديك أحسن ماشد
فدام عل علياكما الصون وارتدى … جنابكما باللطف حالا ومن بعد
وردت بنحر الحاسدين نبالهم … وأردفت النعماء عندك بالزيد
فليس سوى الاكثار منذا الدعا لدى … عبيدك دينار ولا درهم يهدى

وقدقيل ان جلت عل العبد نعمة ... لمولى فما غير الدعا شيمة العبد
عل انه لو كان ذا الكون ملكـه ... واعطاكه فى حق جنبك لم يجد
فدونكها بنت السبيل تروم مـن ... لدى راحك الجم الرضا بدل الرفد
توقت بها من نفحة التجـل عطرت ... شمائلها من لفحة الرد والنقد
تجوب اليك البيد يقتادها الهوى ... لساحتك الميمونة الوصل من بعد
فاول لها منك الرضا واقبلنهـــا ... بعلاتها من مقتر بالغ الجهد
عليك سلام يملا الكون نشره ... وعمت ذراكم نعمة الصمد الفرد

[illegible] التهنئة التى ارسلها العلامة الافرانى ، وهو اذذاك يتلقى فى (تارودانت) ولذلك عبر عنها ببنت السبيل ، وربما كانت هذه اول تهنئة لذلك الاستاذ فى اولاد استاذه الالغى ، فقد رايناله منها كثيرا ، ويرى القارىء ما تيسر منهـــا فى مناسبات ، وسيقراذلك فى مفتتح التراجم التى ستاتى لاخوة هذا الاديب المترجم

هذا الاديب اخو شيخنا سيدى عبدالله بن محمد لامه ، فقد خلـف الاستاذ عل بن عبدالله صنوه الاستاذ محمدا عل زوجه هذه مريم عمتنا كما ذكرنا ذلك فى ترجمته ، فولدت له بنات واولادا منهم احمد بن عل الذى سقط قتيلا ليــلا برصاصة بعض من يزاحمهم امورا ، ومنهم صاحب الترجمة احد ادبائنا الكبار [illegible] الذين يقولون فى كل مناسبة ، ويوحون عل اقلامهم كل خوالـــج [illegible] منذ عرف القلم الى الان وهلم جرا

[illegible] القرآن والعلوم

[illegible] القرآن من شيخ الجماعة سيدى سعيد بن عبدالمومن التاوييتى والفقيه [illegible] الحسين الايموكديرى ، وسيدى ابراهيم الفقيرى البعقيلى القتيل فى الزاوية غدرا ، وسيدى مولود الصوابى ، وهؤلاء كلهم تقلبوا فى مسجد الزاوية العليا اذذاك لهاله افتتح المبادىء عل الاستاذ سيدى العربى الساموكنى فــى المدرسة الايغشانية نحو ١٣٢١ هـ فلازمه سنوات الى سنة ١٣٢٦هـ حين شارط اخوه شيخنا سيدى عبدالله بن محمد فى (آداى) ، فالتحق به فلازمه فهوالذى شذبه وهذبه ، وخرجه احسن تخريج بين الطبقة التى اقبل عليها اذذاك كــل اقبال ، وقدرايت فى ترجمة والده الرسالة التى أرسلها اليه ، وهوهنالك يستحثه عل استظهار (المقامات الحريرية) ، ثم فى سنة ١٣٢٩ هـ اتصل بــالمدرسة (البومروانية) عندالاستاذ شيخنا سيدى الطاهر الافرانى ثم انتقل معه الى المدرسة (التانكرتية) سنة ١٣٣١ هـ فبقى مابقى ، ثم التحق بالمدرسة (الالغية) حيــث يكون فى متناول والده الذى يريدمنه المعاونة عل الشئون ، لانه اكبر اولاده ، فكان يتلقى عن والده وعن سيدى بلقاسم التاجارمونتى ، مع ادارة اشغال والده ثم لايزال يميل الى مزاولة الشئون شيئا فشيئا فى دارهم ، حتى انقطع اليهــا بالكلية ، فكان عضد والده الايمن ، وجنبه الذى يتكىء عليه ، ورسوله فــى

الحاجات ، ومنفذا لاموره كلها ، مع ملازمته للمجلس العلمى الدائم فى ثـوى الدار ، فكان يشارك فى كل الابحاث التى تدورهناك فى كل الاحيان متى حضر فى الدار ، وبهذا لم تكن منه مزاولة للتدريس الا فى حين انقطاعه فى المدرسة ، اذ كان يعين الاساتذة فى المبتدئين فممن اخذوا عنه اذذاك الحسن الكوسالى ، وعبدالله بن محمد الايكدمانى الايغشانى ، ثم لم يبلغنى عن ذلك مايمكن ان يحوم حوله القلم اكثر من هذين ، وقد اخذت عنه أنا فى (تانكرت) بعض (المبنيات) وكل حياته بعد ذلك انما هى فى ادارة الشئون والقيام عل العبيد ، والسفر معهم ، والمراقبة عل الدخل والخرج ، الى أن توفى والده سنة ١٣٤٧هـ ثم لايزال عل هذه الحالة الى الآن ، فى مزاولة شئونه الخاصة ، بعد ان اختص بنصيبه فى الارث ، وقد تزوج بكريمة الفقيه سيدى سعيد بن الطيب الاكمارى أخت الاديب سيدى احمد بن سعيد ، ولكن الله لم يبق له الا الولد المحفوظ من الذكور وبعض البنات ، بعد ان دفن منها كثيرين يدرجون فى الصغر ، الى هذه السنة الماضية سنة ١٣٥٦

[illegible]

[illegible] عن البلد عشرين سنة ، فحين كنت أفتش فى السنة الماضية ، وقـــد [illegible] عل خدمة تاريخ الغ بهرنى ماجده لصاحب الترجمـة مــن القصائـد والقطعات الكثيرة ، فسالت عنه فاخبرت ان قلمه ماهدأ قط عـن القريض ، [illegible] مايسر عل عواهنه كيفما تيسر ، ولامقصود له الا ترويج الادب ، مـــع [illegible] فى الاشغال ، فاعجبنى ذلك منه غاية الاعجاب ، وقد قلت له يومـــا [illegible] هذه والله مزيتك التى انفردت بها وأما فلان وفلان فماكادا ينزجان فى الاشغال حتى نسيا القرطاس والقلم ، والقيا ماتلقياه فى المدارس ظهريا ، فالله [illegible] عن الادب ، وعن حفظك لهذا الكنز الذى مادركه الاولون من الالغيين [illegible] جهد عل جهد ، فاستبشر محياه عند سماعه ذلك ، فجزانى أيضا خيرا عل [illegible] به ، وذلك كله يدل عل أن محبة الادب خالطت فؤاده ، وجرت منـه [illegible] الدماء فى العروق ، ثم ان له مزية اخرى ظهرت لى منه هى طهارة السريرة [illegible] صفنا فى صدره ، فانه كالماء الصافى فى المنهل الذى صفقته الرياح [illegible] كل مافى قرارته من حصباء بيضاء ، ولايخفى ذلك ، فهذه لعمـرى [illegible] مزايا الرجال ، حفظه الله ، وحفظ له ولده المحفوظ واخوانه

[illegible]

[illegible] منا القارىء ان نطرق نواحى عديدة ممن نترجمهم ، فنتعرض لاخلاقهم [illegible] والاخذين عنهم ، ثم نتفرع بعد ذلك لآثارهم ، ولكن رءانا الان وقد [illegible] الاثار من اول وهلة ، حقا ذلك ماكان منا ، لاننا راينـــا اخلاق صاحب

الترجمة ، وما يتعلق بحياته ، قد اكتفينا منها بماراينه ايها القارئ، فيما تقدم وكفاه خلقا منيفا انه كان يدير ثروة والده الواسعة بكل امانة ، ثم كفاه شرفا ان ذلك كله لم يشمه قلمه ، وما ذاالقول وراء ذلك ؟ فاما المشارطات والاخذون عنه فلم يتيسر له ذلك الى الآن ١٣٥٨هـ لانه كان تنازل عن شخصيته ، ووضعها في يدوالده التي شغلها فيما يريد كيفما اراد حين كان حيا ، ثم استرسل على مااللفه بعده ، فان لم تكف الرجال هذه المناقب ذكرا خالدا وعلو مقام ، فباية مناقب تعلو مقامات الرجال بعد ؟

عل اننا سنتتبع بعض تلك الآثار لنلمس منها ماخفي من ابن عمتنا الاديب، فيدرك انحن صادقون ان وصفناه بالاديب ، أم نحن من الذين يلقون الاوصاف جزافا

قال يخاطب استاذه الافراني حين كان يأخذ عنه في (تانكرت) ويستاذنه في زيارة اهله في ثاني ربيع الاول ١٣٣٢ هـ • (ولبعض الالغيين فيها يد)

غنى الحمام بروضة غنـاء   وتجاوبت طربا بحسن غناء
فغنت بها ازهارها وتـفـجرت   أنهارها ياحسنها للـرائـي
فتفتحت من انهارها وزهورها   عجبا وقد آزرت بزهر سماء
وترى بها ملد الغصون كانها   نشوانة من خمرة الانـداء
ازرى الربيع بروضها فكانما   عقد الجمان بلبة الحسناء
لا ريب فيها غير ان حمامهــا   يذكي رسيس الشوق في الاحشاء
قد زرتها فرصة فرجعت من   افيائها بجـوى المشوق النائي
قصدا الى اهل كونه بشوقهم   كف البعاد بجذوة البرحاء
تتضرم الاشواق مني بالبكا   فاعجب لنار هوى تشب بماء
لمارأيت تذكر الاوطان فــي   قلبي ذكا في الليلة الليلاء
ايقنت ان شفا الصدى بالوردمن   عذب زلال الماء من داماء
هل يأذن الشيخ لي فباذنــه   فتح الرتاج ومدرك الحوباء (١)
شيخي واستاذي ومنبع رحمتي   فلدى يديه الفوز بالنعماء
من ان يزر حضراته زواره   ينسيهم أوطانهم بحبـاء
قدكنت انسى الاهل في حضراته   لولا الحمام بـروضة غناء
ياليتني احظى بنيل وداعه   متزودا مـنـه بخير دعـاء
فازور اهلا قدكوت اشواقهم   قلبي وهم أهل السنا وسناء
مني السلام عليك يابدر الدجى   وملاذ خائف نكبة وعنـاء

١) الحوباء : الحاجة

فاجابه الاستاذ وقد غير الوزن عن غير المالوف عندهم او لعل هذاالجواب لغير هذه الهمزية

برزت في الحجال بنت ذكاء   غازلتنـا بمقلة وطـفـاء
غادة صاغها من القول طبع   قد تحلى برقة وصفاء
وجلاها محـمـد بن عـلى   فـى منصات رونق وبهاء
وغذاها بماء فـكـر رمـد   ته فهوم بصيب الانـواء
فزهت من حلى البيان وكلت   عن مداها قرائح الشعـراء
زاده الله نور فهم وابـدا   ه بافق العلوم بدر سماء

وجدت هذه القطعة مؤرخة بسنة ١٣٢٧ هـ ، وذكر لي أنها جواب المتقدمة والله اعلم، مع ان التاريخ كماترى مختلف ، والخطب سهل في مثل هذا

وقال مرحبا بالوفد الافراني الذي يقدمه العلامة سيدي الطاهر بن محمد عادة لقصيدة يقول في أولها - وهي من اولياته -

فرح القلب سادتي بالتلاقي   بعدما اشتد شجوه بالفراق
قد تفضلتم علينا بـوصل   هو أرى المحب عند المذاق
سادة شرفوا العبيد بزور   بين الخير للـعـلا متساق
مرحبا بكم وسهلا فانتم   مورد القلب فرحة العشاق
كرمـاء أهـلـة نـجـبـاء   علماء الجواب عند انغلاق
ما الفخار الا لمن فاز منكم   بدعاء او نظرة او تـلاق
فهنيئا لاحمد السمح لمـا   جاء سيرا فحازخصل السباق(١)
قد رجوت لديكم ايها الجمــ   ـع دعاء فذ المنى ترياقــي
فسلام عليكم كل ما حـــ   ـسن محب لحبه للتلاقي

فاجابه العلامة الكبير سيدي الطاهر بن محمد على عادته في جواب كل من يرحب بالوفد الافراني الذي يقدمه دائما الى (الخ)

لسمت من قريحة مغداق   نسمة عطرت شذا الافاق
نسمة من قصيدة جادها الفكـ   ـر بماء ذكائه الرقراق
قد جلاها محمد بن علي   غادة تستبي بحسن مساق
ووشاها بكل لفظ رشيق   وغريب من المعاني الرقاق
وادار منها على القلب كاسا   اسكرت كل شارب او ساق
نشرت من ازاهر الادب الغـ   ـض فنونا أعيت على الحذاق
واقامت سوق القريض فاغلت   سومه بالفهـوم لاالاوراق
فاجتهد يامحمد والزم الجـ   ـد فبالجد يرتقي كل راق

١) لعله أحمد الايغشاني .

كل عزاك لم يوطد بعلم   فهو ذل والذل مر المذاق
كل مال يفنيه الفاقه والـ   ـعلم ينمو بكثرة الانفاق
ملأ الله قلبك الصافي المر   آة علما مروق الاذواق
وسلام عليك ما مجت الاقـ   ـلام مسكا بروضة الاوراق

وقال ايضا يخاطب الشاعر الافراني في كتاب

امرغ خدي في مشاهد سيدي   واحثو ثراها فوق عيني والخد
وانشد في دار الحبيب تحببا   لاطفيء عن قلبي لهيبا من الوجد
فبشرى لقلبي اذ هدى لزيارة   تلقحها الاسرار من منبع السعد
فيا سيدي وملجاي ومسددي   وغوث رجاي حالة القرب والبعد
وصلت جنابا لايضام مضافه   ولا يكتوي بنار هجر ولارد
فان تقبل العبد الحقير لضعفه   فيا حبذا اولا فيا حسرة العبد
فما هو محسوب على كل حالة   على سيدي بدر الهدى الكامل المجد

وقال يخاطب اولا عبدالشيخ سيدي الطاهر يسمى (مبارك بن سالم) ثم تخلص لمخاطبة الشيخ

لله درك يا مبارك طالما   الزمت نفسك خدمة الاخيار
دائم في الشئون فلا ترى   الا بصحبتهم من الاسفار
في خدمة الاسفار يبدو حسا   لله الاصحاب من خير ومن اشرار
ام عاديا للعلم تحت ظلال من   خضعت لهيبته طلا الاحرار
شيخ الذي طاب الربيع بنشره   وبنور طلعته سنا الاقمار
اما الغمام فدون واكف سيبه   اما العلوم فلجة التيار
اما اللطافة فهي من اخلاقه   تزرى بما قد هب في الاسحار
او زهرلا وسط الخميلة بعدما   قد حسها سحرا يد الامطار
سبحان من اولاه خلقا كاملا   ومواهبا مرفوعة الاقدار
ياسيدي اني اليك لمنتم   حسا ومعنى فاقض لي اوطاري
متوسلا ببنيك خير اعزة   ونجوم هذا العصر في الاقطار
فالله يحفظ عقدهم ويحوطهم   باللطف من أهل العدا الاشرار
وينيلهم اعلى المناصب بالتقى   حتى يروا من سادة اخيار

وكان يوما يقيم الاتاي، فمد الكاس للاديب احمد بن زكرياء وقال له :

اتاي احمر الخدين فانظر   وقل ان ذقته لله درك

ثم ذيل البيت بعض الالغيين فقال :

اجل فيه لحاظك تستبن من   سرائره اذا ما صين سرك
له حبب يشعشعه اذا ما   ارشفه تفجر منك بشرك

كأنك اذ تمص تمص ثغرا   وقد لثم الشفاه اللعس ثغرك

وقد خاطب المترجم الشيخين سيدي الطاهروسيدي العربي الساموكني بقوله

بدر ان قد طلعا بافق سعود   في السعد مذ خلقا بخير صعود
قل للذي يبغي منالهما فلا   تتعب فذا فضل من المعبود
فحباهما الرب الكريم بانعم   لم يحصها انشاء نظم مجيد
تلقاهما متهللين فلا أرى   مثل السنا الاسنى لأهل سعود
سادا الانام بسبق كل فضيلة   صار امدى الايام سر وجود
وفدا على شيخي ابي الحسن الذي   فاق السوى فالوفد خير وفود
فغدا الامام يبين من اكرامهم   مالا يعد فذاك صنع ودود
فعليكم بيد العبيد محمد   اذكى وابهى من زهور نجود

جواب سيدي الطاهر :

امحمد يا ابن الكرام الصيد   يامن دنا لعلاه كل بعيد
اهديت بنت الفكر تزهو في   حلا وشي البلاغة فازدرت بالغيد
نظمت يواقيت المعاني غضة   فحكت جواهر نضدت في الجيد
نفثت بسحر كان أسبى للنهى   من نفث بابل والجفون السود
قسما بمن اغلى واعلى رتبة الا   داب في انظار كل مجيد
ان القصائد ان اجادت سبكها   الافكار احسن من ظباء البيد
وارق من لطف الهوى والذ من   ظلم الحبائب وابنة العنقود
هذا وأحسن ما به يعنى امرء   رام العلا وامد بالتاييد
ادب يؤنس في الخلا ويزينه   بين الملا بروائه المحمود
فالزم حماه وجد في تحصيله   واشف الغليل بورده المورود
مني عليك تحية موصولة   امحمد يا ابن الكرام الصيد

وقال ايضا يخاطب سيدي الطاهر ارسلها اليه من الغ ، من قطعة معها رسالة لم نقف عليها :

ياايها العقد الفريد وغرة الـ   ـدهر البهيم ونجمة المرتاد
والعالم الشيخ الامام بحلية الا   فتاء والتعليم والارشاد
ومن ارتقى بين النوابغ خطة الا   عجاز في الانشاء والانشاد
من كان لي يوم الوغى درعا به   أحمى من الاعداء والاوغاد
نوري اذا ما ضل سار اهتدى   بسناه بين قوافل القصاد
فانظر لعبدكم بعين رضاكم   فهو الغريق بلجة الافساد
واسأل له من ربه صفحا على   زلاته تمحى من الامداد
ازكى السلام عليك ما هبت صبا   تحيي مشوقا مات بالابعاد

فاجابه الاستاذ بكل ما يأتي شعرا ونثرا :

وصلت رسالة نخبة الامجـاد	نجل الشيوخ مناهل الـوراد
فرع السيادة زهر افنان العـلا	زاكي الشمائل مرغم الحساد
بدر الدجنة سيدي من سادة	غر هداة قـادة امجـاد
من حل في صدري محل ضميره	حبا ومن عيني محـل سواد
انى ادعه ولدا فرتبته ربـت	بابر في قلبي مـن الاولاد
فهو الحبيب ولم اجد مثل المحبـ	ـة لفظة اندى على الاكباد
ذاك السري ابن السري محمد بـ	ـن على الالفي غيـث الصادي
لازال في كنف الصيانة عالي الـ	ـكعب المبارك دائم الاسعاد
مني السلام عليه ماشاقت صبا	صبا رمته يد النوى ببعـاد

الاخ القريب بل الولد الحبيب ، نجم السيادة ، وبدر السعادة ، قرة العين، ومنية النفس ، وعيبة الانس ، سيدي محمد ابن شيخنا بدر الهداية ، ومورد العناية ، سيدي أبي الحسن ادام الله تلك الجلالة وارفة الظلال ، وحفظ هاتيك الشابة الزكية الخلال ، الطاهرة الجمال والجلال ، وسلام عليه من قلب يحبه ، يوحشه بعده ويؤنسه قربه ، ورحمة الله وبركاته • هذا وقد وردت الرسالة الغريبة ، وماادراك ما الرسالة ، جليت الى القلب الحزين ماانسى الاهل والبنين وابان كل قرين ، بما توشحت به من برد البلاغة المنمنم وتعطرت به من عطارة ابن الذي لم ، وتحلت بعقد القصيدة المعجزة ، التي هي لقصب السبق محرزة ، فقد بعثني الغريبة الى المنادمة على دنها ، والتروح بافنان فنـها ، فالقى الخاطر ، وامامي مساجلة سحابها الماطر ، فعارض الصيب بالجهام والازل الصارم بالكهام ، فقلت كما يحكي الصدى صوت الصائح ، او يحاول الاعزل مساواة الرامح (تلك الابيات) فدونكها بني ان كنت تستبدل بالصارم العصا اوتاخذ عن الدر الحصى ، والامن لي بشاوك ، والطيران في جوك ، وقد قص جناح الادب وهيض ونضب ماء البيان المستعذب وغيض ، وكسدت بذهاب الشباب والاتراب سوق القريض ، فابقاك الله سيدي للادب تجيل قداحه ولم تشف كيف شئت اقداحه ، وتوري نار البيان بزند الخاطر كلما رمت اقتداحه ، وتدير على بني الادب العطاش راحه ، وترد على الخاطر القريح ببوارح التبريح انشراحه ، واقول (كما قال اديب الاندلس (احيا الله الادب وبنيه ، واعاد علينا من ايامه وسنيه) فاصدح يابني بفنون الاداب ، على افنان الشباب ، صدح الحمام على الغصن المروح ، وقدما شأوت حتى صوحت نبات ابن نباتة وطوحت بذكر ابن مطروح ، وكيف لا وانت سر الشيخ رضي الله عنه ابيـك ، فلم يزل يغذيك بماء الادب ويربيك ، الى ان غصت من بحره على دره ، بماوفقت اليه من ملازمة بره ، فظفرت يداك ، والله يكبت عداك ، بالبحر الذي قال فيه المتنبي :

ومن كنت بحرا له ياعـ	ـلي لم يقبل الدر الا كبـارا

فلله درك من فذ جد فوجد، وملأ الراحة من الدر والعسجد، مع اغتنام الراحة فيما العار ولا الجد ، فقد عرفت فالزم ، واكتب الصيد فاعزم . فالله يصلحك ويبقيك ويديم سعدك ويبقيك، وسلام مني على حضرة الشيخ ارضاه الله ، وعلى جميع السادة الاخوة، ادام الله لهم الحظوة ، في ليلة الجمعة رابع شعبان ١٣٤٦ هـ

ولم اقف بكل اسف على الرسالة التي كتبها صاحب الترجمة الى المخاطب ، لان الالفيين ماكانوا يهتبلون بالنثر ، وان حاز من الاجادة ماحاز كاهتبالهم بالمنظوم وان لم يكن بذلك كما يمر كثيرا بالقاريء في كتبنا هذه ـ والنبيه لاينبه ـ فضاعت بذلك رسائل كثيرة مثل هذه الطاهرية التي رايتها ، وعليها ما عليها من نفحة اندلسية ، وقول الاستاذ الافراني في اثناء تلك المخاطبة ان والده قداعتنى به بغذية بالتربية ، حتى غاص على الدر في البحار ، ليس ذلك مما القاه الاستاذ في عرض الكلام ، بل ذلك حقيقة ، قد رأيت في ترجمة والده تلك الرسالة التي كتبها اليه وهو في (أداى) وهاك اخرى كتبها اليه في اوان اخذه فهي مع صغرها تدل على المقصود

اصلح الله الولد محمدا البار ، وأعانه ووفقه لاغتنام الخيرات ، واقتناء المكرمات، وسلام عليه ورحمة الله وبركاته ، وبعد فالاحوال والاهل داخلا وخارجا بخير وسلامة وعافية لله الحمد ، وأوصيك بتقوى الله ومراقبته وبذل الجهد فيما انت بصدده ، فان الوقت سيف ان لم تقطعه قطعك ، والعاقل من اتعظ بغيره ، وتنبه باشارة دهره والسلام ، والذكر على

وهذه اخرى كتبها لبعض اولاده ، ولم أعرف من هو منهم

ولدنا البار اصلحه الله، وأرقاه في مراقي الصعود ، حتى يتسنم ذروة سعد السعود اما بعد فقد اخبرني الحامل أنك مع جيرانك من الطلبة تدمنون اللهو كانكم ماعرفتم لماذا خلقتم ، على أنهم لايخافون شماتة بين أهليهم يوم يرجعون واما انت فكيف تجالس اقرانك هنا ، اوكيف تكون بينهم ؟ فهل تريد ان يكون بنو اعمامك احسن منك ، ومن لاهمة له يوم التعلم، يتألم في مجالس اقرانه طول عمره غاية التألم ، واناالست اباك وانت دونهم فان لم تكن خير اقرانك فانظر لنفسك اخر ، فقد يحفظ الطلبة متونا ان تركهم استاذهم في العواشر واماانت واصحابك فلاتعرفون الا اللعب دائما ، ولاحول ولاقوة الا بالله ، فاغتنم يابني قبل الفوت ، فقد نصحتك ان علمت انني ابوك والسلام •

وقد اخبرني اخو المترجم الاستاذ سيدي الطاهر بن علي ان والده كتب اليه وهو بالمدرسة السعيدية بالاخصاص انه ان حفظ قصيدة (بانت سعاد) حفظا متقنا واستحضر معاني كلماتها كلها ، والابيات الشواهد التي تحفظ عادة فيها، اعطاه من يده جائزة سماها له ، ثم بعد ذلك حين وفى المقصود كما ينبغي ، مكنه الجائزة

واخبرني ايضا انه كتب اليه ، وهو في بعض الجيوش التي تجتمع فيها القبائل الذائل هذه الرسالة املاها على من حفظه ٠

ولدنا الطاهر ، منحك الله السر الظاهر ، والفتح الباهر ، اما بعد فهذه رسالة كتبها بديع الزمان لابن اخته فتاملها واحفظها ، وتحقق اعرابها ، وكيف جملها ، فانني سامنحك جائزة بعد رجوعي ان كنت في ذلك كله على استحضار وهي

«انت ابني حقا مادمت والعلم شانك ، والمدرسة مكانك ، والمحبرة حليفك ، والدفتر اليفك ، فان لم تفعل ولا اخالك ، فغيري خالك والسلام»

وسمعت ايضا انه واعدابنه سيدى المدني على حفظ (مثلثات العرب) لقويدر وهو مطبوع وفيه اكثر من الفي بيت ، على ان يجيزه بحمل من السكر ، وقد وقفت على ابيات خاطبه بها يتطلب منه ان يقرب منه لسرد ماحفظه من (المثلث) ولعل ذلك كان حينئذ كما ظهر ذلك في هذه الابيات

الم يان للنجل الرضى اقترابه — يشنف من حفظ (المثلث) اسماعي
ويسرد منه باب همز فانه — يقوى على حفظ التوابع اطماعي
فالك ان الفتت حفظ جميعها — تحز في ذوى الاداب خصلا باجماع
ومن فوائد فعل الحفظ رفع السمو في — مراق ترى للاخرين باتباع
[illegible] والرد ورادا ظالما — ابى ان يرى في السابقين من اتباعي
[illegible] العلم والفهر حماهم — وزاول لكى تمتاز متسع الباع
عليك سلام الله من غير واله — تحل سوّاد القلب من تحت اضلاع

ووقفت ايضا للاستاذ على ابيات اخرى لعله يحض بها بعض اولاده ويعنفه على تركه الباءه ، وهي في ضمن ورقة يكثر فيها محو الكلمات واستبدالها فكانها مبيضتها الاول

الى فلن ترى نظيرى من الورى — من النصح والاشفاق والعطف والرشد
اتطمع في مجد اذا لم تبرني — وبرى فقط نهج لمثلك للمجد
ارسلت مرات ولست مجاوبي — كاني غدوت أيها الابن في بعد
أعيذك يا ابني أن تعق فان من — يعق نظيرى لم يرح راحة الخلد
فما كنت ابغي غير أن تغتدى على — مقام رفيع دائما ظاهر الايد (١)
نعم ان ابيت العلم والسعد والهدى — فبعد الآبى العلم والهدى والسعد
الان تضحك الاعداء منك وقد عرفـ — ـتهم اذا شاروا اليوم نحوك بالايدى
فاطلب ربى ان تجىء هداية — فترجع رغم الانف منك الى قصد
بجاه رسول الله افضل شافع — يشفع لايخزى به المرء بالرد

---

١) الايد ، القوة

فهذا هو الاستاذ ابن عبد الله مع اولاده ، حتى خرجهم ، ولو استقبلت من أمرى ما استدبرت لذكرت هذا الفصل في ترجمته ، ولكن هكذا قدر

ووفد على الغ يوما الاديبان سيدى البشير بن المدني الناصرى ، وسيدى احمد ابن صالح الافرانيان فقال المترجم يرحب بهما

اضاء بنور نير فلك الهدى — وشمس سماء العلم في افق الندى
جوانب الغ حازت الفخر اذ غدت — مخصصة بوصل من خص بالجدى
هما الاخوان في الندى توأما العلا — رضيعا لبان المجد في كل منتدى
وحبهما والله يبقى علاهما — أدين به الرحمان ما كوكب بدا
فاهلا وسهلا مرحبا الف مرحب — بسيدنا البشير من بالعلا ارتدى
وسيدنا المفضال احمد من غدا — مضيئا بنور الرشد في فلك الهدى

وقال ايضا يخاطب سيدى الطاهر بعد قدومه من سفر ، وقد ذيل اخرها بعض الادباء

بشرى الفؤاد ومطمع العين — وأعز من ذهب ومن عين
سوداء قلبى نوره مهما دجا — ليل الفراق بظلمة البين
شيخى واستاذى واحمى جنة — من أزمة نابت ومن حين
سفر به نجح المقاصد كلها — قد أبت منه اليوم بالديـ
قد غبت عن هذى البلاد فغاب عنـ — ـها معك بشراها بلا مين
اذ انت منها روحها وفؤادها — كيف الجسوم بغير هاذين
بسلامة هذا الاياب وبهجة — وصيانة من كل ماشين
ازكى السلام كنفحة ورديـة — تنحو مقامك قرة العين

جلس يوما مع الاديب سيدى احمد بن محمد اليزيدى فتساجلا هذه الابيات قال اليزيدى :

خامرتنى الرحيق من كاس خمر — مذ سقتني تناءت الاتراح

فقال ابن على

واتاني السرور ينفى كروبا — قد احاطت من قبل مهما تزاح

اليزيدى :

اسقنيها بغدوة ولك الاجـ — ـر جزيلا والمزج ماء قراح

ابن على :

فاذا فاتت الغداة فطيب — باصيل به النهى ترتاح

ولما اطلعت على هذه المساجلة قلت اذذاك :

ان روحى تلك الرحيق وهل يمـــ ـــكن عيش ان زايلت ارواح
كل جسم وما نعود فى العيــ ـــش وعيشى مدى الزمان الراح
غير ان الشراب لا بد من نقــ ـــل وزهر به ترى الافراح
فانا مكتف بظلم غزال وبوجه خدوده تفاح

اسوق كل ذلك على ماهو عليه ، وقددخل ذلك فى حساب التاريخ ، ومثل المساجلات ، والاخوانيات وان كان يتراءى فيها ضعف المنزع ، لكن الواقع لا يرتفع ، والموجود لابد على كل حال ان يتحدث عنه كيف ماكان ، وأنا أتيقن أنه سيأتى يوم يمر بالغ – لاقدرالله – كما يمر بزاوية (الدلائيين) فيتعجب المارحين يرى انه كان مضى من هذه القفار من كانوا يزاولون العلم والادب كيفما كانت مزاولته ، ارانا الله خيرالدهر ، ووقانا من محنه ، ولنكتف بآثار اديبنا محمد بن على بهذا القدر الذى سقناه كناذج لمقطعات له كثيرة جدا، حفظه الله للادب ولقرض الشعر ، وفى كتاب (جوف الفرا) الذى يجمع حتى الغث قصائد له ومقطعات ورسائل، كما ان فى (الالغيات) ما جرى بينى وبينه حينا

أخبار عنه أخيرة

ولقد غبت عن المترجم ماتقدم منذ نحو عشرين سنة ، ثم هاأنذا ارجع اليه فعمدت الى ترجمته باختصار بعض ماعاش فيه فى هذين العقدين من السنين

فكانت حياة المترجم تمشى على وتيرة واحدة ، وقدلازم داره ، وانكمش على عبادته الخاصة يسافر وقت جداد التمر الى (اشت) التى رد الله اليهم (املاكهم فيها اثر الاحتلال لصبرهم نحو ١٥سنة) ، ثم يحضر فى موسم تازاروالت ، والحق انه لايزال على ماعرفه عنه الناس من شارة مرموقة ، وركبة على بغلته التى يحافظ ان لاتفارقه ، وان كرت سنون عجاف على الغ ، وكان مع عسركات الزمان ، يجالد ويحاضر فى المجالس الادبية ، ويتجلد ويسير على سنن والده فى مناغاةالقوافى كل ماوفد الى الغ وافد، فعلى هذا كنت عرفته اذ انافى (الغ) الى ان فارقته مختتم ١٣٦٤ هـ ، ثم لم ازل أراه كلما زرت الغ فى شهر غوشت من كل سنة ، فكان دائما محور الاتصال بل يكاتبنى وانا فى مراكش

فى مدرسة أكشتيم

زارنى فى البيضاء حوالى ١٣٧٤ هـ ففاوضته فى أن يشارط فى احدى المدارس فان المدارس هى الميادين التى لاتوصد ابوابها دون أمثاله ، فلم ينشب اثر رجوعه أن سمعت بمشارطته فى مدرسة (اكشتيم) من قبيلة التمليين

وان ثلة من الطلبة حلقت حوله فحمدت له الله بل زرته يومافى مدرسته هذه ، ثم بمضى الاعوام الف هناك ، حتى انه لايزور الغ الالماما فاعانه ذلك على نفقات داره ، ولم يكن بذى عيال كثيرين ، وقد رزق امراة لها من الاوراد والديانة والصبر مالها ، تقنع بما تيسر ، وتفهم عن الله ، فهاهوذا أديب الغ اليوم يستطيع أن يقضى ماتبقى من حياته فى بلهنية ورخاء ، وأن تسير سفينته بريح رخاء ، وخصوصا حين راجع معلوماته يسترد منها ماتكاثفت فوقه السنون حتى كادت تنمحى ، أكتب هذا ونحن فى جمادى الثانية ١٣٧٧ هـ وعنده ولده المحفوظ يتدرج فى المتون واستحضار الفنون ، ويرجى منه أن يكون ابن أبيه وجده فيكون افضل نتيجة لتلك المقدمات الصادقة

ان الهلال اذا رأيت نموه ايقنت ان سيصير بدرا كاملا

ثم انه شارط سنة فى المدرسة الوفقاوية ثم فى مسجد قريته الآن شعبان ١٣٧٩هـ ولايزال هناك ١٣٨٠ هـ

هذا وللمترجم مجموعة كبرى تضم كل مايجول بين يديه من القوافى الالغية وقد انتفعت بها فيما انقله من القوافى وبعض الرسائل

الاديب سيدي الطاهر بن علي

نحو ١٣٢٦ هـ = حي

نسبه :

الطاهر بن علي بن عبدالله بن صالح بن عبد الله بن صالح بن عبدالله بن احمد بن عبدالله بن سعيد .

قالت وقد نظرت في السجف بالمقل	بشرى بمطلع نجم الطاهر بن علي
بشرى بخير وليد دل طالعه	ان سوف يرأب ما في الدين من خلل
طفل تبسم ثغر العلم من فرح	به واشرق وجه المجد من جذل
لؤلؤة زين نحر المكرمات بها	من بعد ان لحقته وصمة العطل
شمس تبدت ببرج السعد طالعة	فاسفرت بسناها اوجه الامل
بانت فاخفت جميع الزهر غرتها	في طلعة الشمس مايغنيك عن زحل (1)
طفل تولت يد العليا كفالته	والسعد صار له من جملة الخول
فالعلم يرضعه والعز يحمله	والمجد يلبسه من سابغ الحلل
[illegible] من طاهر موج المكرمات ومن	سواه يكفيه منها مصة الوشل
[illegible] اماما سما للمجد منفردا	فلانظير له في العلم والعمل
[illegible] هو وليد يا اجل اب	والرمح نبعته من منبت الاسل
[illegible] مغتبطا حتى تشاهده	كالبدر في القلب او كالشمس في الحمل
[illegible] بالنجوم الزهر اخوته	شهب الهدى للورى في كل محتفل
لازلت ياامل الراجين تكرع من	عين المعارف في عل وفي نهل

ولسيدنا (2) المعذرة في كل جفوة او تقصير ، ونسأله ان يمتعنا برضاه، وبدعوة صالحة تنقذنا ممانحن فيه، فانما نحن بالله وبكم وليسلم سيدي على البركة الوالد ، وعلى جميع الاخوان والاولاد ويسأل لنامنهم الدعاء ثم ان سيدي محمد ابن احمد قدكتبت اليه مرارا فأجاب بما في رسالته ، وأنا تنظر مافيها والسلام ابنكم الضعيف الطاهر بن محمد التامانارتي ، وأخوه العربي بن محمد أصلح الله الجميع بمنه ٢٤ ربيع النبوي

بهذه الرسالة المشتملة على هذه القطعة اللطيفة هنأ شيخنا استاذه علي بن عبدالله بولده هذا الذي نترجم له اليوم ، فاذا كانت تهنئة والده بذلك وهو

1) شطر قديم
2) يوني لي أن الرسالة سقطت أوايلها او اكثرها .

في المهد ، فكيف تكون التهنئة اليوم لو كان بعد حيا ، وقد اصبح ولده هو العالم الشرعي في الغ ، والاديب الذي يزاحم مناكب كبار ادبائنا عنداحتفال القرائح ، بعد ماارضعه العلم ، وحمله العز والبسه المجد المؤثل حلله الضافية، وهو في هالة اسرته العلمية كالبدر ليلة الكمال ، او كالشمس في دارة الحمل

غادرت الغ منذ عشرين سنة ولم أكن أعرف بعد هذا الاستاذ الكبير بل لم ارقط وجه مترجمنا هذا الاديب اذذاك لكونه يلازم المكتب ولكوني اناأيضا في مثل ذلك او اشد

ثم في هذه السنوات الاخيرة ، صارت أخبار نبوغه تصل الى بالحمراء ، ويلقيها كل من أساله عن اخواننا الصالحيين ، ويزيدون ان له اخلاقا جذابة وابتسامات لاتفارق ثغره ، وتهللات من البشر الطافح ، لاتغادر وجهه ، فكأنما هي لونه الذي خلق به من أول يوم ، فكنت استكبر الاخبار قبل ان القاه ، ولكنني لماساقتني الاقدار في السنة الماضية ، وخبرته صدق الخبر الخبر ، وكأن بصري حين جال فيه يملي على ماأثر على النبي صلى الله عليه وسلم حين رأى زيدالخيل كما في الحديث المشهور

كانت مساءلة الركبان تخبرنا	عن جعفر بن فلاح أحسن الخبر
ثم التقينا فلا والله ما سمعت	أذني باحسن مما قد رأى بصري

ذلك مع ما اتصف به من تواضع يظهر منه ، يخدم به جليسه ، واستمتاع يمتص به كل مافي سريرة محادثه ، ومن كرم يفيض منه(وماشهدنا الابماعلمنا) ولبعض الالغيين في هذا المقام

يظنون اني من يشيد تزلفا	واني نساج مطارف تزوير
ولو علموا ما قد علمت لا لحفوا	جنابي بالتعذال اثواب تقصير
ومن كان كزا قاس كل الورى به	ومن كان أعمى كيف يبصر من نور
ومن كان ذافضل ينل من جزائه	ومن كان جعدا كان أنكر مذكور
اقلوا على الغر الميامين او قفوا	مواقفهم فالكز ليس بمشكور
فهذي ميادين المكارم اطلقوا	بها ان أردتم أن تفوزوا بمأثور
والا فللجود المديد رجاله	يذودون عنه بالسيوف المثاثير

ورحم الله الاخ احمد الذي يقول دائما، ليس في هذا النشء من الالغيين مثل سيدي الطاهر بن علي وياليته جال وثاقف ليزداد مقاما الى مقام ، ويلبس ثوب الصفاء من كل ناحية

اتم الله على ادبينا نعمته السابغة ، وجعله لاسرته وللالغ كلها ظلا وريفا، وروضا اريضا

في الاخذ للقرآن

افتتح حروف الهجاء على الاستاذ سيدي ابراهيم الفقير البعقيلي ، فلازمه حتى وصل حزب (قال فما خطبكم ايها المرسلون) ثم اناطه والده بالاستاذ الفقيه سيدي ابراهيم بن الحاج مبارك البعقيلي القاسمي الى حزب (واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا) ثم اتصل بالاستاذ سيدي علي بن صالح الاوفقيري في مسجد (تاجارمونت) سنة ونصفا ، ثم راجع الاستاذ القاسمي البعقيلي في مسجد (تاويبت) ١٣٣١ ه ففي اخر ١٣٣٨ ه انتهى من القرآن بعد ماجوده

في مآخذ العلوم

افتتح الاجرومية في المدرسة الالغية عند الاديب سيدي محمد ابن الحاج احمد اليزيدي ، وهو هنالك مرابط ياخذ ويعين في المبتدئين ، فبه تدرج في المتون الابتدائية ، نحوا وتصريفا وفقها ، وكذلك في بعض متون الدور الثاني كالرسالة ، وحين شدا التحق بدروس استاذ المدرسة الالغية اذذاك مشارطة الاستاذ سيدي احمد بن الحاج محمد اليزيدي فاخذ عنه الالفية والمرشد أيضا وهو اثناء ذلك ياخذ عن صنوه الاستاذ سيدي المدني ، الفرائض والحساب، وفي سنة ١٣٤٠ هـ صاحب صنوه هذا الى المدرسة السعيدية الاخصاصية ، فبقي هنالك سنتين تقدم في اثنائها تقدما ، وتفتقت زهرة نجابته ، وكان صنوه يلزمه ان لايفارق من تحت يده يوما وحده ، فبات في (تالعينت) ثم اتصل بالاستاذ سيدي الحاج مسعود الوفقاوي في مدرسة (ايكونكا) من هشتوكة ، فأرسل ذكر لي ان والده ارسل اليه اذذاك رسالة ، ياليتنا وجدناها الان ، لننظر أيضا (ثاروداتت) فحكي عن ملاقاته للفقيه سيدي محمد بن علي اكيك كما سترى ذلك في ترجمة هذا الفقيه ان شاء الله ثم اتصل به عند سيدي الحاج مسعود ، وقد ذكر لي ان والده ارسل اليه اذذاك رسالة ، ياليتنا وجدناها الان ، لننظر أيضا كيف يخاطب الاستاذ ابن عبدالله ولده النجيب ليكفكف من غلوائه وليرده الى الاستقرار

حدثني ان والده استدعاه اذذاك (كماخال) فصار يحثه على ملازمته دروسه فكان اول وهلة لين الخطاب معه ، فلم يزل يتعالى صوته ، ويغلظ كلامه ، حتى قال له لابدلك ان تشتغل بالتعلم رغما على أنفك ، فهل انت تعد نفسك خلقت لغير العلم؟ قال فجال في هذا صوته الجهوري ، وعيناه محمرتان ، وانا كالفرخ الازغب انكمش امامه وارتجف ، فقلت له نعم ياوالدي مااشتغل الابالعلم ، ولااجعل بين عيني شغلا سواه ، فانفش غضبه فقال هكذا أريدك يابني ، ولهذا خلقت ثم سال على ابتسامته سيل منهمر من الشفقة والحنان ، أقول هذا هو الاستاذ دائما فلايقبل في اولاده الاالعلم ، ويوجههم اليه بماراه ينفع فيهم بحسب

الازمنة ، فتارة يلاطفهم ملاطفة المرضع لولدها الذي يحبو بين يديها ، وتارة يغمرهم بالغمرة التي قال فيها الشاعر :

وكنت اذا غمزت قناة قوم كسرت كعوبها او تستقيما

ثم أنه وجهه الى المدرسة (التانكرتية) عند الاستاذ سيدي الطاهر وولده سيدي محمد فرابط هناك ماشاء الله فكان ممن انتفع بهم الاديب سيدي الحسن الكوسالي ، وفي نحو ١٣٤٥هـ رجع الى (الغ) ثم صار يحضر في دروس المدرسة الالغية ، واهتم به اذذاك الاستاذ الاديب البوزاكارني ، فشذ به وفجر من قريحته ينبوعا أدبيا معينا ، وقد رأيت في ترجمة والده الاستاذ ابن عبدالله من رسالة (البوزاكارني) أواسط ١٣٤٦هـ ، الوصاة به ليستتم بعض دراسات تنقصه في اصلاح حاله ثم انه بعد ذلك اتصل بالاستاذ سيدي احمد بن سعيد في مدرسة (افلاوكنس) في رمضان سنة أرسله اليه والده لياخذ عنه البخاري

في المشارطات

وورى نبراس الغ والدهم ، وقد وصى صاحب الترجمة باتمام دراسته ، فلازم المدرسة الى سنة ١٣٤٩ ه فاحس باجنحته قد نالت من المتانة ماتستطيع به التحليق فاقبل على المشارطة والتعليم

في المَدرسة الايْسُورِيَّة

تيسرت المشارطة في هذه المدرسة ، فبقي فيها تلك السنة ، وقد جال جولة في التعليم ، ولكن أين التلاميذ؟ واين ذوو الهمم المنهضة ؟ فقد وقع لسيدي الطاهر مثل ماقال ابن الحسين

جاء الزمان بنوه في شبيبته فحمدوا واتيناه على هرم

ولكن لابد من مسايرة الدهر بما أمكن ، فبعد سنة رجع الى المدرسة الالغية يحضر الدروس فيها ، وأخاله أخذ في هذا الطور عن سيدي عبدالله بن ابراهيم الذي ذكره لي من شيوخه ، وان كان يتراءى لي أنه أخذ عنه في مبادئه

في المدرسة الايغشانيّة

في سنة ١٣٥٥هـ شارط في هذه المدرسة التي فيها بضعة تلاميذ ، فصار يعلم اياما ، غيران وظيفه الجديد لم يدع له وقتا لذلك ، فاستعان بالاستاذ سيدي بلقاسم بن محمد السليماني ، فقام له بهذه الناحية خير قيام •

في مزاولة الشرعيات

اعلنت الحكومة لهذه القبائل المتصلة بمركز (تافراوت) ان تعين كل واحدة منها من يزاول قضاياها الشرعية ، فقام الاخ احمد المرحوم ، فقدم صاحب الترجمة

لاشاهده فيه منجدارة ومقدرة ، فانتظم في ذلك رسميا ، فصار يزاول قضايا الوفقاويين والالفيين والايفشانيين ، ثم في اواسط السنة الماضية ١٣٥٦هـ الحق به الفقيه سيدى محمد بن مبارك النوازلى الوفقاوى ، فصارا يتعاونان على ذلك ماشاء الله ، ثم الفقيه سيدى عبدالله بن احمد الوفقاوى ، ولاشك ان هذا ميدان سامى ، يترقى به صاحب الترجمة الى مقام أبيه النوازلى الشهير .

آثـــــارلا

تلك حياة سيدى الطاهر الذى تدرج فيها هذا التدرج الحسن ، وقـــد ذكرنا له بدائى الادب، فلنعرض ءاثاره الادبية بين يدى القارىء ليعرف بها مقام هذا الاديب الالغى الجديد الذى رايت له من الذوق السليم ومن جـودة القريحة مالووجد معه بيئة اخرى لكان أدبه هذا أرقى مماكان عليه اليوم

قال يخاطب جلالة الملك سيدى محمد بن يوسف وقد وفد على الرباط بذى الحجة ١٣٥٢ هـ

ابرق بدا من نحو برقة تهمد   فهاج رسيس الوجد من ام معبد
ام النسمات العاطرات تارجت   باطيب من مسك ومن زهر ندى
لله مالى فى الهوى من منافث   مصيخ لما أشكو اليه فمسعدى
اليك عذول لاتعنف من الهوى   فمالى فى السلوان ويحك من يد
اذا اشتد لهم القلب الفا حسره   بمدح امير المومنين محمـــد
تبارى علوا كالبحور وكالبدور   فى الجود والارشاد فى كل مقصد
ووارث اباء ملوك غطارف   هداة عظام سيــد اثر سيد
هو النور مالشمس المنيرة فى الضحى   فمن يتبع اثاره فهو مهتـــد
هو المنهل العذب الفرات ومن لنـا   بطلعته انوار شمس وفرقـــد
حياء لمعتف ، نكال لمعتـــد   ضياء لمستهد ، امام لمقتـــد
له همة كالدهر او هو دونها   وحزم وعزم مثل حد المهند
الا يا امير المومنين محمــدا   اليك ضربنا فدفدا اثر فدفد
نروم لديك العفو والعز والجـدى   فتظفر بالمطلوب راحة مجتـــد
فتتبع فعل جدك الحسن الذى   كسانا رداء العز مع ثوب سودد
وقد رفع العلم الشريف وأهلــه   وأنت لما بناه خير مشيــد
حباك المنى رب الورى وحماك مــن   شرور عدا من كاشحين وحسد
فدم زينة الاملاك بدر كمالها   ودرة تاج الدهر ياخير أصيد
بجاه رسول الله افضل من بـــه   الى سبل الخيرات والرشد نهتدى
عليك صلاة الله ماحن عاشق   تذكر اطلالا ببرقــة تهمـد

وقال أيضا يخاطب صنوه الاستاذ سيدى المدنى وقد ختموا عليه الالفية

تالق من نحو العذيب وعرعرا   بريق فابدا فى الحشا ما تسترا

وقد كنت حيرانا لما قد رايته   وعادة رب الشوق ان يتحيرا
وكم رمت اخفاء الصبابة والهوى   وذو الشوق لايخفيه ان يتصبرا
اليك عذول لاتعنف فانه   اذا بت أنت بت ادمع احمرا
ولكننى فى اليوم حام على من   سرور فؤاد ما أنار ونــورا
فهل كان من احباب قلبى مواعد   لوصل قريب فاكتسانى الذىأرى
على أننى أدركت من اين جاءنى   من البشر والافراح هذا الذىعرا
وماذاك الا أن نظم ابن مالك   ختمناه فالجهل المخيم قهقرا
على شيخنا هادى البرية كلها   وان عاند الحسود فى ذا واكثرا
له همة تأبى الدنايا كرامة   ونفس ابت من ان تروم المحقرا
يغيظ العدا جم الندا ضائع الشذا   بعيد المدى شهم باقرانه زرى
فقل للذى يبغى العلوم باسرها   هلم فان الصيد اجمع فى الفرا
باجداده نــال العــلائم زاده   بهمته القعساء حتى تمـهرا
فقل للذى قد رام احصاء وصفه   مالك ان تعيا وأن تتضجرا
وقد كان للجهل المذمم مرهما   وللدين سيفا حيث وجهته فـرا
عليك سلام مثل اخلاقك التى   تحاكى وحق الله مسكا وعنبرا

وكتب الى صنوه هذا يستعير منه كتاب ألكامل للمبرد

منى على الندب امام الهدى   أزكى سلام طيـــب كــامـل
من همه تــوفير مـجـد الالى   مضوا ولا يــقـنـع بالحاصــل
المدنى الطبع من قـد غـدا   امـام كـــل سيد فاضل
وبعد فاعلم انـــه هزنـــى   طويل اشواقــــى الى الكامـل
فابعثه لدنا ناضرا نـاعـمـا   فقيـره كالغصن الـذابــل
وفى كريم علمكـم انـــه   قد قـيــل ان الخير فى العاجـل

فأجابه أخوه ، ويامره أن يشارك فى مطالعته اثنين ءاخرين

منى على الصنو شقيق العلا   الطاهر الفاضل والكامـل
ازكى سلام طيب عاطـــر   كالورد غيـب الصيب الوابـل
وبعد فاعلم انـه هـزنـى   مثل الذى هزك للكامـــل
لكونــه خـطـابه ثـمـر   وغيــره كالغصن الـذابـل
لكـنـنـى ءاثرت شوقـكـم   له على الاجل والعاجــل
فخذه لدنانا عمـانـا ضرا   يسلى عن الطالع والافـــل
واشركن فيه قرينى عـــلا   والفائقين كـل مـا فاضل
فالحمد للـه عـلى ملـكـه   وحـوزه بالثـمـن الحاصل

ولنكتف بهذا كنموذج لبنات لسان الاستاذ صاحب الترجمة مع تنبيهنـــا على أن له ازديادا فى ذلك الترقى ، وقدراج فى السنة الماضية ١٣٥٦هـ ، معى

فى قصائد اعلى من هذا الذى سقناه الآن ، وذوقه على كل حال عال وهو ان شاء الله مما سيتزين بهم الغ فى الجيل الحاضر ، فكما ان يومه افضل من امسه، سيكون غده افضل من يومه .

وقد اقترن ببنتى شقيقتنا فاطمة بنتى ابن عمه سيدى صالح المتقدم الذكر احداهما بعد اخرى ، وله مع الاخيرة الآن ولد سماه المدنى ، أصلحه الله .

ثم ان القصيدة الاولى الطاهرية التى سقناها فى التهنئة بصاحب الترجمة قد كنت كتبتها على ماهو التعارف من انه هو المهنؤ به فيها ، لاننا لا نعرف لوالده ولدا قط يسمى الطاهر سواه ، وقد كان طرق سمعى قبل ان أتصدى لهذا المجموع ان شيخنا سيدى عبدالله بن محمد كان كتب على قوله فيها الطاهر بن على ، المقصود به الحبيب ، ولكننا ماكنا نحمل ذلك الاعلى غلط اوسهو ، وكنا نقدم ماتدل عليه العبارة على مايقوله شيخنا ، ولكننى بعد ان حررت هذه الترجمة فى السنة الماضية عدت الى قراءتها ، فاذا بى أرى فى آخر الرسالة ، (فسلم منا على الوالد) فوقفت متاملا ، فلاشك ان المقصود هو سيدى الحاج عبدالله المتوفى فى ذى الحجة ١٣٢٢ هـ ، وصاحبنا هذا ماولد الا فى سنة ١٣٢٦ هـ ، فادركت حينئذ ان المترجم لم يكن هو المقصود قطعا ، فصح راى شيخنا من أنه الحبيب الذى ولد اما فى ربيع الاول ١٣٢٢هـ واما فى ١٣٢١هـ ، فلاقيت صاحب الترجمة ، فقلت له انى اعزيك فانك رزيت رزءا عظيما ، فشده متحيرا، فاعلمته ان ماء الوفاة قد افلتت من يده ، واوقفته على الدليل فتضاحكنا مليا ثم قلت لاننا على كل حال من تصدق عليه القصيدة اسما ووصفا ، فلئن غلط الاستاذ الوالد فى الولد المولود اذذاك ، فماغلط حين اهتدى الى اسمك أنت وان كنت بعد فى العدم (ثم وقفت على جلية الخبر المحقق ، من أن القصيدة فى ربيع الاول من سنة ١٣٢٠ هـ)

وأخــيرا

جاء الاستقلال فرجع المترجم الى مدرستهم ، فعمرها سنين ، الى ان انتقــل الى (تامكروت) حيث هو الآن ١٣٧٩ هـ ، وفى كتاب (الالغيات) قواف كثيرة بينى وبينه .

من انشاداته

ترى الفتى ينكر فضل فتى	لؤما وخبثا فاذا ما ذهــب
لج به الحرص على نكتة	يكتبها عنه بماء الـذهــب

ومثله :

لاعرفنك بعد الموت تندبــنى	وفى حياتى مازودتنى زادى

ومنها فى رجل اسمه بشير دخل مجلسا فسرق منه نعله :

دخلت عليك بالاصل بشيرا	فلما ان خرجت خرجت بشرا
فرد الباء كما كانت الى اسمـى	فباءى فى الحساب تعد عشرا

يعنى الشاعر انه دخل متنعلا ، ثم سرقت نعله فخرج حافيا ، وذلك هو المقصود بشر الحافى المشهور بين الصوفية

ومنها للبستى :

كتابك سيدى جلى همومى	وجل به اغتباطى وابتهاجى
كتاب فـى سرائره سرور	مناجيه من الاحـزان ناج

ومنها :

مال ارى ابوابهم مهجـورة	وكان بابك مجمع الاسواق
هابوك ام حابوك ام شاموا ندى	بيديك فاجتمعوا من الافاق
انى رايتك للمكارم عاشقــا	والمكرمات قليـلة العشاق

ومنها فى هذا المعنى نفسه :

صل بـاب ابـن منصـور	عــلامـات مــن البـذل
جمـاعـات وحسـب البــا	ب نبلا كـثـرة الاهــل

ثم ذكر مثلا عربيا فى هذا المعنى : ان الندى حيث ترى اضغاطا اى ازدحامــا

ثم انشد فى المعنى :

يسقط الطير حيث يلتقط الحــ	ـــب وتغشى منازل الكرام

وانشد ايضا :

وخبر قيس بالجلية فى ابنــه	فلم يتغير وجه قيس بن عاصم

وانشد ايضا :

صدنى عن حلاوة التشييع	اتـقـاءى مرارة الـتـوديع
لم يقم انس ذا بوحشة هذا	فرايت الصواب ترك الجميع

فقيل ان الشيخ الالغى كان يقول فى هذين البيتين :

قد حدانى للذة التشيـيـع	اغتنامى حلاوة التوديـــع
لم يقم انس ذا بلذة هــذا	فرأيت الصواب فعل الجميـع

هكذا يملأ المترجم مجالسه بالانشادات بكل مناسبة ، وما احفظه واكثر استحضاره

منها : كان عبد الرحمن بن عوف يقال فيه : افرى من حاسي الذهب، والذى يحسو من كاس من الذهب هو عبدالله بن جدعان الغنى المشهور صاحب الجفنة المشهورة التى قال فيها الرسول صلى الله عليه وسلم : كنت استظل بجفنة عبدالله بن جدعان صكة عمي اى فى الهاجرة

ومنها :

المثل الذى يقال فيه : دهدرين ــ بضم الدالين وتشديد الراء المفتوحة ــ طرطبين ــ على وزنه ــ سعد القين ، وذلك ان قينا نزل عند قوم فادعى ان اسمه سعد زمانا ، ثم تبين كذبه ، فقيل له ذلك ، اى جمعت باطلا الى باطل ياسعد الحداد • وهذا احد التفسيرات للمثل فى (القاموس) فى مادة دهدرين ، وفى مادة طرطبين ، وقد اورد فى المثل انه يقال لمن يستهزأ منه

ومنها :

من لم ينفعه شراب الليمون فيد بحطبه

ومنها :

كانت صفية بنت عبدالمطلب تضرب ابنها ، فليمت على ذلك ، فقالت :

من قال قد ابغضته فقد كذب   وانما أضربه لكي يلب

هكذا بضم لام يلب ، موزون بفرح من لب اصله لبب بالضم ، وليس عندنا فعل بالضم يفعل بالفتح سوى هذه اللفظة •

هذا هو العلامة الاديب الكبير المستحضر للادبيات ولنصوص الفقه ، وقد جالسه علية ادباء الرباط فلم ينسوا بعد مارأوه منه من الاستحضار ، اقول: انه الوحيد اليوم فى (الخ) ذوقا واستحضارا وصبرا على المطالعة وهمة نفاذة وعزيمة فعالة ، حفظه الله •

النجيب سيدى الحسن ابن الاستاذ على بن عبد الله

١١-١٢-١٣٢٨ هـ = حــي

نسبـه :

الحسن بن على بن عبدالله بن صالح بن عبدالله بن صالح بن عبدالله بن احمد بن عبدالله بن سعيد •

هذا ثالث اولئك الاشقاء المذكورين من أولاد العلامة سيدى على بن عبد الله ، وهم سيدى المدنى • وسيدى محمد • وسيدى الطاهر • وقد سرت اليهم وراثة العلم من والدهم اولا ، ومن بعض اجدادهم كسيدى المدنى الناصرى الذى عرف عنه من الشغف بالعلم وذويه ماعرف ، كان مولوده يسمى الحسن ولد للاستاذ سيدى على بن عبدالله سنة ١٣٢٦هـ ، فهنأه سيدى الطاهر بن محمد بقوله ــ على العادة ــ

ياسيدا فضله اعيا ذوى اللسن   هنيئت بالولد البر الرضا الحسن
لاح هلال ببرج السعد فاجتمعت   له السعادة والعلياء فى رسن
واقبلت دولة الاقبال وانتبهت   عين الهنا والمنى والانس من وسن
لازال يرقى الى اوج الكمال الى   ان يجتنى من ثمار المجد كل سنى

ثم توفى وشيكا فعزاه فيه بقوله :

مولاى لله ما اعطى وما أخذا   والصبر أجمل اما مبرم نفذا
فى الرضا بقضاء الله محتسبا   مايزع النفس عن رزء وان وقذا
مضى بنيك للفردوس حين رأى   ان المقام بذى الدنيا بلى واذى
فالله يخلفه فضلا ويردف آ   لاء تسر وتقذى الحاسدين قذى
عليك مولاى اعطر التحية من   عبدا جر الاسى لسانه فهذا (١)

١) اجر الرجل لسان الفصيل : اذاربط على لسانه لئلا يرضع أمه ،ليبقى الحليب لاهله ، قال :

ولو ان قومى انطقتنى رماحهم   نطقت ولكن الرماح اجرت

ثم ولد المترجم فهناه سيدي محمد بن الطاهر بقوله :

اهل هلال المجد في منزل السعد ... فاذهب غين الغي عن اعين رمد
بدا والعلا تشتاقه فتبرجت ... به واشتفت عما عراها من الوجد
فطبق افاق البسيطة عرفه ... كما فتقت ريح الصبا زهر الورد
وبشرت الامال بالنجح واكتست ... به رتب العلياء انفس مابرد
وهز له المجد المؤثل عطفه ... كما اهتز من سارى الصبامائدالرند
واضحى لسان الكون مستبشرا به ... يقول هنيئا قدبدا الحسن المهدى
وليد تولى الله حفظ مقامه ... وارضعه ثدى المعارف والزهد
تود نجوم الزهر لو نظمت له ... على النحر او كانت توطا في المهد
تطلع من دوج السيادة والهدى ... فاحسن به فرعا سما في سماالمجد
فياسيدى نور الهدى منبع الندى ... زلال الصفا مغنى الوفامنيةالمكدى
ومن حبه ديني ومغناه كعبتي ... وصرفى كفي عن سوى مدحهالمجدى
ومن لم ازل والحمد لله مبصرا ... عنايته ترعى مقامي على البعد
فان قبل من عبد الهوى ونجيبه ... وحائزه دون الورى فانا وحدى
ليهنك نجل اطلع السعد نجمه ... فاعلنت للرحمان بالشكر والحمد
فلازال يزكو في الصيانة او يرى ... بافق العلا بدرا باشراقه يهدى
اراك اله العرش فيه واخوة ... له ماالذى تبغى من العلم والرشد
و[illegible] والنفس وسعادة ... ونيل الذى ترجوه من كل ماقصد
ودم [illegible] الكون طرا واهله ... بطلعتك الميمونة الجمة الرفد
[illegible] المرسلين عليه مع ... صحابته أزكى صلاة بلا عد
[illegible] الازكى سلام كما سرى ... نسيم رضاه العاطر النفح للعبد

كما هنأه ايضا الاستاذ الكبير والده سيدي الطاهر بقوله :

امولاي يامن حبه واجب عينا ... ويامن سناه قد هدى فجلا غينا
هنيئا بنجم اطلع السعد نجمه ... فسرت به العليا وقرت به عينا
فبارك فيه الله نجما قد اكتسى ... بطلعته الغراء افق الهدى زينا
وبارك في اخوانه الشم من هم ... جياد المدى ان سابقوازايلواالاينا
زواهر افلاك العلوم ازاهر الـ ... ـمحافل من عاداهم لقى الحينا
على سيدى بدر الدجا وعليهم ... تحية عبد نازح يشتكي البينا
عليه ديون من حقوق تكاثرت ... لكم فعراه العجز ان يقضي الدينا
يمت بصدق الود لاغير فاقبلنـ ... ـه فضلا فدعوى حبه لم تكن مينا
فهاهو محسوب على كل حالة ... عليكم عساكم (أدفلس ارتفكيم مينا)

ومعنى الشطر الاخير : (عساكم ان لاتسلموه)

متعلمه

افتتح في مسجد قريته عند سيدي محمد بن محمد السملالي ، فبعد حين الحقه والده بالاستاذ سيدي احمد بن صالح الشكوكي التانكرتي الافراني، وهو اذذاك في مسجد (تازونت) بايسي ، فبقي معه هنالك ست سنين ، وبعد ذلك انتقل به استاذه الى (افران) فلازمه هنالك ماشاء الله ، ثم التحق بمدرسة الجمعة عند الاستاذ المقرئ سيدي احمد بن مولود ، من قبيلة أيت عبلا البعمرانية ، فهنالك اخذ صاحبنا حرفي قالون والمكي في ختمتين ، ثم رجع الى المدرسة (البومروانية) ، فختم فيها ايضا ختمتين بالمكي على الاستاذ سيدي احمد بن محمد الشريف التوماناري ، وهذا منتهى زمنه في تجويد القرآن وبعض رواياته، ثم افتتح المبادىء العلمية بالمدرسة (الالغية) عند الاستاذ سيدي محمد بن عبدالله اوبلوش البعمراني باذن والده الاستاذ ابن عبدالله ، لم لم ينشب والده أن توفي ، فالتحق بالاستاذ سيدي احمد بن سعيد الاكماري في مدرسة (افلاوكنس) ، فأتقن عليه المبادىء ، ومتون الدور الثاني ، ثم حصلت له فترة ، ثم راجع بعدها المدرسة الالغية يستتم فيها على صنوه سيدي المدني استاذها في الدراسة النهائية • ولايزال الان ١٣٥٨هـ هناك في جد واجتهاد هو والنجيب سيدي احمد بن زكرياء اديبا المدرسة ، والمذكور ان فيها بالتفوق في طبقتهما •

أدبياته

ازهرت من ادابه منذ سنتين اوثلاث أغصان لفت اليها نظري في مفتتح السنة الفارطة ، حين حللت بالغ ، فصرت أرى له مقطعات وقصائد ، ورسائل تعجبني منه ، وقد أودعت كل ماصدر منه الى في السنة الماضية في (الالغيات) فهنالك تجد رسائل وقصائد ومقطعات ، تبهرك من اديبنا الجديد • وقد كانت صدرت مني قصيدة في وصف (العصيدة) لاباس بها ، وعهدي به قد اغرم بها، ويتتبعها بكل اعجاب ، وقد استاذنني في ان يشرحها فاذنت له ، ولم ادر ماهو صانع بعد •

كان القاضي (سكيرج) الفاسي قاض (زطاط) رحل الى سوس رحلة خاطفة، سنة ١٣٥٥هـ فكتب فيما رءاه قصيدة نونية تعرف بـ(الرحلة السوسية) فطبعها باسم تاج (الرؤوس) فعرضها ادباء الغ ومن اليهم لمالهم به من الاتصال ، كشيخنا سيدي الطاهر ، وسيدي محمد ، وسيدي المدني وسيدي الحسن المترجم وسيدي عبدالله الالغيين • وابن زكرياء ، فقال كل واحد قصيدة على حدة، فقال المترجم من بينهم

سل عنك الهوى بتاج الرؤوس … والركن ذكر حسن تاج العروس
واهجرن الطلا مديد الكؤوس … واملا السمع من حياة النفوس
رحلة اشرقت بنــور علــوم … قد زرى ضوءهــا بضوء الشموس
رحلة اشرقت بنــور علـوم … قد زرى ضوءهــا بضوء الشموس
رحلة انبتت بكـل فــؤاد … حـب منشئها المزيـل العبـوس
رحلة اخجلت فصوص جمان … نظمت انجما بجيد العــروس
رحلة قد حوت اهلة مجـد … لم تحز مثلهم وجوه الطروس
وقصورى عن عدهم اعتــذارى … واكتفاءى بصدرهم فى الدروس
احمد السيد السكيرج من قد … فاق كل الورى بخلق نفيس
مركز العلم والسيادة والمجــ … ــد وحصن النجا بحرب البسوس
بان فردا فاحرز السبق مجــدا … وارتضته العــلا رئيس الخميس
بان شمسا بافق (زطاط) فاعجب … لــمنــير اضا لغرب وسوس
باهلال الدجى وكهف النجا انــ … ــت سميرى بذكــركم وانيسى
كل مدح اذا ذكرتم قليــل … فاقبل النزر ياربيع النفوس
وعليكم منى سلام ذكـى … متلال كالتاج فوق الــرؤوس

وقد اجاب الشيخ احمد السكيرج هذه القصائد كلها لماوصلته على يد الفقيه [illegible] محمد بن على السوسى • ثم البيضاوى بقصيدة مطلعها :

[illegible] ما الى وجه حل فى خلدى … به انقضى منه ماقد حل فى جلدى

واجتمع يوما صاحب الترجمة واخوه الاديب سيدى محمد بن على فى بيــت الاديب احمد ابن زكرياء ، فطاب لهم الوقت والكاس تدار، والبشر يرشفهم رضابه المعسول ، فقال ابن زكرياء

لقد طاب لى وقتى بتكليم ساعة … مع المفصحين سيد اثر سيد
محمد المولى كذا الحسن الذى … أتانى به سعدى فاثرت به يسدى

فقال الاديب ابن على :

لقد قرت العينان ليلة جمعة … بساعة جمع طاب فى بيت احمــد
رضيع العلا الشهم الذى لايمل من … مذاكرة ترقى لهامــة فرقــد
يهل بكاسات تجول براحنــا … كما جليت كاس الينا بصرخد

وقال صاحب الترجمة :

سعدنا فطاب العيش ليلة جمعــة … مع السيد الندب الكريم الممجد
هلال الدجا فخر المجالس احمــد … من اعتاد أن يسطو بسيف مهند

فهذا نموذج من اقواله اليوم ، وهو فى فجر حياته العلمية ، وهو بعد لايزال يجتهد فى التقدم ، ولايزال فارغ البال من اهل ومال ، وطالما اتمنى لو اكمل الرحلة الى حيث يجد امثاله امواجا متدفقة من الفوائد ، ولكن ماكل مايتمنى المرء يدركه • فالله يجمله واهله من المحافظين على هذا التراث العلمى والادبى فان ءال صالح وحدهم حفظة التراث العربى فى الغ • وغيرهم لهم فى ذلك تبع

وهناك ادبيات بينى وبينه فى كتاب (الالفيات) ربما كانت أعلى قيمة ممــا سقناه هنا، لان ماسقناه هنا انما هو من الابتدائيات ، وحين نكتب هذه كتبناها للتاريخ لا للادبيات المنتقاة ، فصرنا نسوق ماتيسر كما تيسر •

وأخيرا

رايت تقلب المترجم ، وهواذذاك كما استتم معلوماته ، ومازال عزبا ، ثم انه تزوج ، فتكونت له أسرة يزين الاولاد بهجتها ، كما صار مدرسا فى مدرستهم بعد ماتوفى عميدها سيدى المدنى ١٣٦٥ هـ فقد ءالت المدرسة اليه والى صنوه سيدى الطاهر ، فحين اشتغل اخوه بمهمته القضائية ، قام هــو بالتدريس، ولم يزل على ذلك الى انجاء الاستقلال ، فتعين استاذا متمرنا فى المعهد الرودانى يقوم فى فرعه الموجود فى (تاليوين) بحصص الدراسة اليومية ثم بذهابه هكذا من المدرسة اولا • ثم بالتحاق أخيه سيدى الطاهر بـ (تامكروت) ثانيا، شغرت المدرسة (الالغية) من عملها ، فانتدب اليها شيخنا سيدى عبدالله بــن محمد فعمرها فرجعت اليه بضاعة والده ، وذلك فى سنة ١٣٧٨هـ وعنده الان ١٣٧٩هـ ثلة من الطلبة يجول معهم فى الدروس على مايستطيعه ابن الثمانين، وياطالما تطاول الى استرجاع تراثه من والده فى المدرسة ، ولكن لم يتيسر له ذلك الا الآن والامور مرهونة باوقاتها

مستملحة

كان الطالب السيد احمد ارعم ـ الجمل ـ يباسط سيدى عبدالله بن محمد يوم توصل بمدرسة والده بلامشقة ، فيقول له : ان الله من فى هذا العصر على الناس بما يؤملانه بلا مشقة ، فالملك سيدى محمد بن يوسف ادرك ملك المغرب كله سهله وجبله بلا مشقة ، ولاسوق جيوش ، كماكان يفعل ءاباؤه ، وانت ادركت مدرسة ابيك بلامشقة ولامجاذبة كما كان يفعل من يسترد حقا من حقوقه فكان فضل الله عليكما عظيما

سيدى صالح بن عبد الله الالغى

١٤-٣-١٣٤٣ هـ = حـــى

نسبــه :

صالح بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن صالح بن عبدالله بن صالح

هذا احد افراد حلبة جديدة الغية صارت الان تستولى على الراية العلميــة في الغ ، كالاستاذين محمد بن احمد ، ومحمد بن ناصر فى اخرين، وقدجالست المترجم ولافتته وجاذبته مباحثات فرايت من نجابته ماحقق بهأنه ابن أبيه القذ الخلذيذ

(ومن يشابه اباه فما ظلم)

مشايخه

اخذ القرآن عن الاستاذ عبد الله بن أحمد الانامرى اليعزوى الطالــبي المعدل الذى لايزال الى الآن حيا ، يجتهد فى كتاب الله بمسجد (ايشوكاك) من [illegible] وهو معدله بعد انابتدأ عندابن عمه محمد ــ فتحا ــ بــن محمد الطالبي ، وهذا هو الذى تخرج عليه كثيرون من المرابطين السعيديين فى زاوية (دوكادير) العليا .

ثم افتتح عند ابى العباس اليزيدى فى المدرسة (الوفقاوية) ، ثم بعده شارط هناك الاستاذ ابوالعباس احمد بن محمد بن مبارك الاهريبى التاجارمونتى ، ثم اخذ من والده فى مدرسة (ايمور) مدة عامين ، ثم راجع أحمد اليزيدى فى المدرسة (الجشتيمية) ثم كانت المذاكرات التى لاتنقطع فى حضرة والده اكبر مشحذ لصارمه ،حتى صار قاطعا لانظيرله فى حلبته الالغية .

ميدان تعليمه

شارط اولا فى مدرسة (تاسريرت) وقدكان فيها والده ثم خلفه فيها ١٣٦٥هـ ثم الى مدرسة (تازموت) بسملالة ثلاث سنوات ١٣٧٠هـ = ١٣٧٢هـ ثم صار يعين والده وينوب عنه كثيرا فى المدرسة (الايغشانية) ١٣٧٣هـ الى مفتــتح ١٣٧٨هـ ثم اوى الى المدرسة الجشتيمية حيث لايزال الى الآن ١٣٧٩هـ (ثم انتقل الى مدرسة (ايكفى)

أخلاقه

شاب غريب الاطوار بين الشباب الالغى ، فانه هين لين هادىء منكــمش منعزل ، لايكاد يرى فى المجتمعات ، ولاتراه الامطرقا ، كان الدم الالغى الجرىء الوثاب المكر المفر لايجرى فى شرايينه ، ومتى كان فى البلد لايفارق عقرداره، وكان دائما يلازم والده بكل ادب ، ولايتخطى اشارته ، فاعتكف ببركة اشارته على المطالعة، وفارق غرارة أقرانه حتى أنه صار مضرب الامثال عنــد كــل من يعرف حاله بين لداته ، وقد أمره أبوه أن لايسافر الى الخواضر ، ولذلك لم يرها الى الآن .

مقدار غــوره

له تحصيل تام ، ومشاركة استحق بها ان يكون خير خلف لسلفه المــاجد المحصل ، الذى يبتدىء من جده محمد بن عبدالله ، ثم يتوسط بوالده امام هذا الجيل فى (الغ) وماالبه ، وقد شهد له اقرانه بالتفوق والاستحضار، حتــى والده فانه كثيرا مايشيد باستحضاره ، ويقول أنه يستحضر من المسائل مــالا استحضره ، وهاهو ذا اليوم كالتاج فوق الهامة العلمية فى أهله ، حفظه اللــه للمعارف ، ولو كان ثافن وسافر وعاشر ، ورأى ماوصله هذا العصر ، لكان منه خنذيذ لايشق له غبار، ولكن لامانع له الان، الا أنه يتوقف عند رأى والــــده برا به، والا فانــه يحب كل ذلــك ، ولعل الايام تاتيه بما يتمنــى ، واللــه يختار لنا وله .

منشداته

انشد يوما ونحن فى مجلس فى اثناء محادثات ــ فقيدت عنه ذلك فى الحين ــ

قد عرفناك باختيارك اذكا	ن دليلا على اللبيب اختياره

وانشد ايضا :

وحبب أوطان الرجال اليــهم	مئارب قضاها الشباب هنا لكا
اذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم	عهود الصبا بها فحنوا لذالكــا

وانشد ايضا :

اذا اظماتك اكــف اللئــا	م كفتك القناعة شبعا وريا
وكن رجلا رجله فى الثرى	وهامة همته فى الثريــا
فان اراقة مـــاء الحيا	ة دون اراقة مــاء المحيــا

وانشد ايضا :

متى يصل العطاش الى ارتواء   اذا استقت البحار من الركايا
وان ترفع الوضعاء يوما   على الرفعاء من احدى الرزايا
اذا استوت الاسافل والاعالى   فقد طابت منادمة المنايا

وانشد ايضا :

كانت مساءلة الركاب تخبرنا   عن جعفر بن فلاح احسن الخبر
ثم التقينا فلا والله ماسمعت   اذنى باحسن مما قدر أى بصرى

وانشد ايضا :

واذا الزمان كساك حلة معدم   فالبس له حلل النوى وتغرب

هذه نماذج مما يستحضر فى اثناء المسامرات الادبية ، انشدها بمناسبات فى جلسة واحدة

من آثاره

كلف حضرته الكاتب ان يجمع اثاره ، فملأ لى كناشة تضم غالب ماانتجه فكره، واختص من ذلك مايوافق شرط الكتاب ، ونص ماكتب الى

حضرة معالى الوزير الافخم ، الصدر الاعظم ، الاستاذ الاغر ، والمربى الاكبر الذى تعقد عليه الخناصر ، عند تعداد ذوى المآثر ، كعبة الامال ، التى لاتعدوها الرحال ، بل الترياق الانجع لداء اللهفان والزلال الانقع لغلة الصديان ، من يشيد للادب بذكر قطرنا وابنائه ، واطلع بدره بعد أفوله وخفائه ، فأصبح ليله نهارا وخموله ظهورا ، وبرز رجاله كماانشقت الكمام عن الزهر ، اوالاصداف عن الدر، وما فيه منقبة الانقب عنها وجلاها ، أو ذروة مجد انطمست معالمها الا اهتدى اليها فعلاها .

عشق المكارم فهو مشتغل بها   والمكرمات قليلة العشاق

مولانا وسيدنا محمد الذى هو كاسمه مختار :

حاطه الله حيث امسى وأضحى   وتولاه حيث سار وجلا

* * *

(كان له الله حيث كان ولا   أخلاه من عزه ومن نعمه)
(حاجتنا ان تطول مدته   وسؤلنا ان يعاذ من المه)

هذا وانهى الى حضرة مولاى المحفوفة من الله بالعناية والرعاية ، رائق السلام ، وفائق الاحترام ، بالنهاية ، والى من تشبث بها ، ولاذ واعتلق بها .

ثم ان الكاتب لم يجد بدا من اسعاف طلبتكم ، عله ينال من بركتكم ، فلم يسعه الا الاتباع ، بقدر مااستطاع ، وان قصر فى الاداب ، اواساء فى الخطاب، وزاغ عن نهج الصواب ، فليغض مولاى عن عواره ، وليسدل رداء صفحه الجميل على شناره (فمن عفا واصلح فاجره على الله) وماانا اذا يامولاى اوجه الى سيادتكم ماوجدته مما أكدت معاليكم عليه ، فان الهمة لم تتعلق من قبل بجمعه والميل اليه، ولم اخل ان فى ذلك فضيلة تنشر ، وفائدة تذكر ، الابعد ان نبهنى مولاى من سنة الكسل والاهمال ، كما نبه كثيرا من امثالى المتصفين بهذه الحال ، فجزاه الله عن العمل المبرور ، أوفى الاجور ، وأبقاه يحيى رسم العلم الشريف، ويحمى بيضة الدين الحنيف .

بقيت قرير الدهر فينا فانما   بقاؤك حسن للزمان وطيب
ولا كان للمكروه نحوك مذهب   ولا لصروف الدهر فيك نصيب

وأروم من سيدى زاده الله التقديس والتشريف ، أن يوقفنى على ماالفى من الغلط والتحريف ، فان ذلك صيقل الذهن ، وجلاء الفكر ، لأستضيىء بنوره، واغترف من بحوره ، وفقنا الله الى مايرضاه ، وهو الذى لاamول سواه ، وختم لنا بالحسنى ولجميع الاحباب ، والله عنده حسن المئاب

مما اجراه الله على لسان الكاتب ، قوله :

اذا اجتمعت ثلاث فى لبيب   ينل عزا يجد مع الليالى
عفافة ربه وجميل حلم   وعلم زانه بين الرجال
وان يزده ثراء فى سخاء   فقد بلغ النهاية فى الكمال

وقولى : وقد اشتقت الى اصفى خلانى الاستاذ سيدى محمد بن احمد السلماني ايام قراءته بمراكش فى صدر رسالة مسلما عليه

الى السيد الحبر الهمام محمد   رضيع ثدى المكرمات ابن احمد
سلام كما هب النسيم بسحره   يحاكى شذى أنفاسه ترب احمد
سلام سليم القلب من حية الفرا   ق والوجد سالم الهوى والتودد

ومما للكاتب فى المديح ماالفظته قريحته فى جناب سلطاننا المحبوب سيدى محمد بن يوسف لما عاد من منفاه الى عرش أسلافه مظفرا منصورا:

اذا السعد راعى للمجد اجتهاده   فلابد يمضى فى الامور مراده
ولاقى المعالى الشموس منقادة له   فاضحى وساس الشعب صدقا وقاده
وما الحر من لايكره الضيم جهده   ويسعى لدنياه ويرعى معاده
وما المرء من يسعى لامر يخصه   وليس يعم قومه وبلاده
فهذا ابن يوسف الهمام الذى نكا   بباسائه جيش العدا واباده
يشمر طفلا للمعالى وكاهلا   سريا فبذ كل ملك وساده

فقالع بالاموال من بعد نفسه ... فمن ذا يجاهد العدو جهاده
والفن في عدوه بقلبانه ... وطهر منه وعده ونجاده
فاخمد لناره واخلد عاره ... واخفى فساده واجفى عماده
واجلى جموعه واخل ربوعه ... كما بدد اتحاده واحتشاده
والممه بالجد والجد فاستوى ... على عرشه وقد حوى ما استفاده
ومن يصطبر يظفر ومن يحتمل ينل ... مناه ويستبن قريبا رشاده
وفارق والعلا غوال عوالى الـ ... مصانع ما اطبى سناها فؤاده
اعاد غداة عاد كل فضيلة ... فوفاه اجر الصبر ربى وزاده
وعاد لشعبه بعز مؤبد ... ووطد صرح المكرمات وشاده
وحقق للشعب الوفى رجاءه ... واعلى بنوده واورى زناده
وجدد رسم الملك بعد اندثاره ... واعلى منار شعبه واعاده
واطلع بدر العز بعد افوله ... وانقذ دين ربه وعباده
ومن يحتوى النفس الابية لم يكن ... يرى غير متن الشعر بين مهاده
ويسترخص القطر الصميم وان غلا ... ويستهل اتساقه واطراده
ولا غرو فهو من سناديد مارنفوا ... اذا عز صيد العز الا اصطياده
وماقومهم الا من الشعب مخلص ... له جهده ولاءه ووداده
رجال رجال الله باخير ماجد ... يرى للعدا وقع الشبا واشتداده
فدم سالما والسعد يكنف ملككم ... فما دمت لانخشى عليه نفاده

وقال في التعزية والتسلية لابن عمنا الاديب السيد الطاهر ابن علي الالغي وقد توفي له ولد صغير لم يكن له غيره حوالى ١٣٦٩ هـ

اصبر ولا تجزع له انه ... وديعة ردت الى المودع
عسى الذي جاد بذا ان يجى ... بآخر من فضله الاوسع
فالكوكب الدرى ان غاب في الغـ ... ـرب جا اخر في المطلع

وقال في رثاء شيخ المشايخ سيدى الطاهر بن محمد الافرانى سقى الله ثراه صوب رحماه امين ، ماتصه :

ارى فوديك في الامساء شابا ... وقد حكيا لدى الصبح الغرابا
كذا الاجفان امست ليس يرقا ... لها دمع كأن بها السحابا
وشجوك عائل وحشاك صال ... وطرفك شاخص وانقلب ذابا

(الى اخرها وستذكر انشاء الله في ترجمة المرثى)

ولنقنع الان بهذا القدر من اثار هذا الاستاذ الجليل ، وقد رأيناه يسزاول التاليف في فنون شتى فلئن زاد قدما ليكونن غدا علامة الغ الفريد • كما عليه والده الان حفظه الله ووفقه •

سيدى احمد بن عمر الصالحى

١٢-٦-١٣٤٤ هـ = حـى

نسبه :

احمد بن عمر بن ابراهيم بن الحاج عبد الله بن صالح بن عبد الله بن صالح بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد •

من نجباء الناشئين الالغيين ، وهو في طبقته يكاد ينفرد باشياء من معلوماته ولو ساعده الدهر ، كما ساعد من قبله لكان من الفطاحل • وهو ابن سيدة من بنات العلامة ابى الحسن الالغى • فسرى اليه نصيبه من الارث العلمي ، والدنيا اخذ وقسم ، والعرق نزاع

ومن طاب اصلا طاب فرعا وهل ترى ... أسود الفيافى الغلب الا من الاسد

دراسته :

لما اصيب الى مافطم بمرض عرقل نموه الطبيعى ، ولذلك لم يلتحق بالمكتب حتى كان ابن سبع (١) سنين ، فاخذ في مسجد القرية عن الاستاذ محمد ابن الحسن التدلبى الايغشانى ، وعن استاذ الجماعة عبدالله بن احمد الانامرى الوافى السملالى • وعن الاستاذ العربى بن عبدالله من آل الحاج من (أنزى) وعن الاستاذ الحسن بن سعيد السملالى ، وكان الثانى اعلاهم له افادة • وقد اتم حفظ القرآن واتقانه سنة ١٣٦٠ هـ ثم افتتح المتون بين أيدى أخواله في المدرسة على يد عميدها سيدى المدنى بن على ، ثم اخذ عن اخويه الاستاذين: الطاهر والحسن ابنى على كما أخذ أيضا عن استاذ الجماعة سيدى عبدالله بن محمد ، وعن ابنه صالح ، كما اخذ أيضا عن الاستاذ ابى العباس البناى الايغشانى قال واعظمهم لى فائدة الحسن بن علي وصالح بن عبد الله ، وقد مر على كل المتون والم بكل مافيها من الفنون ، كما انه تلا على هؤلاء الاساتذة من كتب الادب ماكان مثله معتادا عندهم ان يتلوه التلاميذ على الاساتيذ في أوقات العطل •

من آثاره

كتب لى مفتتحا لتطورات حياته مايلى ــ وفى ذلك تصوير للمدرسة الالغية في عهد اخذه ــ

---

١) يقول الالغيون : وقت افتتاح التلميذ القراءة ، اذا كان له خمس سنين وخمسة اشهر ، وخمسة أيام •

(الطلبة اطلبكم المشرف تجدون صحبته ورقات تتضمن المقصود من ذلك ، وستلاحظون ان المدة التى قضيناها فى الحل والترحال بين مدارس ناحيتنا كافية للحصول على قدر وافر من العلم ، الاان الامر ربما كان بعكس ذلك

والاوراق مشتملة على الفترة التى ابتدات فيها الحروف الى أن غادرت القراءة ووليت وجهـــى نحو التمعش وذلك مـــن عام ١٣٧١ هـ الــى مـــا بعده بعدما اثرت عـــوارض قاسية فـــى العـــزم ، ولا يخفى عـــلى معاليـــكم أن القراءة فى جميع المدارس المحلية لايذوق فيها المتعلم حلاوة الابعد فترة ، لاتقل عن خمس سنوات ، وذلك راجع الى عدم الاسلوب الجذاب فى الطور الاول من تعليـــم المدارس العتيقة ولذلك لم يكد يتراءى لنا بصيص من النور الا فى العام السادس من القراءة ، اذفى ذلك الحين ندرك للبيت اللطيف حلاوة ، ومن ثمة تتطلـــع النفس الى مطالعة بعض الكتب الادبية ، وكنا معشر الطلبة فى تلك الفترة نتالم كثيرا من الظروف المحيطة بقراءتنا، اذكثيراما تعترضنا عوائق عن متابعـــة الدروس الى اخر رحلة ، وابرز العوامل وأكثرها هدما للـــجهود : الحصاد والحرث ، ففى ابانهما تهجر الدروس نهائيا شهرين وأكثر ،وفى غالـــب الاحيان ينقطع فوج من الطلبة ، ويتجددفوج اخر وذلك مايجعل الاستاذ مذعنا لرغبة المتجددين ، فيبتدىء الدروس من باب اخر ومن تاليف اخر ، وهكـــذا تمضى الاعوام ، وليس للدروس اساس ثابت على ان الاستاذ لايالو جهدا فـــى افادة الطلبة الا انه لايملك شيئا فى نظام المدرسة فهى مفتوحة فى فصول السنة امام الواردين والصادرين ، وللطلبة كامل الحرية فى الحضور والتغيب ، زيادة على ان الطلبة ينقسمون درجات متفاوتة فلكل طبقة منهم دروسها الخاصة بها، حسب فهمها وقدمتها ، وفى بعض الاحيان يتفرغ الاستاذ لطالب واحد ليقرىء له درسه وحده ، لانه فى طبقة عليا او اولية ، وذلك حرصا من الاستاذ على أن لايضيع لكل طالب مكانته ، ويسبب له ذلك انقسام الفكر ، وتعدد الدروس وتعطيل بعض منها ، الى غيرهذا من العوامل التى تشكل اسوارا من حديدفى طريق التعليم والمتعلمين

وذلك بعض ما أوقفنا بصفوف المتاخرين ، وحال بيننا وبيـــن مانصبو اليه من المعرفة ، ولايزال يتجدد لنا البعد عن الطالبية كلما قرأنا للذين يحق لهم التحلى باسم الطالب ، وتبين لنا انماكنا نسميه الطالبية انما هو كاآل يحسبه الظمئان ماء ، حتى اذا جاءه لم يجده شيئا، وهذا ماجعلنا ننحاز الى العامية،وتيقنا انه ليس التكحل كالكحل ، وما كنا لنقرأجريدة أومقالة فى مجلة الا والاسى والاسف يتجددان ، ويعملان بسكا كينهما فى القلوب ، ولكن ٠٠٠وليس هذا احتقارا للنعمة وانما كنا نرغب فى وصل الحاضر بالماضى)

ثم ان المترجم ممن يطوون ويضمون فى القوافى على عادة الناشئة الالفية ، ومن مطالع ماقال :

روض الذهن فالمجال عريض   وزن القول ان لديك قريض

وقد اعتذر كثيرا عن سوق ماصدر منه ، لكونه دون مايختاره ، وانشد فـــى ذلك قول الحطيئة :

الشعر صعب وطويل سلمه
اذا ارتقى فيه الذى لايحكمه
زلت به الى الحضيض قدمه

ولعله ان امعن وزاول وأطال المعاطاة ان ينال مايصبو اليه فى باب الادب العالى

وظيفته

التحق بالمحكمة الشرعية فى (تافراوت) ثم انتقل الى مثلها فى (ازرى) ولا اخاله ينقطع عن المطالعة ـ لانه أهل لكل تفوق ـ وهناك اخوان له سيدى محمد ابن عمر ، لاباس بمعلوماته يقطن اليوم بالبيضاء مقدما على حومـة ، وسيدى عبدالله الطالب النجيب لايزال يتابع فى القرويين وكأنى به تخرج استاذا متمكنا ، وكذا من اللهعلى والدهم سيدى عمر السيد الوديع باولاد لهم ظهـور فى الميادين

الفوز كل الفوز ان يكونا   من هم بنوك فى الورى عيونا
تراهم فى العلم هاما عالية   عليهم تيجان مجد زاهيـــة

سيدى محمد بن نصر الالغى

١٣٤٢ هـ = حـــى

نسبـه :

محمد بن نصر بن الحسين بن عبدالله بن بلقاسم بن محمد بن علي بن أحمد ابن عبدالله بن سعيد .

هذا استاذ اخر من أساتذة الغ الجدد ، ممن نبغوا في جيله نبوغا مرموقا بين أقرانه . ثم لاحظته السعادة فتأتى له خارج مسقط رأسه مالم يتأت لكثيرين اخرين ضيعوا نفوسهم في مسقط رؤوسهم (الغ) الام الناتق التى تلد كثيرا امثاله

متلقاه القرآن

لم يتجاوز مهد اخذه للقرءان مسجد قريته (الزاوية العليا) واساتذه الذين قروا بذلك المسجد وقت اخذه : الاستاذ سيدى محمد السملالى الشهير بالتخريج فقد اخذ عنه كل اهل ذلك الجيل في القرية ، ثم تلاه الاستاذ سيدى عبدالله بن احمد السملالى المعلوم في التخريج حظوة مرموقة ، فقد تعدى الذين تخرجوا ونالوا حفظ القرءان على يده عشرات ، ثم لم يزل على ذلك الى الان ١٣٧٧هـ وهذان هما استاذا المترجم الذى أعاد القرءان خمس مرات ، وقد غادر المكتب سنة ١٣٥٠ هـ

في مدارسة العلوم

طاف في مدارس شتى طوفان الصديان النهم الذى يستشف كل مايراه من الماء الصافى ، فلم يترك كلما في امكانه ، فقد افتتح في المدرسة الالغية عـــنــد الاستاذ سيدى المدنى ، فاخذ عنه المتون الابتدائية على العادة : الجرومـيـة والجمل والزواوى واللامية وابن عاشر ، وبعد نحو سنة انتقل الى المــدرسة الايفشانية ، وفيها كمدرس الاستاذ سيدى بلقاسم بن محمد السليمانى تحت اشراف الاستاذ سيدى الطاهر بن علي الذى كانت المدرسة في يده ، وانما استناب الاخر للتعليم ، فاخذ عنه نصف الالفية والرسالة ، مع اعادة بعض المـــتـــون المتقدمة ، بقى هناك نحو عام ونصف ، ثم الى المدرسة الوفقاوية عند الاستاذ

سيدى احمد الاعرابى التاجارمونتى ، فاستتم عليه الالفية وربع العبادات من خليل ، وبعض التحفة ، لازمه نحو سنة ، ثم راجع المدرسة الالغية عند سيدى المدنى ، حيث اخذ الربع الثانى من خليل ، وبعض المقامات الحريرية ، وبعض المعلقات السبع ، وبانت سعاد ، ولامية العجم ، والبخارى على العادة في رمضان والحساب ، وبعد نحو عامين انتقل الى المدرسة (الكشتيمية) وفيهـا الاستاذ الكبير سيدى احمد بن الحاج محمد اليزيدى ، فاعاد عليه كل المتون ، فاخذ عنه المختصر الخليلى مرتين ، والتحفة مرتين ، والالفية مرتين ، والمقامات كلها ، والحساب والفرائض مرات ، والشمقمقية والدالية لليوسى ، ومصطلح الحديث والبخارى والعروض ، وبعض التلخيص والمنهج للزقاق ، هكذا لازم هـــذا الاستاذ الهادى الخريت نحو خمس سنوات ، لازمه الى ان توفى ١٣٦٤هـ ثم لازم بعده الاستاذ سيدى محمد بن الحاج أحمد اليزيدى الذى خلفه هناك ، وبعد نحو خمسة شهور غادر المدرسة

في المشارطة

ثم انه توجه الى وادى الاكماريين فانابه الاستاذ سيدى احمد بن سعيد في مدرسة (تاكاترت) هناك في التعليم ، فبقى هناك شهورا قليلة فقط ، ثم غادر مثل تلك المشارطة ملاحس البقر أولادها ، لما استفزه العزم على ان يستـكـمل معلوماته في الحواضر

في مراكش

في مفتتح ١٣٦٦هـ ، اثر رجوعى من الحجة ، اتصل بدروسنا بباب دكالة حيث انتظم بين من ياخذون ما نتذاكر فيه مع الطلبة ، فاخذ (الورقات) لامام الحرمين ، و (الاشارات) للباجى و (مرتقى الوصول الى علم الاصول) والبيان والحديث في البخارى ، أخذا فنيا متتبعا فيه البحث على قدر الاستطاعة ، والمنطق و(نوراليقين) في السيرة النبوية . الى غير ذلك من النحو والفقه في المختصر والتحفة والتفسير

في المدرسة البنكريرية

كان صاحبنا القائد العيادى اصاخ لى فبذل بعض مافى يده لمنفعة العباد ، فبنى المدرسة في قرية (ابن كرير) من قبيلة الرحامنة وجعلها على يدى ، فاخترت لها من بين الاساتذة المترجم وذلك في اواخر ١٣٦٧هـ فقام بما نيط به اتم قيام ، ولم يزل على همته ومرابطته هناك الى الآن ١٣٧٧هـ مع انه مر بصاحب المدرسة ما مر ، ولكن من عرف ماطلب هان عليه مابذل .

يؤسس اسرته

اقترن اثر نزوله فى المدرسة بسيدة كانت هى الاولى منزوجاته ، ثمفارقها فاقترن باخرى فتوفيت ، ثم ثلث بهذه السيدة التى عنده الآن ، وله منالاولاد بنتان فقط ، (رب لاتذرنى فردا وأنت خير الوارثين)

نتف من أخلاقه

للمترجم اخلاق يمتاز بها، منها علوهمته فى أموره كلها ، ملبسا ومركبا ومجالسة ، ولذلك سرعان ما انقلب الىشارة من رءاه فيها الآن لايجول فىذهنه انه ابن الغ البدوى القنوع الذى يقنع من البلغة بمضغة ومن اللبسة بشملة ، ولولا بعض توان عن المطالعة يتجاوز الحد المطلوب منه لكان لـه مـن الشأن اكبر مماهو له الآن ، ولعله فى المستقبل يظهر من النشاط والاقدام والاكباب على المطالعة مايدعم به مكانته بين أقرانه ، فما فائدة الاستاذ الالغى انلم يلتهم مئات من الكتب الادبية ، حتى يستحضر كما يستحضر أهل الجيل قبله • ومن فى يده مقواد مستقبله ، ومرقاة شفوفه فلماذالاينهض ويلقى الكسل والتوانى ظهريا ، فان باب المجد مفتوح ينتظر دائما اصحاب الهمم

ولم أر من عيوب الناس عيبا   كنقص القادرين على التمام

ورحب به الاديب محمد بن على وقد ورد مرة الى الغ بقوله :

اهلا بمن قد اتى والقلب يرعاه   فى القرب والبعد لست قط انساه
قد ساقه الشوق نحوى ردلىجذلى   شكرا فقد ءانس الاحشاء مرءاه
باهلا الوصل ماأحلى مذاقته   يزرى بشرب سرى فىالجسمسراه
يشفى الوصالجراح البين فىكبدى   وقد ازاح عن الفؤاد غمـاه
فانعم وطبخاطرى فالسؤلفىقرن   وابغ رضا الرب فى العلم وتقواه
واحرص فديت على نشرالعلوموكن   موضح اللفظ مع تبيين معناه
فالله يبقيك بدراأذيقيك من العـ   ـسين ويقضى الذى تبغى وتهواه
منى السلام على علياك معتذرا   بالعى اذ لم اوف المدح اقصاه

وخاطبته مرة بقولى بديهة ، وقد بلغنى عنه انه نافح عنى فى مجلس :

كفانى كفانى أهل الغ ابن ناصر   اذا كان مابين المجالس ناصرى
لنعم الفتى حزما وعزما ونصرة   اذا لم يكن فى الحى اى مناصر
له فى شغاف القلب ودمروق   يفوزبه منى ابن خير العناصر
فمنكان ينسى الخيرفىالصفووالوفا   فلست بناسى الخير من ابن ناصر
فانى ان اعدد تلاميذ مدرسى   وفاء يكن فى العد بدء الخناصر

محمد بن الحاج بلقاسم الزواوى

١٣٢٠-٣-٦ هـ — حـــى

نسبــه :

سيدى محمد ابن الحاج بلقاسم بن عبدالله بن بلقاسم بن محمد بن احمد ابن على بن أحمد بن على بن احمد بن عبدالله بن سعيد •

ذكرت هذا السيد وان كان دون اترابه هؤلاء فى المعلومات ، ولم يحصل بينهم كل ما حصلوا حتى لايعدونه فى طبقتهم ، لاننى كنت شاهدت له من النشاط فىجميع أعمالى بكل همة الشيء الكثير ، ولميعره مثل اقرانه الكسل والجمود الفكرى ، كما شاهدت له أيضا دؤوبا على خصال حمدتها منه ، وقد كان ممن ءانسونى واعانونى على هذا التاريخ منذ نزلت فى الغ مفتتح ١٣٥٦هـ فهو الذى نسخ لى ادبيات تقع فى مجلد ضخم ، استمددت منها ما اخترتهلهذا الكتاب ، كمانسخ لى مجلداءاخر كبيرا فىمختلف تاليف قيمة للسوسيين وله خط واضح ، وهو وان لم يرم الى الجودة ، لكنه غير رذيل بحيث يقتحمهالطرف وهو أيضا ممن توسط لى حتى استفدت عن سيدى محمد بن بلقاسم فقيه تيبيوت مارايته فى ترجمته ، فهكذا كان لىخير معين ، جزاه الله خيرا ، وهو على كل حال متوسط فى معلوماته ، ممنكان فى شرطنا ذكره •

أخذالقرءان عنوالده وعن ءاخرين ، ثمأخذ المبادىء فى المدرسة الالغية ،ومن الاستاذ سيدى محمد بن أحمد ابن الحاج صالح بحاحة ، فتكونت له معلومات لاباس بها ، وله عقل حاد يستعين به ، معميل منه الى الانقباض ، كان ذلكوراثة عن والده ، ومنلم يكتنه خلقه يظنهرجلا ءاخر ، والذى حال بينه وبين اتمام دراسته الذى شدا فيها وظهر منه فى ميدانها تقدم ، انهلما توفى والده شطرت الدار ، فاضطر ان يكون قيم الاسرة، ولهاخيسمى الحسين لايزال الانه١٣٠٨هـ يتلقى عنسيدى الحاج مسعود الوفقاوى ، ويذكر انه نجيب ، وقد اخذ ايضا من المدرسة (الالغية) وقد رزق صاحب الترجمة بنتا فى السنة الماضية ، وهو من اشياخ ابنالاخ محمد بن الحبيب فى القرءان ، فقد اخذ عنه فى السنة الماضية ، ونحن كما جئنا الىالغ ، جزاك الله ياسيدى محمد بن الحاج بلقاسم ووفقك ورزقك من يعينك على مهماتك ، كما اعنتنى على مهمتى فى تهيئة مستمدات كثيرة لهذا المؤلف ، وقد شارط فى مسجد تيبوت اواخر ١٣٥٥هـ وأوائل التى بعدها ، وفى رمضان جاء الى فذكر انه سيتوجه الى جهة حاحة،

لعل الله ييسر له من فضله مشارطا نافعا ، فذهب هو وسيدى احمد بن محمد الزاوى المذكور، وهما الشدلى .

من حط ثقل همومه في باب خالقه استراحا
ان السلامة كلها حصلت لمن ابقى السلاحا

آثار قلمه

من ءاثاره هذه الرسالة التى كتبها الى .

الاخ الاعز الارضى ، الاستاذ الكبير ، السميدع الشهير ، سيدى (فلان) عليك من اعطر السلام اذكاه ، وما يتعطر الجو اجمع برياه ، أبقاك الله مصون العرض مظفرا مكرما على رغم انف من أبى ، دائم العزوالابا ، فاننى فيغربتى لاازال اليكم فيشوق ، ياخذ بالطوق .

انا المحب ولو ادرجت فى كفنى انا الذى لم يزل بالعشق متصفا

وانى ياسيدى لااجد عن ذكراكم صبرا جميلا ، وقد ملات اللهفات اليكم صدرا فسيحا

والصبر يحمد في المواطن كلها الا عليك فانه مذموم

اما احوال فانى غريب حقا ، مشوش البال مهيج البلبال .

اذا جن ليل هام قلبى بذكركم انوح كما ناح الحمام المطوق
وفوقى سحاب يمطر الهم والاسى وتحتى بحار بالجوى تتدفق
سلوا ام عمرو وكيف بات اسيرها تفك الاسارى دونه وهو موثق
فلا انا مقتول وفى القتل راحة ولا أنا ممنون عليه فيعتق

وبعد فلايشفى العليل ، ولايبرد الغليل ، الا المشافهة والسلام .

أخبار عنه أخيرا

كان جال فى مساجد كثيرة بالمشارطة فى (اكادير ايزدى) ، وفى غيره بالغ، وفى جوار (تافراوت) دام على ذلك سنين ، حتى تقلب به الدهر ، وعرف العصر ومايتطلبه ، فاذا به يفكر فى حالة الامة ، فصار يلبس لباسا ءاخر بين الناس فى محادثاته ، ولم تكن الادارة لتغفل عن امثاله الى ان اعتقلته شهورا ، فكان ذلك هو الذى حداه حتى طلق تلك البلاد ، فنزل فى البيضاء ١٣٧٢ ه فاستقر فيها باولاده ، حيث يفكر كما يريد ، ويعلم بعض تعليم ، ثم صار خطيبا فى مسجد (قرية الجماعة) فحسنت حال معيشته ، وصار يلقى دروسا فى المسجد وفى غيره ، فاكتسى ابهة الفقهاء ، فهنيئا مريئا له ماحصل عليه الآن ١٣٧٩ ه وانا لنرجو له فوق ذلك مظهرا ، وله اذكار وحالة حسنة .

سيدى محمد بن عبد الله

المدعو بالشيخ موح

١٣٢١ ه - حـــى

نسبه :

محمد بن عبدالله بن احمد بن ابراهيم بن محمد بن احمد بن على بن احمد بن عبدالله بن سعيد

مشايخه

اسبع على يد سيدى محمد بن محمد السملالى ، ثم اخـذ ايضا عن سيدى ابراهيم الفقير البعقيلى ، ثم جلا اهله عن الغ الى (انامر) بوادى (املن) فبقوا هناك سنتين ، فكان ياخذ هناك عن سيدى محمد بن موح من اهل تلك القرية ثم راجع اهله فى الغ ، فلازم ايضا سيدى محمد بن محمد السملالى فى مسجد (الزاوية) ، فيه تخرج فى القرءان ، وفى سنة ١٣٣٦ ه افتتح المبادىء فـى المدرسة على الاستاذ سيدى على بن عبدالله ، ثم امر النجيب سيدى الحسين بن ابراهيم بن عبدالله بن صالح الالغى الذى تقدمت ترجمته ان يبدر به على المبادىء ولم ينشب ان دهم ذلك الوباء فجرف هذا النجيب فيمن جرف ، ثم اخذ عن سيدى الدانى ، وسيدى احمد الاهربيى التاجارمونتى ، والاستاذ سيدى احمد بن محمد البزيدى فنجب على ايديهم ، ثم لازم مايلقيه الاستاذ الكبير عميد المدرسة سيدى على بن عبدالله ، فظهر منه لسان سئول ، وقلب عقول ، وقد انسى عليه من عرفوه وخالطوه من اهالينا ، كسيدى الطاهر بن على ، لانى لااعرفه وفى سنة ١٣٤٦ ه ارسله الاستاذ على بن عبدالله الى زاوية (افا) عند القاضى سيدى الهاشم الفاسى ، فاخذ عنه ايضا حتى مضت تلك المسغبة ، ثم انتقل الى (ايمور) ولم يلبث ان شارط فى مسجد هناك ثم انتقل الى مسجد (فاباشين) من (تاهالا) حيث لايزال الى الآن ١٣٥٨ ه ، وقد طابت له الحياة هناك فكن وقد ذكر لى عنه نشاطه فى البزة ، وعلو همته وتحصيل حسن كما ذكرناه وهو ممن يجول فى الادبيات ، ولكن لم يتيسر لى الآن ان اتصل باثره فى ذلك ، الا انى وقفت على ابيات اجابه بها سيدى محمد بن على عن ابيات له لم اقف عليها قال الاديب ابن على :

زففت الى يا اخى محمدا — عروسا تهادى مالاوصافها مدى
الت نحونا تختال فى حلل اللغى — فتبهر افكارى متى كنت منشدا
فمن رقة اومن لطافة منـــزع — بطوق كان قدضم درا وعسجدا
وكيف وانت المصقع المفلق الذى — بنى من قوارير البيان ممردا
جزيت على مدح العبيد محمد — رضا الله من قد طاب فرعا ومحتدا

وكتب اليه أيضا يستدعيه مع امام المسجد

أيها الشيخ من محضت ودادى — وجعلت محله بـفـؤادى
مـن غدا سيدا وبدر كمـــال — فى سماء العلا وبدر رشاد
من جنى الزهر من غصون المعالى — زاهيا حسنه جرى فى ازدياد
سيدى المرتضى محمد المنـــ — ـــخول من خير جلة انجاد
ان قرات الرقيم فاعجل لكيما — تتملى المنى بنجح المراد
اننى راقب طلوعـك بدرا — مع امـام معلم الاولاد
هاك منى رسالة نظـمـتها — يد فكرى من نرجس وورداد
ثم منى عليك ازكى سلام — طيب لايكـت بالتـعـداد

ثم وقفت له أيضا على رسالة كتبها من (أقا) الى استاذه على بن عبدالله الالغى لاباس بايرادها وهى — باختصار —

العلامة النحرير ، البركة الشهير ، شيخى وابى الثانى ، ومن هو أولى بمدح لسانى ، سيدى على بن عبدالله بن صالح افضل السلام وأتمه ، وأطيبه واعمه ، عن مقامكم الكريم ، وقدركم العظيم ، أما بعد فلازائد على مايعلم سيدى ، الا بما يسر الاصدقاء ، ويسوء الاعداء ، وقد وصلنا كتاب سيدنا ، وفهمنا مضمنه فرحت اعداء شيخى لولده ، وانه لم ينسنى من مدده ، وأنا عند هؤلاء الناس كالابناء ، الاكنت أنت عندهم كالاباء — الى ان قال — وسلم منى عـــلى شيخنا سيدى المدنى الذى يعطف علينا عطف بيان ونسق ، ويفوح لنا باذكى عبق ، ثم انا هناك وان كنا هنا ، فارواحنا فى مكان واحد ، وان غدت اجسادنا فـــى العراق او خراسان ، وأقول :

ان شيخى خير البرايا وانى — لاأرى فى الورى اماما كشيخى

فى منتصف شوال ١٣٤٦ هـ

سيدى

محمد الخليفة بن الشيخ الالغى

١٠-١-١٣١٤ هـ = حى

نسبـــه :

محمد بن على بن احمد بن محمد بن احمد بن محمد بن سعيد بن محمد بن احمد بن عبدالله بن سعيد .

آتى نبأ دالت به دولة الانس — واضحت به العلياء طيبة النفس
بمولد نجل يملأ الكون نوره — ويخجل اشراقا سنا طلعة الشمس
يجدد رسم المكرمات باسرها — ويقدم ارشادا جميع بنى الجنس
وينشر اعلام العلـــوم مبرزا — اذا جرت الافكار فى حلقة الدرس
يدب الى نيل العلا بعزيمـة — تذوب لها صم الجلامدة الملس
الى ان يعيد المجد حيا بعيد ان — تنوسى حتى عد من ساكنى الرمس
وليد بدا من مطلع السعد فاختفى — بميمون اقبال له كل ما نحس
ويظهر فى برج الكمال مؤيـــدا — باتقان اسرار الجنيد اوالمرسى(١)
وحكمة لقمان وهـمـة حارث — وحلم ابن قيس فى زهادة اويس (٢)
تفرع من غصن السيادة فاستوت — منابته فى منبت طيب الغرس
فياسيدا ضاقت بماثور فضله — اذا رمت احصاء له ساحة الطرس
هنيئا بما اولاكه السعد طالعا — بافقك بدرا جاليا ظلـمة اللبس
يشب ببحر المكرمات مشمرا — لادراك فضل غير وان ولا نكس
مصونا بعون الله فى كل حالة — وليدا وكهلا من اذى الجن والانس

شمس الحقيقة وقمرها ، وسمع ذات الكمال وبصرها ، من طبق آفاق الفضاء ذكره، وخيم على هام السماكين فخره ، وسما حتى لم يجد مسلمى امره من نظمت لبة الدهر من فرائد فضله قلائد درها، واطلعته الحقائق على مكنون سرها ، فكان احق بقول الخنساء فى صخرها

وما بلغت كف امرىء متطاول — من المجد الا والذى فيك اطول
ولا بلغ المهدون للناس مدحة — من القول الا والذى فيك افضل

١) هو ابو العباس المرسى تلميذ الامام الشاذلى
٢) المراد الحارث بن عباد فارس النعامة ، وابن قيس الاحنف الحليم المشهور ، واويس تصغير اوس ولاتشدد واوه وان كانت هنا كذلك ، والمراد به الزاهد اويس القرنى

سيدنا وشيخنا ، ابو الحسن علي بن احمد الدرقاوي ، هذا وقد اتصل الخبر باستهلال هلالكم السعيد ، الذي عاد به اليوم بالفرح كيوم عيد ، فتكلف العبد تهنئة على جمود الخاطر ، وانقشاع سحاب الفكر الماطر ، خدمة لتلك الطلعة المباركة ، بالقول ، اذا لم يسعد الحال بخدمتها بالنول ، كما قال المتنبي :

لاخيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق ان لم يسعد الحال

رجاء الظفر بدعوتكم المجابة ، لتعود بها الاهواء عن قلوبنا منجابة ، فان العبد والحمد لله ممن اخذ في حبكم باوفر نصيب ، وضرب فيه بالسهم المصيب ، فما تخيب وقد تمسك بامثالكم آماله ، ولاتضيع ببركتكم احواله ، والسلام الاتم الاطيب الاجمل عليكم ورحمة الله وبركاته ، من العبد الفقير الى الله في الباطن والظاهر ، المتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم في جميع المظاهر العبد المضطر الطاهر .

بهذه التهنئة العلية ، وبهذه اللهجة الادبية ، يهنأ الوالد من شيخنا سيدي الطاهر شاعر الجنوب ، لما ولد له صاحب الترجمة ، أصيل يوم (عاشوراء) فكانت القصيدة فالاحسنا جاء الزمان بتصديقه :

يقال بما نهوى يكن ولقلما يقال لشيء كان الا تكونا

تعلماته بين يدي الوالد

افتتح القراءة في الزاوية ، فتدرج فيها عند الفقير سيدي الحاج بلقاسم البوشواري العاصي ، وسيدي احمد الماسي الاعمى ، بعدما أخذ الحروف الهجائية عن الوالدة مؤدبة البنات في الدار ، ثم بعد ذلك أرسله الوالد مع ابن عمه سيدي عبد الله بن ابراهيم الى قبيلة الساحل عند طالب يسمى سيدي عمر ثم الى ايت اثمان فجاة ، ثم الى قرية (تالاتووشن) بايت برايم عند سيدي الحسن الذي لايزال حيا الى الآن ١٣٥٨ ه ، ثم نقله بعد شهور الى (بوكورا) عند الاستاذ سيدي ابراهيم بن الحاج ، ثم عند سيدي عبد الله الالكماري بالزاوية ، فعلى هؤلاء قرأ القرءان ، وفي سنة ١٣٢٥هـ افتتح المتون الابتدائية عند الوالد بالزاوية ، وبعد شهور دفعه لشيخنا سيدي سعيد التناني ، فلازمه نحو سنتين ، وهو الذي جال معه في جل المتون الابتدائية ، وكان سيدي سعيد ضعيف النزع ، قد نسج العنكبوت على بعض ما اخذه - كما كان يقول - فحين كلفه الوالد بتعليم صاحب الترجمة صار يستعد لما يعلمه اياه ، فيسأل هذا وذاك ، فكم حقائق وحدود وابيات قواعد نسخها له سيدي موسى بن الطيب ، وكم أمور اخرى افاده بها سيدي احمد بن مسعود المعدري ، في فترة كان فيها هناك بالمعدر ، فكان ذلك في الحقيقة نفعا أوليا لسيدي سعيد ، ثم نفعا ثانويا لصاحب الترجمة ، وكان الوالد يحول بين

ولده وبين هذه المدارس الرسمية اذذاك بما لايحمد من جهة الاخلاق ، وهو دائما يراعي الدين وسلامة الاخلاق قبل ان يراعي العلوم ، ويراها ثانوية بعد الاخلاق ، فهكذا بقي اخونا بين يدي سيدي سعيد يعلمه ويهذبه ، ويثقفه قدر جهده ، وقد وقفت على نسخ أمور يعلمه فيها الكتابة ، وكان سيدي سعيد ابن مقلة الثاني في الخط ، وربما يعلمه غيره كسيدي موسى الذي درس معه الوردية في شهر ، وكان الوالد مع ذلك يصاحبه معه في السياحات ، ليتربى باخلاق الفقراء ، وليتسرب الى قلبه وخلقه ودينه منهم مايجد بركته ولو فيما بعد ، فقد كان معه في سياحة الى ايت صواب ، واخرى الى ادا وزكري ، ومرارا في ازاغار ، ومرة في سياحة طويلة مرفيها الشيخ الوالد بكسيمة ، فماحة ، فادا وتنان ، فمتوكة ، فالحوز ، فالحمراء ، فالسويرة ؛ وقد مروا بكل القبائل التي فيها اتباع الوالد ، وهو اذذاك في عنفوان شهرته التي بلغت مبلغا عظيما ثم في نحو مفتتح سنة ١٣٢٨هـ ، الحقه بالاستاذ سيدي محمد بن مسعود المعدري في المدرسة البونعمانية ، لانها ربما كانت خالية مما في مدارس الجبال اذذاك مما لوحنا اليه ، فاقبل عليه الاستاذ اقبالا كليا ، فصادف منه قابلية واديا وليونة ، فخاض معه خوضا في متون ، وذلك هو الذي عاد عليه بالنفع الجم ، وقد طرق به كل باب ، باذن الوالد ، لانه سأله مرة عما يقراون ، فذكر له السلم ودروسا قليلة ، فقال له الوالد الامر اعجل من ذلك ، فاطلعوا من كل ثنية واسلكوا كل طريق كيفما تيسر ، فقدر الله بعد شهور ان سقط الوالد مريضا مرض موته ، ثم كتب وصيته ، وقد وصي فيها انه خليفته في كل شيء ، فارسل الوصية الى الاستاذ ابن مسعود ، فاستدعى صاحب الترجمة ، فامره بالطلوع الى الغ ، وقد فهم من الوصية ان اجل الشيخ قد حان ، قال الاخ فناولني اذذاك كتانا فقال اذهب بهذا فاخباه ، فان قضى الله بوفاة الشيخ فكفنوه فيه ، ثم قال بعد ذلك ، ولاتظن انني اتفاءل بموت الشيخ ، الاان هذا ذكرته للاحتياط وانت لاتذكر ذلك لاحد ، قال الاخ فنفذت كل ماقال لي عند وفاة الوالد .

هنا وقف اخذ صاحب الترجمة ، وهو اذذاك كما راهق ، ونزره في البادي ضعيف لما ذكرناه عن سيدي سعيد الذي اخذها عنه ، ولكنه مع ذلك حاذق لبيب ، فلو دام سنة او سنتين في بونعمان ، لنال مبلغا عظيما .

بعد وفاة الوالد

توفي الوالد والزاوية تعج بالفقراء ، وناهيك بان المنقطعين وحدهم يناهزون المائة اوفوق ذلك ، وكلهم ممن تهذبوا على يد الشيخ ، ونسوا انفسهم ، وفنوا في مبدا الشيخ وغرقوا في التصوف ، وبلغوا في ذوق علمه مبلغا ساميا ، واما الاتباع الآخرون فهم الذين يطلق عليهم وصف المتسببين كما يطلق على هؤلاء وصف المنقطعين اووصف المتجردين ، والجميع فيما قدرته انا وغيري يبلغون

لحو عشرين الفا، كما بينا ذلك في ترجمة الوالد ، فهؤلاء كلهم ينظرون الى من جعله الشيخ خليفته في كل شيء شيء ، نظرهم الى الشيخ نفسه ، ففتح له باب هذا المنصب على صغره قبل ان يجرب الامور ، فدخله دخول من اتكل على الله والكبار من الفقراء يعينون في كل جهة ، وكان من أفضل ماعرف عنه منذذاك الحين من صغره ، أنه تجلت منه اخلاق قلما تتجلى من كبار الناس المجربين، منها الصبر ، فقد عرف به من اول يوم، ومنها الكتمان للاسرار ، حتى كان في ذلك الحين مضرب اللامثال فيه عند كل من خالطه ، ومنها التأني في الامور وعدم العجلة ، فتيسر له بهذه الاخلاق ان يحوط وهو صغير كما ترى اسرة كبيرة فيها ضرات وصبية وبنات ، لكل واحدة واحدة منهن نظر خاص ، وشهوة على حدة، وان يضم شمل الفقراء الذين قاموا اذذاك بالزاوية كان الشيخ لايزال حياء فكانت الزاوية كانها لم تفقد رئيسها •

وكان شيخنا سيدى سعيد قام اذذاك مقاما يعرفه له ربه ، فكان يرشد ويعين، ويتمشى مع تلميذه هذا بمثل ماقاله هرون الرشيد للاصمعي ، علمنا في الخلا ، وعظمنا في الملا ، وكذلك سيدى محمد بن مسعود ، فقد قام بنصح تام بلغ فيه من الارشاد مبلغا عظيما ، فقد اطلعنى الاخ على رسالة كتبها اليه في هذا الطور ، وذلك في اواسط سنة ١٣٢٩هـ ، فوجدتها في نفس الناصحين الكبار الذين يعرفون كيف يرشدون ، فمما حثه عليه فيها ملازمة الصلاة في الجماعة ، وان يكون اماما فيها ، وان لايهتز في القيام وان لايتمايل ، وان يقبل على الفقه اقبالا كليا حتى يعرف منه كل مايحتاج اليه، فانه علم كبير والله لايعبد الا بالعلم ، وان يكثر من مطالعة مثل كتاب (الاحياء) للغزالى من الكتب التي تهذب وترى الانسان عوارت النفس ودسائسها ، وان يدخل بنفسه بين الفقراء وان ينهيا بهم الهم المخصوصة ، وان يذكر الله ذكرا كثيرا، وقال له فيها ان سر الشيخ لم يعد اصحابه ، فمن أراده فليخالطهم بتادب ، ثـم نهاه عن الاشتغـال بقرض الشعر — على عادة الالغيين — ، لانه اذذاك كما تفتح ذهنه ، وقد كان سيدى احمد البوالوقتى التيزنيتي في الزاوية ، كان سيدى محمد بن مسعود ارسله اليه ليذاكره ، ولكنه بكل أسف ، كان اذنا ولسانا ، فكل ماسمعه فسرعان مايفشيه اقبح افشاء بلسانه الى الاستاذ ابن مسعود ، وان لم يسمع شيئا افترى حتى كان سببا من الاسباب الحاملة للاستاذ على كتب تلك الرسالة المتقدمة، وقد كان صاحب الترجمة ربما يلم بقرض أبيات يمتحن بها فكرته ، وشيخنا سيدي سعيد الواسع العطن يحرضه على كل شيء ، ولكن هذا السيد التيزنيتي سامحه الله يقول للاستاذ : انه أعرض عن كل شيء واشتغل بقرض الشعر ، ولذلك نهاه عنه نهيا خاصا ، وقال له في الرسالة انه لايشتغل بذلك الا اهل البطالة، وهي كلمة حق لمن نظر بنظرة الاستاذ ، هذا مضمن مافي الرسالة على ما استحضر

ثم قال له في ءاخرها ، ان سمعت ان بني فلان اجتمعوا على امر جامع وارسلوا

اليك فلا تصلهم ، وقد كنت طلبت من الاخ يوم ارانى هذه الرسالة ان انسخها ولكنه ءاثر صيانتها ، فاستحييت ان الح عليه ، والحامل له على صيانتها ان الاستاذ اوصاه في ءاخرها ان لايريها احدا ، ومقصود الاستاذ فيما اظن ان لايراها احد اذذاك ، ليكون ذلك ادعى للاخلاص ، واما الآن وقد دخلت في ضمن التاريخ ، فينبغي ان تنسخ وتشهر ، لئلا تدور بها ءافة من الآفات، وما اكثر ءافات هذا العصر في أمثالها • ويوجد نظيرتها في ترجمة الوالدة رقية في (القسم الثاني)

كان سيدى سعيد رحمه الله وصاحب الترجمة يجتهدان في سنة ١٣٢٩هـ وفي اوائل التي بعدها في المطالعة وفي الانشاء ، وفي تحسين الخط ، حتى كان في هذه الثلاثة فريدا ، وان كان لسانه في التلاوة لايزال يعثر احيانا الى الآن، وقد قال سيدى سعيد مازلت اعيره بالخط حتى كان خطه احسن من خطي ، وينقص في الترسل حتى أصبح بيني وبينه مابين الثرى والثريا ، وهذا من تواضعه ، والافالخط السعيدى لايزال فريدا ، وان كان خط صاحب الترجمة أيضا غاية ، على ان منتجه خطيهما مختلف ، وأما المطالعة فقد دفعه ما الله اذذاك الى أنه الى الآن لايرى كتابا من الكتب الا طالعه من اوله الى ءاخره ، ولكن هـذا مقصور على كتب التواريخ وماليها ، ثم لما اتصل اليوم بالكتب العصريـة الجديدة وجد منها طلبته التي كان يتطلبها وينشدها ، فثابر عليها حتى كان منه ماستراه فيما ياتى ان شاء الله •

عند ءال ماء العينين

ماكادت السنة الثلاثون من هذا القرن تمر فيها شهور ، حتى تـم للشيـخ احمد الهيبة ماكان يبتغيه ويتطاول اليه منذ زمان، وفي جمادى الاولى منها ائتمر بعض الناس بتيزنيت ، وفيهم بعض رؤساء القبائل ، فانجلت الجلسة على تقديم المذكور، وفي جمادى الثانية ، جاء طلبة من هشتوكة والجبال فاحكموا تلـك العقدة وتم الامر ، وتسابق المتاخرون لئلا يخرجوا عن ربقة الاجماع ، فحضر هناك صاحب الترجمة برسالة خاصة من الهيبة ، وقد حفزته مكانته بين الناس على الحضور اثر ماتم ذلك ، وقد كان الشيخ الوالد زار الشيخ ماء العينين ، وولده الشيخ أحمد الهيبة بكل طائفته عام ١٣٢٨هـ ، كما يوجد ذلك في ترجمته ، فكان ذلك أول تعارف، وكذلك لما جاء اليوم بين الناس ، سمع من فم الشيخ أحمد الهيبة ثناء عطرا ، وحضه على ان يكون من السابقين الاولين في هذا الامر ، فكان الامر كذلك، وكل من كان فيه اذذاك حبة من الايمان فانه يجب عليه اذذاك ان يبادر لمثل ذلك •

خرج الشيخ احمد الهيبة من (تيزنيت) في شعبان ، ومعه كل من لـه مكانة بين السوسيين ، الابعض اناس قليلين ، فكان صاحب الترجمة وكـل الفقراء المتجردين الذين بالزاوية في ضمن الجيش ، وهم بالعدد الذي ذكرناه

فدفع لهم الامير الجديد فسطاطا كبيرا ، وءاخرصغيرا، وكان الشيخ سيدى سعيد بينهم ، والفقراء كلهم تابعون لاخينا ، فتقوى بذلك جنب الامير الجديد ، وهو يهتبل بالاخ في المجامع ، وخصوصا حين وصلوا (امسكروض) وقد سمع الناس أن خليفة للقائد عبد الملك المتوكى متوجه الى قبيلة (اداوزيكى) ليدافع عنها الامير ، فتخابر اخونا معاداوزيكى ، وكانوا كلهم من اتباع الشيخ الوالد الضوى غالبهم تحت طريقته ، فجاءوا بأمره ، ففتح الباب للجيش اذذاك الى الحوز ، فعرف له الامير ذلك، خصوصا حين يرى منه العزوف وعدم تطلب اى شيء منه، لان كل من كان في معسكره يتطلب منه كل شيء فيذهب به، والاخ ومن معه لايتطلبون منه ادنى شيء ، وقد حكى الاخ أنه كان مرة فى قبة فى المعسكر اذا بالفقيه الشهير سيدى الحاج عابد دخل عليه ، فوجدهم يشربون الاتاى، قال فكانت جلسته كلها كرامات ومنامات ومثل ذلك مما اشتهر به هذا السيد الفاضل ثم انهم احتلوا مراكش، فنزل الاخ اولا فى الزاوية بباب دكالة ، ثم ان التيزنيتيين نزلوا في (الباهية) وفيها اتساع كبير، فاذنوا للاخ والفقراء فجاءوا الى جناح منها ، وكان الاخ يذكر اخلاق الاعراب بعدما دخلوا مراكش ، قال قد تنمروا ولبسوا على ماتعتاد منهم، وقد استداروا بالامير وحدهم استدارة الخاتم فمتى جاء انسان ليفاوضه فى سر فضلا عما كان جهرا ، فانهم لابد مشاركون فى السر ، كانهم قلبوا ظهر المجن لكل السوسيين ، لكن ان جاء اعرابى جديد من الصحراء فانه يتلقى بكلتا اليدين فى الحين ، وقد حكى لى هو وانسان ءاخر معه اذذاك ، ان اعرابيا طرق التيزنيتيين فى الباهية جائعا عريان، فاطعموه وستروا سوأته ، وفى اليوم التالى جاء فى حلة جديدة وأنفه فى السماء ، يقول لهم الكم امس الرمشمونى ، وأنا اليوم بلغت مرتبة اقضى بها كل حاجكم، فافضوا الى بما تريدون ، فغاظهم ذلك وقالوا عجبا ، انكون بهذه المثابة ؟ ولولا مالم لهذا الانسان امر ، ونحن نذهب اليه اليوم فلانلقاه ، فيجيء مثل هذا فينال فى لحظة مرتبة عليا، قال الحاكى : فكان ذلك سبب ان خرج غالبهم من مراكش قبل يوم الهزيمة، نكتب هذا للتاريخ ليدرك الباحث احد اسباب الانهيار السريع لدولة تلك الايام ، وان كنا نبرىء ءال الشيخ ماء العينين انفسهم من التحيز رضى الله عنهم •

ثم فى الليلة التى غادر الامير فى صبيحتها مراكش ارسل الى صاحب الترجمة وامره ان يبكر بعد السحور — وكان الشهر رمضان — فذهب مع بعض أناس ، فوقفوا فى المشور ، فاذا بالرئيس سيدى محمد بن عبد الرحمان الكسيمى رئيس قبيلة كسيمة ، وكان ممن اخلصوا للشيخ الوالد، وقد جمع كل متاعه، واتى به على البغال مع اصحابه ، وقد تسرب اليهم الخبر، وعرفوا ان الامير سينجو براس طمرة ولجام ، فحين ابصر بالاخ أمر أصحابه فاستداروا حوله بخيلهم ، ثم قال له الم تات بالمتاع ؟ فقال له انى لاخبر عندى بأى شيء فافضى

اليه بما كان ، ثم قال له اننا لانفارقك ولاتفارقنا ، فارسل الاخ رفيقه سيدى محمد بن احمد الطاهرى التيزنيتى ، ومضى على رمكة فجرى الى (الباهية) فامر بجمع المتاع بسرعة ، وتناول هو صندوقا فيه الدراهم ، فطار به الى الاخ، فماج الفقراء ، وهم اذذاك فى اذكارهم بعد الصبح ، وكان هناك فقير جرب الامور وكان يحضر فى الجيوش المخزنية ، فاول مابدابه من المتاع جمع الدقيق والادام وكل مايوكل ، فحمل ذلك على البغال ، ثم ترك ماسوى ذلك للفقراء ، فتناول كل واحد فى يده شيئا ، اوجعله على راسه، ولكن غالبهم لما قاربوا القصبة ، وقد بدا الهرج فى الازقة ، وخيول المتوكيين والكلاويين تجوبها جارية بالاقبال والادبار، القوا ذلك كله ، فنجوا بانفسهم ، وقد تفرقوا شذر مذر ، فكان ذلك اليوم يوم شئوم على هذه الطائفة المهذبة التى يانس بعضها ببعض ، فقد افترط فى ذلك اليوم سلكها ، ثم لم يعد الى مثل ذلك الالتئام ، فهذا ماربحه الاخ وزاويته وفقراؤها من دولة هذا الامير الجديد ، ولكن اذا أراد الله امرا هيأ اسبابه ، ومتى كانت النية حسنة فان التضحية فى سبيل الله تطيب لها النفوس •

اخبر الاخ انهم وقفوا هناك بالمشور، ثم صلوا الصبح فيه جماعة، والناس يموج بعضهم فى بعض ، ثم خرج الامير فتوجهوا الى منتجه الجبل ، ولم يلقهم ماقاساه من تاخروا عنهم بعد ذلك ، ثم لم ينزلوا تلك الليلة حتى تسلقوا الجبل، وانقطع عنهم الطلب ، فنزل الامير تحت شجرة يراه كل احد ، وكذلك عياله، ولم يحملوا معهم من الطعام شيئا ، فلاقاهم من ذلك جهد جاهد ، واما الاخ ومن معه، فقد كان معهم من الزاد ماقطعوا به وادى نفيس بسلامة ، وقد فتح القائد الطيب الكنتافى الطريق للمنهزمين واباح لهم ان ياكلوا من ثمار الاشجار ،ولم يمس هناك احد من المارين بسوء ، فكانت حسنة من حسناته رحمه الله، على حين ان الذين مروا فى (فروكة) قد امتدت اليهم الايدى نهبا وسلبا وقتلا ،فبرهن الكنتافى بذلك عن دخيلة نفسه، وهل يعبر عن دخائل النفوس سوى امثال هذه الوقائع ؟ ولو كان رجل سوء لامكن له ان يتقبض على الامير وان يسلمه للحكومة ، فينال بذلك مقاما جليلا يحسده عليه أقرانه من الحاج التهامى والقائد عبد الملك المتوكى • ولكن حاشا الحاج الطيب المسلم ان يجترح ذلك ولم يكن يواخذ الا بتغريم من تحت يده

حل الاخ بـ (تارودانت) بسلامة وعافية ، ثم اقتضت المصلحة للامير فى الاخ ان يرسله الى قبيلة (اداوزيكى) لئلا تمتد اليها يد القائد المتوكى ، فيولى سوس من تلك الطريق ، وكأن الامير ءامن من طريق (تاكونتافت) ولكنه لم يلبث ان جاءه الحاج التهامى الكلاوى من هذه الطريق نفسها ، فتقوى به جانب القائد حيدة بن مايس المنابهى الذى يحاذبه اذذاك حيال ذلك الوادى ، فلم يطل يوم ١٧–٦–١٣٣١ هـ حتى غادر الامير (تارودانت) ايضا ، فطار الخبر بذلك الى الاخ فى (اداوزيكى) فسرى ليلا فاصبح فى كسيمة فطلع فى طريقه الى البلد،

وقدعرف من حال هذا الامير واهله ماعرف ، وادرك انه غيور على الاسلام ، لكنه ليس في مسلاخ السياسي الذي يتطلبه الوقت ، ويقول ان الشيخ احمد رجل محمود خلقا ومباشة ، لاينهر احدا ، ولايعرف لسانه لا ، ولكنه قلما تتم الحاجة على يده الا مادمت واقفا عليه، واذنه مفتوحة لكل كلام ، فكل من قال عنده فانه عنده مصدق، وهكذا كان كل ءال الشيخ ماء العينين دينا ومروءة وسلامة طوية ، وقد حدث يوما بهذه الحكاية المضحكة ، قال حدث فلان من شيوخ هشتوكة ان انسانا قتل ءاخر فخاف على نفسه ، واراد تبرئة من الشيخ الوالي اخي الشيخ احمد الهيبة ، وهو عامل هشتوكة لاخيه ، فاتى القاتل الى هذا الشيخ باربعين ريالا ليذهب بها الى الشيخ الوالي بسبب مافرط منه من الفتك ليبرئه ، فتناول الشيخ الهشتوكي تلك الدراهم فوضعها في صندوقه ، وبكر الى ضيعته فحمل منها بطيختين كبيرتين ، واصبح على الشيخ الوالي فقدم اليه البطيختين ، ثم قال له انني ياسيدي محترم بعطفكم ، ملتجيء الى ظلكم ، فقد أبى الله الا ان تظهر كراماتكم لكل احد ، فقال له ماذاك ؟ فقال له ان رجلين جاءا معا فدخلا في معسكرك هذا ، فسرقا منه ، ولكنهما لما اراد أن يخرجا بالسرقة وجدا سورا من الحديد مستديرا بالمكان فحطا السرقة ، فانكشف السور ، ثم اعادا حمل السرقة فعاد السور ، ثم فعلا ذلك مرارا ، حتى اذا عرفا وتيقنا الامر، وادركا ان ذلك من الكرامات التي لاريب فيها ، حطا السرقة فخرجا ، ولكن مع ذلك كانت بينهما عصبية من اجل ماكانا هما به من السرقة في هذا المعسكر السعيد فثارت بينهما خصومة فقتل احدهما الآخر ، فصاح الشيخ الوالي بزمرة من الاعراب ووجهه يقطر بشاشة وبهجة ، فقال لهم تعالوا تعالوا تسمعوا بركة شيخنا وشيخكم الشيخ ماء العينين لتدركوا أنه لايزال حيا بكراماته، فطلب من الهشتوكي ان يعيد القصة فاعادها ، والآخرون يحملقون عجبا ، فتصايحوا بالآخرين ، فامره ثانيا ان يعيد القصة فاعادها ، فما زال يقص حكايته على جماعات اثر جماعات ، حتى اهتز المعسكر بها، ثم انحنى على ذيل الشيخ الوالي يتمسح به ، ثم تطلب منه ان يكتب براءة لذلك المسكين القاتل الذي شاهد بعينيه هذه الكرامة ، فان فرائصه لاتزال في ارتجاف، خوف أن يقع له من المصيبة مثل ماوقع لصاحبه ، وهو ياسيدي يعاهدكم الله على الولاء ماحيي ، وقد جاء ليتلقن طريق الشيخ على يدك الآن ، فنادى الشيخ الوالي كاتبه ، فامره بكتب البراءة للقاتل بانه ءامن من كل شيء ، فهكذا تسوت القضية ببطيختين، وباكذوبة لفقت تلفيقا عجيبا • والحكاية تدل على تشيطن السوسيين اكثر مما تدل على سذاجة الصحراويين •

وهي حكاية صحيحة واقعة بلاريب ، وبها تعرف ماتلهج بـه حاشية الامير الجديد ، وما يطمعون به من الانتصار ، وتعرف أيضا انهم اشتهروا بذلك ، حتى علمه امثال هذا الهشتوكي الذي يعرف كيف يضرب على الوتر الحساس ،

وللتاريخ فقط نسجل ليدرك الواقفون حسن نية ءال الشيخ ماء العينين وسلامة طواياهم ، وانهم صالحون ذاكرون ، لاسياسيون ماكرون •

حل الشيخ احمد الهيبة في (كردوس) نحو عام ١٣٣٤هـ ، بعدما كان في (اسرسيف) بهشتوكة وفي أيت وادريم ، فكان الاخ يصله فينة بعد فينة، ولكنه كادت تقع فتنة غير محمودة بين مرابطينا بسبب عدم تنظيم الامير لاموره فقد كان كتب الاخ في هذا العام ١٣٣٤هـ بانه نفذ له اعشار المرابطين ، وكتب بمثل ذلك أيضا للاستاذ سيدي علي بن عبدالله الذي الف اخذ الاعشار باذن الحكومة في عهد الكيلولي ، فوقع سوء التفاهم بينهما بسبب ان كل واحد منهما لايعرف ان عند صاحبه مثل ماعنده من امر الامير ، ولكن الله مع ذلك سلم المرابطين من الفتنة ولعل ذلك بحسن نية الامير •

الاخ يقترن

رجع من اداوزيكي كما ذكرنا وهو اذذاك لايزال عزبا ، فاختيرت له كريمة الرئيس احمد بن الحاج ابراهيم الايفشاني، وهي بنت بنت عمتنا ، واسمها رقية، وكانت من فضليات النساء ، وارقهن قلبا ، وكنت انا ممن نال من رقتها ظلا وريفا رحمة الله عليها من غير ان اعرف لها وجها ، لانني كنت اجانب المنزل الذي تكون فيه، فقد كانت ترسل الى دائما ماتدخل به السرور على قلبي الصغير ، متى جئت للبلد ، وقد كنت اذذاك طالبا بالمدرسة التانكرتية ، وكان لها في ظل جميل ، فكانت تتحفني بالدراهم والكسى والبسيس وهو خير مايستطرف في بلادنا ، وهي في كل ذلك تطلب مني الدعاء ، ثم انها لم تبطيء اذ استاثر الله بها في عام ١٣٣٧هـ ، بعد ان ولدت ولدها عليا هذا الذي بلغ اليوم وتبة في العدلية وولادته في عام ١٣٣٦هـ رحمها الله ، وان كانت لمن النساء الهينات الصابرات ، فهذه هي التي اقترن بها الاخ أولا ، وكانت له من خير النساء ، ثم خلفتها عنده اختها عائشة • ثم السيدة فاطمة التزنيتية ١٣٥٣هـ

الاخ والقبائل الجزولية قبل الاحتلال النهائي

كانت السنوات التي تمتد من ١٣٣١هـ الى ١٣٥٢هـ في هذه النواحي سنوات كفاح ودفاع بين المجاهدين والمحتلين ، ومتى انقضت الحرب ترجع القبائل فيما بينها الى المهاوش والنهابر (١) ، فقد كان ذلك كله من حين احتل ابن دحمان تيزنيت عام ١٣٣١هـ ، ثم امتد يد القائد حيدة بن مايس الى اغار عام ١٣٣٣هـ فالمجاء الى (وجان) فحورب فيه من بعد ان كان في الاخصاص ، فلاقاه هنالك مبارك

(١) المهاوش : مايصاب من غير حل ولايدرى ماوجهه ، والنهابر : المهالك، قالوا (كل مال دخل من مهاوش ذهب في نهابر)

ابوالطعام الرحاوي فصالحه ، وكانت الجيوش القبلية اذذاك تقاوم ، والعلماء وارباب الزوايا ، وان كانوا لايجدون فتيلا ، يحضرون هناك ولابد ، فحضر الاخ في محاصرات لتيزنيت وفي وجان حيث حارب بنفسه ، وبندقيته الرباعية في يده ، ثم في مقاومة القائد حيدة ، حين قتل في ١٣ ربيع الاول عام ١٣٣٥هـ، وكذلك في مقاومة الجيش الجنرالي (١) الكبير الزاحف في جمادى الاولى من هذا العام ، فقد سقط هناك تحته فرس جيد وحفظه الله ، وقد جرح اذذاك اثنان من أصحابه ، كذلك أيضا يحضر في المجامع التي تقع اذذاك ، ولكن بعد ١٣٣٦هـ شاهد ان الجو لايزداد الاعتكارا في الاختلافات القبلية ، وأنه ان تمادى عـــلى الدخول في تلك الاختلافات فانما يخسر تراثه العظيم الذي كان في يده، وقد طار كثير منه ، والواجب المحافظة على الباقي ، فصار يحضر ويغيب ويرشح الاخ احمد لينوب عنه •

وذلك ان مجده الذي عرف به ، وورثه عن الوالد ، هو ارشاد العباد ، والاخذ برسن اصحاب والده بما أمكن ، لتعمر زواياهم ، وينتظم جمعهم ، وقد خسر غالب ذلك حين اضطر لاتباع رؤساء القبائل المتشاكسين فيما بينهم، فخالف بذلك طريقة الوالد الذي كان دائما يبتعد عن مثل هذه الاوساط ، ولا يقربها الا ليؤدي ماعليه فيها من الارشاد والنصيحة ، وقد مر ذلك في ترجمته ولهذا كله ادرك الاخ ان استمراره في هذه الطريقة ربما يفضي الى مالاتحمد عقباه ، فسد زوايا اصحاب والده هنا وهناك، وفي ذلك مافيه من خسر لايمكن تداركه من ورائه ، وقد راى ذلك كله بعينه النافذة التي تنظر من بعيد بتوفيق الله •

هذا وقد بدا منا نحن اخوته اذذاك انتشار في البلاد ، وظهور وعقلية اخرى فلم يكن ان يصيب احدنا ان غاب عن الدار مكروه ، فبهذا كله وامثاله انقبض عن مجامع القبائل من عام ١٣٣٧ هـ ، وقلما يرى فيها بعد ، وكان الاخ أحــمـد الذي ينوب عنه هناك يخب ويضع من عند نفسه ، وقد رزق مالم يرزقه صاحب الترجمة من المرونة في ذلك ، بين المكافحين المنافحين عن تلك الناحية في نحر الاستعمار •

وفي عام ١٣٣٩هـ أعمل ركابه الى نحو السويرة والحمراء ، فجال على بعض فقراء والده ، فوجد ان العرى قد انحلت كثيرا ، وان ماكان انشب فيه نفسه من الاعراض عن طريق القوم مضطرا وعن حسن قصد، وصفاء نية ، قد كر عليه بالخسران الذي لايعوض ، وكان قبل هذا العام قد ساح أيضا الى زوايا القبلة حتى وصل الى (الوكوم) هو وجل الفقراء الذين كانوا لايزالون متوفرين وفيهم شيخنا سيدي سعيد التناني وسيدي احمد الفقيه ، فكانت لها منافـع ،

١) نسبة الى الجنرال ، لان قائده الاكبر اذذاك جنرال فرنسي يسمى لاموط

ولكن الاحوال التي مرت قبل هذا الحين اوللاحقت بعد ، اظهرت ان الحال قد تبدل ، وان ماكان تيسر للوالد في عصره ، لايتيسر في هذا العصر ، فكان صاحب الترجمة الذي حفظه الله من دعوى ابناء المشايخ الذين يتربعون في منصات والديهم بالكذب والبهتان ، قد شاهد بفكرته ذلك كله وامعن فيه النظر، فامسك رجله ، فماشى الزمن كيفما تحول ، وقد راى ان الواجب عليه ان يكون لله بفي اهله الهواجر ، فاقبل على اصلاح ذات يده ، فاسعده الحظ ، فما ترك تجارة ولافلاحة ولاتأثيل املاك ، ولا الانعام الثاغية والراغية ، الاجال فيهــا جولات ، ادر ذلك عليه اموالا هي في وسطنا ثروة كبيرة ، وقد ثارت بينه وبين اناس من جيرانه امور خرج منها كل جانب منه ومنهم محفوظ الكرامة ، وقد حفظ الله الغ من عقابيلها، والحمد لله ، وكان صلب الارادة ، قوي العزيمة، لايعرف الا الوقوف حيث يطلب له، وناهيك بان بعض المجاطين الوقحين الذين ترتعد منهم فرائص المرابطين ، يقف أمامهم وجها لوجه ولايخلي لهم هامة، وذلك من عدم تخطيه لمايراه حقا ، وهو دائما مدافع لامهاجم ، ومن كان كذلك يكون الله دائما في عونه، ثم لما استقام أمره خير استقامة ، ولبث مركزه وعلمت عليه نعمة الله تعالى ، حام حول نعمته من حسد الحساد مالايعدمه امثاله، لم يزل كذلك يعظم حتى صار يذكر في مجامع القبائل بانه مضاد لها، ومتجه الى وجهتها ، وماسبب ذلك الاماجرته تلك الحادثة ، فكان القائد المدني ومن لف لفه يذكره بسوء لمايراه من مناواة الاخ احمد لكل مايهم به مماذكرناه في ترجمة الاخ المذكور، هذا والمترجم مع كل ذلك رابض في ساحل الامواج ، فلا تكاد موجة عالية حتى تكسر مياهها ، فتتراجع ساكنة هامدة ، بعدما حملت زاخرة ، ولقد اجل فريق كبير من مجاط وايت بعمران ، ينظرون الى مقامه نظرة الاجلال ، فكانوا يفلون سيوف القائد المدني واصحابه ومن اليهم ، التي ترهف دائما لجهته ، فيفلون الحديد بالحديد ، ويبقى صاحب الترجمة من بعيد ، لم يعمل في ذلك لسانا ولايدا وذلك كله من عناية الله تعالى ، وهذه العناية ابتدات منذ جلس مربيه ربه في مكان اخيه المرحوم الشيخ احمـد ، فمازالت تتوالى حتى وقعت هذه الواقعة الآتية

بينما كان صرير طيارة يسمع ذات يوم في جوالغ ، اذا بها تسف الى الارض فتنزل في ذلك البسيط ازاء (تاوريرت اوسايال) فشاهد نزولها المرابطون والوقاوريون والايغشانيون ،فتجارى الناس اليها ، فاسرع صاحب الترجمة الى رمكة له وقد تقلد بندقيته ، فوصل مكان الطائرة ، فاشار الى من هناك ، فافرجوا عنها، فاشار الى من فيها بان لاباس ، وان لايخافوا ، فوقف دونهم حتى اصلحوا ماكان مختلا من آلات الطائرة فطارت من غير ان يمسها من حضروا من غرائهم يعرفون على مافيها الازم ، لولاهذا الذي يعرف انها اذا مسها ادنى شيء فان سربا من الطائرات سيبكر الى الغ فتنابره من الفد، ثم لايبقى فيها لاعينا ولااثرا

وقنبلة صغيرة تؤدي الى اضرار جسيمة ليست ممايفرح بهالعقلاء ، وقد جاء الرئيس احمد الايفشاني في الحين بعد تحليق الطائرة ، فجزاه خيرا ، وقال له لولاانت لتسبب هؤلاء الرعاع في اهلاكنا جميعا من حيث لايشعرون •

هذه هي الواقعة ، وهيمعقولة كما تراها، لايرتكب فيها خلاف ماارتكبه صاحب الترجمة الاحد رجلين ، منكان احمق اهوج لايدرى مايصنع،فيحسب أن في مسها نكاية ، ثم تصب النكاية الحقيقية على رأسه ، ثم لاتتغير أرض ولاسماء ، اومن عرف مايقدم عليه وأدرك أنها مغامرة يتبجح فيها جالبا عليه قضاء الله ماكان جالبا، ثملاعليه بعدذلك انسلم اوكان من الهالكين ، وصاحب الترجمة ليس احدا من هذين، فهورجل تؤدة وتعقل وتبصر في العواقب ، فلذلك جاءت علىيده نعمة شكره عليها العارفون ، كصهره الرئيس احمد بن ابراهيمالايفشاني ، رئيس الغ وصاحب الكلمة النافذة فيه اذذاك •

انتشر خبر الواقعة ، فقام القائد المدني ومن معه وقعدوا ، فقال الم نقل لكممرارا انهذا الانسان ليس منا، يقول ذلك في مجمع ، والسامعون يصيحون، ولكن عقولهم تحدثهمبان هذا الرجل ، انما تتحلب شفاهه على درهم ياخذهوراء اولئك الذين في الطائرة ، ثم لاعليه انتهدمت ديار مساكن الغ اوبقيت ، مع انه يتصل دائما بالحكومة بواسطة (علي نبوهوش) وياخذمنها ماياخذ كلما قضى لها وطرا ، هذا ما يقال ، وانكان الثابت عن المدني انه نفور من رجال الاحتلال قديما ، فلم يتصل بهم قط

وهذا عرف قائد تيزنيت صاحب الترجمة ، وأرسلت اليه رسالة شكر خاصة على مافعله، فاجابها بانذلك من الواجبات عليه ، حفظا للنفوس واحتياطا لما في التيجرة ممن في الطائرة ومنفيها بشيء ، فهكذا عرفه منفي تيزنيت بادىء الامر بعد يتعرفه اليه، لابمده هو يده اليهم •

جاءت قضية السكر الذي احتكرت الحكومة بيعه عن هذه الجبال ، الامن مكنتهمنه، فيتوصل بهمنها بقدر محدود ، فيبيعه على يده ، فكانت الواقعة المتقدمة سببا حتى توصل الاخ احمد بنصيب منالسكر ، والناس اذذاك يتسابقون اليه ، حتى ان الذين لم يجدوا اليه سبيلا انما يتمثللسان حالهم في انكارهم لذلك بما قاله الشاعر :

أيها العائب سلمى أنت عندى كثعالة
رام عنقودا فلما ان رأى العنقود طاله
قال هذا حامض لـ ـما رأى ان لا يناله

فكان صاحب الترجمة ممن يتوصلون بالسكر تبعا للاخ احمد فيبيعانه على ايديهما ، وذلك لايعدو التجارة ، فيربح المترجم من تجارته في هذاالسكر ربحا حسنا ، ونصب في سوق الخميس ميزانا كبيرالذلك ، فلمارأى من ينافسونه نجاحه ، تاكلت قلوبهم حسدا ، وصاروا يذمون هذه التجارة ،

فنمشت السارة بذلك بين الذين يقطعون لهثا على ماليسر له، على حين انهم محرومون منه ، فاوعزوا الى الوفقاويين ان يمنعوا تلك التجارة من سوقهم ، فجاء منذلك لصاحب الترجمة ماهو خير ، فنصب الميزان في وسط داره ، فعادت افنية الدار سوقا دائمة مدة الاسبوع ، لايوما واحدا في الاسبوع ، حتى تضررت سوق الخميس بذلك ، فارغم الوفقاويون على تغيير موقفهم ،وقد نادى ايضا البعقيليون ان الدرقاوي وقوافله السكرية لاتمر بعد في ارضنا، فقام المجاطيون يفتحون للقوافل الباب ، فكانت أرض مجاط الواسعة الفجاج، مماعوض الله به تلك الشعاب البعقيلية التي كلهاعقاب الى عقاب ، لايسلكها مختارا الامنكتب عليه فيهذه الدار العقاب ، وقد جاء الاخ أحمد مرة من تيزنيت وقد تلقى ايضا من هذه السلعة ، فكارى عليها قافلة مرت منارض مجاط ، فسلك هوليلاارض البعقيليين ، فلما وصل اخبر بانكمينا كان يكمن له في الطريق ، ولكن الله نجاه بسلوكه في تلك الليلة ترهة غير مطروقة كثيرا، هذا ماحكيلي عن قضية السكر ، كتبته كما سمعته •

ذلكبعض ماقاساه صاحب الترجمة من بعض رؤساء القبائل الذين لايهمهم المصلحة العامة في شيء ، وكانوا جاهلين غفلا عميا صما ، لايعرفون مناحوال العالم مايعرفه غيرهم ولالهم تمييز يعرفون به مايفعلون اومايدعون ، والمترجم يعذرهم بجهلهم المتكاثف ولكنهم لايعذرونه فيصبون عليه جامات التانيب واللوم والتقريع والتعنيف ، فلم يزل يماشي الحالة حتى جاء ماجاء مماهو متوقع منازمان ، وكل منعرف اختلاف فرنسة واسبانية حول نقطة في تلك الناحية ، ثم عرف كيف عقلية رؤساء بعض القبائل اذذاك من كونهم لايحترمون الاعلى ان يجروا النار الى قرصهم وحدهم ، فانه يدرك الواقع قبل انيقع ، وقد كان المترجم في طليعة هؤلاء العارفين بما استفاده من مطالعة الكتب العصرية والجرائد والمجلات ، وتفهم حالة العصر وسياسته •

بعد الاحتلال

قضي الامر ، ووقع ماكان يتوقعه منيسمون أنفسهم العقلاء منذ عشرينسنة، وكان عندهم تاخره منخرق العادة ، وهذا هو مقياس العقل والنوك ، والكرابى الجهل والنوك الا ان يسودا في المغفلين الذين تخطوا كل ماامرهم به الدين من الاستقامة في هذه القرون الحاضرة ، ومن الاستعداد بالعلم الصحيح ، والفكر المتزن، وبالعدد الحربية التي تفلح الحديد بالحديد ، فليت شعري كيف يتصور ان تمتنع شرذمة قليلة جاهلة متشاكسة فيمابينها دائما ، لم تعرف منسنن الكون ولامن مخترعات العصر ، ولامنسياسته شيئا ، بل لم تسمع قط بالارة منذلك ، بل لاتصدق به ولو سمعته ، هذا مايقوله هؤلاء العقلاء ، واما انا فاقول : اناهل تلك الجهة معكل هذا يجب انيعرف لهم

التاريخ تلك المقاومة المتسلسلة طوال اثنتين وعشرين سنة ، من ١٣٣١ هالى مختتم ١٣٥٢ هـ وهم وان لم يتسلحوا بالتسلح العصرى ، فقد تسلحوا بغيرة استمدوها من التقاليد ، افيقبل أدنى مسلم - وان لم يكن اسلامه الاصوريا - ان يخضع عن طواعية لاجنبى يتحكم فيه ، كلا ، فان ذلك خصوصا من أهل ذلك الجبل هو الموت الزؤام بعينه ، وهذا هو احد الاسباب التى تأخرت بها تلك الناحية ثم لم تحتلها الجيوش الحكومية الا بعد ان احتلت كل القمم فى الاطلس الكبير، فليحفظ التاريخ ، وليسجل ان اخر معقل سقط أمام الاحتلال هو معقل الاطلس الصغير بسوس ، ثم لم يسقط الا بعد ان طوقته الجيوش من جميع النواحى تطويقا تاما ، ثم دهمته وتخللت شعابه ، حيث تستسلم كل قبيلة على حدة ، وتحط امام قائد الحملة السلاح الذى يتقلده كل واحد ، من البندقية الى الخنجر ، وذلك كله من غير محاربة مجدية فى ذلك الوقت الذى طوق فيه الجميع

تقدم الالغيون مع صاحب الترجمة وصهره الرئيس احمد الايغشانى الى جيش نزل فى (اموتوز) ، فى ذى القعدة عام ١٣٥٢هـ ، وهو فرقة زحفت من مركز (ابقرم) فيها جند حكومى وقواد من راس الوادى القائد محمد بن ابراهيم التسموتى وامثاله ، فتلقوا هناك من رئيس الجيش ، وانتفع الالغيون بما كان من صبالة تلك الطائرة ، فلوحظوا ملاحظة خاصة ، فحين طلب الاخ احمد ان لاينضم المرابطون الى غيرهم من مجاطة اوسواهم ، اجيب الى ذلك فانضم المرابطون السعديون قبيلة على حدة ، بعدأن كانوا تحت اباط غيرهم، الذين يلاقون منهم قبل الاحتلال ما يلاقون .

وقام اثر ذلك هرج فى الغ اثاره فيها القائد مبارك الذى قيل له انت رئيس مجاطة كلها ، فتذكر قيادته أمام الحاحيين ، وتلك الاتاوات الباهظة، فحسب ان هذه احتلتلك ، فارسل اعوانه يجبون الاتاوات المستعجلة من المرابطين ، والحكومة لاتزال فى أسابيعها الاولى ، تنظم المراكز ، وتهيئها بين القبائل ، فقاوم الاخ دفاعا عن المرابطين المستضعفين اعوان القائد مبارك ، وهم مع ولده وبعض اصحابه ، فبعد حقبة صغيرة تنظمت المراكز ، ولم يتم ذو الحجة حتى دفعت القبائل السلاح ، وتعين النظام ، وقد كان ذلك الجيش الذى ذكرناه مر بالغ مغربا الى سوق الجمعة بسملالة ، فالتقى هناك بئاخر طلع من (كردوس) فنزل الجميع فى وادى سملالة ، ثم توجه غالبه او كله الى أيت صواب ورسموكة، فتم الاحتلال والقى بجرانه ، وانتهى كل شىء ، فاعلنت الحكومة الامان للارواح والنفوس ، فلم تواخذ أحدا بشىء مما اجترحه قبل ، ومن لم يجرم من جديد فلايخاف سوءا يحيق به ، وهذه حقيقة لابد من الاشادة بها . والحق يقال ولو فى العدو .

حكى لى الاخ احمد قال : كنت ارشح نفسى لرئاسة اخواننا المرابطين، وما كنت أحسب أنها تتخطانى ، وكنت حريصا عليها، الا ان الاقدار حالت بينى وبينها فقدمتها للاخ الذى ماكان يتعالى اليها ولاتهمه ، ولااتخذ لها سببا ، قال : فقد وقفنا أمام قائد الحملة الذى نزل فى (تافراوت) ثم تعين مراقبا فيها ، فسأل عن الاخ وقال له انك اكبر أهل بيتكم ، وأنك احق من يتحمل المسئولية ، فلا تهرب منها ، قال : ثم التفت الى وقال انك ستنوب عن اخيك وتساعده ، قال الاخ احمد هكذا اعطى الرئاسة من لم يتطلبها ، وحرم منها من يتطلبها ويحرص عليها .

عينت الحكومة الرؤساء للقبائل ، فتعين صاحب الترجمة كما ترى رئيسا لاخوانه المرابطين القليلين جدا ، حتى ان الرياسة عليهم لاتبنى مجدا ولاتعلى شرفا ، وكانوا فى أول الامر يحسبونه فظا صارما ، بحسب ماكان يسمعه من كانوا يناوئونه من بعض جيران الغ وغيرهم ، اذ الناس قبل الاحتلال من عزبز ، ومن غلب سلب ، فكان اذذاك ذائدا عن حماه ، لايطرق جواره احد ، فلابس عقول الجهلة من المرابطين اخوانه من حالته تلك مالابس، ولكن ماكادت تمر أيام ثم شهور ، بعد ان عينته الحكومة ، حتى بهت المرابطون وغيرهم ممن كانوا يجهلون نفسيته ، حين راوا من صبره ونزاهته وتؤدته وملاطفته وكتمانه ومن كل أخلاقه مابهرهم ، فوقفوا يتعجبون ، فلم يتشبوا ان كرروا الحمدلله الذى يسرهم له ويسره لهم ، فلم يدخل أحد منهم سجنا بسببه الخاص ، ولاافتضح احدمنهم قط فى عرضه ، فمن وقعت منه زلة اغمض اغماضها مااستطاع وحثه على اصلاح حاله، ومن رأى منه خروجا عن المحجة وعظه فيما بينه وبينه ، من غير أن يرسله الى المركز لينال مافيه من عقاب ، على خلاف شأن الرؤساء اذذاك ، فهذه أربع سنوات مرت (١) والالسنة لاتزداد الارطوبة بذكره ، وليس هذا من بنات قلم اخ يريد ان يشيد بذكر اخيه ، بل هذا من بنات الحقيقة التى املتها السنتها على قلم المؤرخ الذى يبتعد جهده عن التحيز :

اقلوا عليهم لا ابا لابيكم ... من اللوم اوسدوا المكان الذى سدوا
يعاتبنى ابناء سعد عليهم ... وما قلت الا بالذى علمت سعد

اخبرنى كثيرون من غير المرابطين أن المرابطين على اختلاف طبقاتهم قد اشتد عجبهم مما وقفوا عليه فى المترجم ، فيجيبهم من كانوا معه قبل الاحتلال : اننا كثيرا ما نقول لكم انكم لم تعرفوه فتكذبوننا ، فيقول لهم الآخرون : اننا اغتررنا بما نسمعه

(١) كتب هذا عام ١٣٥٧ هـ

من فلان وفلان ، من المتقولين عليه ، ثم يتفقون على الدعاء بلعنة الله على الكذابين الافاكين ، والله تعالى يابى الا ان ينصع الحق .

هذا ثناء المرابطين على صاحب الترجمة ، وليت شعرى مافى طوايا الحكومة نحوه ، أخبرني من اثق به ان رئيس مركز (تافراوت) الماضى المسيوبوريوس قد ذكره فقال : لم الق هنا في هذا المركز اثبت ولااعقل ولااثبت جاشا ولا اصلح للرئاسة من فلان ، يعنى صاحب الترجمة ، فان كل خطواته متزنة ، ولسانه لايحوم حول بهتان ، وما جربنا عليه فرية ، ولاتقرب الينا بتجسس عن غيره ، وقد أخبرني ءاخر عن هذا الرئيس ايضا بذلك ، حدث به في جلسة اخرى بمناسبة ، فربما كان هذا هو نظر الحكومة الى صاحب الترجمة ، لانه حاول جهده ان يجعل ظاهره كباطنه ، وكثيرا مايقول : يجب على الانسان ان لايخرج عن محجة الصدق ، فان الصدق اذا لم ينج به الانسان فلامطمع له في النجاة بغيره ، وهو لم يصدر منه قط أن تقدمت به شكوى صحيحة ممن هم الى نظره ولااخذت عليه زلة ، ولاحسب عليه دانق توصل به من احد من مرؤوسيه ، وكان ذلك عند الناس كلهم عجبا ، لان رؤساء ءاخرين في جواره ، وكانوا قد تعودوا ذلك من قبل ، امعنوا في هذه النقائص امعانا ، والحكومة لايخفى عليها شيء من مثل ذلك ، وقد اتاه مرة مرابطى بشيء ليقف معه في دعوى له ، فاسمعه مالم يسمعوا وصل الى مسامع كثيرين ، فتنكبوا مثل ذلك لئلا يقعوا في مثل ما وقع فيه ذلك الانسان ، وماسر ذلك كل ذلك الا القناعة التي تعودها ، زيادة على المكسب المروح ، والا مافي يده من مال لم يزل حريصا على تنميته ، فيستفيد منه ما يغنيه عن مثل هذه المصاصات التي لايتدلى اليها الا الجشعون الادنياء ، ومن استغنى يغنه الله ، ومن استعف يعفه الله ، كما في الحديث الشريف .

مداركه

رايت نبذة من حياة الاخ ، وابصرت الميدان الذى تركه فيه الوالد ، ولم يزل يتر جرج في اراجيح الاقدار حتى أصبح في ميدان ءاخر ، والانسان مصير لامخير وليس معنى هذا أنه طلق ميدان والده ، فانه لايزال معنيا باصحاب والده ، ولكنهم اليوم كادوا ينقرضون بالموت ، ومن كانوا لايزالون في الحياة ، تشتت غالبهم بتصاريف الاقدار ، وتتبع المعاش ، ولايزال بعضهم يتردد الى الزاوية خصوصا في المواسم ، وهو يقابل كل من يجيء بالوجه الذى يعرفه منذ عام ١٣٢٨ هـ ، وشاهدت أيضا ماذكرنا عن مآخذه ، فرأيت هناك ان المطالعة صارت من أحب الاشياء اليه ، وانه وحيد في ذلك لافي الغ فقط ، بل في جميع الاطلس الصغير ، ثم من باب المطالعة هذا نمت مداركه بتدرج ، وتزايدت شيئا فشيئا حتى اصبح مثقفا ثقافة عليا .

بعد ١٣٤٠ هـ ، اتصل بالكتب العصرية الشرقية ، فاقبل عليها كل اقبال،

فدرس بواسطتها حالة العالم اليوم وامس ، وادرك فيها علم الجغرافية الذى درسه وحده دراسة تامة ، حتى انى كثيرا مااختار الصمت امامه اذا كان يجول في احوال الامم اليوم ، لنقص دراستى عن دراسته في هذا الفن ، وكل من له المام بمنزلة العلوم وفوائدها ، يعلم حق العلم ان فائدة الجغرافية عظيمة جدا ، فاذا كان النحو يصلح لسان الانسان ، والمنطق يوجه عقله وجهة متزنة لاخبط فيها ، فان الجغرافية تصقل مرءاة العالم بها ، بعلومها المتنوعة المختلفة التى تتركب من التاريخ ، وعلم الاجتماع ، وعلم الاقتصاد وغيرها ، فتكون له بمنزلة مجهر يضعه على عينه ، فيرى قريبا ماكان يراه غيره بعيدا ، فاذا به اصبح قريبا عنده كأنه في متناول يده ، وخصوصا اذا الم الانسان مع ذلك بما وصلت اليه الحالة اليوم ، ممالايصلح ان يعبر عنه الا بقول أبي تمام :

على أنها الايام قد صرن كلها عجائب حتى ليس فيها عجائب

فهذا كله قد حصله الاخ تحصيلا تاما بدرسه وحده ، وزد على ذلك علم التاريخ القديم الاسلامى ، مع الالمام بغير الاسلامى الماما ما ، فقد التهم كتبا كثيرة في علم التاريخ الاجنبى ، كما طالع أيضا من تفسير الطانطاوى جوهرى ، وهو أول من ادخله الى تلك الجبال ، فاستوعب من الافكار التي ذكرها فيه ، وعرف تلك النظريات العليا ، التي يوالى الاستاذ سردها بمناسبة وبغير مناسبة ، وقد اختلط فيها الغرب بالشرق ، والعصر القديم بالعصر الحديث ، ونهاية افكار الجامدين المتوقفين ، ببداية افكار العصريين المتجرئين ، الذين لايزالون يخبون الى الآن ولما يمكن لقائل أن يقول ان هذه نهاية أفكارهم ، كل ذلك مر به الاخ ، وهضمته فكرته ، فكان له بكل ذلك ثقافة عالية ممتازة ، نتجت له استقلال فكر يابى به ان ينقاد الا لما يعرف ، ثم جاءت رزانته وتؤدته واكتنامه العجيب الغريب ، فجعل دون ذلك كله حجابا مستورا ، لايبدى منه صاحبه الا بمقدار جليسه ، ان كان يصلح للخوض معه في ذلك ، والا طوى ذلك طي السجل للكتاب ، هذا مع ذوق أدبى عال ، سمعت منه يوما انتقادات وقفتنى مشدوها من هذا الرجل الذى يجهل الناس قدره ، وبقى هنا لقى كسقط المتاع ، وشيخا من شيوخ القبائل لااكثر ولااقل .

كان الاستاذ سيدى الطاهر بن على يوما يسرد عليه قصيدا قبل ان ادخل ، فانتقد عليه فيه انتقادات لم استحضر منها الآن مايذكر ، ثم لما دخلت عليهما ناولاني القصيدة ، فصرت اتلوها وحدى واكتب في حاشيتها ماظهر لى من الانتقادات ، فاذا غالبها سبقنى بها الاخ من قبل ، وسمعته مرة يقول : ان الشعر الالغى الذى تسمونه شعرا ليس بشيء ، ولاروح فيه ، وهى عبارات تكررونها باوزان مختلفة ، وكلها امداح مزخرفة ، فيها من المبالغات ماتمد بها سمجة ، وزيادة على ذلك انما هى كلها تملقات يعلم القائل والمقول فيه انها رياء وسمعة وكذب وبهتان ، فان دل ذلك على شيء ، فانما يدل على ان من يمدح مثل هذا شعرا

عربيا لايعرف الشعر العربي ، ووجدني مرة اشتغل في كتابي (جوف الفرا) الذي جعلته ديوانا عاما للآثار التي اجدها للالغيين ومن اليهم ، مما يتبقى لي وراء ماسطره في التراجم ، وكان جل مافيه من نوع هذا النظم الذي يقول فيه مايقول ، فلم يصبر على ان قال لي – مع انه يراعيني ولايقف مني امثال هذه المواقف – بالله عليك ماذا تعمل الآن ؟ افي مثل هذه الالاعيب تقطع نفيس العمر وتؤذي بصر عينيك ، فقلت له ان هذا للتاريخ فقط ، ومعدة التاريخ كمعدة النعامة تهضم حتى الاحجار، فسكت لانه لايريد ان يمس شعوري ، وان كان لم يقتنع بما قلته له . ثم ماراى القارىء الاديب الذي لايتعصب للالغيين اوليس في اثناء هذا الكلام كثير من الحق الصراح ؟

وحين توفي اخي احمد رحمه الله ، جاءتنا مراث كثيرة – قدجمعتها كلها في الالغيات – فكان لايصبر على سماع تلك القصائد ، بل يرمي بها الي ، ثم تداولنا في المراثي ، فانشدته من دالية ابن عبدربه التي يرثي بها ولده ، ومطلعها :

(واكبدا قد تقطعت كبدي)

فقال لي بسرعة : هكذا تكون المراثي ، لاتلك التي عنيت انت بها، فما زدت على ان قلت له ، انني كمؤرخ اجمع كل ماوصلت اليه يدي – فان لم يكن ماتريد ، فلتردد ما تكون – ثم ان الزمان متكفل بغربلة مايقدم له ، فاما الزبد فيذهب جفاء ، واما ماينفع الناس فيمكث في الارض ، ولكن الجواب الحقيقي الذي عندي الذي لم اذكره ، وهو ان مقصودي من كل هذا انني أخاف ان ينقطع العلم العربي في (الغ) ان لم يعجل الله بتبديل الحالة ، وقدطلعت علينا في هذا الجيل امارات ذلك الانقطاع، فاردت ان يبقى في التاريخ مايدل على انه كان مرهنا بعصر كانت فيه العربية مزدهرة بعلومها وادبها ، ولاازعم ان هذه القصائد كلها جيدة ، كما لااحسب انها كلها رديئة ، لاتجد بين ادباء اليوم او الغد من يمد لها يد القبول ، ولكني اجمع مايكون مجموعه مفخرة الغ العالمة الادبية التي شاركت بقدر مااستطاع في المحافظة على الادب والعلم العربي الى اواسط هذا القرن ، ثم لايضيرها ان لايكون علماؤها كفريد وجدي والطنطاوي جوهري ومحمد عبده والالوسي والشيخ شعيب الدكالي ، كما لايضيرها ان لايكون ادباءها وشعراؤها كشوقي وحافظ والزهاوي والرصافي والمنفلوطي وزكي كبارك والعقاد والمازني والشابي ، فانه لايمكن عند حصيف عاقل ان يوازن بين علمائنا واولئك العلماء ، ولابين ادبائنا واولئك الادباء ، لان البيئتين مختلفتان مفترقتان ، لكن من وازن علماء الغ وادباءها بمن كانوا في مثل بيئتهم في المغرب ، قبل ان يلم هذا العصر ، وقبل ان يطلع على الناس باعاجيبه ومخترعاته وافكاره ، فانه يجد في كفة الالغيين رجحانا ليس بقليل ، ثم ان تامل العقبات التي يقطعها الشلحي الذي لم يلك الكلمة العربية الاولى ولايفهم معناها الا بعد ان يبلغ الحلم، ثم لايزال مكبا صبورا على التفهم حتى يتشرب معاني العربية وءادابها ، حتى

يستطيع ان يشارك في حلبتها ، ان كل من تامل ذلك يقدر قدر الالغيين ويعذرهم ان نقصوا في غير لغتهم الاصلية ، ثم يشكر النبغاء منهم ان تفوقوا فيها ، ويجب على التاريخ ان يسطر كل هذا للغد كيفما كان ، وهذه المهمة هي التي جعلتها امامي ، وكنت احب ان اقوم بمثل هذا لكل المغاربة حاضرهم وباديهم، ولكن الدهر لم يساعد ، فاقتصرت على هذه القرية وما اليها فجعلتها كنموذج لمدارس سوس التي قامت بما قامت به منذ عصور ، وفقنا الله لاتمام المرام، وجعله خالصا لوجهه الكريم ، انه سميع مجيب .

ذلك هو الاخ المؤرخ الجغرافي المفكر العصري الذي قطع اليوم في مرحلة حياته ثلاثة واربعين ربيعا ، وهو لايزال في عنفوان همته وقوة شبابه، متطلعا الى زيادة المعارف ، نافض اليد من الدعوى ، فلا يقول الا مايعرف ، ويسال العارفين عما لايعرف من غير استنكاف ، وكثيرا مايسال من هو اصغر منه سنا ، فينتهي الى قوله فيما لايعرفه ، وهو كله تطلع الى استدراك ما فاته في صغره من العلوم، وقد أكب اليوم على كتب فرنسية عربية لتعلم الفرنسية ولايبعد ان ينجح فيها كما نجح في كل ماتقدم ، وكان كثيرا مايشتكي من النسيان وارى انه لولا هذه العلة لكان نادرة سوس ، يطل من مقام فوق هذا الذي هو فيه .

انني اليوم غريب في الغ لااجد من اتفاهم معه سوى صاحب الترجمة ، فتطيب لنا المذاكرة ان تيسر الاجتماع منفردين، فنطرق كل الابواب بكل حرية وكثيرا مااحضر في محاورات بين شيخنا سيدي عبدالله بن محمد وبين صاحب الترجمة ، فكنت اسكت واتعجب ، فكان صاحب الترجمة يحاور بفكره وبعلمه الذي يستمده من الكتب الحديثة والتاريخية ، ومن أحوال هذا العصر الذي يعرفه أتم معرفة ، واستاذنا يحاوره باقوال الفقهاء من أهل القرون الوسطى، وبماشاهده في بعض التواريخ القديمة ، فيكونان بين مشرق ومغرب ، وقد كانا ذات يوم يتكلمان حول مصر ، فيحتج استاذنا بماكان طالعه في مثل (مروج الذهب) عنها، على حين ان الاخ يدلي بماعليه مصر اليوم ، فكان بينهما في الفكر مثل ما بين القاهرة اليوم ، وبين الفسطاط التي كان يسكنها الطولونيون والاخشيديون في عصر (المسعودي) بين ءاخر القرن الثالث واول الرابع وفي ذهني ان المروج ألفها صاحبها عام ١٣٣٢ هـ ء كنت ارى امثال هذه المحاورات فاقول أين أنت ياصاحب (حديث عيسى بن هشام) لتؤلف لنا كتابا ءاخر ، بل اين انت ايها الشيخ رشيد رضى لتزيد حلقة أخرى لكتابك (محاورات المصلح والمقلد)

هذه نظرة حول مدارك الاخ تفهم منها مكانته ، وتعرف بها انه أول الالغيين تثقيفا عصريا ولكنه يسدل على ذلك ذيلا طويلا من الرزانة والصمت الطويل العريض مالم يصادف من يعرف عنه مايقول .

أخال القارئ يدرك فيما تقدم كثيرا من اخلاق صاحب الترجمة ، فان القارئ الحاذق يدرك نفسية الانسان وشمائله من قراءة سيرته، كان الاخ قد عرف من صغره بماذكرناه عنه من الصبر والتؤدة والتكتم الشديد ، فما زالت هـذه الاخلاق تنمو فيه وتنمو معها الرزانة ، وتمتص من الحوادث المختلفة التى تمر به، ومن المعارف التى تتصل به ، ومن عصارة التجارب ، حتى أصبح اليوم فى الغ مؤهلا لهذا المقام الذى يشغله ، وكأنما خلق له ، فظهرت بذلك تـوسمات الشيخ الوالد الذى استخلفه على أهله ، فشبوا كلهم بين يديه ، وتربوا جميعا حتى استغنى شارب كل واحد منهم عن المسح ، وكان عليهم منذ ذلك النهار الى اليوم كظلة واقية تحجب لافح الهجير ، وتاذن للنسيم ، وتحنو على من تظلهم حنو المرضعات على الفطيم ، فتحت هذه الظلة شببنا جميعا ، وتحت يدصاحبها ترعرعت منا الغصون ، فكان ربما يلقى من جفوتنا مايلقى ، ولكنـه بصبره لايعدو ان يغضى ، ثم يسير فى اداء الواجب عليه ، وهو مع ذلك صلب الارادة اذا عزم على شئ لايرتد عنه ، كأنما تكلم على لسانه رشيد مصوبع شاعر لبنان فيما انشدنيه بنفسه :

اذا شئت أمرا لم أكن مترددا ... وأقبح مافى المرء ان يترددا
الا شئت أمرا كان بحرا ركوبـه ... جعلت العدا جسرا فسرت على العدا

ومما فيه انه اذا أهوى الى شئ ورأى فيه مصلحة ، فانه لايعير لاقوال الناس اهتمامه ، وقد كنت اتعجب منه دائما فى هذا الخلق ، لاننى خلقت على عكسه فيه ، وكثيرا ماازن افعالى بما سيقال حولها ، وكنت أذوب اذا سمعت انتقادا مرا ، امرف فيمابينى وبين نفسى انه انتقاد حق ، وكان هذا الخلق الذى فى صاحب الترجمة هو الذى سجله بشار بن برد فى قوله :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته ... وفاز بالطيبـات الفاتك اللهـج

وسلم الخاسر فى بيته المشهور :

من راقب الناس مات غما ... وفـاز باللـذة الجسور

ومن أخلاقه كما ذكرناه الكتمان ، فهو والصبر من ابرز اخلاقـه ، فقلما يرشح بقطرة مما فى صدره ، ولوكانت اساءة له بلغت حزتها العظم ، ولكنه مع ذلك لاينساها ، فيحتاط كل الاحتياط لئلا يرى منه مرتكبها مايمكن لهأن يسئ اليه منه ، وكان عجيبا فى ذلك ، وقدكان شيخنا سيدى سعيد يذكرعنه دائما هذين الخلقين ، ويقول انه انفرد بهما من بين أخوته ، كان رحمه اللـه يذكر لنا عنه ذلك فى معرض معاتبتنا ونحن صبية على عدم معرفتنا لمكانته التى هوفيها منا، وقدكان له ذات يوم فى ذلك درس شديد معى .

ومن اخلاقه عدم الجمود على المألوف ، والميل الى اتباع الاحسن من كل شئ، ولذلك ماكادت الحكومة تحتل هذه البلاد ، وتفتح الطرق ، حتى طلب الرخصة فالتحق بالدار البيضاء حيث دخل معملا ليمرن فيه على سوق السيارة فى شهور، ولم يبال بما وجه اليه من الانتقاد من بعض الناس، لان أهل بلادنا يستنكرون اذذاك مالم يألفوه ، حتى ولوكان مثل هذه السياقة ، ثم رجع وقد فاز بمعرفـة ذلك، فاشترى سيارة يمرفيها على اولئك الناقدين ، فأصبحوا يتمنون لـو اقتدوا به ، وهو أول من اكتسب سيارة فى (تافراوت) سنة ١٣٥٣هـ ، وقدظل مقبلا على ما تظهر له فيه المصلحة ، ملقيا دبر اذنه كل ماعسى ان يقوله الناس، وفى تسميته لاولاده باسماء فيصل وفاروق دليل على حبه للجديد ، ثم سرعان ماانقلب جميع أهل تلك الناحية الى التجديد فى كل شئ ، سواء فـى سوق سياراتهم بأنفسهم اوفى غير ذلك ، ومن الذى يجهل الآن أهل تافراوت بين السوسيين وقدقال لى يوما اننى لاحتقر نفسى الااذاكنت بين امثال هـؤلاء الرؤساء الذين تحشرنى معهم هذه الوظيفة .

ومن اخلاقه أيضا الانفة الزائدة ، ولكنها مع ذلك متشحة بالتواضع الظاهر، فكنت أراه يجالس بعض الجهلة من رؤساء هذه القبائل ، فيطرق هو الى الارض فيبدئون ويعيدون فى احاديثهم التافهة ، وهو يلحظهم من عليائه ، فيتخذهم كما يتخذ الانسان اشباح السينما الناطقة ، اذ يلحظها وهو على كرسيه مستندا صامتا ، يتخذ كل مايراه من حركاتها ملهى جديدا يمضى به الوقت ، اوعبرة يعتبر بها فى أطوار الناس ، وأنا أعتقد كل الاعتقاد أنه لولا الضرورة لما تركته نفسه يجالس اولئك الجهلة ، ولكن للضرورة أحكام .

ومن أخلاقه البارزة أيضا الصمت فى المجلس ، خصوصا اذا اختلط الناس، فلايمكن ان تجد منه كلمة واحدة ، الااذا اقتضى الحال شيئا فيأتى كلامه بمقدار وكثيرا مايكون هو صدر المجلس ، فيستحى منه فيمضى المجلس كله صمتا الى منتهاه ، وقد كان الاخ احمد رحمه الله على ضد هذا الخلق، فكان فى امثال هذه المجالس ربما يتسار مع من فى جواره او يقوم ، وكذلك أنا لااقدر على مثل هذا الخلق ، وتكون أمثال هذه المجالس عندى أطول من ليالى الشتاء ، بعد ماألف مجالس المذاكرات العلمية الحافلة ، وليس هذا الخلق من الاخ ابن السيوم بل هومنه منذ قديم ، كما أنه ليس عن تكبر ولاعن تعال على الناس ، لانه خال من الكبر ولايطرق حماه ، وما هناك الا الانفة المحمودة من الاحرار ، وانما هذا الصمت جبل طبع عليه ، ويستمده من رزانته الثابتة كثبات الاطواد .

ومن اخلاقه عدم التكلم فى الناس ، فانه فى ذلك اية الآيات، كما انه لاينبس بمافى صدره ، فيشهد بذلك كل من يلازمه ، وبهذا يملك زمام اموره ، ومـن أعرض عن التقول فى الناس ، حفظ من الوسواس .

هذه نبذة من خلق أخينا ، فصلنا بعضها ليعلم التاريخ انه من الرجال الذين لهم ميزات ، فاذا نالوا أمس أواليوم أوالغد مقامات عليا ، فانهم ممن يزينون المقامات والمراتب بأخلاقهم ، لاممن يتزينون بالمراتب والمقامات •

نبذ من ءاثار منه وإليه في طوره الاول

مضى فى كلمة متقدمة انه كان يقرض الشعر ، ثم اقلع عن ذلك ، وان له ترسلا حسنا غبطه عليه شيخنا سيدى سعيد ، فأما ءاثاره من الترسل فهى كثيرة ، ولكنها عادية لم أر عندى منها مايستحق التخليد ، لان مافى متناول يدى انما يتناول موضوعات لاتظهر فيها البراعة ، ولايسر القارىء بقراءتها ، وكتابته اليوم مكتسية بالحلة العصرية فى عباراتها وايجازها ، حتى عادت كأنها رسائل تلغرافية ، وأرى أنه لو طرق موضوعا لاجاد فيه (١) ، وأما ءاثاره الادبية فلم اجد عندى مما كان يتعاطاه فى صغره الاقطعتين خاطب باحداهما شيخنا معاً سيدى سعيدا ، وأجاب بالثانية الاديب سيدى محمد بن على بن عبدالله عن قصيدة هناه بها حين أعرس اعراسه الاول ، وقد وقعت على هذين الاثرين وهما ممزقان ، فأما الذى خاطب بها سيدى سعيدا ، فهى هذه ، وكأنه طلبها منه ليتمرن بذلك ، وفيها وصف وردة فى وسط كاس :

الفى ان ارد مقاما لشعر   لست ءاتى بغير مشبه نثر
الفى قائل كما كنت تبغى   ما تريد وان أكن لست أدرى
سيدى ياسعيد يا خير مرء   ضم منه العلوم فى وسط صدر
كيف قول فى وردة وسط كاس   ظهرت مثل جوهر وسط نحر
عطرتنا بعطرها فكأن الـ   ـخلق منكم قد فاح فينا بعطر
وسلام عليكم سيدى ما   دام ماء وسط الجداول يجرى

فهكذا وجدت هذه القطعة فى بطاقة ممزقة ، وفيها اصلاحات فى كلمات، واظن الاصلاحات بخط شيخنا سيدى عبدالله بن محمد ، لان الخط يشبه خطه ، على ان البطاقة لا تكاد تقرأ ، فما أضيع أمثال هذه •

ووجدت أيضا هذه القطعة للاديب محمد بن على يهنئه ، وقد سقط أول القطعة ولم اجد منها الا الابيات الآتية :

هنيئا مريئا أيها الخال بالذى   منحته من ذات المجادة والمجد
فلله يوم نلت فيه الذى تشا   على رغم كل الحاسدين ذوى الحقد
فما شئت من حظ فخيم ومنة   واقبال عز والزيادة فى الايد (٢)

---

١) فى اثناء الرحلة الاولى من (خلال جزولة) بقلمه وصف لاعراس (تارودانت) كما ان فى رحلته الحجازية التى كتبها أخيرا اوصاف كثيرة لكل مايصادفه •
٢) الايد : القوة •

لقد كان هذا اليوم يوما محجلا   أغر كلمع الدر فى لبة الخود
ولاغرو انت السيد الماجد الرضا الـ   ـلذى حاز ارثا من اصول ذوى رشد
كانى بالعرس الذى اخبر المبشـ   ـرون به كالحور فى جنة الخلد
اوان وفرش والنشيد كانما   سرت نسمات الصبح فى روضة الورد
ادام اله العرش جمعكما على   بساط التهانى والمسرة والسعد
وصان من الاغيار ساحتك التى   اليها التجاء طالبى الخير والرفد
على قدرك المرفوع صوب تحية   زرت باريج المسك والعود والند

واعذرنى ياسيدى من هذه النفثة ، فما للنجوم الثواقب من احصاء ، وقد دعوت لكما بالرفاء والبنين ، ولكن عليك ماعليك اذ لم تعلمنى والسلام •
حفيدكم محمد بن على لطف الله به

ووجدت فوقها بخط المهنا صاحب الترجم :

جزيت كفاك الله غائلة الدهر   على شعرك المنظوم كالدر فى النحر
فصاحة قس حزتها سيدى فلم   ينلك سواك فى الرسائل والشعر

هذا ماوجدته ، ولم أدر الهذين البيتين اخوات ام لا ، لان ماتحتها ممزق فى المحل الذى مزق فيه أول القطعة الدالية لابن على •

وكتب اليه أيضا ابن على ماياتى :

سيدنا الذى ابدى من الهدى سرجه ، وقوم من الدين عوجه ، ذو المزايا الجليلة ، والمكارم الجميلة ، خالنا سيدى محمد ابن الشيخ المقدس كرم الله، ادام الله عزكم وأبد حرمتكم ، وسلام الله ورحمته وبركته عليكم ، اما بعد فهذه ابيات تقف ماثلة مهنئة بالعيد المبارك ، ومتطلبة حاجة من يقف عليها لابوم الادارك •

الى شففت بنفح الطيب ياسندى   خالى محمد مكنه بكف يدى
ونفح خلقك قد عمت روائحه   هذا البسيط فاذكى سائر البلد
فاليوم عيد مبارك نسر به   والكتب خير انيس فيه للخلد
فانعم وطب وابتهج وافرح فمجدك فى   زيد وفضلك كل الدهر فى صعد

هذا كل ماوجدته مما يتعلق بصاحب الترجمة فى ذلك الطور، وقد كتب عليه ان يحسب فيمن يقول مثل هذا الشعر الالفى كماسماه ، وان كان لفقى بعد منه بعد ، واخال أنه لوكتب له أن يتوجه الى الادب لكان فيه ايضا ناجحا، وأمارات النجاح تظهر من هذين الاثرين ، ورحمة الله على سيدى سعيد ، فانه لاشك كان يحفز همته لذلك حينئذ ، كما كان يحفز همتى ، انا ايضا لذلك ، وقد المممت بذلك فى ترجمته فى هذا الكتاب

وهاك الآن رسالة لسيدى محمد بن مسعود الى المترجم ، غير الرسالة المشار

اليها فيماتقدم ، ومنها يعلم لب ماهنالك ، نصها :

«سيدناالاعز الاصيل الماجد اللوذعى الالمعى الاغر الجليل ، مولانا الشيخ ابو عبدالله سيدى محمد ابن الشيخ الاكبر العارف الاشهر ، مولانا ابـــى الحسن سيدى الحاج على بن أحمد الالغى رضى الله عنهما وعنابهما ، وسلام على السيادة العلية بالله ورحمته تعالى وبركته ، هذا ولازائد بحمد الله الاالخير وكتابكم الاعز ورد وفيه أبيات ، ذكر سيدنا أنها من انشائه وانشاء الاخ سيدى احمد البوالوقتى علىطريق الاجازة المعروفة بين الادباء ، وهى انيقول واحد بيتا او شطرا ، ويزيد الاخر عليه مثل ذلك ، فليعلم سيدنا أن أمرها متقارب من جهة الصنعة فيما يظهر ، وهاأناذا أنبه على بعض ماظهر لى فيها زيادة فى المذاكرة ، فقول القائل فيها «وياورد الورود وياخليدا» هذه اللفظة اعنى خليدا، لم افهم معناها ، فان كانت صيغة مبالغة من الخلود فهو صحيح فى اللغة، الا انهغير معروف فى الاستعمال ، وقد تقرر أن الالفاظ الغير المتداولة عند الادباء يعاب استعمالها ، وان صح نقلها فى اللغة ، وقد أشار له اليوسى فىالمحاضرات فى حكاية وقعت له مع بعض شيوخه ، وأظنه المرابط الدلائى صاحب تصريف المكودى ، وأشار فى (نفح الطيب) الى نحو ذلك فى ترجمة ابن زمرك ، وكذلك قول القائل «وياخير الورود وياوعيدا» لاادرى ماالمراد بلفظة الوعيد ، ومعناها المعروف غير مناسب هنا ، وكذلك قوله «وياجل الشموس وياقصيدا» لـفـظ القصيد ان كان معناه المقصود فيرد عليه – انلميثبت فى اللغة – ان فعيـلا بمعنى مفعول مقصور على السماع كما قال ابن مالك : «وناب نقلا عنه ذوفعيل» وكذلك قوله «ياتاج الاباد وياسديدا» لايتزن الا بحذف مد الهمز فى الآباد جمع ابد ، ولاالحقق الان هل تجوز الضرورة مثل هذا على الخصوص املا ، فليحرر من معناه ، وقوله «وياحصن المعالى الخ» وجدته بخطكم المبارك بياء بعد اللام ، ولايتزن الا بحذف الياء ، وقوله «ياملح المجالس» انكان بضم الميم وفتـــح اللام جمع ملحة ، صح منجهة اللغة على ثقل فى الذوق ، وان كان المرادبه المليح ، وحذفت الياء ضرورة او غفلة ، ففيه نحو مامر ، وكذا قوله «وياطيب الخصال» ان كان مخففا كميت فى ميت صح الوزن ، ولاأدرى هلهــو مقيس املا ، فليحرر ، وقوله «وياعقد المحاسن ذات در» وصف العقد فيه وهو مذكر بذات وهو مؤنث ، ان كان على تاويل العقد بالقلادة صح وفيه ثقـل ظاهر، وقوله «وذاك الدر من نوع فريدا» صحيح بتكلف ينبو عنه ذوق البلاغة جدا، وقوله «يكون نظامنا» فيه الزحاف المسمى بالكف ، وهو هناثقيل فى الذوق كما ترى، وقد وقع فى الابيات المذكورة معهذا اشطار مليحة ، والذى أحرضعليه سيدنا الاهتمام بتحصيل المواد أولا ، قبل الاشتغال بنحو هذا ، والمواد اذا تكيفت النفس بمزاولتها ، انفتحت منها عن باطنه ، فيسهل بها النظموالنثر على متعاطيه بلا كلفة ، والمواد هى علوم الادب الاثنىعشر ، وقد بلغنى انسيدنا

جر به الحال الى الاشتغال عن مذاكرة العلم بمخالطة ابناء الدنيا ، وقد كنت خطر لى لما بلغنى ذلك ان أبعث اليه بالتاليف المسمى بكتاب (المزايا فيمـا احدث منالبدع بام الزوايا) وهو للحافظ العلامة الشهير ، سيدى محمد بـن عبد السلام الناصرى ، ذكر فيه احوال زاوية الشيخ ابن ناصر بعد وفاةالاعلام من العلماء الذين كانوا بها ، وءال أمرها الى انتولاه بعض المقدمين ممنلاعلم عنده ، والذى نحب لسيدنا ان يرجع همته الى اكتساب العلم والتقوى ، ويشد عضده باهل الدينمن الفقراء ، ويعتزل عمن لايصلح ، ويعزل عن أموره مـــن تهم بالسوء ، ولايخف منذلك تعطيل امر الزاوية ، فانها انشاء الله قائمـة بالله ، كماقال بعض السادة : واظنه بعض الملوك لمن طلب منه من الفقراء ان يعطيه ساقية يقيم بها زاوية ، فقال له وللحاضرين ، أتعرفون زاوية سيدى محمد بن يعقوب بـ (فمتانلت) وهل فيها ساقية ؟ فقالوا لاليس بها ساقية، فقال للسائل اذهب ، فان الزاوية بالله لابالساقية ، والساقية هى العين التى تسقى الحرث وما فى معناه ، والمراد بها مطلق الدنيا ، وكل ماشغل عنالله فهو ساقية وهو دنيا ، والشاغلعن الله هو مايصد عن ذكره ، واما مالامندوحة عنه فهو شريعة ، اى امر مشروع يتقرب به الى الله ، لاحرج فيه انلميله بالاشتغال عن ذكر الله ، وبلغنى أيضا ان سيدنا كان يخالط بعض الجيران ، ممن لايناسبه ولا ادرى منهم، فليعرف سيدنا أيد الله قدره ، وليعرفالمرتبة التى اهله اللهفيها ، والاسم الذى سماه اياه ، فانه تنبيه من الله ليلزم حـد الشيخ والده رضى الله عنه ، والعلم والتقوى والاعتزال عن قرناءالغفلة ، ان قام سيدنا بهذه الثلاثة رجى منفضل الله ان تكون زاوية والده زاويـــة فقر وتصوف وعلم ودين ، وكل خير بحيث يقام فيها أمر التصوف على حاله ، وامر العلم علم الظاهر على حاله ، وأما مخالطة ابناء الدنيا فهى سم قاتل الا بقـدر الحاجة ، ثملاباس باطعام أهل الحقوق منهم ، كالاصهار ومن فــى معناهم ، والترحيب بهم ، وايناسهم بالبشر وطلاقة الوجه ، والعزلة عنهم الا حالة الدعاء لهم عقب الاكل ، وان دعت الضرورة الى يسير مجالسة وقتالاتيان ، فلاباس اظهارا للمؤانسة اليسيرة ، وأما مصادقتهم والركون اليهم بالقلـب فضرر والسلام»

ثم ذيل الرسالة بنبذة أخرى فى الارشاد فى موضوع «اخر ، سيجده القارىء ان شاء الله فى محله ، وقد جاء اثناء هذه النبذة ما نصه : «وقد طال الكلام ولكنفى بسطه شفاء للنفس كما قيل» :

ما ناصحتك خبايا الود مــن رجــل مالم ينلك بمكروه مــن العـذل

وليعذرنا الشيخ ، وليدع معنا ، فاننا والله نحب له كل خير والسلام» .

وقد كنت قديما خاطبت هذا الاخ بابيات ، وقد ورد علينا بمراكش عـام ١٣٢٩هـ اعتذر فيها عن مشاغبة وقعت بينى وبينه قبل ذلك ، لصغر سنى ،

وعدم ادراكي مكانته اذاك ، ولا ادرى هل اريته اياها اولا ، وقد وجدتهااليوم بين الاوراق :

مسامحة انى الى الله تائب   الى السيرفيالنهج الذى شئتءائب
فقد كان ماقد كان منى لغضبة   أثيرت على رغمي وقلبي ذائـب
فانـت أبونا من يكون لذنبنا   غفورا فلا تقضى علينا المعاتب

ومنها :

اعاهد ربـى بعد ان لاترى سوى   شمائل منى ليس فيها معايب
فسامح وأغمضمنك طرفكعنقذى   تراه ، والا كنت دوما تعاتب

هذا هو أخونا الاكبر الذى تركنا والدنا صغارا فى حجره ، فشذب وهذب، وربى بقدر جهده، وبحسب استطاعته ، وردنا كلنا الى المعارف ، فنجح من نجح وسقط من سقط ، حتى ملكنا انفسنا جميعا ، فقال هاانتم اولاء وحياتكم ، فليفعل كل واحد بنفسه ماطاب له بعدماشببتم ، جزاهالله خيرا أمس ، وجزاه اليوم فانى بعد ان ابتعدت عن الغ عشرين سنة ، ساقتنى الاقدار اليه بعدها، فدخلته مغموما محزونا، مثلوم الفؤاد ، فكان هذا الاخيمسح عن صدرى بلطفه وبداتبده ، وباخلاقه الدمثة ، فيفرش لى بيده، ويقدمنى فى كل مقام امامه للصلاة وغيرها ، كل ذلك ليميط عنى اثر هذه الصدمة التى تلقيتها من يد الدهر الذى لايرثى ولايشفق ، فهذه ثلاثة عشر شهرا ، وهو يعاملنى بهـذه الالطفة ، ولعل الله يفرج عنا قريبا بفضله ورحمته

عسى الكرب الذى امسيت فيه   يكون وراءه فرج قريـب

وله اليوم ١٣٥٧هـ من الاولاد اثنان لاغير ، على المولود عام ١٣٣٦هـ ، وقد ذكرناه ، وامه هيرقية المتوفاة ، وقد تزوج أيضا اختالها ، فـولـدت له اولادا كلهم ذهبوا افراطا ، وفى عام ١٣٥٣هـ ، اقترن بابنـة الفقيه سيدى الحسن العفيانى التيزنيتى ، على يد القاضى سيدى محمد اوعامو ، فولدت له عـبـد اللطيف الملقب فيصل ، فى جمادى الاولى عام ١٣٥٤هـ ، وهاهو اليوم شاب نشط كما يجرى ، أنبته الله نباتا حسنا ، واقربه أعين والديه ، ثـم فـى ١٦-٣-١٣٥٧هـ ، رزق من هذه السيدة ولدا ءاخر سماه عبدالوافى فاروق، فكتبت اليه فى اليوم الثانى :

بشرى بتلك الزهرة الارجـة   فاى نفس لم تكن بهجـة
تألقت من ثغرها بسمـة   عنها ثنايا السعد منفرجـة
ومن يكن روضا أريضا فـلا   يشذى بغير النفحة الارجة
دم للعلا تنجب ابناءهـا   يارب نفس بالعلا لهجـة

ثم لما سماه يوم العقيقة قلت مخاطبا لصنوه فيصل وهو صبى لايعقل الخطاب!

اسالك يا فيصل فاروق   كلا كما للمجد مرسوق
فال سعيد لكما حسن   تصور يتلوه تصديق
تصفوان المجد مما بـه   كما يصفى الراح راووق

وقد ابت الكلمات المنطقية الا ان تستول على الشطر الثانى من ثانى الابيات من غير ان نرى وراءها معنى حسنا مقبولا لطيفا ، ومابعد كلمات العلماء الجافة عن لطف الادب وذويه .

وقال الاستاذ سيدى بلقاسم بن محمد السليمانى يهنئه بالولد فـى ١٦-٢-١٣٥٧هـ

انعم صباحا اطيب الازمان   فاليوم يوم مسرة وتهانـى
لله انت وما حباكا السعد فيـ   ـك من الهناء بنيل كل امانى
فكانما روض تفتق زهره   ترتاح فى جنباته الصبيان
كل النفوس تميس فى حلل الحبو   ر تمايل الاطيار فى الاغصان
صفت القلوب كانها ما مسها   من قبل هذا اليوم من ادران
ما ان ترى الا الوجوه تهللت   من كل من تلقاه من انسان
فكانما الجنات فتح بابها   والناس بين الحور والولدان
كل يهنى جالسيه بما بدا   من طلعة الولد الرضي النورانـى
نجل المجيد ابى المعالى من لـه   فى كل مكرمة تكون يدان
ان كان هذا اصله سيكون عـن   قرب كـذلـك سيد الاقران
فاسعد باخير من نال العـلا   من غير ماسيف وغير سنان
... بالابن الجديد ودمت فـى   أفق السيادة دائم الطيران
الله يكلاه ويمنحه هدى   ومجادة قد حازها الابوان
ونعم الاباء بالابنـاء فـى   ظل الامان وانعم الازمان
... من منهم سعد الاوا   ن بمجدهم ، بل فاق كل اوان
فعليكم ازكى التحايا مثل مـا   طابت شمائلكم لدى الاخوان

ولم يطل الزمان بالولد عبد الوافى ان رزئت به الاسرة ، فبكته كل عيونها

ثم ولدت له ايضا من السيدة عائشة الايغشانية بنت فى اواخر جمادى الثانية عام ١٣٥٧هـ ، فسمتها اختنا الكبرى عائشة (ربيعة) وقد صادفت ولادتها امامها حين وردت من مقرها من (اداواتنان) لزيارة الغ ، وقد قلت فى هذه البنية اهنىء والدها ، ثم ذهلت عن ارسال ذلك اليه فى وقته ، قلت ذلك ارتجالا :

فى كل يوم كوكب نير   افقكم بنوره مزهر
كانما الربيع قد حل فى   روض فريا زهره تنشر

تتابع الروض بأزهاره	فكل كم منه مستبشر
ربيعة الزهراء قد ارجت	زهرتها فجوها يعطر
لعلها تنال في عصرها	في العلم ما بمجده تذكر
فالعلم أيضا زينة الخود لا	غلالة تشف والمئزر
جعلها الله لنا قرة الـ	ـعين ان غابت واذ تحضر
وعنبرا يشذى بأسرتنا	فوق الذي يشذى به العنبر
لاخير في دار اذا لم تشد	فيها الخلال غادة معصر
فالبنت أس المجد في كل ما	دار مجيد مجدها يبهر

ثم لحقت بربها يوم الاربعاء ٢-١١-١٣٥٧هـ

أخبار عنه أخرى بعد ذلك

صاحبت المترجم وانا في الغ منفردا فقيرا وقيرا ، فكان لى خير مؤنس ومعين، وما اكثر من لايشيدون بشكر من يحسنون اليهم مثل هذا الاحسان الذي أسداه الى المترجم ، فهاأنذا اراجع هذه الترجمة بعد نحو عشرين سنة ، وانا الآن من (وزراء التاج) ومن خلصاء ملك القلوب ، قبل ان يكون ملك البلاد محمد الخامس امده الله بالعون والتوفيق ، وقد من الله واضفى ، بعدما كتبت كل ماتقدم ، بالفرج الذي جر وراءه ماجر من شهرة طنانة ، ومن سمعة يراها النافسون كالثوب الفضفاض على تنبال (١) - وأنا معهم في هذا الرأى - ومن مالة لم تزل تترايد حتى وصلت بالعبد الضعيف ما وصلت بفضل الله لاغير، بالاكله قد كان كماكان ماقبله ، وسيزول أيضا يوماما كمازال ماقبله ولايدوم الاالله وحده ، نطلب الله ان يختار لنا دائما مافيه كل خير ، هذا وقد مر مامر فقد كان كالطود الشامخ امام كل ما أراه يحوم حوله في كل هذه السنين ، فان يعجب القارىء ، فليعجب من أكذوبة صريحة لااساس لها ، كانت تروج اثر مانفيت الى الغ ، فيقال ان فلانا مانفى الابطلب من أخيه الذي ينفس عليه مكانته بين الناس، فيا للناس لأكذوبة لاتجد ازاءها مايدعمها ، فأولا ، اية مكانة كنت فيها قبل النفي حتى ينفسها على أمثاله اذذاك ، وهو من هو رئاسة ونفوذ كلمة، وسعة ذات يد ، وأنا انما كنت استاذ الاجرومية لاغير ، فقيرا وقيرا ، لاأرجع الى مدخر ، ولااتوسع في عيش ، ثانيا ، ماكان منه نحوى اثر النفي وهو يملك منى مايملك رسميا ، والحكومة دفعتنى اليه يدا بيد ، فهل فرط منه نحوى ادنى شيء يدل على تصديق هذه الاكذوبة ؟ لا والله، بل مارايت منه الا كل

(١) التنبال بكسر التاء قصير القامة

اجلال واحترام وتوقير، كأننى انا الكبير وهو الصغير ، بل كنت لجى اسراره التي كان يحملها ضد الحكومة اذذاك ، فكان يفضى الى بكل مايراه يصدر منها مما لايوافق ، وطالما ظللنا او بتنا او وصلنا الليل بالنهار في تتبع مايفعله بعض المراقبين في (تافراوت) وزد على هذا كله ان بعض من كانوا يحومون حولنا بالتجسس كان ينقل الى المراقبة ان فلانا وفلانا لايكادان يفترقان ، فكان ذلك هو الخيط الاول الذي نسج منه مابين المترجم وبين مراقبة (تافراوت) وقد صدقت مايبلغه اليها بعض الالغيين - سامحهم الله - من أن محمدا الدرقاوى قد تشرب مبادىء الوطنية من اخيه المختار ، فهو مثله كراهية للاجنبي ، فيجب ان يخاف منه ايضا كمايخيف من اخيه ، فلم يزل ذلك ينمو في المراقبة حتى كان هو السبب لزحزحته عن الصدارة التي كان يحتلها من بين رؤساء قبائل (تافراوت) ثم أدى ذلك الى ان نفي هو ايضا بدوره الى (أكلو) نفيا ملففا رسميا باسم قيادة خلفة منقطعة ، مافيها الافقاقيع على الزبد ، كان ذلك يوم افرج على فخرجنا معا من الغ ، انا الى الحمراء ، وهو الى تيزنيت حيث تهيأت له السكنى فلم يكن يزور قبيلة (أكلو) الا يوما في الاسبوع ، يوم المحكمة ، ياتى هو والمراقب الى السوق ثم يرجعان ، ولم يكن يابه لمايابه له القواد هنالك من تتبع اموال المساكين ، واثارة بعضهم على بعض ، وهاهم اولاء رجالات (أكلو) الصغرون ، فليشهدوا بماكان ، وقد كفوا شهودا مرضيين ، ثم لما اشتدت الازمة ، واطلت قضية الكلاوى ، ودعى كل القواد الى (اكادير) فاذا به لم يحضر لدى الجنرال حاكم ناحية اكادير والحاضرون كلهم يسمعون ، اننا نعرف اليوم فلانا ومبداه ، وهو وأخوه المختار كفرسى رهان في الوطنية ، الا ان الفقيد لايقدر ان يخفى أفكاره لسذاجته ، والآخر يقدر على اخفائها ، ولكن فرنسا تعرف كل شيء ، ثم لماجاء خليفة الكلاوى (سى بيه) ليتصل بقواد الناحية وسى عزم عدم الاتصال به وبقائد ماسة القائد مبارك - لان هذا اشتهر بر الاجتماع حضره القواد في دار الكلاوى - فذلك هو السبب حتى لم يحضر المترجم ، لافي دار الكلاوى في ذلك الاجتماع ، ولافي اليوم الذي وقعت فيه الاتفاق مع رؤسائها ضد العرش التوقيع المشهور ، ولا في الاجتماع الذي وقع في دار الكتاني بفاس من القواد ورؤساء الطرق الصوفية حتى ان هناك مقالة اليها الوطني الصحراوي الجاسوس المتجول المشهور الذي اعتقله جيش التحرير اخيرا باكادير ونقله الى اكلميم حيث لاقى حتفه، ونشرتها كماقيل لجريدة (الوداد) التي كانت لسان حال تلك الحركة المشئومة ، قال فيها ان كل رؤساء الصوفية حضروا الا محمدا الدرقاوى الالغي وحده ، ثم لما وقعت بيعة ابن عرفة حضرها جميع اللامعين من الناس فضلا عن القواد ، ولكنه هو لم يحضر ولم يستحضر ، وهكذا تمت كل هذه الادوار المتتابعة ، ولم يحضر فيها قط ، والمستعمرون اذذاك في اشد الحرص على ان يكسوا مايزعمونه من الفاق الناس

على مايريدون منهم اجماعا تاما، ولذلك لايستحضرون من شابوا من امثال المترجم لئلايخرق الاجماع من عسى ان لاينقاد لما انقاد اليه الناس .

جاء الاستقلال ، فحدثت من بعده امور ، وفتح الباب للمواخذات ، فصار جيش التحرير يضع يده على الخونة السوسيين واحدا فواحدا ، فانجى الله المترجم من ذلك، لماضيه الذى يعرفه عنه كل احد ، وقد حاول بعض مـن لايعرفون الحقائق ان يلفت الانظار الى المترجم ، ولكن لما بحث عن أمره ازداد نصوعا وبراءة تامة ، والبحث أبو الحقيقة ، وقد ظفر يوما بزيارة الملك اثر رجوعه الى عرشه ، وقدم لجلالته العذر عما وقع فى موسم الزاوية الالغية اثر بيعة ابن عرفة ، وذلك ان المراقب فى (تافراوت) تقدم اليه بعض المتزلفين من رؤساء الغ ، واقترح عليه ان يطلب من كل من فـى الزاوية الدرقاوية ان يبايعوا ابن عرفة ، فان رئيسهم - يعنى المترجم - لم يبايع مع الناس ، فاما أن يبايعوا واما ان يعرف عنهم أنهم خرجوا عما دخل فيه الناس تبعا لرئيسهم فبينما الفقراء الذاكرون المساكين الذين لم يالفوا أمثال هذه المخالطات فـى مجلس ذكرهم ، اذا بالمراقب جاء مقترحا لذلك ، فقال له المترجم : ان هؤلاء فقراء من شذاذ القبائل ، لاناقة لهم ولاجمل فى أمور السياسة ، وكل واحد منهم تابع لرئيس قبيلته الاصلية فيما يفعله مما فعله الناس . وهو كما يرى القارىء كلام معقول حتى ولو لم يكن فى معرض الدفاع والمراوغة ، ولكن المراقب أصر على ماير يد ، فدار بعض الحاضرين على الفقراء ، فاخذ توقيع بعضهم بشبـه الارغام ، لان القلوب كلها نابية عن ابن عرفة ، حصلت هذه الواقعة ، فطار بها المراقب كل مطار ، ووجد بها المتقولون مايقولون ، حتى أنهم زعمـوا ان المترجم هو الدافع وحده لما وقع ، فانقلبت الحقائق ، مع ان موقفه هو صريح، وماجاء هذا الارغام من المراقب الا ليضاد موقفه ، ثم لما جاءت القائمة الاولى التى اعلنت اسماء بعض الخونة ، حاول بعض من لايعرف الحقيقة ان يدرجه فـى القائمة الثانية التى كان مزمعا ان تصدر أيضا ، ولكن فرع حزب الاستقلال بسوس بحث بحثه الخاص حول المترجم فوجده طاهر الساحة ، نقى الذيل، فاعلن فى تقرير حسن عن كل الادوار التى مثلها مع الاستعمار ، فهكذا طويت هذه الصفحة السوداء عن المترجم وكفى الله المومنين القتال (ان الله يدافع عن الذين ءامنوا)

حجتـه

كانت قيادته على قبيلة (أكلو) سحابا جهاما لامجد فيها ولامال ولاحال ،ولم تكن رسمية بظهير ملكى، ولم تكن الانكاية به قصد بها من الحكومة قصدا ، ثم ساء المراقبين حواليه تعففه وتعاليه عن الاسفاف ، وعن التنكيل بكل من يلمز عندهم بالوطنية ، ثم هاهى ذى القيادة انطوت منذ نشر الاستقلال لواءه ، وقد

كان عبدالسلام الصفريوى العامل الاول فى أكادير أتى باسم المترجم بين الذين يستحقون ان تناط بهم القيادة من جديد فى سوس فى عهد الاستقلال، لاستقاه من المعلومات العجيبة عنه فى حسن الادارة ، والاستقامة والنزاهة، وعلو الهمة والاقتدار ، فقدمه بين الذين رشحهم ، الا انى ظهرلى بعد انترى ان اعارض فى ذلك الترشيح ليبقى اسمه مصونا حتى فى هذا العهد ، وقد ادركت ان كل من قدموا الآن للوظائف لايمكن أن يسلموا من الالسنة بحق اوباطل ، فاوصيت فى الداخلية ان يحذف اسمه وها هما ذان السيدان مولاى هاشم العلوى والسيد عمرو الزمورى يشهدان بذلك . وكم عجبت حين بلغنى انه هوايضا لارغبة له فى التوظف بعد، وقد وجد نفسه مستريحا منذ تملص مما كان فيه، ثم طرق سمعى ان اسمه جال فى الداخلية ، وقد ذكر هناك باكبار وتقدير ، فقال بعض من هناك بمثل هذا يجب ان يستعان فى هذا الوقت، لوكان منه يستجيب ، اولوكان فى سن من يتوظفون الان على القانون الجديد .

هذا وقد بدا للمترجم ان يؤدى فريضة الحج فسافر الى الحجاز فحج عام ١٣٧٦هـ ، ثم الم بالشام ولبنان ومصر وليبية وتونس وروما ومدريد فكتب مضبطا برحلة كتبها بقلمه فى مجلدة حسنة .

وبعد فها هو ذا يعيش الآن فى داره بناها فى (تيزنيت) ويلم فيئه بعد فيئه بالغ ، وهومحترم موقر ، وحوله هالة من المحبين المكبرين ، يرون لـه مقاما صوفيا لايراه الا الافذاذ لامثاله ، وهو يتبلغ من دخل أهراء فى بناية له باكادير ، ومن مطحنتين بتيزنيت ، وعنده من الاولاد زيادة على على وفيصل فهن بنات شقائق لفيصل ، وهن رقية وفاطمة وخديجة ولطيفة وشادية ، وليقيهم فريد ، ثم انه اشترى أرضا فى هوارة فحفر فيها البير ، وهى شغله الشاغل الان ١٣٨٠هـ

الخاتمة

نختم الآن ترجمة والدنا الثانى هذا بانه فى نظرى وفى نظر كل من يعاشرونه رجل سوس اطلاعا وتفكيرا ورجوعا الى الله ، وتؤدة وعقلا واتساع الصدر وحفظا للسان عن الاعراض ، وتحملا وحلما واغضاء، ثم زادهم ذلك كله كرما يتزايد بتزايد عمره ، وله وراء ذلك كله تحمل عجيب ، فقد مضت عليه اوقات عصيبة بعد الاستقلال تلقى فيها صدمات لاتحملها الا الاطواد ، فاذا ماهو بما تلقى به شماريخ الجبال الاعاصير ، فلايتشكى ولا يتزلف، ولا يظهر عليه التاثر ، وهو الآن على ابواب السابعة والستين محنك مجرب، اخذ الدروس العليا عن الحياة واهلها ، فجمع همته كلها فى الله ، ثم لايبالى باى لسان بعده :

فاز من خل الشواغل   ولـمـولاه تـوجـه

ولدنا علي

ولد ١٣٣٤ ﻫ ثم الحقه بي والده وهو صغير سنة ١٣٤٧ﻫ بمراكش فكـان يأخذ القرءان والعربية فى زاوية الرميلة عنا ماشاء الله الى انشب ، ثم التحق بمدرسة ابتدائية حيث توصل بشهادة ابتدائية ، وبينما هو فى الثانوى بمدرسة مولاى يوسف بالرباط اذا بالدعاية تبث بيــن التلاميذ عند انتشاب الحرب الثانية للالتحاق بالدار البيضاء بمكناس حيث المدرسة العسكرية • فصبا الى ذلك فساعفه والده ، فبقى هناك ماشاء الله ، ثم دخل الجندية الفرنسية ، فشارك فى حروب (الهند الصينية) وفى (ماداغاسكار) ثم بقى فى هذه الجندية الى انجاء الاستقلال ، وتكون الجيش المغربى فكان من بين الضباط الصغار فيه ولايزال على حاله هذه الى الآن ١٣٨٠ﻫ ، وقد تزوج هذه السنة وامه رقية بنت الرئيس احمد بن الحاج ابراهيم الايغشاني ، وهو الوحيد الذى بقى من أولادها • وقد توفيت عنه صغيرا ، وقد كنت قلت على لسانه حين يتلقى عنى صغيرا قطعة اولها :

انا علي ولم اسم به ... الا لاني علوت اقراني
أسست مجدي وما اتكلت على ... أصلي العظيم الفخار والشان

الى ءاخرها

وقلمه فى العربية والفرنسية حسن • وقد كان مر على القرءان كله

ولدنا الاخر فيصل

ولد ١٣٥١ﻫ امه السيدة فاطمة بنت الفقيه سيدى الحسن العفياني التيزنيتي كان مر بالكتب الموجود فى الزاوية الالغية ، ثم انخرط فى مدرسة ابتدائيـة فرنسية عربية حتى نال الشهادة الابتدائية ، ثم انخرط فى الثانوى ، الى ان استتم سنواته ، وفى عهد الاستقلال التحق أيضا بالمدرسة العسكرية فـــى مكناس ، حيث أمضى سنتين ، ففى بعضها فى مدرسة عسكرية فى فرنسة ، الا انه أصيب بشيء حجز بسببه فى مستشفى ابن الرشيد شهورا ، وقد لازمه تردده الى هذا المستشفى حتى غادر بسبب ذلك صفوف الجندية ، فبقى عـنـد والده فى تيزنيت الى الآن ١٣٨٠ ﻫ وقلمه بالعربية حسن ، بخط حسن ، وكذلك الفرنسية ، وقد كنت قلت أيضا على لسانه قطعة مطلعها :

اذا عن فى الميدان مجد يؤثل ... ففيصل ما بين التلاميذ فيصل

الى ءاخرها

الاخ سيدي عبد الله بن علي

٢٠-٣-١٣٢٣ ﻫ = حـــى

ooo

نسـبـه :

عبدالله بن على بن احمد بن محمد بن احمد بن محمد بن سعيد بن محمد بن احمد بن عبدالله بن سعيد •

كان الفقيه الصوفى سيدى عبدالله بن محمد الايديكلي التمل اصهر الى الشيخ الوالد بنته خديجة نحو ١٣١٢ﻫ ويفد عليه مرات فى كل سنة ، فوفد فى ربيع النبوى ١٣٢٣ﻫ ليزور شيخه ، فألم به مرض لم يلبث ان قضى عليه • فحمله الشيخ والفقراء الى قبيلة (أملن) ليدفن الى أهله فبات هناك ليلة فرجع فوجد صاحب الترجمة قد ولد فسماه باسم جده ، تفاءلا ان يكون على غراره فصدق الفال ، فجاء كأنما افرغ فى قالبه تصوفا وخشوعا ، واقبالا على شأنه ، ولاأزكى على الله أحدا ، الا اننا نأخذ بماظهر ، ولله مااستتر ، ولكن الغالب ان من اسر سريره البسه الله رداءها ، فالله يعلم اننا أبناء الوالد تسعة لم يكن بيننا من ينظر هذه النظرة التى ينظرها المترجم بنظرة التصوف الى الحياة • أتم الله علينا وعليه بالحسنى ، وقد حكى ان الشيخ الوالد قال فيه يوم ولد : ازداد عندنا فقير يكون لمعاصريه كشمعة فى الفنار • هذا ماشاع والله اعلم

مأخذه

أخذ القرءان عن سيدى عبدالله الاكمارى فى الدار • ويحكى انه لايزال يتذكر ذلك النهار الذى افتتح فيه • وقد قال الوالد لوالدته : ابعثنا بالصبى يصحبه عبدالله الى الاستاذ ، ففر هو واختبأ بين نسوة فى محل عينه لى فى الدار ، ووقت مفتتح تعلمه كان اوائل ١٣٢٧ﻫ فوقف على حزب (قل اوحى) حين مات الوالد مختتم ١٣٢٨ﻫ ثم لازم أيضا سيدى احمد السكتاني ، ثم سيدى محمد الالوكومى ثم اتصل بشيخنا جميعا سيدى عيسى الاكمارى فى قرية (ايحلوان) فى صحبة قرينه الاخ سيدى عبدالحميد ، وفى أوائل ١٣٣٨ﻫ ارسلا معا الى المدرسة الايغشانية عند الاستاذ سيدى بلقاسم التاجارمونتى ، فبقيا شهرين ، وقد افتتحا المبادىء عند سيدى محمد بن احمد بن الحاج صالح ، لان الاستاذ فى تلك المدة حفزه حافز على مغادرة المدرسة الى داره ، فليلة راح الى المدرسة راجعا اليها وصل سيدى الحاج محمد بن عدى الواعظ ، وقد ارسله

سيدى سعيد الثاني ليذهب معه في مصاحبة شقيقته السيدة عائشة زوجة سيدى سعيد ، وقد ازمع النقلة الى (ازبار) ، وذلك في شعبان ، فانقطع هناك عند الاستاذ سيدى عبدالله بنابراهيم في مدرسة (ايت خميس) المبنية على ضريح سيدى على بنمحمد ـ فتحا ـ ثم في المدرسة التامرية ، فجود عليه المتون الابتدائية في نحو ثلاث سنوات ، وشدا في الدور الثاني ، ثم التحق بالاستاذ سيدىمحمد بناحمد ابنالحاج صالح في (دوملت) فتقدم به كثيرا وتوسط في الدور الثالث وقد ظهرت فيه نجابة فائقة ، وتحصيل في كل ما اخذه ، وهمة تخطب المعالى ، وخطوة تمتد الى الثريا ، وقد أقبل أيضا على النسخ فحسن خطه ، وجعل يجول هكذا • والاستاذ مقبل عليه اقبالا كليا ، فحفظ جل المقامات ، وبعض المختصر ، بلهغيرها من المتون حفظ المتفهم ، حتى كنت أقول انه سيكون عالمنا الفذ ، ونابغتنا فيهذه الجهة أيضا ، كماكان منذ ذلك الحين سيدنا جميعا اخلاقا ودينا واخباتا وانابة ، ولكن القواطع التى تتسلط على الافذاذ ما افلتته من براثينها

مفارقته للاخذ

توفى سيدى سعيد اخر ١٣٤٣هـ فترك أبناءا خفنا عليهم الضياع ، فلم يبق من يمكن ان يقف عليهم سواه ، فغادر دروسه وهو يتقطع أسفا لولا انه لا يرى المخالفة لا في ذلك ، ولكن الضرورات تبيح المحظورات ، فنزل عن ارادته لما يريده منه الاقدار ، ونحن أيضا أمرناه بذلك رغم انوفنا ، والضرورة اذا استحكمت فلايمكن ان يستانف بعد •

ثم افترق بسبيلنا ثانية بعد ذلك ، فطاب له المقام ، وقد قام بمانيط به خيرقيام وقد مادت عليه صحبة سيدى سعيد بكل خير ، فكان يرد علينا ونحن اذذاك مشغولون في التعلم بفاس والرباط مع الاخوين الاخرين : ابراهيم وعبدالرحمن ثم حططنا الرحال في الحمراء فجلنا في التعليم بما يسره الله ، فكان كلماورد علينا وراى مانحن فيه يطير قلبه شعاعا على عدم نيله ماراد من العلوم ، ثم حملته هذه الهمة الحافزة الى ان يتملص منسلا مماهوفيه ، فوصلتنا الاخبار بانه فارق داره الى جهة مجهولة ، ففتش عنه فينواحي البلاد فلايدرى اينقبع ولاايطريق اتبع ، وبعد حين عرفنا انه مر بفاس • وذلك انه نزل بها للقراءة ولكنه يعلم اننا واردون عليه ورادوه الى داره التى تركها شاغرة ، لاقيمعليها فخرج من (فاس) الى (وزان) ثم الىمشهد مولايعبدالسلام على رجليه ، وقد طاب له انينفرد كذلك• وان يجول في مجالات السياح كالفقراء الذين رءاهم واخذ باحوالهم وقرأ عنهم في كتب الصوفية ماقرأ ، ثم انتقل الى مدينة (تطـوان) فرساهناك ، فصار ياخذ بعض دروس في البيان والفقهيات وغيرهما ، وبعد شهور اعتراه مرض ، وطالت به الغربة ، فلم يجد مايصنع ، وقد افلت منيده

مايطلب، فرجعمن هناك ، ولم نشعربه حتى جاء فتلقيناه بكلتا اليدين ، فقلنا له الاتزال حيا ؟ فقال بلسان الحال ، لورجعت بحاجتي من المعارف لرجعت اليكم حقا في حياة ، ولكنني ماذا اصنع ؟ وقد افرغت وسعي وبذلت جهدى ففهمت عنالله ، فهكذا حرم من منيته ، ثماقبل بعد ذلك على الفقراء الذين ينتسبون للوالد في تلك الجهات ، وقد كانوا يجدون من حاله ووعظه ماينهضهم فصار يجول في ذلك باخلاص ، راميا الدعوى وراءه ، وكل مايتردى فيهمثله من اولاد المشايخ ، ثملم يزل في ذلك المركز الى سنة ١٣٥٤هـ وقد وقعت وقعة (الوكزنى) الشهير فالتفتت حكومة الحماية التفاتة خاصة الى رؤساء الطرق الصوفية ، تباحثهم وتتبعآثارهم، فنادته القدرةانينكف عنالسياحات،فانالزمانقد استدار ، وان الوحدة قد جاء عصرها فاطاع ، وقد مسته يد جالت حوله• فبقى في مركز (اداوتنان) الحكومي نحو نصف شهر في صفة معتقل ، ثمسرح وقد عرف ان ذلك منالله، وانالله قد أمره ان يعتزل ، فهو اليوم ١٣٥٧هـعلى هذه الحالة ، وقلما يفارق داره الالى الوقوف على ضرورياته ، او الى صلة الرحم ثم صار بعدانتهاء الحرب يتقلب كيف شاء ، وقد علاشأنه ، وازداد كثيرا، وله خط جيد والمامحسن بالعلوم مماأخذه ، وانكان اعتراه خسوف وقد غلب عليه التصوف ، فرتبله أذكارا ونوافل ودعوات واحزابا يواظب عليها ، وقد وفقه الله الى ترجمة السيرةالنبوية الى اللغة الشلحية فيثوب قشيب في مجلدين، كما ترجم (رياض الصالحين) للنووى في أربعة مجلدات ، ويشتغل الانبغيرهما وفقه الله ، ولهاليوم اولاد ذكورا واناثا اكبرهم جعفر وحمزة ، أنبتهم الله نباتا حسنا ، وزوجة سيدى سعيد التى رابط عليها وعلى أولادها هناك لاتزال الى الان ١٣٨٠هـ ، وهي كما قال بعضهم رابعة عصرها ، وأخت صاحب الترجمة في أوصافها فكما أنه انفرد بين الذكور من ابناء والدنا بماكان له علينا مزية، انفردت أيضا بين اخواتها بمثل ذلك أو اكثر، وذلك فضل الله يؤتيه منيشاء ، وحال المترجم اليوم ١٣٨٠هـ في مقام عظيم نباهة ورجوعا الى الله وارشادا للعباد ، وقد حججنا معا سنة ١٣٦٥هـ فكتب عن رحلته كتابة حسنة في مجلدة •

القاضى عبد الرحمن بن على

١٣٢١ ﻫ = ليلة ٣ - و - ١٣٧٩ ﻫ

نسبه :

عبد الرحمن بن على بن احمد بن محمد بن احمد بن محمد بن سعيد بن محمد ابن احمد بن عبدالله بن سعيد .

هو شقيق الاخ احمد والاخ عبد الله المتقدمين وهو ثالثهما من الاشقاء الذكور ، وكلهم من أسباط الرجل الصالح سيدى عبدالله بن محمد ابن القاضى فعادت عليهم جميعا نفحة منه .

مشائخه

اخذ القرءان عن سيدى احمد السكتانى ، وعن سيدى محمد الالوكومى بالزاوية ، ثم عن سيدى موسى بن الطيب فى المسجد السليمانى أياما ، ثم الحقوا بشيخنا سيدى عيسى الاكمارى فى (ايحلوان) باداكمار ثم الاستاذ سيدى الحسين الاسفاركيسى فى اداوتنان فهناك جود تجويدا حسنا، وهو واخوه سيدى عبدالله اللذان بقيا بيننا فى حفظ القرءان حفظا متقنا ، بتعاهده وتفقده الى الان .

افتتح المبادىء فى دار القائد سعيد التيكزرينى ، وقد ذهبت اليها به وبقرينه سيدى ابراهيم سنة ١٣٤١ﻫ ، فثقفهما سيدى محمد بن احمد غاية التثقيف، فاجاد صاحب الترجمة المبادىء ومتونها ، وكانت له قريحة وذاكرة ، كانهما ذاكرة صنوه الاخ احمد ،فقد جئت هناك مرة ، فأعجبت به حين امتحنته على حين أن الاخ ابراهيم دونه بمراتب ، ثم ذهبت به وبصنوى ابراهيم الى فاس ١٣٤٤ﻫ ، فبقى معنا صاحب الترجمة نحو سنة ، أخذ فيها عن بعض الفاسيين وتقدم واقبل على المطالعة ، وأنا به معجب غاية الاعجاب ، ثم ان صحته لم يوافقها هواء فاس ، فطلب منى ان اسرحه لصلة رحم والدته ، فكان ذلك ءاخر عهده بالدراسة الجدية الحضرية التى نحن فيها اذذاك ، لانه لازم بعد ذلك المدرسة الساعدية فى قبيلة ابى السباع، وفى سنة ١٣٤٧ﻫ كان معنا ماشاء الله فى (الرباط) ثم رجع الى محله ثم انتقلنا سنة ١٣٤٨ﻫ الى (الحمراء) فاطل علينا أيضا ، فحثثته على الانقطاع الينا ، ولكن لم يتيسر له ذلك لشيئين : أولهما :

انه - كما قال - لايقدر على الجد الذى وجدنا فيه ، وثانيهما : مراعاة شيخنا سيدى عبد القادر السباعى التى لازم المدرسة عنده تسع سنين ، وهو يحضر فى الدروس ، وقد مر على المختصر مرة او مرتين ، وعلى الالفية مرات ، وعلى المنطق والاستعارات ، ومختلف الفنون ، ولكنه مع ذلك ناقص التحصيل، لانه لم يبعث همته الى ذلك بعد ، مع ان ذاكرته وفكرته وتمييزه كلها تشهد ان من كانت فيه لابد ان يتفوق ، وليس معنى هذا انه كان متاخرا كثيرا ، بل ان المقصود ان المرتبة التى تنتظره لم يصلها بعد ، وفى السنة الماضية ١٣٥٦ﻫ انقطع معى بالغ شهورا ، فمررنا على بعض التلخيص ، فرأيت من ذكائه وسرعة فهمه مالو ادركت حريتى للازمته حتى أغادره كما اريد ، لاننى أرى منه اخا حبيبا مفكرا ، متطلعا الى المعالى من كل جهة ، له أوراد وأحزاب وتلاوة فى القرءان ، ومحافظة على شعائر دينه ، مع معرفته بأحوال الوقت ، فيارب اعنه حتى يستتم دراسته ، ويصل بهذه المشاركة العلمية التى اطل عليها مقاما عاليا ، هذا وله حافظة ادبية ،وذوق جيد وفهم ثاقب ويستحضر نوادر الابيات فى محادثاته، ولم اكن قيدت عنه شيئا فاذكره الان وقد كان فى سنة ١٣٥٤ﻫ اقترن ببنت القاضى سيدى مسعود الشياظمى الكرائمى ، وبنى داره ازاء داره ، ثم كان هناك فى المدرسة (الكرائمية) ماشاء الله مشارطة .

ومن اغرب مافى ذكائه أنه يستحضر يوم فطم عن الرضاع ، وكان أخوه احمد أيضا يذكر وقائع عن ذلك الطور، وامثالهما فى ذلك قليلون، وبمثل هذا الذكاء وبنظير هذه الحافظة تدرك العلوم العليا ، وتخاض بجبجة المعارف ، والمرجو من صاحب الترجمة ان يستدرك ، ولايزال ذلك فى يده ان شاء الله وفقه الله لما فيه خير ، وقد رزق أولادا ذكورا واناثا مع بنت القاضى انبتهم الله نباتا حسنا .

اخبار عنه اخيرا

مر على ماتقدم سنون كثيرة ، ولد فيها للمترجم بنون، منهم المهدى الذى سنذكره لانه الان نجيب ، وأخوه المختار النجيب أيضا وسعدالدين ، وعياض ، وبنات اخرى والكبيرة منهن تزوج بها عبدالسلام بن احمد الذى ستمرى ترجمته أيضا ، وقد لازمنى المترجم بعد مارجعت الى الحمراء من ١٣٦٥ﻫ سنوات ، حتى ملأ كعبه فى العلوم وحصل وعد حقا من علماء (الخ) وقد كان درس حينا فى مدرسة (الكريمات) الى أن فارقها ، ثم اشترى دارا بمراكش ، وقطن فيها حوالى ١٣٦٨ﻫ ، فصار مراكشيا ، وهو الذى اليوم شيخ وقور نبيل ذو مركز ودائرة متسعة ، وقد جعل لربه وقتا لاوراده واذكاره ، وله ذكاء غريب ، وحافظة واعية ، تؤكىء على كل ماجعل فيها ، فيستحضر فى البيان والاصول والحديث والتفسير والتاريخ استحضارا فوق ماكنت ارتجيه له منذ عقدين من السنين وقد درس فيها كلها فى مسجد (باب دكالة) ماشاء الله فيشكره الاخذون عنه

وقد سمي ولده (عياضا) حين كان يدرس الشفاء ، والاخر (سعد الدين) حين كان يدرس التلخيص •

توليه القضاء

جاء الاستقلال ففاضت طبقات الموظفين الذين كانوا فى عهد الاستعمار ، وبرز آخرون منهم المترجم ، فتولى القضاء فى درعة بمركز (زاكورة) حيث بقي نحو سنة ، ثم انتقل الى (اكادير) عضوا فى مجلس الاستيناف الجهوي، حيث هو الآن مختتم ١٣٧٨هـ ، وقد الحقنا هذا الآن تتميما للفائدة (ثم لايزال على ذلك الى الآن ١٣٧٩هـ)

استشهاده

يالله ولكوارث الدهر التى تفجع الناس باخوانهم وأصحابهم ، فقد كنا خرجنا هذه الترجمة بايام ، فاذا بحادث (اكادير) الذى زلزل زلزاله جرف المترجم فيمن جرفهم ، ولاحول ولا قوة الا بالله ، فقد أرسلت حين بلغنـي خبر الواقعة الى (تاردانت) بعد زوال الثلاثاء ثالث رمضان ، فأفادونـي ان المترجم انهارت عليه داره هو وولده سعد الدين ابن عشر سنين وبنتاه ليلى بنت ثلاث سنوات ونفيسة كما ولدت ، وامهما وخادمتان ، وقد انجى اللـه فاطمة وعياضا فانقذا تحت الهدم كما انجى بنتا للاخ سيدى عبد اللـه كانت عندهم ، فجميع الهالكين سبعة ، وقد انهال على المعزون بالرسائل والبرقيات والتلفونات التلفونية بله القادمين بانفسهم ، وقد كان الرزء جللا ، ولكن لامرد لقضاء الله ، وهاك رسالة مسهبة كتبها الاخ سيدى محمد ، كجواب لبرقية استفسرته بها عما وقع ، ففيها الخبر اليقين الشافى •

الرسالة

بكرنا صباح يوم الثلاثاء من (تيزنيت) حين سمعنا نبأ حادثة (آكـادير) وعميت عنا الانباء ، فلا هاتف ولا خبر تحقيق ، وركبنا السيارة متجهين الى (اكادير) فى سير حثيث ، حتى وصلنا الحي الصناعي ، فرأينا شيئا خفيفا من الخراب ، ثم وصلنا المدينة الجديدة ، فزاد الخراب فقد خرت العمارات السامقة وما يجاورها مثل سوق الخضر الجديد ، ولما وصلنا (تالبرجت) وجدنا عاليها سافلها ، وقد انسدت الشوارع بالانقاض ، وصرنا ندور قاصدين دار اخينا سيدى عبد الرحمن ، حتى اضطررنا لترك السيارة من بعيد ، فمشينا على اقدامنا ، الى ان اتجهنا الى شارع (كولمـة) الذى يسكن فيه سيدى عبـد الرحمن ، ونحن نمشي على الانقاض ، ولابناء واقف فى جهتي الشارع ، ولما توسطنا الشارع التقينا مع السيد الخنبوبي الخليفة فى (انزكان) وقال ان هنا سيدى الحبيب اخاكم ، فمشينا والتقينا مع ابراهيم بن الحبيب ، فسألتـه

عن عمه ، فقال مات فصدمنا صدمة عنيفة ، حتى كدت اكون بها كـ (تالبرجت) ولما استرجعت وعيي قصدنا الدار المهدومة ، فوجدنا الاخ الحبيب مع خدامين جذبوا سيدى عبد الرحمن ، ووقفنا عليه مسجى ، وهو جثة هامدة ، وشمرنا على ساعد الجد ورجعنا الى الدار ، وتركنا امينا ليحفظ الحوائج ، وارسلنا المتوفى الى (الدشيرة) مع الاخ الحبيب ليدفن فى مركع (الزاوية) على سيارة مولاى سعيد القاضى ، وهم الذين صلوا عليه ، فقابلنا نحن الخدمة ، وعندنا قليل من العملة ، واجتهدنا حتى انقذنا (سعد الدين) فارسلناه أيضا عـلى سيارتنا الى (الدشيرة) وهناك من يحفر القبور ويغسل ويدفن ، ثم واصلنا الخدمة لانقاذ السيدة ، وفى وسط ذلك نجمع كل ما ظهر من الحوائج كيفما كانت بحيث لم يضع شيء مما ظهر ، فاذا بسيدى الحاج عبد الله حضر فـي ظهر الثلاثاء ، لانه وجده الحال فى (تاماعيت) فخدمنا الى المساء ، ولـم نجد الجثث الباقية ولكوننا لم نعلم محل مخدع السيدة (زينب) زوجة الاخ ، قلت لسيدى الحاج عبد الله أنت تروح الى (الدشيرة) لتعلم من هنالك ثم تاتي معهم بكرة غد ، وانا سأروح الى (تيزنيت) لاستخبر ربة الدار عن محل مخـدع السيدة والخادمات ، فتركته أمام (الدشيرة) وجيئت الى (أيت ملول) فوجدنا الوقود قد نفد فى السيارة ، وطلبناه فى (أيت ملول) فلم يوجـد ، والمغرب وصلت واليوم يوم صيام ، فرجع السائق عبد الله بالسيارة الى (اكـادير) المتزود بالوقود ، فبقيت أنا فى (أيت ملول) وأبطا عبد الله لكون الـوقـود مفقودا ، وفى انتظارى ومشيي فى الشارع ليـلا ، ناداني سيدى الحسـن البونعماني ، فتوجهت اليه وحمدت له الله على سلامته ، وقد كنا فى رواحنا مررنا بداره ، وسألنا عنه وعما تعلق به احد أصحابه فاخبر بأنهم سالمون، فعزانا فى الاخ ، وقال انى أرسلت فى هذا المساء برقية للـوزير اعلـمته بالواقع ، فشكرته ، وبقينا منتظرين ، حتى اتى السائق فافترقنا ، ونحـن توجهنا الى (تيزنيت) وهو متوجه الى ضيعة قبلة (أيت ملول) ، رحنا الى تيزنيت وزرت فى المستشفى ليلا (فاطمة) بنت عبد الرحمن لانها متضعضعة ، ولاكسر فيها بعد انقاذها و (عياض) الذى لاباس عنده ايضا بل لم يمس باى شيء ، وهما وجدناهما ظاهرين عليهما قليل من التراب ، فاخرجا واتي بهما الـى المستشفى استاذ من (تيزنيت) ثم سألت ربة المثوى عن محل مخدع السيدة فى الدار ، فدلتنا عن المكان ، وكذلك مكان الخادمات ، فطلبـت مـن سيدى الحاج عبدالله التيزنيتي ان يطلب من احبابنا الغوث للانقاذ وليبكروا فبكرنا يوم الاربعاء الى (اكادير) ومعنا حمل السيارة من الناس ، والاخرون راكبون فى الكار نحو ١٠ فلما وصلنا محل الخدمة وجدت سيدى المهدى بن عبد الرحمن هنالك وحده ، ولما يات سيدى الحاج عبد الله مع أهل (الدشيرة) فخدمنـا ورجعت انا الى (الدشيرة) حتى وصلت الاخ الحبيب ، فسألته عن الموصى عليهم

فقال مهدى بهم امس ، وهم ناوون البكور الى (اكادير) فرجعنا الى (اكادير) والحبيب معنا ، واركبنا فى الطريق من راينا من اصحابنا فواصلنا الخدمة، وقد قامت الخدمة على ساق الى ما حوالى طلوع النهار ، فوصلنا السيدة وبنتيها نفيسة ، وليل جثثا هامدة ، فحملنا هن فى السيارة ، وذهب معهن سيدى الحاج عبدالله والحبيب ، ودفنوهن بعد تجهيزهن ازاء أبيهن ، فواصلنا نحن الخدمة حتى وصلنا الخادمتين جثثا هامدة كذلك ، فارسلناهما أيضا فى السيارة ، ودفنتا الى من تقدموا ، واخبرنا انسان ان عنده بنت سيدى الحاج عبد الله الكائنة عند سيدى عبد الرحمن ، فقد لفظها الهدم ، فخرجت والتقت مع من يوصلها الى خالتها فى (انزكان) ، وفى وسط ذلك نجمع ما عثرنا عليه من الحوائج بأنواعها : الكتب والاوراق والملابس والفرش والاثاث وكل ما عثرنا عليه ، بحيث لم يضع منه شيء ، ولم يضع الا مابقى تحت الردم الذى نوينا انقاذه يوم الخميس ، فاذا بطريق (اكادير) مغلق ، والذى وجد يوم الثلاثاء من الحوائج حملته شاحنة فى المساء الى (الدشيرة) والذى وجد يوم الاربعاء حملته أخرى فى المساء اليها ايضا ، وكل ذلك مجموع وسيكون مقدار حوالى حمل شاحنة كبرى ، وفى عشية يوم الاربعاء بعد اقلاعنا عن العمل ، ذهبت لارى الزاوية والدار ، فوجدت دار بوحموش الكائنة فى يسار الزاوية تهدمت كلها ، ثم درت بالجميع ورأيت الجدران الخارجية واقفة ، والسقف كذلك واقف ، وهناك شقوق فى الجدران ، فدخلت الى المركع فرأيته نزل الى تحته ، والزليج كله منتشر ، ودخلت الدار ، فرأيت مابين البيوت مهدما ، وقد انحط كل شيء والابواب معوجة ، وقلنا الى الغد يوم الخميس نأتى بشاحنة لحمل ما فى الدار ، وذلك شيء مهم وقد رأينا يد الناهبين امتدت الى الدار ، فسرقوا منها مذياعين واغطية ، ولما جئنا يوم الخميس وجدنا الطريق الى (اكادير) مغلقة ، فملنا الى (انزكان) ظانين أننا سنقدر على أخذ جواز لاتمام العمل فى دار سيدى عبد الرحمن ، ولحمل حوائجنا من دارنا، فالتقينا مع الباشا سيدى الحسن البونعمانى ، فأخبرناه بغرضنا ، فقال : انا بنفسى لاأقدر على أن أحصل على جواز لاذهب الى (أكادير) وقد التقيت مع الكولونيل اوفقير فلم يعطه لى ، وقال لى تذهب الى محل الاشغال العمومية ، وتطلب من رئيسها ان يعطيه لك ، وأنا لاأدرىماافعل ، وفى الاخير قال اتبعونى لعل وعسى أن نجد حلا فتبعناه ، ولم نخرج من (انزكان) حتى أوقف سيارته ، ونزل ونزلت من سيارتى ، فقال لى لاتحتاج ان تمشى ، فانه لا يمكن أن تمر بسيارتك قطعا ، وأنت وحدك ، فاذا أردت أن تركب معنا فسنقدر على أن ندخلك الى أكادير ، فقلت له انا وحدى لا فائدة فى أن أذهب الى أكادير وأنت ترى السيارة مملوءة بالعملة ، والمقصود ذهاب العملة ، وأما انا وحدى أفاذهب الى اكادير وأرجع بلا فائدة ، فقال فحسن ان ترجع اذن ، فرجعنا

الى (الدشيرة) فوجدنا الاخ سيدى الحاج عبد الله ، فقال ان الطريق الى اكادير مغلقة ، وقد حاولنا الذهاب اليه فمنعنا ورجعنا ، ثم حوقلنا واسترجعنا ، ودخلنا مركع الزاوية فوجدنا الاخ عبد الرحمن ومن مات معه فى المقابر السبعة كالاصابع رحمهم الله ، وجلسنا مفكرين ، فاذا بسيدى الحسن بن أحمد ابن اخينا اتى من مراكش مع ولدى القاضى سيدى مسعود الشياظمى ، فبعد جلوس قليل قال سيدى الحسن سأذهب الى (تارودانت) فقلت له وأنا معك لنعزى السيدة خديجة فى أبيها ، فقلت لسيدى الحاج عبد الله حيث نحن اليوم جلوس ، وعندك من يخدم فاجمعوا الحوائج ، وانفضوا عنها الغبار ، ونظفوا كل شيء ، واطلع على ماهنالك • وفى المساء سيجتمع الاحباب هنا للترحم على هؤلاء السادة • وسنرجع فى المساء ، فذهبنا الى (تارودانت) فادينا حق الزيارة والتعزية ، ولما صلينا العصر رجعنا الى (الدشيرة) كلنا ، ومعنا الاستاذان سيدى احمد البعمرانى ، وسيدى الحسين وكاك ، فبتنا فى الدشيرة وقد صنع الفقراء الطعام ، واجتمعوا على ذكر الله الى هزيع من الليل ، فقرأنا الفاتحة وترحمنا على سيدى عبد الرحمن ومن معه وعلى جميع الاموات فى الزلزال ، وفى ذلك الوقت تذاكرنا على نقل الحوائج ، فأراد سيدى الحاج عبد الله أن تكون فى (تيزنيت) فقلت له بما أننى ليس عندى محل لضيق المسكن ، فأنا تذاكرت فى هذا الصباح مع القاضى سيدى أحمد أعمو ، طالبا منه ان كان عنده بيت حصين لوضع الحوائج فيه حتى يظهر ما يظهر ، فقد أطلعنى على محل فى بيته لائق ، فاذا لم يكن محل اخر فهذا البيت عند القاضى ولكن أننا رأينا الحراسة حوالى (تارودانت) تفتش كل الواردين ، فربما يكون ذلك على من حمل شيئا من الحوائج احتياطا على السرقة ، لذلك فيليق ان تستأذنوا الخليفة الخنبوبى ، فاذا كان فى الطريق عارض يعطيكم جوازا واذا لم يكن شيء فسيقول لكم احملوا حوائجكم ، فذهب عنده سيدى الحاج عبد الله ، وسيدى عبد السلام بن أحمد ، وسيدى المهدى ابن المرحوم ، فلما مثلوا عنده بينوا له مقصودهم ، فقال لهم اتركوا حوائجكم لاتحملوها حتى تمضى أيام ، فرجعوا واخبرونا بذلك فنقلوها من الزاوية الى بيت عند المقدم، وبتنا فى (الدشيرة) الى صباح يوم الجمعة ، فقصدنا تيزنيت جميعا ، وقد كنت لما وصلت (انزكان) معى فى السيارة سيدى الحسين واكريم ، فقال لى لابد ان تذهب لترى هل يمكن لنا ان ناخذ الجواز ، لنحمل الحوائج من الدار فى (اكادير) فقصدنا (انزكان) وسألنا عن الخليفة الخنبوبى والساعة هى التاسعة صباحا ، فقالوا لنا مازال فى الدار ، فقصدنا داره فطرقنا ، وخرج ودخلنا، فقلت له أريد مكالمة تليفونية مع الباشا ، فصار يدير الالة حتى أعيت يده ولا من يجيب من بريد (انزكان) فقلت له مرادنا ان تيسر لنا تسريحا نحمل به حوائجنا فى دارنا من (أكادير) وهى واقفة ولم يمت فيها أحد ، فقال انك

تطلب المحال ، فاخرج ذلك من عقلك الان فودعته وانصرفت ادور في جهة مركز (انزكان) متحيرا فالتقيت مع الباشا ، فبينت له غرضي ، فقال ليس شيء في يدي تماما ، والكل في ايدي الجند ، فقلت له ياسيدي انا ومثلي الذين حوائجهم على وجه الارض اذا لم تساعدوهم على نقل حوائجهم فانكم تسببتم لهم في مصائب اخرى ، زيادة على ما حل بهم ، فهذا الذي نراه ليست فيه انسانية ولا عطف ولا رحمة ولا معرفة الخدمة الصالحة ، فهذا الجند هو الذي يذهب بالناقلة مع رب الحوائج ، فيجمعون له حوائجه ، وهي لاتحتاج الى عمل فاس ، ولاالى اى عمل، فمن كتبتم له ورقة يصل بها الى الضابط العسكري يطبع له جوازا ، فقال نحن لايسمع منا كلام الان ، وعلى كل حال رأيت مثل كثيرين من الذين حوائجهم على وجه الارض ، فمنعوا من نقلها بأنفسهم ، ولم يقم احد بنقلها لهم ، ولا ندرى من أين ضاع المفتاح ؟ فتأثر سيدى الحسن الباشا تاثرا كبيرا مما يرى من مثل ماذكرنا ، وفي آخر الامر ناداني الى كاتب ، بعد ماقال : قلت لسي صالح كاتب العمالة مع ممثل الداخلية ان كثيرا من الناس حوائجهم مهياة ، وهم يطلبون المساعدة لنقلها ، ومنهم فلان اخو وزير التاج سيدي المختار السوسي ، فنهرني سيدى صالح قائلا : خلنا من الشخصيات بالان فقلت له : ليس هناك شخصيات انما ذكرت لك الناس كلهم ومنهم فلان ، فالحاصل تاثر جدا ، فقادني الى كاتب هناك ، فقيدت ماعندي في الدار وان الشارع الذي فيه المحل لم يمت فيه أحد ، ولم تسقط الدار وفتحت الى الشارع وفيها حوائجنا جميعا ، واردت ان أحملها ، فقيد الكاتب كل ذلك ، وقال : ان الورقة سنرسلها لمحلها ، ثم التقينا مع القائد الممتاز فقال متى ... الغداء فتقدم بهذه الورقة ، فخرجت يائسا من كل شيء ، ورجعت الى ... ظهرا ، وكنا مع الاخوان سيدى الحاج عبد الله وسيدى عبد السلام وسيدى الحسن ، وسيدى المهدى ، وولدى سيدى مسعود ، وسيدى الحسين وكال ، وسيدى احمد البعمراني ، الى صباح يوم السبت

نعم قلنا ان الخنبوبي قال لسيدى الحاج عبد الله اتركوا حوائجكم في (الدشيرة) ولما اتينا الى تيزنيت لم نر في الطريق عارضا ولا مانعا ولا حارسا ففهمنا ان السيد الخنبوبي انما يتكلم احتياطا ويامر من غير ان يعلم ان هناك ما يخاف منه •

ثم ان الاخوان سافروا الى (تارودانت) سيدى الحاج عبد الله مع بنته وسيدى عبد السلام مع عياض ، وأما فاطمة بنت عبد الرحمن فقد بقيت في المستشفى لاباس عندها •

ظهر ان من السيد العامل الى أصغر موظفيه كلهم امام المكاره والشدائد كالصفر ، ولو كان العامل عاملا حازما لانقذ نصف او ثلثى اكادير في يوم

الثلاثاء والاربعاء باستدعاء جميع المجاورين لاكادير ، ولكن اين هو وهم ؟ وقد اسكرتهم المصيبة ، وقد أصيب العامل في بعض عائلته ، ولكن يجب عليه ان ينسى نفسه ، لانه هو الراعي ، وهو المواسي ، وأما رئيس الاقليمية سيدى محمد الاخصاصي ، فقد خربت عليه الدار ، وهو وبعض أولاده سالمون والبعض هالك • واماالحاج الحسن بوسكرى فان أهله واولاده وأخاه مبارك تحت الهدم، وقد اتى يوم الاربعاء ، ولم يصلهم أحياء و (فونتي) مهدومة كلها و (القصبة) و (بالبرجت) المدينة الجديدية نصفها ، واما الحي الصناعي فخفيف الهدم ، ولا موت فيه و (احشاش) كلها تحت الهدم ، بدأت الرجة يوم الاثنين قبل رمضان بستة أيام ، وكانت خفيفة ، ثم عادت يوم الاثنين ثاني رمضان نهارا ، وهي كذلك خفيفة ، وفي ليلة الثلاثاء ثالث رمضان حوالى ١٢ انفجر الزلزال ، وجعل عالي (أكادير) سافله ، بينما كان أكادير في مساء يوم الاثنين ثاني رمضان زاهيا لاهيار رافلا في حلل البهاء ، فاذا به أصبح يوم الثلاثاء ثالث رمضان خرابا مقبرا ، لامنظر ولاماء ولانور ، فاينما مررت تسمع أنات وآهات تحت الانقاض ، ولا من يغيث فهذه صورة أكادير اجماليا وما وراء كمن سمع

* * *

تلقيت ركاما من الرسائل في التعزية وغالبها عادى ، وهاك بعض الرسائل التي افتت نظري بعباراتها الرائقة التي لها نصيب من البلاغة من بعض تلاميذتنا وفرهم الله •

١ ـ حم القضاء ، وزلزلت الارض زلزالها ، وذابت النفوس حسرات واسى على فقد الاخلاء والاخوان وكنت واحدا ممن ابتلي بفقد اخ كريم عليه ، فعوضك الله عنه الصبر ، فقد كتب عنده سعيدا ، حينما توفاه شهيدا ، وانت من هانت عليه المصائب ، فاحرز ثوابها ، وتجمل باليقين ورضى بالمقدور ، واطمان للموعد لاسخنت لك عين ولا انكسر منك فؤاد بعدها

(ابن المعلم المراكشي)

٢ ـ بأى لسان اعزيكم عن مصاب عم الوطن اجمع ، ولم يدع مقلة لم تدمع ولا فؤادا لم يتوجع ، ولاكبدا لم تتقطع ، فقد استولى علينا الجزع ، وتملك قلبنا الفزع ، لفقد ان مدينة من اجمل المدن المغربية ، وفقدان من فيها من الاصدقاء والاخوان ، وبالاخص الفقيه الاخ سيدى عبد الرحمان برد الله ثراه وأكرم مثواه ، وجعله في أعلى الجنان : بفضل الله ورحمته •

وفي مثل هذا امتحان الرجال ، وموطن الصبر والاحتمال ، والمرء باعز ما لديه يمتحن ، والصبر على مقدار الهمم والفطن ، اسال الله سبحانه وتعالى ان يوليكم سعة الصدر ، ويمنحكم نعمة الصبر ، وجزيل الاجر ، ويكون لكم برد الرضا والتسليم ، وسيلة للفوز للثواب العظيم ، ويجعل هذا المصاب خاتمة

الاحزان ، ويلهمكم جميل الصبر والسلوان ، ويفيض على الفقيد سحائب الرحمة والرضوان •

(قاضي زاكورة احمد العرفي)

٣ ــ كنت عزمت ان اهنيكم بشهر رمضان المعظم ، ولكن في هــذه الاونــة التاريخية ابت قدرة الله العزيز الجبار الا أن تفجانا وتنذرنا بالفاجعة المؤلمة كارثة مدينة (اكادير) الشهيدة • وفي الصباح توجهت الى البريد فعجلــت بمكالمة تلفونية لدار الاذاعة المغربية طالبا ، منها ان تذيع سؤالنا عن حالة أخينا واستاذنا المسلم الغيور : سيدي عبدالرحمان أخيكم وعائلته ، وفعلا سمعنــا ماطلبنا اذاعته ، ولكن هذا لايكفي لاطمئناننا • بل لابد ان نعــجــل بمكالمة تلفونية نحوكم لنتمكن من الحقيقة ، وفي الحين اتصلنا بادارة البريد ، وسرعان مادق الجرس الهاتفي ، فاشرأبت الاعناق ، واشخصت الابصار ، واصيغــت الاذان ، في صمت وهدوء ، لانها ستسمع كلمة الفصل ، كلمة اطمئنــان او انجاع ، فمن مكالمتي معكم في الهاتف بعد ان سلمها لي مولاي علي الرحمانــي ولم ادر ما راج بينكما وانما رأيته لم يتمالك نفسه فشد راسه بيده ، ودموعه مندفقة مما زادني اضطرابا عنيفا ، وأنا أضع سماعة الهاتف على أذني (ألوألو) فعرفت من كلمة واحدة كل شيء ، ولايعلم الا الله ما الم بي فلم اشعر أوضعت السماعة في مكانها ام لا ، فصار بعضنا ينظر الى بعض نظرة الحزن ، والاستسلام لقضاء الله وقدرته ، فلم استطع ان أتطلع الى الخبر الذي كتمه عنا مولاي علي الا بعد نصف ساعة تقريبا • فكانت صدمة في القلوب لاتستطاع ، ولكن ماذا يغني البكاء امام هذا المصاب الجلل ، والانسان عبد مملوك للاقدار (كل نفس ذائقة الموت) (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجــلال والاكرام) ان القنطرة الاجبارية لابد ان يمر بها كل حي (فهنيئا لمن خاف مقام ربه ونهــى النفس عن الهوى)

وفي الختام يا استاذي لا يسعني الا أن أطاطئ الرأس أمام هــذا المصاب العظيم ، فبالاصالة عن نفسي ، ونيابة عن أهل حومة باب دكالة نرفع تعازينا الحارة في اخيكم المغفور له : سيدي عبد الرحمان وعائلته ، أحسن الله اليكم فيما سامكم ، وامطركم غيث احسانه • واذاقكم برد رحمته ، وأبقاكم ذخر للجميع ، فانتم ذخر عظيم لنا ولجميع أخواننا •

وسدل على الفقيد وعائلته الرحمة والغفران ، وعلى جميع الشهداء الجنــة والرضوان ، وان يشفي مرضى الكارثة شفاء لايغادر سقما ، وأن يلطف بنــا لطفا يليق بكرمه ، وان يرزقنا واياكم وجميع المسلمين مقعد صدق عند مليك مقتدر ، انه على مايشاء قدير •

(محمد بن ادريس)

* * *

ثم كان من بين ما وصلني ، تعزيتان هامتان لمنكوبي الزلزال • احــداهما

نثرية من محل ولدنا الاستاذ احمد الاخصاصي كتبها من (مصر) وهي نثرية، والاخرى شعرية من الاديب العلامة سيدي الحاج احمد بن بلقاسم الزياني ، فنص الاولى :

(ياللهول •• يالها من ماساة في أكادير)

الى البقية الباقية من اخواني في ارجاء سوس • الى هؤلاء أكتب بالدم الذي يغلي به قلبي ، أكتب اليكم تعزيتي هذه ، والاسى والحزن والكمد والالام تنفطر به كبدي ، وتحتدم به احشائي ، وتتصدع به آمالي ومناي ، وأخيرا يذوب بــه قلبي ثم جسمي •

(يا للهول •• يا لها من مأساة في أكادير) ، اخواني انني رغم ما سمعته من اذاعات العالم كله ، ورغم ما قرأته في صحف الشرق عن الزلزال في اكادير رغم هذا كله ، فانني لاأستطيع ولن أستطيع ان أصدق او اتصور أن «الافا من اخواني قد ابتلعهم ذلك الزلزال الجبار الخاطف في لحظة واحدة ، كأنما كان الجميع على ميعاد •

وكيف أصدق هــذا ؟ وقــد كان اخواني يسارعون الى الخيرات في كــل ميادين الحياة ، مادية كانت أو معنوية ؟ وكيف أصدق هذا واخواني فـــي اكادير هم الذين يؤسسون المعاهد الدينية والمدارس والمساجد من عرق جبينهم في حين كان غيرهم يبني العمارات الشاهقة للترفيه الفردي ، والقصور الضخمة للتنعم الشخصي ؟ وكيف أصدق هذا واخواني في أكادير كانوا ينفقون ملايين وملايين من الفرنكات على «الاف التلاميذ الذيــن يتعلمون فــي تلك المعاهــد المنتشرة في انحاء سوس ، ذلك كله لوجه الله والانسانية ؟

أيها القدر المحتوم

قل أيها القدر المحتوم لي بربك قل لي : كيف أصدق خبر هذه الكارثة التي اودت بحياة ألوف من اخواني الابرياء ؟ أليس هناك من يستــحــق هــذه الفاجعة الاليمة الا اخواني الابرياء ؟ قل لي بربك قل لي • ماجريمة اخواني وما ذنبهم ؟ أليس هناك طغاة جبابرة فرنسيون ينكلون بالاطــفــال والنساء والصبيان في بلاد الجزائر ؟

لماذا ــ لماذا لم تأخذ بثار اولئك الاطفال والعجزة والنساء مــن الطــغاة الجبابرة الفرنسيين بدل اخواني الابرياء في (أكادير) ؟

قل لي بربك قل لي ، كيف تجاهلت وتناسيت طغيان وجبروت الصهيونية في تشريد ملايين العرب ، من النساء والصبيان والعجزة من ديارهم ؟ كيف تجاهلت هذا كله ، ومددت يدك الخفية متناسيا جبروت الطغاة فـــي باريس وجبروت الجرائيم الصهيونية ، مددت يدك الخفية وخطفت بها اخواني مــن (اكادير) وهم لم يقترفوا اثما ولاذنبا ، غير أنهم يبذلون كل ما يملكون فــي

مشاريع البر والخير ؟

ماذنب اخواني ؟ هل ذنبهم انهم يجودون بكل نفس ونفيس في تشييد المعاهد والمدارس ، لنشر تعاليم الدين الحنيف ، ونشر الثقافة في ارجاء بلادهم سوس ؟

اليس هذا الذي كان ايها القدر الذي آمنا بخيره وشره ، قلبا للحقائــق المعروفة في نواميس الحياة ؟ أم أن هناك حكمة ربانية خفية اختص بها القضاء والقدر دون غيره من البشر ؟ آمنا بالله ، وآمنا بقدره المحتوم ونستسلم لكل ما فعلت يا ربنا فلا تسأل عما تفعل وهم يسألون ، ومع هذا كله فانني لهول الكارثة لااستطيع أن أتحمل آلام هذه الكارثة ، لانها طامة كبرى للمغرب عامة وسوس خاصة انها لقاصمة الظهر ، انها لاحدى الكبرى .

لمثل تلك يذوب القلب من كمد   ان كان في القلـب اسلام وايمان

اخوكم الذي تتلظى احشاؤه ، فاحترق قلبه بنار الكارثة وهو الفاجعة

٦ - ٣ - ١٩٦٠ م   (أحمد بن محمد الاخصاصي)

القصيدة :

ماذا وهاك الخيمة الاشبال   أحصبت أم روعت بالزلزال
أين المباني الشامخات بانفها ؟   أيـن القصور العادمات مثال ؟
أين المدارس في سمو علومها   طلابها في عقدهـا كلئـال ؟
أين المصانع زاحمت نجم السها   عقدوا عليها النجم من ءامال ؟
منها المشيد في السماك وبعضها   كالطود في قمم هناك عوال
سام على هام الثريا رفعـة   يزهو على الزهراء كالمختـال
أين الغواني الزاهيات بحسنها   في كنها وكناسها كغـزال ؟
بات الجميع على فراش هناءة   في مأمن في راحة من بال
الطفل في حضن يداعب أمـه   كالطفلة الحسناء ذات جمال
والشيخ في أكناف سربه هادئا   والعيش رغد في بنيه وءال
والتاجر المبروك في دكانه   يرعى الصباح لصالـح الاعمال
والفالح الارض المثير ذخائر الغـ   ـلات ثم ثقائل الاحمال
ماكان يخطر ان تداعى فوقهم   تلك الربا من حادثات لـيـال
وتصير بعد غضارة من عيشهـا   كسراب قيعة او تلعلع ءال
حجراتها منقضة وقصورهـا   خرب من الانقاض والاثـقـال
كانت تعج عمارة وتغص بالر   واد كانت مطمـح الامال
والطرق مزدحم الخلائق كثرة   طرافها الاجناس في أشكال
فداصبحت همس الشفاموفي الثرى   ذابت وغاصت ثم في اوحال

والروض اخرس غيرذلوقدذالك   ـسلوم ثـم ممزق الاوصال
قلب يذوب واعين تهمي كمـا   تهمي القراب بمائها وعـزال
ابكي اسى وتفجعا لفجيعـة   فمصابها قد شط في الايغال
لك ان تلوم على بكائي أو فدع   قلبي عليهم قط ليس بسال
هي حرقة في القلب في كبدي لقد   زاد العناء فزدت في الاعوال
ولقد سرى للنفس في أعماقها   ألم الم وجاء بالبـلبـال
هاج البلابل فجأة من حره   حلت شغاف القلب دون زيال
في ليلة ليلاء طـال ظلامهـا   لم تنحسر عن نجمها وهلال
وتطاولت حتى كأن صباحهـا   هو موعد للحشر يوم زوال
طال انتظار القوم مايبدو به الا   صباح بالتفصيـل والاجمال
حتى اذا خيط الصباح بدا بدا   عن محشر بالرعب من أهـوال
اين العروس عروس سوس اذنت   بالبين في لمح وبالترحال
وغدت محاسنها البديعة ءايـة   ءايا من الانقاض والاطلال
يا للفواجع ، والفواجع جـمـة   في الشيخ في الشبان في الاطفال
باللمصائب والمصائب جـمـلة   جاءت على الارواح والاموال
ماكان أقساها ـأجل ـ وتتابعت   في المغرب الاقصى غدت بتوال
ياهل ترى افعالنا السوأى جنت   أو جاء منها حاصب بوبال
اوذي بوادر طامة كبرى غـدت   قابا لتنهى خاتم الآجـال
قم أيها الشعب الكريم مكفرا   عن سوء مكتسب من الافعال
وانب الى المولى بمعتقد من الا   يمان صاف لم يشب بضلال
وانهج شريعة احمد المثلى فمـا   مثل الشريعة قط من منهال
فهي السنا وهي الهدى للسابل   والنور والمثل السمى العالى
وانهض غيورا غيرة الملك المفـ   ـدى الالمعى بل الاب المفضال
ماكاد يقرع اذنـه ذاك النبـا   حتى اعترته صولة الرئبـال
لم يكتحل وسنا ولم يطبق لـه   جفنا على جفن من الاهوال
حتى استقل الطير فيه محلقا   ويحثه في السير باستعجال
حتى اناخ به على اربـاضهـا   فرأى بمرأى العين شبه محال
فرأى أكادر يالها نهب البـلى   وهي الهدى الرؤد ذات دلال
فرثى لها ولناسهـا ومصابهم   والدمع لم يرقا لرقة حـال
وهناك طاف الاريحيي (محمد)   حلف الندى رب الجدى ونوال
يسلي ويأسو جرحهم بتواضع   وتواضع السلطان تاج جمـال
في رحمة بالقلب ساى ـ وتخشع   وتخشع السلطان اوج كمال
ويهيب بالحسن السري لنجدة   هو قدوة فيها وخير مثال
في اسرة ملكية علويـة   في همة علياء ذات جلال

فى رقة وحنان قلب مـــزده … بجلائل الاخلاق والاعمال
يايها الشعب الوفى قم واقتده … هذى التسمائل منه مثل لتال
واهرع لنجدة اخوة منكوبـــة … هـــى أخوة الاسلام خير منـــال
وابذل جهودك جاهدا فى غوثها … بسخاء كف بالجدى هطال
وانظر بعينى رحمة فى دمعة … حراء من كبد وجد بوصال
ارضى الالاه غدا ، وفى‌هذى‌الدنا … تبغى الثنا فابغ الثناء الـغـالى
يااهــل سوس دونكم مرثـيـة … فى الاسدفى اللبوات فى‌الاشبال
ياأهل سوس انها رمــز الوفــا … ان الوفا فى الشعر خير خــلال
يااهــل سوس انها من مخلص … جهد المقل ولاك ليس بسال
يا أهل سوس انها لعزاؤكـــم … فى الراحلين بروعة وجلال
شهداء عند الله جل جلاله … فى مقعد الصدق المقام العالى
قد شيعوا بملائك الرحمان ا … ن ملائك الرحمان خير مـــوال
ساروا بهم يحدوهم التعظيم يا … لتقديس والاكبار والاجـلال
نثروا عليهم من زهور جنانـــه … وسقوهم بـالروح لا السلسال
رحماك رب لوافدين لبابـكـم … رحماك ياذا الجود والافضال
رحماك رب بفتية من امة المختـ … ـار طـــه سيد الارسال
صلى عليه الله ما غيث همى … أو جـاد بالابكار والاصال
والصحب الابرار من اصحابـــه … والصفوة الغر الكرام وءال

(... ثم — (احمد بن قاسم المنصور الزيانى)

... فى (اكادير) التى هلك فيها من الانفس زهاء عشرين الفا ، ... من الاموال ما انهار به اقتصاد سوس ، ثم لايمكن ان ينجبر الا بجهود أخرى ... ، فالله يحفظنا من جميع الكوارث ظاهرا او باطنا ، انه سميع‌مجيب

أولاده

له من الذكور والاناث خمسة ، خديجة قرينة الاستاذ عبد السـلام ، وفاطمة العذراء — وهى الناجية من الهلاك — والمهدى ، والمختار الذى يتتـبـع دراسته فى الثانوى ، وهو من أنجب الناشئين ، ومن أثبتهم واهدئهم ، وهو الان يتتبع بعد الشهادة الثانوية ، وعياض الصغير ، واكبرهم المهدى ، وهاك عنه كلمة فقد ولد ٢٦ـ٩ـ١٣٥٦هـ وهنأت والده به بقولى :

هلال تبدى ساطع النور فى المهد … هنيئا بما أوليته يا أبا المـهـدى
فبشرى ءال الشيخ قد زاد بينهم … جديد رضيع المجد فى‌كنف السعد
تفصل من ابنائهم عقد جوهر … فجئت ابا زيد بواسطة العقد
كأنى به فذا بغير مشابـــه … وعذبا بلا رنق وعضبا بلا غمد
فيهدى الى العلياء من ضل سبلهـا … ومن لم يكن يهدى فلم يك بالمهدى

متعلمه للقرءان

كانت ولادته ومنشاه فى قرية زاوية سيدى احمد بن ابراهيم من‌الكرائمات فى الشياظمة ، فهناك اخذ القرءان اولا عن الاستاذ سيدى الحسين البعمرانى فى المدرسة هناك • حتى قارب أن يستتم الختمة ، ثم انتقل والده الى (الحمراء) فاخذ ختمة اخرى عن عمه بلقاسم بن على أخينا وشقيقنا فى الزاوية بالرميلة، ثم انتقل هو وولداى عبد الله وسعيد الى (ابن كرير) فختم أيضا هناك ختمة اخرى عند الاستاذين سيدى محمد بن ناصر وسيدى ابراهيم بن احمد الالغيين فهناك اخذ القرءان فى نحو ثلاث ختمات •

مآخذه للعلوم

افتتح العربية عند الاستاذ احمد الوفقاوى فى مدرسة (تمانار) بحاحة فاخذ عنه الجرومية والجمل والزواوى ولامية الافعال وابـن عاشر والسيرة النبوية ، والالفية الى جمع التكسير ، والفرائض والحساب ، بقى هناك عامين، ثم انتقل الى مدرسة (ابن كرير) بالرحامنة ، فاخذ النصف الاول من المختصر والتحفة ، النصف الاخير منها ، والجوهر المكنون ، والمقنع ، والالفية والدروس النحوية ومحاضرات الخضرى ، وأدبيات كثيرة ، والمقامات الحريرية ، بـقـى هناك عامين ثم انتقل الى مراكش ١٣٧٢هـ فانخرط فى كلية ابن يوسف فــى الرابعة من الثانوى ، فتتبع السنوات حتى أخذ الشهادة السادسة سنة ١٣٧٥هـ ثم انتقل الى (تطوان) حيث التحق بالنهائى الممتاز ، ثم التحق بالحى الجامعى فى (الرباط) وهو الان ١٣٧٩هـ فى السنة النهائية فيه ، وله نجابـة وشفوف وتحصيل • جعله الله خليفة والده بفضله وكرمه •

ثم انه حصل على الشهادة العالية من الحى الجامعـى ، فهاهـوذا الان يتوظف قاضيا ، وقد أملك باحدى كرائم عمه سيدى محمد ، وقد تحسنـت اخلاقه كثيرا ، وخصوصا بعدما أصيب بكارثة والده ، والمصائب أفضل مشحذ لمن يريد الله به خيرا •

الاديب سيدي ابراهيم بن علي

مختتم ٧-١٣٢٨ هـ = حـــى

نسبـــه :

ابراهيم بن علي بن احمد بن محمد بن احمد بن محمد بن سعيد بن محمد
بن احمد بن عبد الله بن سعيد .

في أول رمضان ١٣٢٨هـ ، كنت بين يدي والدي امام السريجة على البغلة
وقد رجع بنا الوالد أنا والاخوان : أحمد والحبيب من قرية (افريان) حيث كنا
نقرأ القرءان اذذاك ، فبتنا في دار الشيخ على الديلمي في قرية (تيلقايد) انتشر
الفقراء الذين مع الوالد في الطريق ، ونحن متوجهون الى جهة (المعدر) ثم الى
البلد ، فقال لي وهو يحدثني محادثة الاطفال ، أتدري أنه ازداد اخ لك ءاخر،
فقلت له لا ياابتاه ، ومتى ؟ وما اسمه ؟ فواليت الاسئلة ، وأنا جذل على عادة
الصبيان في العجلة الشديدة العنيفة اذا استفزهم فرح جديد ، فقال كان ذلك
منذ اول الشهر الماضي ، فكان الوالد أول من بشرني ببزوغ طلعة هذا الاديـب
الاستاذ الكبير الذي نترجمه اليوم . ثم بعد يومين وصلنا البلد ، فتلقتني أمي
بما تلقى به كل والدة رؤوم ابنها الصغير الغائب عنها كثيرا يوم يدخل عليها،
وكان وقت وصولنا اصيل يوم ، فأول ما صنعت أن هرولت الى مهد الاخ الصغير
فاطللت عليه ، ولا ادري هل رأيت من عينيه اذذاك هذا النبوغ والعبقريـــة
اللذين ظهرا منه فيما بعد اولا

تعلمـــه

أخذ القرءان في رفقة عبد الرحمان سواء بسواء عن السكتاني والالوكومي
وسيدي احمد الحاحي البيضاوي ، وسيدي موسى ، وسيدي عيسى ، ثم افتتحا
معا كما ذكرناه في ترجمة الاخ عبد الرحمان في حاحة ، ولا ازال اذكر انني
حين جيئت بهما من الغ في المحرم ١٣٤٢هـ وصلنا في الطريق غابة (اكي افرني)
بين (أيت تامر) و (أورير) فكنت القن هذا الصنو هذه الابيات التي قلتها على
لسانه في تلك الغابة ، ونحن على البهائم وهو رديفي ، فقلت له كل من سالك
من أنت ؟ فاجبه بهذه الابيات

أنا سمي الخليل أنا رشاد الضليل
أنا النمير فقد فـــ ــاز ان أتى ذو غليل
أنا طبيب ومن شـــ ــك يأتني بالعليل

فسرت امليها عليه حتى حفظها ، ولكنه لم يعرف معناها بـعـد ، ثم دارت
دورات الزمان ، وذهبت وجاءت امور ، فاذا به مرشد الضالين الى مناهـــج
العرفان ومروي غلة العطاش الى العلوم ، وطبيب بين هذا وذاك بحذقه وحسن
تطبيبه ومعرفته كيف يضع الهناء مواضع النقب .

في ميدان المعارف

في سنة ١٣٤٤هـ كنت في قرية (دوملت) بحاحة حيث افتتحوا المبادىء
على يد الاستاذ سيدي محمد بن احمد ابن العم في دار القائد سعيد (رحمـه
الله) فامتحنتهم ، فساءني جدا انني رأيت من المترجم تاخرا كثيرا عن أخيــه
سيدي عبد الرحمان ، حتى أنه لايفرق بين الجموع الثلاثة جمع المذكر السالم
وجمع المؤنث السالم ، وجمع التكسير ، فكان ذلك سبب أن ذهبت بهما معي
الى فاس ، وكنت اذذاك في تذبذب فكري ، وانا كما اتصلت بالحياة الجديدة
وكما ظهرت على أخبار العالم الحديث ، بأفكاره المزوجة المختلطة المتضاربة،
فكنت معها اذذاك كريشة خفيفة لا تستقر على حال ، فربما اعقد عزيمتي اليوم
على شيء ، ثم انقض غدا ما ابرمته أمس ، وأنا مع ذلك اتطلب أن أصل الى الحقيقة
حتى لا اقلد أحدا فيما آتي وما أذر . وكان لهذا التذبذب وقع سيىء في سيرنا
انا وصاحب الترجمة الذي ثز معي ، فيسير بسيري ، ثم لم ينجل عنا ذلك الا
بعد زمن فاتنا فيه من علماء القرويين ما فات ، وفي أثناء ١٣٤٥هـ ، سرت اتبين
الموقف ، وأدرك أن ذلك السير لايفضي بي الا الى تخطي معارف هي كل ما أمكن
لي الاحراز عليها في الوقت ، فاقبلت على النحـو واللغــة والادب والتاريـخ
ادرسها مع هذا الاخ وءاخرين ، فانتفع هو بذلك احسن انتفاع ، وقد أخـــذ
هناك عن علماء ءاخرين ، منهم سيدي الطاهر الكتاني الذي أخذ عنه من الفقهيات
والاستاذ سيدي العباس بناني والشيخ سيدي محمد بن الحبيب الفلالي ، وكنت
اعنى بتقويم لسانه في العربية ، فأكببت معه على كتب المنفلوطي الادبية فبها
تخرج ، يتلو غالبا ، خصوصا حين امتد في مضجعي - على عادتي مع امثاله -
ثم يتلو لنفسه ، فتعلم من ذلك ان يعتمد على نفسه . هذا وهو ياخذ الادبيات
عن شيخنا المفكر الكبير سيدي محمد بن العربي العلوي في (الكـامـل) و
(المقامات) وغيرهما ، وقد اخذ عني كثيرا من النحويات وبعض كتاب (الاحكام)
للمعافري ، ثم في سنة ١٣٤٧هـ ، رأينا ان نحط رحالنا في (الرباط) فمضت
تلك السنة علينا سنة مباركة عظيمة الفائدة ، وقد واظب معنا الاستاذ شيخنا
سيدي المدني ابن الحسني بدروس متعددة في الحديث والفقه والبيان ، ومـا
اليها من المباحثات القيمة في المجالس التي لم تجعل للدراسة ، وءاخر ماأخذناه
منه (ارجوزة العراقي) في الاصطلاح في اسبوع ، بعدما اتممنا عليه (بلـوغ
المرام) وقد اخذنا أيضا ماشاء الله من (عمدة الاحكام) عن شيخنا سيدي محمد

السائع ، هذا ونحن دائما نحضر (التحفة) صباحا و (التفسير) بين العشاءين على شيخ الاسلام سيدى ابى شعيب الدكالى امام الجيل ، ومتى رجعنا مـــن دروس هؤلاء الاساتذة اقبلنا على دروس اخرى خاصة أدرسها للمترجم ومن معه منها النصف الاخير من (القوانين) لابن جزى درسناه بتتبع ، فنفعنا جدا فـــى الفقه و (ارجوزة ابن عاصم) في الاصول ، و (المقامات) و (المغنى) لابن هشام وانا بين ذلك مكب على المطالعات المختلفة ، حتى كان كل النهار معمورا بهـــذه الاعمال ، فكنا مغتبطين مغبوطين ، ونحن الى الان لاننسى (الرباط) وسنتـــه الميمونة المباركة التى استطعنا ان نؤسس بها لاعمالنا المراكشية المشهورة ، ومتى اراد الله شيئا هيأ أسبابه ٠

وفي مفتتح ١٣٤٨هـ ، القينا الرحال بالحمراء بعد ، فاقبلت على المدارسة مع هذا الاخ ٠ وبضعة طلبة اتصلوا بنا اولا ، فمررنا بادئى بدء على (جمع الجوامع) و (الرسالة القيروانية) و (الزقاقية) و (الموطا) و (العمدة) في احاديث الاحكام وادبيات كثيرة ، ثم انه اخذ أيضا من الجامع اليوسفى عن شيخنا مولاى احمد العلمى ، وسيدى محمد بن عمر السرغينى في الاصول والفقهيات ، كما أخذ ايضا هو وبضعة اقرانه عن الاستاذ سيدى عبد الجليل ابن القزيز التفسير وعن الاستاذ سيدى احمد اكرام ومن سيدى احمد بن المحجوب الرجل العابد ، فهذا [illegible] الشقيق قبل ان القى رسنه على كاهله ، ثم لما رأيت منه ما يبهجنى [illegible] شيئا فشيئا حتى استقل بنفسه ، ويفعل ما يشاء ، وكان دائما منذ [illegible] الحمراء يتطلب الرجوع الى (القرويين) ولكن ذلك لم يتيسر ٠

[illegible]ان التعليم

اقبل على التعليم في مدرسة جديدة فتحناها بمراكش نحو عام ١٣٥٠هـ (وهى التى تطورت في عدة اطوار فكانت بعد هذا الحين مدرسة (الحياة) ٠ المشهورة باستاذها الجليل سيدى بريك الغراس) فظهر من مقدرة المترجـم وحسن تأنيه وصبره ، ودماثة اخلاقه ، وادارته وتنظيمه ، ماحمل الاستاذ سيدى محمد بن عثمان (رحمه الله) ان كان يقول دائما سبحان الله ، فشتان ما بين (فلان) وسيدى ابراهيم ، فبينما هو نجده لايزال بدويا صعب الاخلاق ، ذا مخاشنة في الملمين به ، محتوشا لاموره بلا نظام ، اذا بسيدى ابراهيـــم حضرى الطبع ، لطيف المنزع ، دمث الشمائل ، ملمسه ألين من الحرير ٠ محب للنظام الموافق لهذا العصر ، فهذه قولة الاستاذ التى لاتزول عن لسانه في كل مناسبة ، وانا انصف من نفسى فانزل عند هذا الحكم ، فلئن فاتتنى هذه الخصال فما حرمت مما فاز به أخى الشقيق ، فان كنت على جبلة غير محمودة فارجو الله ان لايفوتنى من ورائها الانصاف الذى هو بفضل الله جبلى في والحمد لله ٠

ظهرت مساعى الاخ في مدرسته غاية الظهور ، مع انه لامعين ولا منشط، الا انه يستمد من عزم بين جنبيه فولاذى ، لاينثنى دون الغاية المنشودة ، ولعل الذين درجوا به في الابتدائيات ، وحفظوا مع ذلك القرءان أو أشرفوا على حفظه يعدون بالعشرات (وقد أصبحوا بعد اساتذة كبارا ، كالاستاذ عبد النبى، والاستاذ الصديق الغراس وأقرانهما) ٠

فتحت (مدرسة جسوس) بالرباط على يد الاخ المجاهد الحاج أحـــمد بلا فريج ، الذى هو أول من طلع على المغرب من بين الاهالى بتعليم جديد ، يماشى العصر الحديث باساليبه ، ويجمع بين الثقافة العصرية الغربية وبين المحافظة على الثقافة التى لايزال اثرها واضحا للعيان ، صار الحاج احمد يتطلب الاساتذة المقتدرين العارفين كيف يكتشفون متجهات التلميذ حتى يقوموها على الصراط السوى ، فذكر له صاحب الترجمة ففاتحنى في استخدامه استاذا عنده ، فكان ذلك سبب ان غادر المترجم الحمراء ، فترك ءاباء تلاميذ مدرسته فـــى حيرة ووله لو لم يجىء الاستاذ سيدى بريك الغراس ، فكان هنالك خير خلـف لخير سلف ، وكان هذا الانتقال في مفتتح رمضان ١٣٥٤هـ فظهرت اعماله في (مدرسة جسوس) فكان سعيه مشكورا بكل لسان ، وهو مع اشتغاله هكـذا مكب على المطالعة ، حتى التهم عشرات فعشرات من الكتب الادبية والتاريخيـة والاجتماعية ، وقد كان في الحمراء حيث لم يتم له النظام كما يشاء ، يلاقـى صعوبات في أن يجد فراغا للمطالعة التى أغرم بها ، فكان ذلك أحد الاسباب التى التحق بسببها الى هذه المدرسة التى هى في النظام على أحدث اسلوب ، وقد كان بيته في النزل في (باب الاحد) مجتمع كثير من ادباء الرباط اذذاك ، بل مقصدا للواردين من غير أدباء الرباط ٠ فهذه هى حياة الشقيق ابراهيـم وهكذا تدرج حتى وصل الى هذه المرتبة التى يتمتع فيها اليوم بما يتمتع بـه العاملون المجدون ، ومما تقدم تدرى العلوم التى يخوض فيها ، والاخلاق الهينة اللينة التى خصه الله بها ، وربما كان لما يراه منى أحيانا اذ يفلت زمام عواطفى من يدى ، هو الذى أراد أن يتحفظ جهده ، حتى لايقع فيما أقع فيه ، مع توفيق الله اياه واعانته ، ومعلوم ان من ساء اخلاقه تحسن اخلاق اصحابه ، ومـن حسنت أخلاقه تسوء اخلاق اصحابه كما يقوله المامون ليحيا بن اكثم ٠

ءاثاره الاولى

لم يحضر عندى الان في (الغ) من ءاثاره الاولى ما اتخير منه كما أريد ، وانما عندى هنا في منفاى بعض ما وجدته بين الاوراق ، ولعل في ذلك خيرا لنثبت له ما يتيسر من بواكير منتجاته ، مما يرسله عفو الخاطر ، فلا أدل عـلى الانسان من هذه التى يرسلها على عواهنها ، ثم يكتب له الخلود بها ، وأما مـا توفر عليه ، فربما يكون فوق مستواه العادى الذى يجول فيه

كتب الينا من الرباط الى الحمراء ـ٩ـ١٣٥٤هـ

(بعد تهنئتكم بعيدنا الوافي ، ابلغكم تحياتي وسلامي المصحوبين بكل اشتياق وتحنان ، الى زيارتكم وملاقاتكم التي لم يصدني عنها الا امور نفسانية وعلائق ودية ، مع اخرين متشبثين بالاذيال ، لنقضي معهم أيام الافراح والمسرات في هذا العيد ، علاوة على تهاطل الامطار ، واسترسال أنابيبها لغسل الاوحال العالقة عن الانتقال والترحال ، ولد حض الاتراح العالقة بالقلوب والنفوس وكان من امر الاقدار ان ذهبت بنا مطية الامال الى بعض الادغال ، حيال الرباط برسم التجوال ، وترويح الخاطر من عناء الدرس والمطالعة ، بعد ماشاهدنا صفاء الاديم ، وبروز الغزالة من وراء الغيوم ، لتحيي الامال ، وتبعث الحياة في النبات والحيوان • وقد أشعت على الفضاء بحرارتها الدافئة فترة من الزمان حقا اغترنا بها واستهوتنا كما تستهوى سحابة الصيف قافلة مـن قوافـل الصحراء ، فارسلنا للراحلة عنانها ، حتى استقرت بنا تحت خيمة تقلهـــا دعامتان ، وتبسطها أطناب واوتاد ، يسكن في زاوية منها خرفـان صغار ، وفي اخرى هرة واولادها ، وفي ناحية نساء مع اطفالهن الذين لايفترون عن النحيب والعويل ، حين كانت الطاهيات يهيئن لنا الطعام ، وقد اوقدن جذورا لعلها رطبة فملأت سماء البيت دخانا وظلاما ، وفي الوسط قافلتنا المتركبة من ثمانية فاكثر ، وقد استدرنا فيما بيننا ، ويطرقنا من النواحي غثاء الحملان ومواء السنانير ونباح الكلاب الخافرة للحي ، كان كل واحد ـ عند نفسه ـ يرطن في معقله ، تشول باذنابها كما يشير بدبوسه ، وتكشر عن انيابها كما يكشر بنادقه ومسدساته ، وتملأ الفضاء بنباحها ، كما يلقي أوامره وضوابطه وقد ألقينا عصا التسيار ، لناخذ منه الى مرحلة أبعد ، فحمدنا مستقرنا ، وشكرنا مثوانا ، باعتناء ارباب البيت الرافع العماد ، الكثير الرماد ، فلئـن كان الحاريون يتخيلون ذلك فنحن شاهدناه حقيقة لاخيالا ولامجازا ولا كناية، ثم ارادت الطبيعة ان تحاكي جود رب مثوانا وربانه ، فأرسلت سحبها غيثـا مدرارا ، لم ينقطع ليلا ولا نهارا ، حتى استحالت أرض المكان زرقاء (كأن لون أرضها سماؤها) وقد ضعفت سماء البيت عن الاستمساك ، حتى جعل ابن امكم يتلقى الوكفات بكلتا الكفين ، بعدماثقل بالابتلال من أرديتنا كل ما خف ، فكان كل ما تشتغل به ألسنتنا ترديد قولنا (اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم على الظراب والاكام) اللهم استجب دعاء الابوصيري في قوله

(على الربا والهضاب انهل وانسجم)

واصبح كل منانا أن نجد منقشعا من السواجم لنرجع الى بيوتنا ، وقد قنعنا من الغنيمة بالاياب ، واجتوينا رؤية هذه الروابي والهضاب ، فنترجى بعدما انستنا اسواط السماء ببروقها ورعودها ، ومنهمر مائها الدائم ، ماكنا خرجنا اليه ، ان نرجع كفافا ، لا لنا ولا علينا ، ولكن هيهات أن يصحوا أديم الجو ، وأن يسفر بعد ان تقنع بسحب دكناء ، فان اسفر حينا وتراءت لنا لمع

منه ، كما تتراءى لمع المحيا الوسيم ، من تحت قناع خلق تتخلله شقـوق الوصاوص (١) فما ذلك الا ليرجع كرة اخرى الى تجهم جديد ، وانهما رينسى ماتقدمه ، وهكذا دواليك ، الى أن استدار ليل ونهار ، فأيقنا ان الحـزم يقضي بالرجوع على ادراجنا ، لان أحسن المتنزهات في الايام المطرة الغرف الدافئة ، وقد اتكات على اريكتها تتمتع من هناك بالجو المكفهر من نافذتك ، فابنا يومنا هذا ، وقد حمدنا سلامة الاياب ، عاقدين العزائم على أن لانعود لمثلها أبدا ، ما دامت في السماء قزعة ، وان لايغرنا من فصل الشتاء سحاب عارض

ذلك من اعذاري أيها الاخوان ، حتى لا اشارككم في تعييدكم ، ولكن ان شاء الله سنخلف ما اضعنا بعد العيد بيومين او ثلاثة ، فنفوز بكلا الفرحيـن ، ونضيف انس (الرباط) لانس (الحمراء) فنجمع بين الحسنيين ، ويعود سلامي الازكى على جميع الاخوان والطلبة ، وتكون منه للاديب البونعماني نفحة تليق بمقامه السامي في الادب ، ان كان الكتاب صادفه هناك ، وابث اليه من أشواقي)

* * *

ايام كنا بفاس كانت عندنا بالبيت هرة صغيرة ، ففرط منه وهو صغير، انه اعطب احدى أرجلها ، وهو يلاعبها بموسي او بمثلها ، فخاف ان يناله مني بذلك ما يسوءه ، فكتب الى هذه البطاقة الصغيرة •

استاذي واخي الشقيق :

انني لفي استحياء عظيم ، وفي خجل كدت منه أذوب حتى سبق مني لهذه الهرة المسكينة ما سبق ، فانني أقدم اليك يا أخي الحنون ، واستاذي الشفوق اعتذاري ، واقسم لك ياسيدي انني ما تعمدت ما فعلت ، وانما هي زلة من غير عمد ، وهي بنت الغلط ، فاتطلب من سيدي طلب المستحيي الخائف الوجل ، ان يسامحني وان لايواخذني ، وأن يقابلني بما قابل به يوسف اخوته من عدم التثريب وبالمغفرة التامة ، والسلام الاتم على سيدي واخي واستاذي ورحمة الله ١٣ـ٢ـ١٣٤٦هـ ، أخوك وتلميذك الخجول الوجل ، ابراهيم

بهذه الرسالة استطاع ان ينسل من التقريع الذي يولع به المربون القساة (الطراء) في أمثال هذه المواقف ، وقد كان اذذاك يعاني صناعة الانشاء ، فوجد بركة هذه الصناعة فذهبت دماء الهرة المسكينة هدرا ، وليس بالاديب مـــن لايرق قلبه لسحر البيان ، حتى يبدر به دماء كل الهررة والسنانير (٢)

---

١) الوصواص : خرق في الستر بمقدار ما تنظر منه العين ، قال الشاعر:
وشققن الوصاوص والعيونا

٢) كان شيخنا سيدي المدني ابن الحسني يقول ان كلمة الهر الالمانية ، جمعه هررة ، والسنيور الايطالي : جمعه السنانير ، ومسيو الفرنسية : جمعه المساوي ، فيقول عن حفلة أوربية • جمعت الهررة والسنانير والمساوي •

في تطوان

رايت الان ابراهيم بن علي الذي قضى ما قضى في (الغ) ثم في (حاحة) ثم في (فاس) ثم في (مراكش) ، ثم في (الرباط) والان سترى ابراهيم ءاخر المسمى في تطوان (ابراهيم الالغي) فان هذين الابراهيمين متباينان على خط مستقيم ، فعهدنا به وهو تلميذ ثم استاذ اولى ، وما بين هذين الا خيط رقيق، كما عهدنا فيه اريحيا فكها سهل الاكناف معاشرا ، ينسى ان له وجودا خاصا ـ كما هو ديدن ابناء البهجة من الانسجام مع المجالسين الموانسين في مجالس المؤانسة ـ عهدنا انه احد الطلبة المتفوقين في النكتة ، والاخذ والرد ، والاقبال بقلبه وجيبه وعهدنا به ايضا أن له قوة على هضم كل ما يلتهمه من كتب المطالعات التي يواليها ثم يوليها كل مافيه من قوة ، هكذا كنا عرفنا استاذنا ابراهيم امس يوم فرق الدهر بيننا وبينه أواخر ١٣٥٥ هـ ، ثم دار الزمان دورانه دورة بعد دورة ، ثم لم اتصل به الا ببضع رسائل تعاطيناها ما بين(الغ) و (تطوان) ـ توجد في كتاب (الالغيات) ـ ثم لما انحلت عقدة النفي عني ، وراجعت الحمراء ، وتمكنت من زيارة (طنجة) تلقاني هناك سيد وقور عصري على ءاخر طراز ، بشوش يجاري بمقدار مايسمح به وقاره التطواني ، والعجيب انه لو لم يقدمه لي جليسي لما استرجعت معرفة محياه ، فكانت لقيا ابتلت بها الجوانح مما كان يتلظى فيها قبل من اشواق لافحة تنشا عن ذكريات طافحة، ... لي اذذاك انه على نية الاقتران بسيدة كانت يراعتها أعلنت مكانتها على ... الصحف قبل هذا الحين ، ثم بلغني ان ذلك قد تم على احسن مايرام، ... ما يرام ، ثم تتابعت السنون ، فجاء الاستقلال ، فازيلت الحواجز بين الطرفين ، فوقعت اتصالات متعددة منه الي في (البيضاء) ومني اليه في (تطوان) حيث نزلت على اسرته الكريمة ليلة هي من ليالي العمر التي لاتنسى•

وبعد فكيف ابراهيم الثاني هذا التطواني الذي نراه الان بين أيدينا ؟ انه ذلك الاستاذ العظيم الذي قضى زهاء عشرين سنة في التعليم والتخريج ، فقد كان اولا في (معهد مولاي الحسن) مع الاستاذ الكبير المكي الناصري ، ثم كان في مدرسة حكومية أخرى ، فامكن له باكبابه وحسن نظامه ان يمر بين يديه طبقات من كل الذين استتموا بعده دراستهم في (اسبانية) وفي (مصر) حتى ان كل من القاه من الشباب المثقف في الشمال يفتخر بانه من تلاميذ الاستاذ (ابراهيم الالغي) حتى أن بعض المنكتين من بعض الحواضر قال في مجمع يوما ، ان المختار واخاه ابراهيم ينتسب اليهم في (مراكش) و (تطوان) كل من دب ودرج ، وقد كان ابراهيم الالغي استطاع اداء هذه المهمة بتباعده ظاهرا عن التحيز الى هياة من الهيئات ، وان كان وطنيا في قرارة نفسه ، فتفرغ لاداء مهمته ، ثم كان لانزوائه الغريب عن المجتمعات سنين طوالا ، اثر في

زيادة انكماشه ، حتى كان ذلك مما طبع به من صغره ، مع ان ذلك انما حدث فيه منذ انزوى في (تطوان) ثم استطابه فعض عليه بالنواجذ ، وقد عرف هناك بالتمكن في الادب العربي العالي ، فيتحاكم الى ذوقه وينبه على السرقات في قصائد الشعارير ، بل أعلن يوما عن قصيدة مسروقة من (ديوان علي جارم)، غفل عنها كثيرون من المصيخين لها ، وبهذا الاكباب على الادب العربي استطاع ان يخرج كتابا ادبيا مدرسيا في جزءين وهو مطبوع ، كما كانت له مؤلفات اخرى عربية مطبوعة كسلسلة ، فقرر الجميع للدراسة الرسمية اذذاك •

زرت مولانا الملك محمدا الخامس يوم رجع من سفرة (طنجة) المعلومة ، فقال لي • عجبا ان شابا ألقى أمامي قصيدة في الشمال فقيل لي انه اخوك ابراهيم ، فأعجبني فوصيت عليه الخليفة مولاي الحسن ، قلت له انه من اسرة لها عندنا مقام عظيم • هكذا قال لي الملك ، فزادت تلك التوصية المترجم مقاما الى مقام ، فنال الشفوف في البلاط الخليفي •

تلك كلمة صغيرة عن ابراهيم الالغي التطواني ، الاستاذ العلامة الوقور الوديع، الذي استطاع أن يرقى نفسه بنفسه بعدما فارقنا ، فكان مجمعا عليه بين التطوانيين أخلاقا ، وحسن معاملة ، ورفع همة وعزوفا ، حتى لو عرف ان في شرب الماء القراح ثلما لمروءته لما شربه ، وقد حافظ على كثير من مزايا اسرته من ملازمة الصلاة والتزيي بمحاسن الاخلاق ، فلا تدخين ولا اسفاف ولا معاشرة تخل بمقامه ، وله المام باللغة الاسبانية ، ولعله تمكن فيها في جولاته الكثيرة في كل سنة في ذلك (الفردوس المفقود)

في المجلس الاعلى بالرباط

جاء الاستقلال • وصدمت (تطوان) بزوال أبهتها التي الفتها في عهودها الاخيرة فلم يمكن بعد للمترجم ان يبقى فيها ، لانه انما كان ملتجئا اليها يوم نفيت أنا الى (الغ) خوف أن يلحق بي ، وقد تسرب اليه ان ذلك يحبك حواليه فانسل الى (طنجة) ثم الى (تطوان) فحين عاد جميع الملتجئين يحق له هو أيضا ان يرجع ، فتهيأ له ان يكون في المجلس الاعلى للنقض والابرام ، حيث هو الان ١٣٧٩هـ ، وقد اشترى دارا في الرباط فاستقر به القرار •

اثاره الادبية في تطوان

بين يدي الان سجل طافح بادبياته نثرا وشعرا ، مما كان ينشر له في ظرف عشرين سنة ، فهناك من المقالات الطنانة ، والقصائد البديعة ، ومساجلات بينه وبين معاصريه • ووصفيات شتى يصف بها مناظر طبيعية خلبته ، اما في (تطوان) واما في غيرها ، زيادة على قصائد المناسبات التي يقضي عليه مقامه

ان يشارك فيها ، وان كان عزوفه وانكماشه المعهود قلما يسلسان لذلك ، الا اذا لم يجد منه مناصا ، كما ان هناك موشحات واناشيد على غرار الموشحات الاندلسية القديمة ، او على غرار شعراء المهجر الذين يظهر ان لبعضهم في قلبه مكانة مكينة ، حتى انه ليشتغل احيانا بدراسة شعر بعضهم •

ذلك جماع ما اراه الان امامي اجمالا ، وحين لم يمكن لي ان اسطر الجميع ذكرت بعضه مما يستحق الذكر لئلا يغفل عنه التاريخ ، وناهيك بكونه في (تطوان) معروفا بالعبقرية في الادب ، حتى كان جل دراسته في (الثانوى) هو الادب ، وقد حاز باعماله في هذا الميدان جوائز مرات ، وناهيك به حين حاز كتابه المدرسي في الادب (العربي) الجائزة الاولى في (الرباط) بعد الاستقلال وهكذا كان اديب أمس الاستاذ ابراهيم الالغي ، نبراس الادب في (تطوان) ذا آثار حية ممتازة تكون أكبر شاهد على أنه أديب اليوم أيضا ، فهاك الان من بعض مقالاته اولا التي تظهر مكانته كعلامة عربي أديب مفكر ، ثم نسوق لك ما امكن لنا سوقه من القوافي ، حتى لا نخرج من ترجمته الا وقد أدركنا من هو ابراهيم الالغي التطواني ثم الرباطي • فان الآثار الادبية هي التي تعبر عن الاديب فكرا وبراعة واسلوبا •

هاتان كلمتان اخترناهما كأنموذج من نثر الاستاذ حفظه الله ، ولعل القارئ يعجب بهما كما اعجبت انا بهما قبله •

النشأة الاولى للكتاب العربي في القرن العشرين قبل الميلاد

للكتاب العربي نشأتان : اولى وثانية ، فالثانية هي التي أتاحها نزول القرآن الكريم ، وكان للامويين فيها بعض الفضل ، وللعباسيين فيها النصيب الاوفى ، والقدح المعلى • فهم الذين اظهروا الكتاب العربي على شكله القشيب، الذي عرف به قديما وحديثا ، وجعلوه كتابا واعيا جامعا ناسخا لما سبق ، وناهجا لما لحق •

اما النشأة الاولى للكتاب العربي التي وددنا ان نتعرض لها بهذه المناسبة السعيدة فهي تتقدم وتسبق الثانية بنحو ثلاثين قرنا ، توغلت في القدم وامعنت في الخفاء ، حتى كادت تنسيها وتطمسها ظلمات التاريخ ، وكرور الدهور والعصور •

والعجب ان مهد النشأة الثانية التي نعلمها ونعقلها ، هو نفس المهد للنشأة الاولى ، فالارض التي تدرج عليها الكتاب العربي في عهد الرشيد والمامون ، هي التي درج عليها قبل ذلك بقرون وقرون ، ففي بلد الرافدين ، او في العراق

البلد الطيب المبارك زرع العرب الاولون : الحمورابيون نتاج عقولهم ، وثمار حضارتهم ، كما فعل اخلافهم واعقابهم من بعدهم •

فالتاريخ يعرف ان وادى الفرات كان أسبق البقاع في قارة آسيا الى انتاج العلوم والفنون ، منذ أقدم عهود التاريخ ، ففيما بين النهرين : دجلة والفرات اشتغل أقوام بالعلم والادب ، وضربوا فيها بسهم وافر ، وتمتعوا بما لم يتمتع به احد ، فضبطوا العلوم ، ورصدوا الكواكب ، وعرفوا مواقع النجوم ومسالكها ، وسموها باسمائها ، وساروا تحت انوارها وأضوائها ، والعالم حولهم في ظلام دامس ، وليل قاتم ، كما أن وادى النيل الخصيب المريع اسبق بلاد الشرق الى النضج الفكرى ، والنبوغ العلمي ، ظهرت فيه طائفة من كبار العلماء قبل فجر التاريخ ، اى منذ نحو ستة آلاف سنة ، ونذكر بهذه المناسبة ان الحفريات وقفت هناك على كتابة منقوشة فوق قبر ، يفخر فيها صاحب القبر بأنه كان يتولى ادارة الكتب المختصة بالدولة ، في عهد الاسرة السادسة ، أى منذ نحو خمسة آلاف سنة ، فهذا يدل بطبيعة الحال على وجود الكتب بكثرة في ذلك العهد السحيق في ذلك الوادى المبارك

كما عثر النقابون بوادى الفرات على (قرميدة) بابلية ، عليها كتابة بالقلم المسمارى القديم ، فيها قائمة باسماء ملوك بابل ، ومن جملتهم ملك اسمه (شرجينا) يظهر انه سامي الاصل ، عربى العنصر ، كان محبا للعلم والعلماء، راغبا في العمارة • مولعا بالكتب ، أنشأ مكتبة في مدينة (ورقة) من أعمال العراق ، سماها مدينة الكتب وعهد الى رجل من خاصته في جمع الكتب من كل مكان ، وندب علماء أمته للتدوين والتاليف والشرح والتعليق ، كما استعان بالعلماء من سائر الاقطار ، لينقلوا له ويترجموا ما عندهم من العلوم والفنون مثل مافعل بطليموس في مكتبة الاسكندرية بعد ذلك بمئات السنين • وكما فعل كسرى انواشروان في مكتبة (جند يسابور) وكما فعل هارون الرشيد والمامون في مكتبة (بغداد) ، وعبد الرحمان الناصر والحكم في مكتبة (قرطبة) فالملك (شرجينا) يعد أول من دون العلوم والفنون بشكل مرتب شامل ، وتعد مكتبته أول مكتبة في العالم ، ومن حسن الحظ ان النقابيين عثروا على بقاياها بين النهرين ، في حالة لاباس بها ، فنقلت الى المتحف البريطاني في (لندن) فهي هنالك الى اليوم ، وحروفها منقوشة على الطين بالحرف المسمارى في الواح من الخزف او القراميد ، ولغتها سامية بابلية شقيقة العربية أو أصلها الاول ، وتعرف هذه المكتبة عند مؤرخي الاثار بمكتبة (ورقة) او بالقراميد الاشورية ، فهي وان كانت بعض حروفها مطموسة ، وبعض ألواحها محطمة يمكن الانتفاع بها والاستفادة منها •

الا ان اعظم اثر وصل الينا من اهل بابل او العرب القدماء ، هو شريعة (حمورابى) المدونة فى أواسط القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد ، فهى اقدم اثر علمى باق الى اليوم بل هى أقدم كتاب فى موضوعه وصل الينا سالما كاملا لم يلحقه عطب ، ولا ناله تغيير يذكر ، فهو أثمن ذخيرة علمية على الاطلاق ،فاذا صح – كما هو الراجح – ان الحمورابيين عرب كان أقدم اثر علمى عند العرب يرجع بتاريخه الى ما ينيف على أربعين قرنا او اربعة آلاف سنة •

عثر على هذا الاثر سنة ١٩٠١ م فى بلاد السوس ببلاد فارس ، وجد منقوشا على مسلة طولها سبع أقدام ، من الحجر الصلد الاسود ، كتب بالحرف المسمارى المستعمل عند البابليين والمعدود أصلا من أصول الخط العربى ، ولغته بابلية قريبة من اللغة العربية ، ولا يخفى ان ما نلاحظه من الفروق والتغيرات بين اللغة والخط العربيين فى عهدهما الاول ، وحالهما فى العهد الثانى زمن الاسلام ، ليس شيئا اذا قيس بمئات القرون ، وبما يأتى على الامة من صروف وظروف ، وما تتقلب فيه من أهوال وأحوال • فاذا قلنا ان شريعة (حمورابى) اثر عربى ، لانعنى انها فى منزلة الشعر الجاهلى مثلا يستطيع كل عربى أن يقراها ويفهمها ، وانما نعنى أنها عربية الجنس ، عربية الصبغة ، عربية المبدا مثل عرب اليمن القدماء ، فلا يشك احد فى عروبتهم ، وان كان لهم لسان لايفقهه العرب المسلمون ، ولهم خطهم المعروف بالمسند ، لايقرأه احد من القدماء ، وهم الذين قال فيهم أبو عبيدة : وما لسانهم بلساننا ، ولا كلامهم بكلامنا ، فاذا جاز هذا على اهل اليمن على قرب ديارهم ، وأدراك الاسلام اياهم جاز فى الحمورابيين بالاحرى ، وحكم الواقع •

شريعة (حمورابى) اثر عربى ، نعدها النواة الاولى لنشأة الكتاب العربى ، وضعت فى ترتيب وتبويب عجيبين ، كما هو الشأن فى شرائع الامم الراقية ، ودساتير الدول العظيمة رتبت فى ٢٨٢ مادة ، تناولت جميع فروع الشريعة ومسائل الاحكام ، ولا سيما شروط الزواج والطلاق والتبني والارث وأنواع المعاملات ، فهى فى تفصيلها وتدقيقها تدل على تقدم تلك الامة فى سلم الاجتماع الى أرقى ما بلغت اليه الامم فى تلك العصور ، فمن ذلك أنها قللت من التمايز بين طبقات الامة ، فالعبيد قد يتزوجون من بنات الاحرار ، والدماء تكاد تتساوى وتتقارب ، والزوجان متعادلان ، كل منهما مسئول عن الاخر ، والتسرى باطل الا عند عدم الزوجة او رضاها ، ولا امتياز فى الارث بين الذكر والانثى ، الا فيما تدعو اليه ضرورة القيام بحقوق الانثى ، وللمرأة عندهم مكانتها وكامل حقوقها ، فهى فى البيت تتولى الرياسة وعليها المسئولية ، وفى المجتمع تتمتع بحريتها واستقلالها ، وتتعاطى المهن والاعمال الحرة ، وتنخرط فى خدمة الدواوين ، وتضطلع باعباء الدولة الى غير ذلك مما يثبته ذلك الاثر النفيس ، والكتاب القيم •

فالحمورابيون العرب ، سبقوا غيرهم فى ميدان العلم ، وقطعوا اشواطا فى مضمار الحضارة ، وكانوا يعلمون أولادهم نحو هذا الذى نعلمهم عليه نحن اليوم ، لم يسبقهم أحد فيما نعلم الى تاسيس المدارس وترتيبها على هذا الشكل ، وتعليم الاطفال والاحداث فيها ، فلقد كشفت الاثار حديثا فى انقاض (زيبار) عن آثار مدرسة لتعليم الاطفال الصغار ، فى أول مدرسة معروفة من نوعها منذ اربعة الاف سنة ، وجد فيها قرميدات (الواح) عليها دروس للاطفال فى الحساب والهجاء ، وجداول الضرب ، ومعجمات ومثلها ، كما اكتشفوا فيها كثيرا من الكتب والرسائل المنقوشة على الاحجار والقراميد ، واكثرها لحمورابى وفيها الصكوك والعقود والمسائل الرياضية ، والارصدة الفلكية والنصوص التاريخية والادعية الدينية ، مما يدل على شغف القوم بالعلوم وسبقهم الى التاليف ووضع الكتاب •

ولكن • هل الحمورابيين عرب على التحقيق ؟ فهل لنا من الادلة ما تقوم به الحجة ؟ ويدعم دعوانا على أنهم أول من وضع الكتاب العربى ؟

وددنا أن لو وجدنا المجال فسيحا ، والوقت متسعا لنبسط الكلام فى هذه المسالة ، ونستعرض أقوال المؤرخين والاثريين فى هذا الصدد ، ولكننا لضيق المقام نجمل القول ، ونكتفى لاثبات دعوانا بالشواهد الاتية :

الشاهد الاول – اتفق أهل الانساب على أن دولة الحمورابيين سامية الاصل ، ثم اختلفوا فى نسبتها الى شعبة من شعب الساميين ، وكان ممن عدها فى العرب الكاهن الكلدانى (برسوس) مؤرخ الكلدان ، ودول العراق القديمة فقدعد الحمورابيين بين الدول التى حكمت بابل،وأشار الى انهم عرب،و(برسوس) هذا خبير بتاريخ بلاده ، أدرى به من سواه ، هو مؤرخمحقق قديم ، من اهل القرن الرابع قبل الميلاد ، عاصر الاسكندر المقدونى ، وكان عالما باليونانية، وبها الف تاريخه عن بلاده • وهو مرجع جميع المؤرخين لتلك الديار ولما جاءت الحفرية الحديثة وظهر علم السلالات وأصول الشعوب تبين ان(برسوس) مصيب ، وأن الحمورابيين عرب •

والشاهد الثانى – ان المؤرخين أطبقوا على ان الحمورابيين قدموا من غرب العراق ، وأنهم من البادية ، غلبوا السومريين على ملك العراق ، وورثوا حضارتهم وملكهم ، فهذا يشبه بطريق القياس والمقارنة ، ماكان عليه بنو لخم وغسان قبيل الاسلام ، اذ كانوا يعيشون على تخوم العراق والشام ، وينالون من ملك كسرى وقيصر شيئا فشيئا ، ولما سنحت لهم الفرصة بظهور الاسلام انقضوا على ملك فارس ، وأسسوا الدولة العباسية الشامخة البنيان الموطدة الاركان ، فلا يبعد أن يكون عملهم هذا سبقت له بادرة ، وكانت له امثولة فى ذلك الزمن الغابر •

والشاهد الثالث ان لغة الحمورابيين التي خلفوها وكتبوا بها قرميداتهم وشريعتهم ، شديدة الشبه باللغة العربية ، قريب بعضها من بعض حتى لاندرى ايهما أصل للاخر ، فاصول الكلمات ، وقواعد التركيب متماثلة متقاربة ، من ذلك أن حركات الاعراب الثلاث (الرفع والنصب والجر) توجد فيهما على حد سواء ، وكذلك التنوين ، فانه في لغة بابل ميم ساكنة ، وفي العربية نـــون ساكنة • وهما تتبادلان وتتناوبان ، كما هو معروف ، وكذلك علامـة الجمع فهي في البابلية (ون) كما في العربية وكذلك كلمة (ذو) فـان البابليـــين يستعملونها للموصول بدل (الذى) فكذلك قبيلة طيء تستعملها وتقول (فلان ذو سمعت) اى الذى سمعت ، قال شاعرهم :

فان الماء ماء أبي وجدى وبيرى ذو حفرت وذوطويت

اى بيرى التى حفرتها وطويتها ، فهذه لغة اثرية ، تدل على شدة اواصر القرابة بين العرب والحمورابيين •

والشاهد الرابع ــ ان أسماء ملوكهم عربية التركيب والمعنى ، فاولهـم يدعى (ساموابى) اى ابو سام وسادسهم يدعى (حمورابى) اى أبو حمور ، وهذا اعظمهم واليه ينسبون ، وثامنهم يسمى (شمسوايلونا) اى الشمس الهنا ، ومعروف ان البابليين كانوا مقترنين بالاجرام السماوية فعبدوها ، وفيهـم نبي الله سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام ، وكذلك كشفت الحفريات عن اسماء اخرى تشبه الاعلام العربية تماما ، فهم كانوا يسمون عبدو ، وشمسو، وابو • وابو فلان وعم فلان • واخو فلان • وبلال • وسمعة • وأسماء أخرى • [illegible] لفظا ومعنى • ومعلوم ان الاسماء والاعلام تدل على جنسية أهلـهـا ، ومعرفة مسمياتها •

وبالاجمال فان الادلة على عروبة الحمورابيين كثيرة وفي تزايد ، كلـمـا تقدمت اعمال الحفريات ، وربما كشف لنا الغد القريب ما نجهله اليوم ، وربما ازاح الستار عن حقائق أخرى أعظم مما ذكرنا ، فما نعلمه مـن أخبار العرب القدماء لايعد شيئا اذا قيس بما نجهله ، ولاشيء أفيد في هذا الباب من الاثريات فهي تاريخ القوم وسجلهم المكتوب الموثوق به ، فاذا تضافرت الادلة على عروبة الحمورابيين وثبتت بشكل اجماعى مقطوع به ، ثبت بالتالى ان النشأة الاولى للكتاب العربى ترجع لما قبل القرن العشرين من الميلاد ، فيكون هـذا فخرا عظيما للامة العربية ، ولكتابها الخالد •

ولقد كان جرجى (زيدان) في جميع ما كتبه عن العرب قـبـل الاسلام وعن ادابهم وتمدينهم يرجح ويؤيد ان الحمورابيين عرب ، وان كتبهم وشريعتهم تعد الاصل الاول ، او النشأة الاولى للكتاب العربى ، وهو حجتنا وكفى به حجة

تطوان ١٩ ابريل سنة ١٩٤٧ م

أزمـــة أدبية خانقة فهل لها من نهاية ؟

ليس اشتداد الازمات والتشكي منها والتصدى لها ، هو مبعث الاسى والاسف منا ، فازمات الحياة لا تنقضى أبد الدهر ، تنفرج حينا ، وتشتد حينا • تبعا لتقلبات الزمن • ولمده وجزره المتعاقبين • وعسره ويسره المتناوبين

وانما الذى يبعث الالم حقيقة ، ويدعو الى مزيد الحسرة وعظيم الاسف، ان تقوم في البلاد أزمة خانقة ، وتعظم بلواها ولأواها ، وتأخذ بالانفاس مـن سائر الناس ، وتسبب لهم كبدا ونكدا أينما ساروا وأينما حلوا ، في الشمال والجنوب ، في الحواضر والبوادى ، في المداشر والمدائن ، في الاسواق والطرقات في البيوت وسائر المنتديات ، ثم لانجد من يتفطن للبلوى ، ويجأر بالشكوى ويرفع عقيرته مناديا لكشف الغمة ، وتفريج الازمة •

فاذا أصيب المرء بداهية ، وهو لايدرى من أين أصيب ، فهنالك الطامة الكبرى ، والفجيعة العظمى وكذلك الشخص الذى يحسب انه معا في سليم مع اصفرار لونه ، وتغير سحنته ، فهو لا محالة هالك ان لم يتفطن لما ينخـر جسمه ، وينهك قواه ، واذا طال البلاء بشخص دخل في طبيعته واستطاع ان يتحمله مع مرور الزمان ، وقل أن يشكو منه ، ويابه له ، وقديما قال الشاعر العربى الحكيم ، وهو المتنبى :

من يهن يسهل الـهـوان عليـه ما لجـــرح بميت ايـلام

فالى هذا نرد هذه الاستكانة الظاهرة من حال شعبنا البئيس المحروم، فكانها راحة الموت ، او رقدة على حسك السعدان استطابها من طول المران، الا انه ــ والحمد لله ــ بدأ يتململ ويطرف ، ويريد القيام بعد هـذا السبات الطارئ ، والركود الفجائى •

اصيب هذا الشعب بعلل شتى ، وأمراض كثيرة ، لم يتفطن لمعظمها، ولم يعمل للخلاص منها الى الان الا قليلا ، أشدها هولا في نظرى هذه الحالة النفسية المنقبضة المتجهمة ، التى استولت عليه منذ زمن بعيد ، والتى يرجع سببها فيما أرى الى الفقر الادبى ، والعوز الروحى ، مما سميناه (الازمةالادبية) فلقد اصيب بها وسطنا ، واشتدت عليه وخنقت منه الانفاس ، وجعلته لايشعر الشعور الكافى ، ولا يحسن الاحساس القوى ، ولا يتاثر بما يحيط به مـــن احداث وكوارث •

فاية ازمة اضر بالامة من ان تعيش وهى محرومة مما ينمى فيها المدارك، ويحيى المشاعر ، ويؤجج العواطف ، ويحرك الوجدان ، وكوامن النفوس ؟

واية ازمة اشد هولا من هذه الازمة الادبية التى ثقلـت علينا وطأتها ، وطال علينا امدها حتى كان ليلها ليس له صباح ولا لمقامها براح ؟

فهل تستطيع امة على ظهر الارض ان تحيا ــ ولو حياة سطحية مجردة ــ من غير ان تغذى عواطفها كما تغذي أبدانها وعقولها ؟

فالغذاء الادبي ضروري للحياة البشرية ، لاغناء عنه أبدا ، فمن حرم منه حرم من زيت الحياة ، ومن اكسيرها وسرها اللدنى ، فالحياة الحق لاتاتى من شرايين الجسد ، ولامن لفائف الدماغ ، وانما تتفجر من ينبوع النفس ، وتتدفق من قرارة القلب ، ومن سريرة الوجدان ، فهذه الاسرار او الازرار على الاصح لايمكن ان تعمل بجد ونشاط ، وتفيض قوة واقتدارا ، وتنبض بالحياة الحارة، الا اذا تعهدت وتفقدت ، وأطعمت من قوتها الروحى ، ومما تشتهى من غذائها الادبي ، واذا أهملت واسيء اليها تقلصت وتبلدت ، وشلت الجسد ، وعطلت الدماغ .

لاادرى لم يكدح الناس عندنا طول يومهم ، وهم في تعب ونصب لايوصفان حتى اذا عادوا الى بيوتهم جاءوا وفي أيديهم ما يملأ الموائد ، ويتخم البطون ، ويجعل اجسامهم وانعامهم سواء ، وقل فيهم جدا من يتنبه لحاجاته النفسية عند عودته الى المنزل ، فيمر على المكاتب والنوادى والمراكز الادبية ، فيتزود منها ما يقضى به سحابة يومه ، ويروح به عن نفسه وأهله ، ويجدد به نشاط فكره ، فهذا شأن الناس عندنا ، يعيشون في أزمة أدبية ، وجوع نفسي دائم وهم لايشعرون .

واذا اردت شاهدا آخر على ذلك فانظر الى بلدتنا هذه وهي ام المدن لدينة ، وتجول في شوارعها وازقتها ، وابحث عن مكتبة واحدة عربية عصرية ، تمد الوافدين بما يحتاجون اليه ، وتسهل لهم اخذ ما يريدون باثمان معتدلةمعقولة فانك لاتجد ولو مكتبة واحدة من هذا القبيل . في حين انك تجد متاجر لا تحصى ، تكدست فيها البضائع من كل صنف ، المجلوبة من كل أرض ، حتى من الشرق الاقصى . والجزر النائية ، ولو وقفت مليا بأبوابها تنظر الى الزبائن الذين يرتادونها ، لرأيت أن معظمهم من نسائنا ورجالنا ، وفيهم الجبليون والقبليون بكثرة ، فهم الذين يروجون البضائع على اختلافها ، ويستهلكون جميع المعروضات مهما غلت وارتفعت أثمانها ،الا ما كان من المكاتب وماإليها فلا يكاد احد منهم يعرج عليها ، ويساوم ما فيها على قلته وندورته .

أليس هذا دليلا على فقرنا الادبي . وهزالنا المعنوى ؟ أليس أن الناس يمتدون ونحن ننكمش ، وحياتهم تنمو وتعظم ، ونحن نتقلص ونتفانى ؟

كنتفي يوم قريب مع جماعة من أهل الفكر والنظر ، دار بينهم الحديث حول ارتفاع تكاليف المعيشة اليومية ، فصاروا يقدرونها ، ويضعون لها مقدارا وسطا ، وعدوا في المصروف اليومي كل ما يمكن ان يشترى من السوق ، حتى الثقاب والمكنسة (الوقيد والشطابة) وعجبت حين لم اسمع احدا منهم ذكرثمن

صحيفة او رواية او كتاب او قلم او تذكرة سينما ، او اسطوانة وشبهها ، فقلت في نفسي أين هؤلاء السادة من لوازم الحياة الحق ؟ ما بالهم يلبون جميع مطالب الجسم بسخاء واعتناء ، ولا يولون جانب النفس أية أهميــة ، ولا يعيرونها أدنى التفات ؟ ألم يسمعوا بقول الشاعر النصوح :

عليك نفسك فاستكــمـل فضائلها　　　فأنت بالنفس لا بـالجسم انسان

ان سواد الناس بيننا لايلقون البال لحالتهم المعنوية ، وغريزتهم النفسية، فلا يمتعونها بما يصلحها ، ولا يرفهونها بما يدخل السرور عليها ، ولايهذبونها بما ينمى ملكة الخير والنزوع عن الشر فيها ، وهم في هـذا الاهمال صنفان متباينان :

صنف متزمت رجعى متحجر ، يتجاهل طبيعته ، ويكبت عواطفه ، ويحاول ان يخنق أنفاس نفسه . ويقتلها شر قتلة لو استطاع ، يريد هذا الصنـف المتطرف ان يغير خلق الله ، ويحرم نفسه متعة الحياة وبهجتها ، فلا ينفك في صراع عنيف معها طول حياته ، الى ان يسقط صريعا مخذولا ، ولو كان ارخى العنان لنفسه بمقدار ، وصرفها بحكمة وتبصر ، واسامها حيث يطيب لها المرعى وهو حذر يقظ ، لكان أنفع له وأقوم ، الا أن هذا الصنف جد قليل ، وفـــي تناقص مستمر .

والصنف الثاني هم الذين يفتحون الباب على مصراعيه ، ويندفـعــون كالحمر المستنفرة فرت من قسورة ، ويهيمون تحت تاثير عواطفهم الجامحة، وغرائزهم المشبوبة ، لاسلطة لهم عليها ، ولا يملكون معها نقضا ولا ابراما، فلجامها قد أفلت من أيديهم ، وزمامها قد تقطع بهم ، تسير بهم في جموحهاالى الهاوية ، وتدفع بهم الى المصير المحتم ، فهؤلاء مع الاسف هم السواد الاعظـم، والكثرة المطلقة ، وهم أشبه بالحريق الهائل الذى يجتاح بلدا ، ويلتهم كل ما يلقى من حديد وحجارة .

وأما الصنف الوسط الرشيد الذى يعرف كيف يصنع من الطين خزفا، ومن العجائن الكيماوية زجاجا شفافا ، ويتخذ من الغرائز البشرية قوام الحياة واسها المتين ، فهؤلاء هم الذين نبكيهم ونندبهم ونتطلبهم ، فالحياة بدونهم متعطلة ، والاعمال مختلة ، والقيم مفقودة ، فلا يرجى لامتنا كيان مالم يكونوا هم سادتها وكبراءها . ولاسبيل الى العمل المثمر ما أنكرناهم وتجهمنا لهم ، فالادب بمعناه الواسع ترياق النفوس ، ولقاح القلوب ، وغذاءالارواح ، ونور الحياة . فمن أخذ منه أخذ بحظ وافر ، ومن أهمله وجهل قيمته خسر خسرانا مبينا .

وعلى من ياترى تقع مسئولية هذا الاهمال ؟ أعلى أفرادنا وجماعاتنا ؟ ام على رؤسائنا وأولياء امورنا ؟

الحق أن المسئولية تقع على الجميع ، يتحمل الكل منها نصيبا مفروضا، ولا سيما في الظروف الراهنة ، التي لايمكن للفرد أن يعمل عملا ما ، من دون جماعة تؤازره وتشد عضده ، كما أن الجماعة بدورها عاجزة لا محالة ، ان لم تكن تلقى المساعدة الفعالة من لدن الهيئات العليا ، ومن بيدهم زمام الامور، ودفة الحكم ، فلابد من التضافر والتعاون المشترك في مضمار رفع معنوية الشعب ، وتحسين حالته النفسية بالطرق المثلى •

فعلى الافراد ، وخصوصا المثقفين منهم ان ينشطوا لانارة سبل الحياة في وجوه مواطنيهم ، ويزيحوا عنهم كابوس السآمة واليأس ، ويعلموهم كيف يبتهجون ويستبشرون وكيف يستفيدون مما حولهم وكيف يكشفون معالم نفوسهم ودخائل سرائرهم ، ويعلموهم ان لكل شيء قيمته ان احسن استعماله وانجز على الوجه الاكمل والافضل ، وللوصول الى هذه الغاية يتحتم عليهم ان يهبوا للكتابة على أعمدة الصحف بأقلامهم الرشيقة ، وأساليبهم الرقيقة ، متجنبين — ما أمكن — تلك الموضوعات السخيفة المبتذلة ، التي طال الكلام حولها وملها الناس وسئموها ،فيبتكروا للعامة والخاصة موضوعات طريفة ، تتصل بالحياة الواقعية ، وبميول الشخص الطبيعية ، وشعوره الصادق ومذهبه الذي يراه ، ولا بأس بتقليد الغربيين وبعض الشرقيين ، في هذا النوع من الانشاء الحديث ، فلهم فيه ايات بينات تفعل في النفوس ما لا يفعله (قفانبك) ولا (مقامات الساقي) ، وعليهم ان يتخذوا الرواية ، واحسن القصص ، خير اداة لتثقيف الجمهور ، وتاديب العموم • فهي خير ما ينبه المشاعر النائمة ، ويقرب اليها المثل العليا •

وعلى الجماعة ان تتقارب وتتعاون في هذا الصدد ، فتسعى لخلق نهضة أدبية كبرى في البلاد ، وذلك بمديد المساعدة الى الصحف ، والعطف على ذوي الاقلام ، وتشجيع الادباء والمؤلفين ، وعليها أن تنفق بسخاء ولا تبخل بالمال اللازم لتاسيس المطابع ، ودور النشر ، وفتح المكاتب وجلب الكتب وترويجها بين سائر الطبقات ، وفي ضمن ذلك جلب الافلام وعرضها في كل مكان ، واذاعة الاحاديث الادبية ، والاسطوانات الجميلة لاعظم الموسقيين ، فالموسيقى المؤثرة خير ما يبعث النفوس ، ويوقظ الاحساس ، وينبه المشاعر ، ويغذي الروح ، ويقوي الامل • فعلى الجماعات ولاسيما الاغنياء منهم — واجبات أدبية كثيرة ، لايعذرون في القيام بها •

وبعد ذلك وقبل كل شيء يلقى الشطر الاكبر من المسئولية على كاهل أولياء الامر ، فعلى من ولاه الله أمرنا أن يهتموا بأمورنا ، ويعملوا لاصلاح شئوننا من جميع الوجوه ، عليهم ان يمهدوا السبل لكل من يريد أن ياتي بعمل نافع ، لتاديب الشعب وتهذيبه • فلا يرفضون طلبا يقدم اليهم فيه الخير العميم

ولا يعرقلون سعيا حميدا يصدر من فرد او من جماعة ، بل عليهم ان يحدبوا عليهم ، ويشجعوهم ويعينوهم ، ويكافئوهم احسن مكافاة ، فكما أن أولي الامر يرعوننا ويسهرون على سلامتنا ، وييسرون لنا الاوقات والحاجيات ، فعليهم كذلك ان يعتنوا بالبواطن ، كما اعتنوا بالبطون ، ويملئوا القلوب ، كما ملئوا الجيوب ، ويطعموا النفوس ، كما أطعموا الجسوم ، فالطفل عند تربيته وتقويمه لايحتاج الى حليب وشكلاطة وحلوى فحسب ، بل لابد من تانيسه وتهذيبه برسوم ولعب رمزية ، تقدم اليه فيها صلاحه وارشاده وتوجيهه •

نريد من أولياء أمورنا في جميع المناطق أن ينفسوا عنا خناق هذه الازمة الادبية ، ويسهلوا لنا الغذاء الروحي ، كما سهلوا لنا الغذاء البدني ، ويهتموا بحالة الشعب المعنوية ، كما اهتموا بحالته المادية ، ويخلقوا لشئونه الاجتماعية مصلحة ، او وزارة تعمل لانقاذه وبعثه من جديد فوق مسرح الحياة •

شعر لا

رأى القارىء من النثرين ما يتوسم به مكانة المترجم في سماء النثر العربي ، علميا كما في (المقالة الاولى) وأسلوبا وحرارة تفكير كما في (المقالة الثانية) ، وهانحن اولاء سنعرض أيضا من قوافيه ما يجلو أمام المطالع أفلاما منوعة ، مما يجول فيه خيال شاعرنا الموهوب ، مقتبسين من كل نوع طاقة وسنذكر ما نذكر بعناوينه •

مناجاة القريض

ايه يا شعر أين أنت فما أهنـــــ ـــأ لما أراك عني بعيدا ؟
انت روحي وانت متعة نفسي لا تذرني في الناس فردا وحيدا
طالما طبت لي وكنت سميري وقضينا معا زمانا سعيدا
طالما صغت جوهرا من لآليـــ ـــك فجاءت في النظم عقدا فريدا
ولكم بت شاكيا لك بثي نتعاطى الدموع والتسهيدا
وخلونا عن الانام فما نبصـــ ـــر من غيرنا رقيبا عتيدا
وعصرنا من الخيال افانيـــ ـــن كما تهصر الاصابع عودا
وعصرنا من القطائف أكوا بـا كما يعصر الورى عنقودا
وشربنا ولم نزل نترع الكا س الى أن نملها ونعودا
وغدونا ونحن في حلل البشـــ ـــر كأن قد كنا نقابل عيدا

* * *

حبذا انت متعة وحبورا وسرورا لاينقضي وسعودا
انت آنستني واوفدت نحوي من مغانيك كل يوم وفودا

انت امددتني وآزرت ظهري … بجنود تترى وتتلو جنودا
انت بوأتني لديك مقاما … لايداني ولا يرام حميدا
فاذا شيئت خلتني شاعر الدهـ … ـر ولو فندوا به تنفيدا
وزعمت (الخليل) دوني و (شوقي) … فرقد الشعر رفعة وصعودا
ان هذا القريض يقبل دعوى الكـ … ـل لا يقتضي عليها شهودا
فشهودي عدلان ، قول وفعلي … وهيامي اذا أردت المزيدا

* * *

ما عرفت القريض في الكون الا … وبداه تفيض برا وجودا
من اتى بابه (خطيبا) يجبه … وينل عنده خرائد خودا
قد سباني وطاب لي فيه رقي … من سباه الجمال امسى سعيدا
فاذا ما اهاب بي ودعاني … لم أجد دون ما يريد محيدا
انا عبد القريض ما دمت حيا … بين أهلي وما عرفت الوجودا

تطوان في ١٩ مارس ١٩٤٧

الهلال الابيض

انال الانام جميل الارب … هلال بدا في سماء العرب
هلال بمرسمه حاجب … يشير الينا بطرف خلب
فيا القوم يرقبون سنا … ه اكرم به من سنا مرتقب
اذا ما راوا في العلا قوسه … علاهم هتاف الرضا والطرب
وانعش فيهم أشعته انـ … ـتشا عجزت عنه بنت العنب
يصافح ايديهم بالندى … وينثر فيها ثمار الدأب
ويذكي بانفسهم هـمما … تناوئي صرف العدا والنوب
ويبعث فيهم كمين الرجا … لكي يعملوا ويوالوا الطلب

* * *

كذلك يشرق هذا الهلا … ل فتشرق منه المنى والرغب
ففي كل شهر تالقه … يمد الحياة بأقوى سبب
وفي كل عام تجدده … يفيض عليها الجدا ويهب
فتمضي شهور ، وتمضي سنو … ن ، عجلى كطير بماء نغب
فتخلفها ذكريات كما … يدل على الحسن وشم ذهب

* * *

يذكرنا بقرون خلت … وابقت لها ذكريات عجب
زمان تالق هذا الهلا … ل في الافق،فوق السها والشهب
وكان بنو يعرب هالة … لغرته في ثنايا السحب

فشعشع نورهم في البلا … د ، جاب معالمها وغلب
وكانت لهم دولة لايغيـ … ـب عنها الهلال فيحرسها عن كثب
وكان الهلال لهم شارة … يرفرف فوقهم ويجب
ويرشدهم لسواء السبيـ … ـل يدفعهم لاكتساب الغلب

* * *

يذكرنا بخلاص النبـ … ـي من هول شرك عليه انقلب
غداة تفياه المصطفى … وهاجر في ظله واغترب
وصاحبه يفتديه بما … يعزه من نفسه والنشب
فآوتهما (يثرب) بعد ما … ابت (مكة) أن تكون رحب
ومن (يثرب) قد اشع الهلا … ل ، سارت جحافله والركب
فلله در الفتى عمر … وما هو الا الفتى المنتخب
فارخ من هجرة نسخت … قرونا مضت قبلها في حقب

* * *

أتانا المحرم مفتتحا … لعام جديد عدته الكرب
اطل بطلعته كالبشيـ … ـر ، تقرأ في وجهه ما يحب
فنامل فيه انتشار السلا … م بين الانام ، ومحو الحرب (١)
ونسمو ، ونحيا حياة الرخا … ء فيه ، ونعلو سماء الرتب

فيا كتبي . هنيئت . يومك باسم .

الا ليت شعري هل أنال امانيا ؟ … تقضي زمان وهي مني كما هيا
لعمري لقد ضاعت امان كثيرة … وفاتت ، فما أمسيت عنهن باكيا
وذكرني عيد الكتاب ، وانه … يذكر مني ، لاخليا وناسيا
تمنيت في الدنيا رجاء ، وانه … اذا شاء رب الناس ، يبدو مواتيا
انال ثراء ، لاانفق ريعه … متاعا وامتاعا ، فذاك ورائيا
ولكن لاقني مكتبا وخزانة … تضاهي اللواتي يشتهرن بواقيا
تضم من الاسفار ما لو وجدته … لكنت به أزهى وأنعم باليا

* * *

لمن اخي الدنيا ضياعا واربعا … وأنفق لترضي شهوة ونوازيا
واما المنى مني فلم تعد انني … أرى ما حييت للكتاب مناجيا
الاجيه تارات ، وطورا أبثه … همومي واحزاني ، واشكو شكاتيا
فياليت أيامي جميعا بجنبه … يبادلني منه حديثا حلاليا

١) الحرب محركا : النهب

هواى هواه والفؤاد فؤاده | فما ان ترى منا لسانا مداجيا
الا حبذا من انسه ووصاله | اصائل مرت بيننا ولياليا
وان زمانا قد قضيت ومؤنسى | كتابى ، زمان طيب قد سبانيا
اذا ما جلسنا مجلسا نستطيبه | ارانى واياه سقيا وساقيا
ستبلى الليالى والسنون ودهرها | ويبقى كتابى فى التجدد زاهيا

* * *

اقول لاصحابى اليكم فما لكم | بقلبى مكان مثل ما لكتابيا
ارى خيرهم عنى بعيدا وخيره | يتاح قريبا كالغصون دوانيا
لادنى من الكف اليمين واختها | وأدنى من الحبل الوريد ، مجاريا
يكلفنى الناس الرياء ، وانه | يكلفنى الود الصريح المصافيا
فاوليته منى ودادا وموثقا | وأوليته فى المعضلات قياديا

* * *

فياكتبى ، هنئت يومك باسم | اغر ، فلا زلت السحاب المغاديا
فهل انت الا المزن يهمى بصوبه | يرد الصحارى جنة والفيافيا
وما انت الا الروح والنور والشذى | يبث الخزامى تارة والاقاحيا
اقول وقد القيت فى الكتب نظرة | جزى الله كتبى خير ماكان جازيا
فتلك التى حيت بفكرى ميتا | وتلك التى احيت عظامى البواليا
وهيهات بيتى لا تغادر ركنها | ولو كنت عنها رغم انفى ، نائيا
فطورا اراها تحت ابطى رفيقة | وطورا بجيبى او خلال ثيابيا

* * *

وانى لاهوى الكتب اذ قيل أنها | لنعم المصطفى والخليل الموالیا
وما زلت ذا شوق الى ما هويته | وقلبى مشغوف ، وان لا تلاقيا
ولا زلت استقى سحائب ودها | واطمع نفسى أن أنال رجائيا

٢٣ أبريل سنة ١٩٥٠

دمعة على فقيد الاسلام سيدي احمد الزواق

(كان المترجم اخذ قليلا عن هذا الشيخ ، فكان للشيخ نحوه حنو ، وربما زاره في بيته ، اظهارا لحنوه عليه ، ولذلك قام المترجم بالواجب عليه فرثاه بهذه القصيدة)

الا فدعوا دمعى الهتون يسيح | دعوه فقلبى بالمصاب جريح
بكاء لعمرى ما بكته (تماضر) | على صخرها وما بكاه (ذريح)
تفجر حتى لم أجد له مدمعا | يسيل ولا صدرا لدى ينوح

فكيف وانا امة لم تزل بها | صروف الليالى تعتدى وتبيح
اباحت حمانا اليوم فى حين غفلة | فما احد الا وهو كسيح

* * *

وقفت اعزى القوم مما أصابنا | فالمنا ان العزاء قروح
وان الفقيد ليس فردا من الملا | ولكنه ركن الانام يطيح
اراه من الاسلام نفسا ومنطقا | وانسانه اللماح حيث يلوح
اراه العلوم الراسخات وانه | شريعتنا المثلى عليه تصيح
فذاك ابو العباس انسان عيننا | بلى انه نور تلالا وروح
وذا احمد الزواق خلى مكانه | وغيبه عنا المساء ضريح
مضت منه أجيال وعصر وامة | وتاريخ عهد لايزال يفوح
مضى العالم النفاع فالعلم بعده | حزين الحشا مكلومه وطريح
مضى والقوانين اللواتى احبها | وافنى بها العمر الطويل تنوح

* * *

تبارك ربى عاش تسعين حجة | وخمسا ، على الحالات وهو صحيح
صحيح الحجا والعقل والدين والتقى | وسالمها هادى الجناب مريح
تازر بالتقوى مديد حياته | فلم يجترح ، والعاديات جروح
ومازل فى مضمار فتوى ، ولامشى | الى شبهة تعدو الهدى وتشيح
لقد خاف امر الله فى كل موقف | مخافة من بالدين كز شحيح
وما كان الا الدين والعلم والرضا | ثلاثتها أس عليها صروح
قضاء (أياس) فى نزاهة (أحمد) | وصولة (فاروق) اذا ما يتيح
اقام على رغم البغاة شريعة | تؤول فيهم والكتاب صريح
فكم حجة أصمى بها الجوروالهوى | وأنصف مظلوما دهاه كلوح
فلله ما أبقى ، ولله ما بنى | بناء يدوم الدهر ليس يزوح

* * *

ولله جثمان مسجى تحوطه | ملائكة الرحمن تغدو ، تروح
ترحب بالشيخ الجليل حفية | بمقدمه تهفو له وتبوح
وتدعو له بالبر والفضل والرضا | وتنبئه ان الثواب ربيح
وان جنانا فتحت وتهيأت | بها مقعد صدق له وفسيح
عليه من الرضوان منهل رحمة | تسح على أجداثه وتسيح

* * *

تهنئة وترحيب بجلالة الملك

(القيت أمام الملك الهمام محمد الخامس يوم تلقاه الخليفة مولاى الحسن في (أصيلا) حين مر الى (طنجة) التي صرح فيها تصريحه الذى منه ابتدات الازمة المشهورة) .

اى يوم واى حفل ومشهد   هو يوم مؤرخ ومخلد
ياله منظرا وروعة مرأى   يحسر الطرف دونه وهو يشهد
منظر يبهر النفوس ويلقى   هيبة فى الفؤاد مهما تجلد
مظهر الملك والمهابة والتا   ج ، فاعظم به وبالخلق حشد
دونه مظهر الشموس اذا ما   تترقى فى أفقها وتصعد
اين منه الخضم يزخر بالمو   ج ، وفيه الدوى أرغى وأزبد
وضئيل لديه ما تبصر العيـ   ـن اذا أبرق الفضاء وارعد
منظر رائع ، وفيه جمال   وجلال ، وهيبة تتزيد
محفل يخصب الخيال ، ويغرى   كل فذ بنظم در منضد
كيف لى ان اكون اول من ابـ   ـدع ، اواحسن القريض وانشد
ليت شعرى باى لفظ أؤدى   ما بنفسى ، وما له العين تشهد
عشيت عين كل راء فما تبـ   ـصر نورا بدا لها يتوقد

* * *

ما رأينا حتى رأينا بساطا   لسليمان عصرنا يتمدد
موكب حافل يقل عليـه   موكب الملك والجلال وسؤدد
قد احاطت به ملائكة اللـ   ـه كما قد يحاط سيف مهند
وزهته من العناية أسرا   ب تراءت من كل أروع أصعد
قربت حوله نطاق قلوب   له تهفو وتشرئب وتجهد
احسب الخلق حوله مثل سمطى   لؤ لؤ حول لبة تتورد
هتفوا ، صفقوا ، وما ذاك الا   بعض مافى النفوس فالشوق أزيد
موكب حافل عظيم ، ففيه   سيد منذ كان ، كان يسود
فيه فرع من دوح آل على   فيه فخر الزمان ، فيه (محمد)
ملك تيم القلوب ، ففيهـا   يتبوأ من حبها خير مقعد
بادل الناس بالمحبة أخرى   كل شىء من نفسه يتولد
ملك مفرد فماله فى الملـ   ـك نظير فهو اوحد مفرد
ما رأى الناس مثل أيامه البيـ   ـض ، تجلت للناس أهنا وأرغد
ما رأوا مثله مضاء وعزما   وثباتا فى الخطب، والخطب اسود
فحبوه من الوفاء المصفى   ومن الحب والولاء المؤكـد
ملك مقسط همام جرىء   خير من قد بنى وأعلى وشيد

البس (المغرب) الاشم لبوسا   ضافيا حاكه التفانى واوجد
وكساه من المعارف حتما   حللا لاترث ، بل تتجدد
همة تعشق الكمال وتسعى   لاكتساب العلا وذكر مخلد
فاذا شاء غيره عرض الدنـ   ـيا تصدى يريد ما هو أفيد
همة لو تقاس بالدهر يوما   كانت الهمة التى هى ابعد
صير الذل عـزة وانتصارا   وأقام الانقاذ صرحا ممرد
حرر العلم من قيود ثقال   ثم القى بالجهل فيها وقيد
كل يوم للعلم صرح جديد   وبناء للمكرمات يشيد
قد أمد الاله فى عمر شعب   كاد يفنى وكاد بالجهل يلحد
وقضى فى الخمول دهرا طويلا   فاقدا مطرفا لديه ومتلد
كيف يبغى قوم مساومة المجـ   ـد وسوق العلوم فيهم تكسد
فيقض الله من يروم خلاصا   ويفك الاغلال فكا مؤيد
عاهل حازم مطاع أميـن   أمره حكمة ورأى مسدد
ان رأى مغنما أتاه وأغيا   أو رأى منكرا أقام واقعد
عزز الدين كله مستقيما   ومقيما فى الناس شرعة (احمد)
وعليه من التواضع تاج   ومن النسك عسجد او زبرجد
عود الخلق فضله ونـداه   نعم ماختار ، نعم ماقد تعود
وهب المال بالالوف ولم يحـ   ـسب حسابا لما يفوت وينفد
اشترى مايدوم بالعرض الفا   نى ، فمرحى لصفقة هى أرشد
بالذى تملك اليدان وبالعقـ   ـل تساس أمور قوم ، وباليد

* * *

يا أجل الملوك شانا وقدرا   طبت مسعى،وطبت مرمى ومقصد
كم رجتك البلاد تنزل واديـ   ـها ، وتحيى بها مواتا وجلمد
حييت تربة وطئت ثـراهـا   انت فى عبرها كغيث تعهد
انت روح البلاد ، أنت مناها   انت قطب الانام ، أنت المصمد
كم لبثنا ونحن نرتقب اليو   م وبتنا لحله نترصد
وقضينا الايام نحسبها باليـ   ـوم والامس قبله ثم بالغد
قد تمنت عيون شعبك تحظى   منك بالنظرة التى هى أسعد
انت من مثل الحقيقة للعيـ   ـن ، وكنت لها مثالا ممجد
لم تزل رائد البلاد تغادى   وتماسى أطرافها تتفقد
من يكن راعيا واخلد للرا   حة أمسى قطيعه يتبدد
كنت فى الامر كالطبيب ، فلما   عرف الداء والدواء تجرد
مدك الله بالاناة فاحيا   بك شعبا قد كاد يمحى ويفقد
فتركت الوجوه تطفح بشرا   وجميع الانام تثنى وتحمد

ما لسان الا وفيه لثنـاء   وحديث معطر وممجـد
وسرى ذكره الى صحف الدنيـ   ـا فصارت تعد ما لا يعدد

* * *

يا عظيم الـرجاء والامـل الضا   فى ، تمهل على الونى وتقصد
ان هذا الزمان من خير اعوانـ   ـك ، لاياتلى ولا يتـردد
فحواليك أمـة تتهيـا   ما بها غير مقتد ومجنـد
هذه اوجه البلاد حواليـــ   ـك ، وهذا ابن عمك المتقلد
صاحب الامر والسمو ومن يبـ   ـدو لعينى ككوكب او كفرقـد
مرتضاك الارضى ، خليفتك الاسـ   ـنى ، ومن ذكره أغار وانجد
يقتفى منك ما تخط ، فايـا   ن تسر سيرة يسرها ، ويـزدد
ويدانيـك همـة ويبارى   منك خلقا وشيمة تتوحد
فله فى حفل الثقافة كم غـر   س وفى روضة المعارف كم يـد
لهج الكل بالـثـنـاء عليـه   وتمنوا له دواما يسرمـد

* * *

قر عينا مولاى ، عندك شعـب   يقظ ، لايغره طيب مرقـد
صمم العزم ان يبيحك ما تصـ   ـبو اليه ، وما له تتمهد
صانه الله من خطاك وابقى   شبلك البار من اليه المقلد
فهنيئا مولاى ، لـم هنيـئـا   طبت ممسى وطبت مسعى ومقصد

(اصيلا) ١٨ جمادى الاولى ١٣٦٦ هـ موافق ٩ أبريـل ١٩٤٧ م

تهنئة الخليفة بمناسبة الذكرى الثالثة
لجلوسه على كرسي الخلافة
٨ نوفمبر ١٩٤٨ م

ذكريات تمر عـامـا فعاما   مثل مر الكؤوس جاما فجامـا
فيها مر ، وفيها حلو ، فبادر   جانب الحلو خلسة واغتناما
ودع المران عداك ، فحاذر   جانب الشر كله أن تضاما
واغتنم ما يتاح من ذكريات   انها لا تزور الا لمامـا
توقظ النفس من سبات كما يه   سح نور الضحا الجفون النياما

* * *

هى ذكرى مفعولها يثلج الصد   ر ويلقى بردا به وسلاما
قد ملانا من دونها مترعات   طفحت متعة وفاضت مداما

وادبرت عـلى معاشر صدق   خير من يجتبى وخير الندامى
فشملنا مما نلذ ونهـوى   وانتشينا أطيابا لاحـرامـا
ان ذكرى الجلوس تبعث فى النفـ   ـس سرورا وتقتضيها هياما
ابتهجنا لـحلـها واقمنـا   حـفـلات تـزيـدها اكراما
ونشرنا مما طوينا بـرودا   ورفعنا الرؤوس والاعلامـا
وانتدبنا الى الاشادة عنها   وحملنا لوصـفـهـا الاقلامـا
وقبسنا من نورها ما نظمنا   ووضعنا من لحنها الانغاما

* * *

هى ذكرى يطوى صداها الفيافى   جاوز الرافدين والاهرامـا
ذكرتنا (يوم الخلافة) فى ذا ا   ليوم حل (المهدى) منها السناما
منذ صارت (تطوان) فرعا لاصل   راسخ بـ (الرباط) ثم دوامـا
ربطته بـه عـرى وأواخ   موثقات ، فلا تريد انفصاما
ذكرتنا (يوم الخلافة) من يو   م اعتلاها (اميرنا) وتسامـى
يوم فازت (تطوان) منه بشبل   فاق فيها الاخوال والاعماما

* * *

بعد عشرين حجة وثـلاث   نقف اليوم ذاكرين المقامـا
منذ عشرين حجة وثـلاث   ملكت راحة الامير الزماما
اصطفاء المليـك حارس ملـك   وارتضاه (خليفة) وامـامـا

* * *

بارك الله فى الخليفة عمرا   ومقاما وسدة ومقـامـا
نفتديه بما تضم قـلـوب   وجيوب انعم بهن ذمامـا
حبه مازج السرائر منـا   واسترق الارواح والاجساما
لا نغالى بحبه فهو فرض   وعلينا قد كان حتما لزاما
اوجبته من محكم الذكر اى   بينات لا تقبل الاوهامـا
كيف لا ، والنفوس تحمد مااسـ   ـدى اليها صنائعا واداما
كيف لا يملك القلوب امير   حل فيها سوادها واقاما

* * *

(حسن) الاسم والصفات فما تسـ   ـمع عنه الا الذى يتسامى
حسن الذكر فى البلاد فسل عنـ   ـه ثرى النيل والصفا والشاما
حسن فعله ، وأحسن منه   حسنات يسرهـن احتشاما
هو كهف الحقوق حرز الامانى   موئل المرتجى ، ثمال اليتامى
لست تغشى بلاط قصره الا   منه تلقى بشاشة وابتساما
طالما راعنى بعاطر خلـق   أين منه العرار ، أين الخزامـى

لين الطبع كالحرير ، ولكـــن   عندما ينبرى تراه حساما
يركب الخطب لا يبالى وان كا   ن جديـرا بالحزم ان يتحامـى
له عزم كانه عمل الدهـــ   ـــر وراى تـخـالـه الهاما
هذه سيرة الخليفة نرويــ   ـــها قليلا تلذذا واهتماما

* * *

دام مولاى حارسا للمعالـــى   واماما مـؤزرا وهمـامـا
وحباه الاله نصرا وآتـــا   ه من السؤل غاية وتماما

إلى ضيف الخليفة مبعوث الجـامعة العربية

الاستـــاذ صـــالح أبي رقيق

ضيف الخليـفـة مرحــبـا   أهل لـقـيت واقـربـا
حل حيث شئت فلن ترى   الا أخـــا لــك او ابـا
ارض العروبــة لا تــحــد   د مشرقا او مغـربـا
فهلال تـرسل نـورهـا   وهـنـا تـبـدد غيـهـبا
فلسان ايــسام الــذى   نصــب اللــواء ودربـا
علمت ترفرف فى الربـو   ع تـطـلعـا وتـأهـبـا
لتعود بنو العرب الذيـــ   ـــن بـدوا نجـومـا ثقبا
ان يبرزوا مثل الغزالـــ   ـــة عندما تكسو الـربـا

* * *

ضيف الخليفة والمغارب   ـة الكرام ، الا اهلا بـــا
اقبلت والايـام تـــز   جى فى طريقك موكبا
اقبلت فى حلل الربـــ   ـيع معطرا ومطـيـبا
وافيت فاستبقـت اليـ   ـك المنطقات تـوثبا
كل يريدك أن تـكـو   ن نزيـلـه المترقبـا
كل يرى فيك الكنـــا   نة والشئام ويثربـا

* * *

أنت السفير وخير مـــن   فينا يمـثـل يعربـا
بعثتك جامعة الالـــى   باتوا عـلـيـنا نـوبا
نـدبتك باقعة ، وشأ   نك ان تناط وتندبا
قاضى السياسة أنت فاحـ   ــكم عادلا ومعـقـبا
تالى الحـوادث بالشها   دة كى تجيب وتعربا
ونحـق حـقـا للعرو   بة فى بلاد تجتبى

فى المغرب الاقصى البئيـ   ـس اذا مضى واذا كبا
شاكى سلاح الصبر ليـ   ـس وان تـقـاعس قلـبا
ما كان الا كالمهـــ   ـند فى الوغى او أصلبا
ابناؤه جـم المـكـا   رم حضرا أو غيبـا
من كل ماض فى القـد   يم كأنه عضب نبـــا
من كل سفر فى الخلو   د فما أجل وأعجـبا
كم خـدرت أعصابـه   كاس تفيض تشعـبا
لا والذى خلـق البيا   ن ألذ شئ أعذبـــا
ما قـلـت الا بيـنا   ما ان رأيت مكذبـا

* * *

ضيف الخليفة لاتــزا   ل مـوفـقـا ومقربـا
انظر رعاك الله هـــل   هب الجميع ليدأبــا ؟
هل نستفيق على الـنـدا   ء وهـل نحقق مطلبا ؟
وانظر أفى طور الرجـو   لة نحن ام طور الصبا ؟
واحكم كما حكم ابن داو   د بـحـكـم اعجـبـا
واشرب كؤوس الود صا   فية دهاقا واطربـا ؟
واحمل الى أمـم الـعـرو   بـة أننا قـوم الابـا

تطوان ٩ مارس ١٩٥١

إلى الاستاذ العبقري الفنان الموهوب أخي عبد القادر ابن موسي

لله ما أحـــلى اللقاء   بعد التباعـد والجفاء
شطـت ديار احـبتي   يوما ، فما اجـدى بكـاء
فعل الهـوى بنفوسنا   لما تجدد كيـف شاء
ذابت لبعدهـم الحشا   شة ثم طارت كالهباء
الفيتــنــى فكـأنـنـى   بينى وبيـنـهم جـواء
تالله ما ذقـت النعيـــ   ـم وما وجدت لهم عزاء
منيـت نفسى عنـهـم   بجميع افعال الرجـاء
وابيت ارقب نجمهـم   متطلعـا نحـــو السماء
حتى وفـونـى بالبشا   رة أنهم صوب الفناء
فحمدت ربى شاكـرا   له فى الصباح وفى المساء

* * *

جاء ابن موسى ما احيـــ   ـس كيف عاد وكيف جاء
جاء الاديب ابن الاديـــ   ـب مجـئ أنوار الضياء

من خلقه عندي يطيـــ ـــب ووده رمـــز الاخاء
ثم السرور لنا بـرؤ يته وتم لنا (الهناء)
رنت لمقـــدمه المثا نى والمثالث بالغنـاء
وتفسمخت أيـدى القـــر يض بما يعطر من ثنــاء

* * *

قد جاء يخطر كالغزا لة أرسلت بين الظباء
مترديا بـرد الشبـا ب وانه أغـلـى رداء
ويجـر ذيـل نشاطـه تيها على أهل العداء
تفديك نفسي يا ابن مـو سى ما أقل لك الفداء
ابقاك ربـى سالـمـا وازاح عنكم كل داء
واتـم نـعـمته عليـــ ـــك مسربلا ثوب الشفاء

إلى الشاعر الملهم الاستاذ البارع نجيب ملهم

لله قدوجدت من الكلام الجوهرى مالم أجده من (صحاح الجوهرى)
صيغت فيه كـل لفظ مشرق يزرى بمافى (المرتضى) والازهرى
والفاظها ود (الخليل) سياقـــه واراد حليته فطحـل (زمخشر)
قد صيغت تلمس اللئال شرعــا وتخوض في أعماق كل الابحـر
يسمون في جو الخيال محلقـا تبغي مناط مجرة والمشترى
فاتيت تنشدنى وتعرض درة لم يبتذلها بائع او مشتر
وجلوتها فى حـلـة ادبـيـة ليست لنعمان ولا للمنـذر
لهم الصنيع ، ونعم ما قلدتنــى فبه آتيه واعتلى فى معشرى
طوقتنى من حسن صنعك منة اربت على حمدى لها وتشكرى

دفـاع عن القديم

أيها الشاعر المجدد فى الشعـــ ـــر تسمع ، اليك منـــى قصيدا
صغته كالدمى واودعت فيه منطقا صائبا وقولا سديدا
ما تكلفت فيه شيئا وانـــى أمقت البهرجات مقـتـــا شديدا
تقتضيني شعرا (جديدا) فمن لى به غضا ، ووفق ما قد اريدا
كيف لى ان أنال غاية ما تـــ ـــمى اليه ، وكيف لى أن أجيـــدا
لاتعنف ، فما التجدد شانى ما آراه فى الحق الا قيودا
شغف الناس بالجديد وأنسـا هم طريفا لديهم وتليـــدا
ازدهاهم من جانبيه بريق مثلما يخدع السراب الشهودا
مسختهم يد التجدد حتى لا تراهم فى الشكل الا قـرودا

قلدوا غيرهم ، واقبح ما يـــ ـــنى كلام اذا أتى تقليـــدا
فلهم مذهب ، ولى مذهب الحـــ ـــق فكل يمضى رشيدا حميدا

* * *

من يكن يقتفى من الغرب قوما تيموه ، وان جفوه صدودا
فانا اقتفى مـن الشرق اقـــوا ما عرابا ، لا يبرحون البيدا
انبتتهم يــد الطبيعة ازهـا را كما ينبت الربيع الورودا
لو تأتى لامة خلــد اعما ر لنالوا مع الزمان الخلودا
اورثونا مـن البلاغة أسما طا ومن معـجـب البيان عقودا
لغة الضاد موردى ومعينى لست من غيرها اريد الــورودا

* * *

انجبت (حندج بن حجر)قديما و (زهيرا) و (جرولا) و (لبيدا)
ثم جاءت بـــ (أخطل) و (جرير) و(النواسي) من يروق الرشيدا
وأتى بعدهم (حبيب بن اوس) و(المعرى) ومن يسمى(الوليدا)
ونبى القريض (احمد) من كـا ن فريدا وشاعرا صنديـــدا
فهم اسوتى اذا قلت شعرا نضدته يراعتـى تنضيـــدا

* * *

(عند مغيب الشمس)

يـا حـسـن ما تـتـجـلـى عند المـغـيـب السماء
تحكـى مـحـيـا جـمـيـلا أحـمـر مـنـه الحـيـاء

* * *

رايــت صفـحـة نـــور يـطـويـه فـيـهـا المـســاء
يـلـفـه فـى ظـلام كـمـا يـلـف الـــرداء

* * *

امسى الـظـلام مـغـيـــرا وارتـــد عـنـه الضياء
كـــر وفـــر أتـاحـا للـكـون مـا قـــد يشاء

* * *

فـفـى الـفـنـاء حـيـاة وفـــى الحـيـاة الفـنـاء
وفـى الـخـفـاء ظـهـور وفـى الظـهـور الـخـفـاء

* * *

(عاصفتان)

عاصفة ريح
وعاصفة حب

ليس يعنيني رياح تعصف   لا ، ولا رعد اذا ما يقصف
لا ولا برق اذا ما يخطف   انما يعنيني أني اقطف
قبلا من ثغرك العذب الزلال

انا في جنبك في ظل الامان   احتمي منك بعطف وحنان
بيتك المشرق مامون الكيان   تتحاماه عوادي الحدثان
نحن فيه في نعيم ووصال

* * *

قدمي الريح تدوي في الفضاء   حيثما أظلم افق او اضاء
فلنا في البيت آيات الرضاء   ما لها يوما على الدهر انقضاء
شمسها تشرق فيه كاللآل

* * *

لي بعين وجهك اشراق الصباح   وعلى ثغرك ازهار الاقاح
انك السين ازهار البطاح   وصرفت القلب عن كل مباح
لم يعد ينظر شيئا من جمال

* * *

قدك المائس ارواه الشباب   خيزران نبتت فوق الهضاب
لم يكن في القلب الا كالخراب   آه من لذة ذياك العذاب
خمرة لذعتها لذع النبال

* * *

(في مقهى أنيق)

قعدت بـ (سبتة) في قهوة   بها قبس من سناء الشهب
اذا ما نظرت باطرافها   حسبتك تجلس فوق السحب
تحوطك شمس الضحى والثر   يا ، وبدر الدجى ماثل عن كثب
فهذي الكواكب مبثوثة   تكاد تطلع لولا الحجب

وهذي الثريا مدللة   عنا قيدها تزدري بالذهب
وهذي فتاة تبادلنا   كلام العيون بطرف عجب
سالت فما شانها ها هنا ؟   اجابت ، أبادل حبا بحب
فقلت ، كفاك ، فها أنذا   وقعت اسيرا بغير سبب

* * *

تذكار لايام جميلة بمدينة (شفشاون)

لست أنسى مدينة الراشدية   لا ، ولو نازعتن عنها المنية
فلئن كنت نائي الجسم يوما   وتذكرت ما لها من مزية
فسابقي كادم حينما اخـ   ـرج من جنة الخلود العلية
كيف أنسى ربوعها وهي للعيـ   ـن جمال ، وللقلوب روية
رسمتها يد الطبيعة لوحا   تتجلى به الفنون البهية
وحبتها السماء من كل نور   وكستها مطارفا سندسية
انعموا يا آل (شفشون) بالا   فهي لا شك جنة عدنية
أنتم في شيوخكم وشباب   مثل زهر بدوحة سرمدية

* * *

(قلعة البرج)

(وهي محل مشهور في مدينة (تطوان) متنزه من متنزهات المدينة)

أرفع الرأس عاليا   ترها جنة البلد
ضمها التل حانيا   مثل ام على ولد
هي نسر تسلقت   ذلك الشامخ الاشم
فلها ثم مربا   ولها ثم معتصم
قلعة زاد سمكها   شرفات من القمم
قد تسامت بمفرق   تاجه نجمة العلم
وعلتها مدافع   توقد العز والشمم
موقفات من بالحمى   ان سها عنه او ينم
(برج) تطوان ، مابه   يحفظ الدين والحرم
وترى القوم أنها   جعبة السيف والقلم

* * *

(ساحة الفدان)

(هي متسع وسط (تطوان) كأنه (مربد) المدينة ، كانت له شهرة من عصور)

اسقنيه مشعشعا

صافي الطبع والمزاج

كاس شاي منعنعا

شف عن تبره الزجاج

نحت في بساحة   وحديث مع الخليل

ساحة طاف حولها   نفحة العابر البليل

والمقاهي تفيا ت   ظلها الوارف الظليل

منتدى الشعب (مربد)   للا حاديث والمقيل

ملتقاهم لدى الضحى   والليالي وفي الاصيل

والاغاني بافقها   تتهاوى و تستميل

زارها الفن زورة   ساحبا ذيله الطويل

فاستوت منه باحة   مثلت فننا الجميل

* * *

الموشحات

(كان فن الموشحات شائعا في الشعر العربي فقد قال فيه ابن سهل ثم ابن الخطيب وغيره ، وذاع كثيرا في السن شعراء (المغرب) الا أنه في العصور الاخيرة يكاد يهجر ، ولذلك نشكر للمترجم حين جعله منوالا لتتبع مناظر الطبيعة في موطنه الثاني (تطوان) وما اليها ، فقدم لنا ذلك في موشحات متعددة ، نختار منها ما ياتي) :

الموشح الاول

رياض العشاق

شرك

غاض منه ماء الشباب

والهوى فيه لم يغض

له فودان في خضاب

وفؤاد غض غرض

كيف يسمي لروضه   كل شيء بها مريب ؟

للصبا يا وللمها   فوق اعشابها دبيب

مرتع الحسن والصبا   ومراح الهوى الخصيب

تحسب العين انها   (شرك) حبه حبيب

لم يزرها أخو الهوى   ثم يمضي ولا يئوب

سائلوها أتربها   ينبت العشق والوجيب

واسالوها أماؤها   سال من ذوبة القلوب

حسبها عندى أنها   مسرح الشاعر الاريب

الموشح الثاني

منبع « التوريطَا »

ثغر

يا نديمي ويا رفيق

صاحب النقل والشراب

هل لك اليوم في غبوق

عصروه من السحاب

بمعين ، هيا بنا   نكرع الماء من هناك

حيث لا كوب ما عدا   راحة ترتوى وفاك

حوله البان ماثلا   في عناق وفي شتباك ؟

قلت لما رايته   ها هما ، الثغر والسواك

ظللته شواهق   تتعالى الى السماك

سالتها مطا محى   هل سبيل لمرتقاك ؟

فاجابت اليس في   حضرة السفح ما كفاك ؟

ياجناحا فلا تزل   (خضر) الريش في حلاك

الموشح الثالث

ميادين (لاَ نيبكَا)

صراع

ويك ، خلي ، أراغب

انت عن لهوك المباح

فانا عنك ذاهب
مستجما ، ولا جناح

في ميادين نسقت — واقيمت على كثب
مهدوها لارجل — شانها الركض والخبب
مرحات كانها — ظبي تيماء ان وثب
وعدوها بمغنم — وبكاس لمن كسب
فتراها لاجلها — في صراع وفي نصب
تلك دنيا الورى ، فلا — عيش الا لمن غلب
اقتحمها ولا تكل — كل شيء له سبب
ذاك خلي مثالها — رب جد من اللعب

الموشح الرابع

شاطئي « مرتين »

در

اسرع الركب يلتهم
عرصات مد البصر
مثقل الظهر مزدحم
زمر بعدها زمر

المرامي بشاطئي — خضل ناعم الرمال
يرسل الموج صدره — زفرات على التوال
فلته خف نحوها — لاهث الشوق ذا انفعال
لم يرعني بمتنه — غير (در) من الغزال
يدرع الماء طافيا — عن يمين وعن شمال
بثه البحر فوقه — وهو نشوان في دلال
كيف هذا ؟ عهدى به — قعره موضع اللآل
اتراه متيما — فغدا يعشق الجمال

الموشح الخامس

مرج (كيتان)

جنة

بابي منظر اراه
في صباحي وفي المساء

لوحة خطها الاله
بتهاويل من سماء

ما ربيع الدنا سوى — واحد بالغ القصر
وربيعي بمنظرى — دائم العهد والصور
مرج (كيتان) جنة — زخرفتها يد القدر
نمنمتها بسندس — ودمقس من الزهر
كسوار خلالها — نهرها الطيب الاثر
ينثر الحب حوله — والرياحين والثمر
فتنة الكون ان كست — متنه فضة القمر
سل سيفا قرابه — ضفتان من الشجر

الموشح السادس

بساتين « ابو جراح »

وشاح

ذهبت تتبع الخطا
ذات نعلين تخفقان
مرفقاها تابطا
أي سرب من الحسان

أين تمضي نواعما — هذه الغيد والملاح ؟
أسبتها مباهج — وزهاها (أبو جراح)
روض (تطوان) ايكها — هو في صدرها وشاح
في الروابي نجاده — والحواشي على البطاح
قلدته تلك الربا — ديم ربة الجناح
دابه في الربيع ان — يتبارى مع (الجناح)
ذا بالو أنه وذا — ببساتين في انشراح
طبت (تطوان) مغرسا — أنت ثغر بين الاقاح

الموشح السابع

وهو موشح غنائي اندلسي عورضت به عشرات (١) من أمثالها بمناسبة

١) كان ابن الخطيب قال موشحه المشهور ، ثم عارضه كثيرون من المغاربة خصوصا شعراء عهد المنصور السعدى ، ثم هاهو ذا الاستاذ ابراهيم الالغى عارضه أيضا بما تراه .

فصل الربيع القائمة فيه افراح عرس مولانا الخليفة المعظم (مولانا الحسن)

يا اخا البث كفاك السما ... أنت فى الناس حديث الجلس
كفكف الدمع مليا انما ... لك من دنياك بعض الخلس

* * *

لاتضيع عمرك النزر اليسير ... من نواح واكتئاب ودموع
فدع القارب يجرى ويسير ... فى خضم بين أرياح تروع
ان من ينظر فى عسر المسير ... خاب سعيا فى ذهاب ورجوع

* * *

فمتى عيشك ياتى حلما ... مثل طيف فى الكرى محترس
فاذا ما سنح الدهر بما ... أنت تهواه فبادر واخلس

* * *

تتلاشى نزوات الالم ... بين نبض البم او خفق الوتر
قلت للناى سليل النغم ... أنت من صنع ملاك او بشر
فيك معنى لم يكن فى الكلم ... فيك القى الفن معنى مبتكر

* * *

فدع الناى يثرى نغما ... ويناجيه رنين الجرس
ربما يشفى نفوسا طالما ... شفها فرط الغنى المنتكس

* * *

نزل الوادى حلم رائع ... موقظ منه جفونا نائمة
وسرى منه جمال ناصع ... ترك الالباب فيه هائمة
فجمال وخيال واسع ... اوجدا للشعر سوقا قائمة

* * *

كل نبت فتحت منه فما ... زهرة تزهى بابهى ملبس
كل من يخطو اليها قدما ... لا حظته ثم عين النرجس

* * *

والربا قد لبست برد الصبا ... نسجته معلما أيدى الربيع
فانثت تلبس منه عجبا ... حلة تاخذ الباب الجميع
وغدت تحمل تاجا مذهبا ... فاق ما يحمل ذو التاج الرفيع

* * *

انظر الزهر تجده باسما ... ناشرا فى الروض عطر النفس
يملا الجو عبيرا مفعما ... خلته جاء بروح القدس

انظر النحل اذا ما رشفا ... من رحيق الزهر صبحا او مسا
هل تراه غاصبا مختطفا ... حق غير ، أو تراه قد اسا
ان فى جولته شهد شفا ... يذهب الا كدارعنا والاسى

* * *

فدعوه يرتشف منها لمى ... شهى الثغر بهى اللعس
حائما من حولها مقتحما ... رغم ما تلحظ عين الحرس

* * *

ياربيع الدهر يافصل الشباب ... متعة انت عدتك الغير
ضحكت منك ثنيات عذاب ... بينها الورد ومنها اخر
قبل يصحبها رشف الرضاب ... هى شهد وعقار يسكر

* * *

ادرك المتعة من قد علما ... كيف يصطاد ظباء الكنس
ينثنى منخدعا مستسلما ... وهو يجنى ثمرات الكيس

* * *

قد أتى بالحب والحب معا ... فربا الارض كحقل الاضلع
لم يدع منهن شيئا بلقعا ... غير أن ليس له من موضع
أينما طفت تجده شعشعا ... بكؤوس مترعات شرع

* * *

أيها القلب رماك من رمى ... بسهام أرسلت فى الغلس
أرض بالسهم وما قد قسما ... لك من انعمه او ابؤس

* * *

هو حب خفقات فى الحشا ... فعلت فى النفس فعل السمر
ان للحب نعيما ان يشا ... واذا شاء فورد الخطر
الق من شئت ولا تلق رشا ... يخلب اللب بطرف البصر

* * *

من لقب يتنزى مثلما ... يتنزى وتر تحت قسى
عصف الحب به محتدما ... وسقاه أكؤسا فى اكؤس

* * *

عينه نامت على شوك القتاد ... لم يطب مضجعه فى مستقر
قد قضى الليل أنينا وسهاد ... يسأل النجم عن الصبح الاغر
هل له من خبر ينبىء الفؤاد ... عن صباح هو أدهى وامر

اله الحب اذا مـــا جئما   لم يقد فيه منبع النرس
الغ بالنفس وخــل المغنما   ربما جر بــه ما قــد يسى

* * *

يا ربيعا حفل الشعـر بـــه   وتغنى فيه حفل الشعـراء
لك من طيرك او من سربه   صدحات اذهلت وجه العراء
عملوا بالشعر او من نخبــه   شربوا نخب زفاف الامراء

* * *

كل ما فى الكـون أرضا وسماء   من نجوم او زهور تكتسى
كلها جـــاءت تهادى حوما   زينة او بــهجــة للعرس

(هكذا علمنا كيف طبع الالغى ، ان وجد فى ارض الله الواسعة من ميادين الشعر ما لم يجده فى الغ القاحلة الفقيرة)

زوجها

الاخ الله للمترجم سيدة عالمة لانظير لها فى فتياتنا ، وهاك ترجمتها بقلم زوجها الكريم (ولالغ ان تشمخ بان اعلم آنسة مغربية فى فجر نهضتنا أضيفت الى الغ او اضيفت الغ اليها)

مآثرها

أنها من عائلة ريفية بشمال المغرب أبوها السيد عبد الكريم بن اللوه، من قبيلة (بقيوة) بالحسيمة ، وكان أبوه الحاج على رئيس قبيلته ، ذا كلمة مسموعة ، ورجولة نادرة ، ولقد أسهم السيد عبد الكريم بسيفه وبماله ، وقلمه ولسانه فى الحروب الريفية ضد المستعمرين ، سواء فى عهد الزعيم محمد (امزيان) وفى عهد البطل محمد بن عبد الكريم الخطابى ، اذ كان احد اعوانه ومن مستشاريه والمقربين اليه ، فصاهره واسند اليه عدة مهمات جليلة ، منها تعيينه قائدا للثورة فى الناحية الجبلية ، وهى القبائل المجاورة لطنجة واصيلا وتطوان ، ومنها اعتماده فى طنجة ، ليتصل بنواب الدول ، وبالخارج • نظرا لكونه كان يتمتع بالحماية الانجليزية • ومنها بعثه الى فرنسة وانجلترة كسفير متكلم بلسان الثورة الريفية •• وبعد أن انتهت الحروب الريفية انخرط فى خدمة الحكومة المغربية بالشمال ، فعين باشا للحسيمة، ثم مديرا للتعليم بتطوان ثم مديرا للاسعاف الاجتماعى ، واخيرا احيل على المعاش ، وعمها السيد العربى اللوه من علماء الشمال ، تخرج من الزيتونة ، وشغل مناصب هامة منها رياسة الاستيناف المخزنى ، ووزارة الاحباس ، وهو الان استاذ بالتعليم العالى الاصلى بتطوان ، واما امها السيدة رقية بنت احمد الخطابى فهى من عائلة عبد الكريم

الخطابى ، ومن قبيلة بنى ورياغل اعظم قبائل الريف ، وهـى سيدة فاضلـة دينية خيرة عالية الهمة بادية الشمم ، تمثل البيت الخطابى احسن تمثيل ، حفظها الله ، واطال عمرها • وهكذا السيدة معمة مخولة

دراساتها

تلقت السيدة (آمنة) مبادئها الاولى فى مكتب فى (الحسيمة) حيث حفظت ما تيسر من القرءان ومن أمهات الدين ، ولم يكن لها نظير فى ذلك اذذاك بتلك الجهة ، ثم انتقلت الى (تطوان) وهى طفلة صغيرة فى جملة عائلتها، وكان السبب ان الحكومة أسست لاول مرة بالشمال مدرسة ابتدائية خاصة بالبنات ، محل رقم (١) بتطوان ، فجاءت لتنخرط فيها ، وبعد ثلاث سنوات حصلت على الشهادة الابتدائية ضمن الفوج الاول من الفتيات ، وكانت هى الاولى فى ترتيب النجاح ، ثم التحقت بقسم ثانوى تكميلى ، ثم بمدرسة المعلمات ، فتخرجت منها بشهادة اجازة التدريس ضمن الفوج الاول وكانت الاول فى الترتيب ايضا ثم شاركت بنجاح فى امتحان القبول بجامعة مدريد ، قسم التربية والفلسفة والادب ، فاستطاعت بمجهود جبار مثالى ان تتابع هناك الدراسة الجامعية من سنة الى سنة ـ والمدة ست سنوات ـ الى ان ظفرت اخيرا بشهادتها الجامعية (ليسانس) فى علوم التربية والفلسفة والادب • ثم انها شاركت فى المباراة التى اعلنت عنها وزارة التربية الوطنية بالرباط ٨ ماى ١٩٥٩ لتعيين مفتشى اللغة العربية فى انحاء المغرب ففازت منها بتفوق حين كانـت الاولى فـى الترتيب الكتابى ، والثالثة فى الترتيب الادارى ، واثرها عينت مفتشة للتعليم السنوى بالرباط ونواحيها • لولا أن وقع ماوقع لجميع من شاركوها فى ذلك الامتحان (فظن خيرا ولا تسل عن الخبر)

الدرجات العلمية التى تحملها

وكنتيجة لذلك فانها تحمل الدرجات العلمية الاتية :

١ ـ الشهادة الابتدائية •••بدرجة الاولى
٢ ـ شهادة اجازة التدريس ••• بدرجة الاولى
٣ ـ شهادة الليسانص من جامعة مدريد المركزية ••• الاولى من نوعـهـا بالنسبة للفتاة المغربية
٤ ـ النجاح بتفوق فى مباراة التفتيش بالرباط • أول مفتشة مغربيـة ـ لو تم ذلك ـ وربما تعاد هذه المباراة
٥ ـ الفوز بجائزة المغرب للقصة • فى المباراة التى اجرتها الحكومة بتطوان لعام ١٩٥٤

الوظائف التي شغلتها

١ ـ معلمة فى التعليم الابتدائى
٢ ـ استاذة فى التعليم الثانوى
٣ ـ استاذة بمدرسة المعلمات
٤ ـ مديرة المدرسة الابتدائية رقم ١ بتطوان
٥ ـ مديرة المعهد الثانوى بتطوان
٦ ـ مديرة مدرسة المعلمات بتطوان
٧ ـ مديرة القسم الداخلى للبنات بتطوان
٨ ـ مفتشة التعليم النسوى بالرباط ونواحيها (ثم تاخرت عن ذلك الى الاستاذية)

الخدمات الاجتماعية

ـ نشرت مقالات شتى فى موضوعات اجتماعية بمختلف الصحف
ـ وجهت سلسلة احاديث استنهاضية لبنات جنسها فى الاذاعة
ـ اسهمت فى معظم النشاط النسوى الاجتماعى · وما زالت تسهم
ـ كانت عضوا فى اللجنة الملكية لاصلاح التعليم
ـ كانت عضوا فى الوفد النسوى برياسة الاميرة عائشة الى المؤتمر النسوى العربى المنعقد بدمشق دورة شتنبر ١٩٥٧

آثارها

١ ـ مجموعة مقالات صحافية
٢ ـ سلسلة احاديث اذاعية
٣ ـ نشرة مدرسية عن المدرسة الاولى التى كانت تديرها
٤ ـ قصة الملكة خناثة ، التى نالت بها جائزة المغرب لعام ١٩٥٤ والتى نشرت تباعا فى جريدة (الصحراء) المغربية
٥ ـ كتاب الطفولة المغربية ، الذى نالت به الليسانس من جامعة مدريد
٦ ـ ابحاث اخرى ـ وخطب · فى موضوعات ومناسبات شتى
٧ ـ قطع شعرية ···

زواجها

وفى شهر اكتوبر ١٩٤٨ تقدم ابراهيم (الالغى) لخطبتها ، فاعلن ذلك فى محفل بهيج حضرته الشخصيات البارزة ، وفى مقدمتهم دولة الصدر الاعظم ··

حيث قرئت الفاتحة على بركة الله ···· وتم زفافها اليه يوم ١٠ ابريل ١٩٤٩ اسبغ الله عليهما حلل السعادة والبهاء ما غرد الكروان وتعاقب الملوان

من آثارها

يقول المؤلف قرات لهذه السيدة آثارا قيمة أختار منها ما يأتى :

العام الجديد

وقف الناس يرقبون مطلع العام الجديد ، وقد تخلصوا من عامهم المنصرم او كادوا واضعين أيديهم على قلوبهم فى لهفة وفى فضول ، ينتظرون ما يخبؤه لهم المستقبل من آمال وآلام ، وولوا ظهورهم لعامهم الذى عاشوه ، فاوصدوا دونه رتاج الماضى العاتى فى جلبة وفى قوة وفى ضيقة وكأنهم بهذا قد ازاحوا من كواهلهم أعباء السنين ، فأسرعوا خفافا يستقبلون بالاحضان العام الجديد متفائلين مستبشرين ···

ولودرى هؤلاء لعلموا أن الزمان لم يوقف سيره قط ولن يخلع عباءته ابدا وان قاربه لم يلق مرساته على شاطئ الحياة منذ ان كانت الحياة · وان هذا القارب منطلق لايلوى على احد ·· وهو يرتطم بالصخور والنتوء حينا ، وتتقاذفه الامواج أحيانا ··· وتتلاعب به العواطف والانواء تارات أخرى ··· وهو رغم كل هذا مندفع كالسيل يصدم ويقوض ويؤدى

هى قصة الزمان التى لا تنقضى ، وحكايته التى لا تنتهى !!

الزمان هو الزمان ! هو اللغز الذى سما عن الادراك ، وغمض عن العقول وما المقاييس بالساعات والايام والشهور والاعوام والقرون الا من اختراع الانسان ليحتمى بها من الحقيقة المؤلمة ، انها من وحى خوفه على نفسه من طول الوحشة ومن الضلال ، أراد بها الانسان الاحتماء والاستجمام من طول زحفه، لستانف المسير بعد ذلك · الى الغاية الرهيبة التى يركض اليها ركضا مسوقا بهذه القوة الخارقة التى نسميها الزمان ·

تشبث الانسان بالمقاييس فقسط الزمان والزمان بعيد عن التقسيط فخدع بذلك نفسه ، ووجد فى ذلك الخداع راحة نسبية تنسيه هول المصير، نظر الى الزمان نظرته الى كتاب نقلب صفحاته بارادتنا واحدة بعد الاخرى، والكتاب تكونه ذرات ، وربما هبت ريح داهمة فعبثت بهذه الصفحات فطارت هباء منثرا ، اما الزمان فهو كل ابدى لاتبديل فيه ولا اختلال ، يدفع بقوم الى الحياة ، ويلقى باخرين الى الابدية ، لاتصل اليه آهات الشاكين ، ولا استغاثات الراحلين ، ولا انات المعذبين ·· نظام عجيب وسير لاتعثر فيه منذ الازل

ما قيمة العام والقرون والاحقاب فى حساب الزمان ···؟ وما قيمة حياة

الانسان ازاء هذا الزمان الذى ياتى بنا الى قاربه ليرمى بنا فى اعماقه الابدية بعد ذلك ، ويسدل علينا ستار الغموض ؟

هل درى اولئك الذين وقفوا فى أبهى حللهم ، وازهى حليهم ، يستقبلون العام الجديد ، انهم انما يحرصون على عمر نفيس انصرم من حياتهم ، وان جديدهم لاحق بقديمهم وان حياتهم تذوب من بين ايديهم وهم لايشعرون ٠٠٠٠؟

مثل حياتنا مثل هذه الشمعة التى تسرى فى احشائها السنة اللهب ، فتذوب قطرات الى ان يطويها الفناء ٠٠٠

لو رجعوا الى انفسهم لعلموا أن وقفتهم تلك لامكان لها فى قاموس الزمان ولا تغير من برنامجه شيئا ٠

ايها اللغز الابدى ٠ هل لنا ان نعرف ما تحمله بين طياتك ؟ لتهدأ نفوسنا من حيرتها القاتلة ، ومن قنوطها الذى لايريم ٠٠٠؟

أيتها القوة الجبارة الازلية ، هل لك ان تزيحى هذا الغموض الذى يكتنفك ؟ وهل لك ان تحيدى عن الغاية التى تحملين اليها الانسانية ؟ وهل لك ان تلوى وجهتك فتنكبى بنا عن طريق الابدية ؟ وتمنحى لنا الاستقرار ولا نبقى عابرى سبيل

الك لن تستطيع ايها الزمان ، فانت مسير بقوة علوية ، تدفع بك دفعا الى مصيرك ابدا ٠٠ وانت والانسان حقيقة واحدة تكون نهر الحياة الذى يجرى بينا جارفا ، ليصب فى الابدية ، حيث يتلاشى وينتهى ، كما تتلاشى وتنتهى الماء فى الصحراء ٠٠٠

يقولون : العام الجديد ٠٠٠٠؟ وهل هناك جديد فى هذا الوجود ؟ يسمونك العام الجديد ٠ أما أنا فسيان عندى قديمك وجديدك ٠ فانت وحدة لاتتجزأ وقوة رهيبة تندفع بنا الى اعماق الابدية حيث تنتهى أسطورة الحياة ٠

مجالس النساء

سيداتى :

يقول المثل : اهل مكة ادرى بشعابها ٠ ومن أدرى باحوال النساء من النساء ؟ فاذا تناول حديثى اليوم مجالس النساء ، فانما هو حديث عن مجالس احضرها باستمرار وأدعى اليها كل حين ، مما جعلنى مستوعبة لنواحيها ، عارفة بما يدور فيها ، محيطة بحقائقها وخفاياها ٠

فكان الاجدر بهذه المجالس ان تكون مثال المروءة ، ومعرضا للاخلاق الحسنة

ومظهرا لائقا بآداب المرأة المغربية ، هذه المرأة العريقة فى الاحساب والانساب الاصلية فى الاخلاق والاداب ، المضروب بها المثل فى المحافظة على تعاليم الدين القويم ، والتمسك بعادات حميدة ، وتقاليد عريقة ، زيادة على ان المرأةالمغربية اصبحت اليوم تضرب بسهم وافر فى الحضارة القائمة ، اخذة فى التثقيف والتهذيب ٠٠

لكن الامر بخلاف هذا فى معظم مجالس النساء عندنا ، اذا تلفت الى الماضى المجيد ، والى الحاضر المشرق ، ثم القيت نظرة فاحصة على أحوالمجتمعاتنا واستمعت الى الاحاديث التى تدور فى محافلنا ، والى الموضوعات التى نملأ بها مجالسنا ، فانك ـ ولاشك ـ تحكم علينا بضيق الافق ، ونضوب المادة الخلقية وقصر النظر وتفاهة التفكير ٠

ليس فى مجالسنا الاحاديث تافه ، لاطعم له ولا رونق ، لانضج فى التفكير ولاسمو فى المقاصد ـ وانما هو كلام نرسله على عواهنه ـ لايتناول الا ابسط المسائل ، ولايستغرق الوقت الا فى القيل والقال ، والاكثار من السؤال عما يحمد وما لايحمد ٠

ولا أذكر أن المقام الاسمى فى مجالسنا انما هو للغيبة والنميمة ، ولااريد ان أقول ان الاستهزاء بالغير هو أشهى المطعومات ، واطيب الطيبات كلما اجتمعت واحدة بأخرى ٠

فهل ينتظر بعد هذا أن تكون هناك رابطة ، وان تكون بيننا كلمة جامعة وصلات ودية ، وغايات نبيلة ؟

قد أعذر اولئك النساء اللائى تخلف بهن الركب ، وسحبت السنون الخوالى على عقولهن ذيل الغفلة ، وغطيت افكارهن بعنكبوت الاوهام والظنون السيئة ، ولكننى لااعذر فتيات اليوم ، بنات المدارس ، المتخرجات منهن وحاملات الشهادات ، فهؤلاء لاعذر لهن فى البقاء وتحت انقاض الماضى ، وفى التخلق باخلاق الجاهلات القاصرات ٠

لاأفهم كيف يسوغ لامرأة متعلمة تقرأ الصحف والمجلات ، وتتبع اخبار النهضة النسوية فى العالم ، أقول ٠ لاأفهم كيف يسوغ لها ان تملأ فراغها وتقتل اوقاتها فىالمجالس بالكلام فى فلانة ٠ والاستهزاء بفلانة ٠ واستنقاص تربتاتها وصواحبها

فاذا كانت الغيبة والنميمة والاستهزاء اشياء ممقوتة فى حق المرأة المتخلفة ، فهى فى حق المرأة المتعلمة اقبح واشنع ، واحق باللوم ٠ سواء فى المجالس الخاصة ، او فى المجالس العامة

رأيت اجتماعاتنا على هذه الحالة ٠ فرجعت بألم يعصر مهجتى ، ويضنى فؤادى ، نعم ورب الكعبة ، رجعت وفى نفسى حسرات ولوعات على ماتتصف به

حالتنا من سذاجة وقصور • هذه الحالة التي اكل الدهر عليها وشرب •

لقد كدت انكر نفسي وزمني • هل حقيقة نعيش في القرن العشرين عصر السرعة ، والحضارة المدهشة • عصر التقدم في جميع الميادين •

أين هي هذه الاثار في مغربنا ؟ وهل يوجد بيننا قبس من ذلك الشعاع الاعظم ؟ وهل هبت علينا ريح مباركة من ذلك العالم الحالم • ام هبت علينا الزوابع والاعاصير فرمت بنا في اعماق المحيط ؟

ألم يبق للمرأة المغربية اثرا من الآثار في كل شيء ، حتى في تفكيرها وحديثها ؟ افقدر عليها ان تظل العقلية العميقة لاينفذ اليها النور ؟ وهل من الواجب ان تقف مكتوفات الايدى أمام هذه القصور الشامل ؟

جالست الكثيرات • وسبرتهن عن قرب • فكانـت النتيجة ماذكرت أليست لنا عبرة في النساء الخالدات ، وفي نساء الشرق المعاصرات • لـم لانقتفي اثرهن ونسير على نهجهن ؟

يحدثنا التاريخ ان النساء العربيات كن يتناشدن الاشعار ، ويتجاذبن الافكار ، ويشاركن في الحياة العامة مما جعل عمر يقول : أصابت امرأة واخطأ عمر

وهذه (مي زيادة) الاديبة الذائعة الصيت (لامارتين) العرب كما وصفها الجميع كان منزلها منتدى اديبات جليلات •

وهؤلاء نساء مصر اللامعات ، يعقدن مجالس ثقافية على جانب كبير مـن الاهمية ، يبحثن فيها مشاكلهن الخاصة ، ومشاكل مصر العامة • انهن يقمن بدور هام في الحركة الجديدة ، يعقدن اجتماعات وجلسات يبحثن فيها وضعية المرأة • ويتبادلن الافكار ، والاراء في شانها • الشيء الذى ابرز نشاطـهـن فنلن بذلك الاعجاب

فمتى ننبذ نحن هذه الاجتماعات السخيفة ؟ الا انستطيع ان نطـهـر مجالسنا من هذه الجراثيم السامة • فنتنفس في جو يسمو بالروحانيات ؟ الانستطيع ان نترك الماديات جانبا ؟

اعتقد ان عبء هذا يقع على الفتاة المثقفة وحدها لاغير • لنبدأ بانفسنا ، لنكن القدوة الصالحة لغيرنا ، ليكن حديثنا اذا اجتمعنا حديثا ثقافيا ناضجا نقصد به في نفس الوقت استدراج السيدات الى المشاركة في حديثنا ، وبذلك نكتسب نصيرات ، نصل بهن الى اعداد امرأة مفكرة واسعة النظر سامية الاراء

ولست أريد هنا الحط من سيداتنا كلا • انما هي ظاهرة رأيتها وقصور شاهدته اردت للمغربية استكماله •

لاتغضبن عن اخت لكن • واجهتكن بالحقيقة سافرة ، لاغبار عليها ولاحجاب

اني منكن واليكن ، وحياتي وقف على اصلاحكن بكل ما استطيع ، لاابتغي وراء ذلك الا الوصول الى مستوى لائق بحفيدات الابطال • فلننزع عنا ملاءة الخمول الطويل ، ولنغير هذه المجالس العتيقة ، ولننفخ فيها روحا جديدة تناسب القرن العشرين ، لنجد السير • فالقافلة سارت بعيدا ، هيا بنا لندركها ونتعلق بها

وبعد فذلك هو الاستاذ الكبير ابراهيم الالغي الذى لم يزل الله ينعم عليه بنعمة اثر نعمة ، حتى قارن بدره المشرق بهذه الشمس المشعة ، فنطلب الله ان تكون بينهما نجوم تلمع انوارها في سماء عائلتهما ، لتتم عليهما جميع النعم • وما ذلك على الله ببعيد ، والكريم اذا بدأ اتم •

الاستاذ الحسن بن احمد الالغى

نحو : ١٣٥١ هـ = حـــى

نسبـــه :

الحسن بن احمد بن على بن احمد بن محمد بن احمد بن محمد بن سعيد ابن محمد بن احمد بن عبد الله بن سعيد

انا الحسن السباق فى كل حلبة — تجارت الى الغايات افراسها الجرد
خلقت لكل المكرمات احوزها — وحيدا وهل مثلى يكون له نـد ؟
قد اشتهرت فى كل حفل نجابتى — (وما قلت الا بالذى علمت سعد)

هذا ماكان للمترجم فالاحسنا ، يوم كان ياخذ عنى المبادىء فى (الغ) قد قلت ذلك على لسانه كما كنت اقول على ألسنة اقرانه • بل هناك ديوان خاص مما قلته فى تلاميذى او عن السنتهم يسمى (الرميليات) نسبـة الى (الرميلة) من حومة (باب دكالة) حيث قضيت ما قضيت مع نشء غير قليلين من ذلك الجيل ، اذا الناس ناس والزمان زمان

دراسته

هو صنو التعلم الذى سيذكر فى ترجمته أخيه عبد السلام الذى سياتى بعده • لانهما لم يفترقا قط منذ نشئا معا • الى أن فرقـت بينهما الشهادة العالمية • فقد كان عبد السلام نجح فى السادسة من كلية ابن يوسف • ولم ينجح المترجم • ثم اشتغلا معا فى المدارس الحديثة • الى ان تقدم عبدالسلام الى (العالمية) فادركها ، فصار استاذا فى المعهد الرودانى ، وبقى المترجم فى هذه المدارس الى الان ، وقد صار استاذا رسميا فى (مراكش)

من آثاره

ان للمترجم اقداما وقلما وفكرا • وجراءة وتطلعا الى الظهور • فصار يخوض مخاضات اقرانه • ويلقى المحاضرات امثالهم • وهذه احدى محاضراته ومنها يظهر اثر قلمه وتفكيره

أثر الحرية في التربية والتعليم

ان التربية القديمة التى اصبحت لاتساير تـطـورات العصر الحاضر

ـ عصر المساواة والديمقراطية ـ كانت تمتاز بالقسوة والضغط على الطفل• وكان المربون اذذاك لم يستطيعوا ان يفهموا الغاية المتوخاة من وراء التربية والتعليم • فضلا ان يصرفوا وقتا من اوقاتهم فى التعرف الى مشاكل الطفل والتفكير فى طرق علاجها • والمعاملة التى كان المربون القدماء يعاملون بهـا الاطفال ، سواء فى المدارس او المنازل • كانت مستمدةمن الظروف الاجتماعية والاحوال السياسية • التى كانت تحيط اذذاك بالمدرسة او بالمنزل • فهناك امراء وسلاطين واقطاعيون • هذه الطبقة يخيل اليها ان الطبقة الفقيرة مـا خلقت الا لتنفيذ مراغبها وشهواتها بدون ملاحظة أو نقاش • زيادة على هـذا ماكان عليه نظام العائلة بما كان يمتاز به الاب على افراد العائلة • فليس فى البيت من تسول له نفسه معارضة رب الاسرة •

فهذه العوامل كلها ـ لاشك ـ لها اثر فعال وكبير فى المدرسة • حيث نجد المربين لايعتنون بتربية الاطفال تربية صالحة • تستفيد من ورائها الامة والاسرة نتيجة ترجع عليهم بالنفع العميم • ولـم يفكر هـؤلاء المربـون قط فى اعطاء الطفل ولوقسطا ضئيلا من الحرية •

فلما تقلبت الاحوال • واصبحت الشعوب تقاوم الطغيان ـ بفضـل الوعى المقدس ـ وتنسف الاقطاع والطغيان • وتقلب الاوضاع والانظمة فى مختلف البلاد • كان من البديهى ان يكون لهذا الانقلاب اثر محسوس فى جميع الميادين البشرية ، وبالاخص المدرسة • وفعلا قام المربون الكبار الذين كان لهم الفضل فى قيادة شعوبهم الى شاطئى النجاة ينادون باتجاه جديد فى التربية وطرقها يوافق روح العصر الجديد ويساير تطوراته ، وهو اعطاء الطفل قسطا مـن الحرية • مع احترام القوانين المدرسية المعقولة •

والواقع ان هؤلاء المربين لم ينادوا بوجوب اعطاء الحرية للطفل بمجرد ثورة على الانظمة البالية فحسب • وانما كانت مناداتهم بذلك نتجة الابحاث التى اجروها فى التربية ، ودراساتهم الطويلة لمشاكل الطفولة التى اباحت لهم أن يطلعوا على غرائز الاطفال ، والعثور على ما يكمن فى نفوسهم من ميول ونزعات • فاهتدوا بعد ذلك الى ان المدرسة بنيت لاجل الطفل لا الطفل هـو الذى خلق للمدرسة • فنظرا لهذايجب على المدرسة ان تبحث وتدرس ميول الطفل ونزعاته • لاالطفل هو الذى يجب عليه ان يخضع لوسائل تربويـة عقيمة ، ولقوانين ماانزل الله بها من سلطان • ويجب على المدرسة ايضا ان تبحث عن كيفية معالجة جميع الاطفال ـ مع اختلاف ميولهم ـ الذين تحت كفالتها ـ معالجة تلائم كرامة الاطفال ككائن حى ـ حتى تهتدى بطريقة التدريج الى تقويم سلوكهم • والقضاء على دواعى الشر الكامنة فى نفوسهم

ان اصحاب التربية الحديثة يدعمون اراءهم السالفة باسباب معقولة ،

فهم يقولون : ان الناس ولدتهم امهاتهم احرارا ، فكيف تستعبدهم طائفة من بني جنسهم ، تصدر الاوامر ، وتمل عليهم ارادتها فيتقبلونها صاغرين • فاى حجة تستند عليها تلك الطائفة ؟ فتحملهـم عـلى الخضوع لاوامرهـا واجتناب نواهيها •

ان لكل فرد كرامة يجب ان تحترم ، ولهذا يجب على المعلمين ان يعطوا للطفل قسطا وافرا من الحرية في المدرسة ، في حدود النظام واللياقـة • فلا ينبغى للمعلم ان يتعرض لحرية الطفل ويغتصبها منه • فيخيـل له ان شخصيته معدومة وغير معترف بها • ومن نتائج الابحاث التى اهتدى اليها ان القهر يقتل في نفس الشخص روح الابتكار • وبما ان النظام الديمقراطي يفتح ابوابه لكل عامل مبتكر ويشجعه ويجعل افراد الشعب على حد سواء وفى منزلة واحدة ، حتى ينتفع من مجهودات الجميع في ميدان الخلق والابتكار فان من الضرورى ان يعطى للاطفال قسط من الحرية يناسب المقام • واعطاء الحرية للطفل من الدواعى التى تحمل الطفل على الثقة بنفسه • والثقـة بالنفس تحفزه على الخلق والابتكار والعمل المنتج • وفى ذلك تقدم سريع للمجتمع •

اما من الناحية الخلقية • فيمكننا ان نقول بان الحرية تتيح للطفل ابراز شخصيته ، وتقوية ارادته ، نظرا لما قد يحصل عليه من تـجـارب وخبراته في المدرسة ، وتلك التجارب هى التى وحدها تجعله يقدر المشاكل حق قدرها • وتجعله قادرا على تحسين سلوكه • والتخلق بالاخلاق الفاضلة ويستنكف من تلقاء نفسه ان يقترف جريمة يلام عليها • وبهذه الطريقة يمكن المعلم ان يظهر شخصية الطفل • لان الطفل اذا شب وهو يتلـقـى الاوامر من المعلم في ناحية ، ومن الاب في ناحية اخرى ، ولايتـحـرك الا بالامر • فسرعان ما تضمحل شخصيته وتنعدم ويصبح عرضة لرياح الاغراض والاهواء والنزعات السيئة

وبديهى ان النظريات السابقة لايمكن ان تكون لها قيمة في نظرنا الا اذا طبقت على اسهل الطرق • أما تطبيقها فقد شرع فيه في مدارس نموذجية كالتى انشاتها المربية الايطالية الدكتورة (منتسورى) والتى ارادت أن تطبق فيها الدكتورة مبدا الحرية بمعناه الواسع الشامل ، لامن ناحية دون اخرى • وهكذا الغت الدكتورة النظام الذى يعرفه التلاميذ في المقاعد الثقيلة المثبتة في الارض • وجعلت مكانها مقاعد خفيفة ، يسهل على الطفل نقلها حيث يشاء ومتى شاء • وفعلت الدكتورة هذه الطريقة لئلا يشعر الطفل بايـة سلطة تضغط عليه ، كما اعطيت للطفل حرية في الخروج والدخـول • دون ان يتعرض له احد ، ولم تخصص مادة للطفل في تلك المدرسة المثالية يتقيد بها دون اخرى • والمعلم ليس له اى تدخل في هذه المسائل • فهو واقف بمثابة

المرشد ، ويلاحظ حركات الطفل واعماله • حتى يتربى في الطفل الاستطاعة على العمل المفيد • ويتمكن من استخدام حواسه •

ومن الناحية الخلقية بالمدرسة النموذجية يسمح للطفل ان يتعاطى كل ما يروقه في دائرة احترام اخوانه • وله الحرية التامة ان يعمل كل ماتسوله له نفسه • بشرط ان لايسيء الى زملائه

وهذا النوع من الحرية يوجد في هذه المدارس المثالية ولايمكن ان يطبق في مدارسنا لاسباب قاهرة • واذا كنا نرحب بمبدأ الحرية في المدرسة • فلا يسوغ لنا باي حال أن نطلق لاطفالنا الاعنة ، يفعلون كل ما تمل عليهم ميولهم • لان ذلك يسبب الفوضى وعدم الاستقرار • ولو اسست في بلادنا مدرسة نموذجية على هذا المنوال الذى انشاته المربية الايطالية • لوجد الطفل في حياته اضطرابات • لان نظام الحياة ونظام البيت عندنا يخالفان الروح التى تسود تلك المدارس النموذجية •

فبينما يخرج الطفل الى وسط المجتمع ، فيجد نفسه امام قوانين لايجوز له أن يتخطاها • وهذه القوانين يعرف تمام المعرفة انها ما وضعت الالمصلحته ولمصلحة ابناء جلدته • واذا كان يحس عندما يجد نفسه امام القانون بقليل من الضغط يقيد شيئا من حريته فان ذلك سيتعوده عن قريب ، كما أن هنالك سلطة الابوين التى لا محيد للطفل عندنا من الانقياد لها ، والامتثال لاوامرها ولاسيما ونحن امة اسلامية • والاسلام ـ كما هو معلوم ـ يعزز جانب سلطة الابوين • ولا سبيل الى نقض هذه السلطة التى يؤازرها ديننا الحنيف •

فهذا يجعلنا نومن بان ليس من المصلحة في شيء ، ان نطلق عـنـان الحرية عندنا للطفل حتى لايخضع لاى نظام قار • فنحن حيـنـما نطالب باعطاء الحرية للطفل انما نقصد بذلك اعطاء الحرية النسبية للطفل • اكثر من التى يتمتع بها في الماضى • واقل من الحرية التى ترمى اليها الدكتورة (منتسورى) في مدارسها النموذجية المذكورة •

ونريد أيضا من الابوين ان يتيقنا ان الطفل هو كمثل سائر الكائنات الحية • يجب ان يفهما ان له شخصية وكرامة • فيعاملانه معاملة تلـيـق بكرامته وشخصيته ، ونريد من المعلم المربى ان يـزيـل على نفسه فكرة العقاب البدنى العقيم • ويربى الطفل على استخدام مواهبه • ليتاتى له ان يخلق في نفس الطفل روح التفكير السليم والابتكار ، وعلى هذا يجب عـلى المعلم ان لاياتى للطفل بدرس يقدمه له الا على شكل يروقه ويحفزه على النشاط والعمل المنتج • ونشاط الطفل هو الذى يهدى المعلم الى النفوذ الى مواطـن نزعاته وميوله • فيتعهدها اذذاك بالتهذيب والاصلاح • لان مهمة المعلم مهمة تربوية لاتعليمية فقط •

ومن »اثار الحرية الظاهرة في التعليم ، انها تجعل الطفل يحب العمل وتخلق فيه روح الابتكار ، والمثابرة على العمل ، والاعتماد على النفس • وتشجعه على المضي في العمل • وهذه مسالة مسلمة • اذاقارنا التعليم في مدارسنا العتيقة ، او الكتاتيب القرآنية مع التعليم في مدارسنا الحديثة ومن هذه المقارنة يشعر الانسان الذى له خبرة كافية في التعليم والتربية بالفرق الجلي بين تلاميذ المدارس العتيقة • وبين تلاميذ المدارس الحديثة وهذا الفرق يتجلى واضحا في جميع مختلف نواحي الطبقتين الفكرية والعقلية والاخلاقية وغيرها • وهذا لايجحده الا من يحاول تغطية الشمس • ومبدا الحرية هو الذى يضمن لنا ان يشعر الطفل بالمسؤولية التي تثقل كاهله ، فيقوم سلوكه رعيا لمصلحته الشخصية ومصلحة مواطنيه • وهذا مما يجعلنا نعتقد ان مبدأ الحرية • هو الذى يعينه على تقوية ارادته • بحيث يستطيع ان يسيطر على نزعاته وميوله • يتصرف فيها كيف شاء ومتى شاء• وهذا ايضا من الدواعي التي تجعل الطفل لاينقاد بدون وعي • ولا يخضع الا لتلك الارادة القوية ، وفي خضوعه لتلك الارادة تدريب على المكاره • لان الحرية الصحيحة التي يقصد منها البناء لا التحطيم • هي ان لايطلق الانسان لشهواته واغراضه الامنة • ولا يمتثل لما ترمي اليه غرائزه الشريرة ، ونزواته المختلفة • واذا اردنا ان نفهم مبدأ الحرية هذا الفهم المعوج • نكون قد اولناها تاويلات مغرضة ، واستعمنا لغير ما وضعت له ، وبالتالي نكون قد اسانا فهم معنى الحرية السامي • فبهذا نصبح ننزلق الى المستوى البهيمي [illegible] انفسنا ، من حيث لانشعر • ونصبح عبيدا لشهواتنا واغراضنا • [illegible] الشهوات والاغراض • والذى يجب علينا ان نعتقده ونومن به • هو ان يعرف كل واحد منا معرفة تامة • ويدرك تمام الادراك بدون تقليد او [illegible] • ان الحرية الصحيحة • هو ان نعبيء طاقتنا ، ونوجهها بكل مافي استطاعتنا وعزيمتنا لاستيصال جذور الشر والفساد في نفوسنا• فلنستقبل تعبئة هذه الطاقة في تشجيع وتزكية ، بكل ما من شانه ان يرفع من مستوانا الخلقي والمادي من الخصال الحميدة ، والطبائع الفاضلة • حتى يتيح لنا ان نخلق مجتمعا مثاليا لجيلنا الجديد ، تغمره السعادة الصحية والكرامة السامية والله ولي التوفيق •

الاستـــاذ

عبد السلام بن احمد الالغى

نحو : ١٣٥٢ هـ = حـــى

نسـبـه :

عبد السلام بن أحمد بن علي بن احمد بن محمد بن سعيد بن محمد بن احمد بن عبد الله بن سعيد

عبد السلام نجيب بين اقرانــه	فهو يحوز بجد خصل ميدانــه
فان يشم ويشاموا في الندى يكن	كالزهر يفتر من علياء افصانه
عماقريب يرى ذاشهرةطفحت	يوم يصول على جميع اقرانــه

هذا احد الشباب السعيديين النابغين وشيكا في هذا الجيل الجديد• وهو ابن اخي احمد الذى قرات ترجمته في (الفصل) الماضي • واخو الحسن المذكور قبله • وقد غادره واخوته صغارا • فقام الله بكفالتهم فخر جواكما سيرى القاريء من اماثل البارزين الان في الميدان

متعلمـــه

وجدته لما نفيت الى الغ هو واخاه الحسن يقفزان امام والدهما • وقد رزقهما بعد مارزء بعض اولادذكوراواناثا ءاخرين فكان لايفارقهما بعدما استطاعا ان يمشيا فكانا يحومان حواليه • فتقربهما اعينه• وهو يعاني مرضه المتواصل فكذلك تركهما يوم توفي • وقد كان ازارهما اخوالهما الايغشانيين • ولم يكد يرجع حتى سقط على الفراش ثم لحق بربه بعد ايام • فلم يشعر الصبيان بالصدمة • لانهما لم يستتما عقلهما بعد • فلم يدركا قدر من فقداه ، ولاما الم بهمامن اليتم • وقد كنت ملت بهما وابوهما يغسل ويجتز للعب معهما• مخافة ان يتصل بهما من يشعرهما بما هما فيه • فهكذا بقيت معهما • وانا متفرغ لهما • حتى اذا مر زمن قليل راى لهما ابوهما الثاني أخونا سيدى محمد ان يفتتحا التعلم • فاتى بالاستاذ سيدى عيسى بن صالح الاكمارى • فندرجا عنده ماشاء الله نحو سنة • فلم ينشب ان ذهب لحال سبيله فلزماني اسابيع دربتهما على التهجي بكل سهولة • الى ان آتي بالاستاذ سيدي محمد التزنيتي فقام بتعليمهما خير قيام • ثم صارا ياخذان عني بعض المبادىء العربية • فلم تصل سنة ١٣٦١ هـ • حتى ختما القرءان • ثم اعادا الختمات

مرة فمرة • حتى اتقنا حفظه على يد هذا الاستاذ المبارك • ثم لما تيسر لي الانتقال الى مراكش اواخر ١٣٦٤هـ اتيت بهما الى مدرسة (تمانار) في حاحة عند الاستاذ ابن العم سيدى ابراهيم بن احمد • فهناك افتتحا وتقدما اشواطا في المبادىء • فاستتما متون الطور الابتدائي • ثم لما رجعت من الحجة ١٣٦٦هـ اتيت بهما الى مراكش فصرت ادرس معهما في طبقة امتازت بعد ذلك بالتحصيل فلم ينشبا ان اندغما في السنة الرابعة من الثانوى في الكلية اليوسفية • فحصلا على الشهادة في تلك السنة • ثم تقدما معا الى السنتين الخامسة فالسادسة • وهما يتفوقان مع المتفوقين • وفي الرعيل الاول من السابقين • ولكنهما حين تقدما الى شهادة السادسة • نجح المترجم دون صنوه • ثم انخرط في النهائي • ثم حدثت الازمة المغربية فانتقلت الى البيضاء • فكانا معي ماشاء الله متتبعين للدروس فيها على حسب ما تيسر • الى ان اعتقلت الى الصحراء • فقام المترجم في الدار خير قيام • فكان يعلم ولدى سعيدا • ثم انخرط في مدرسة كاستاذ • فكانت المراسلات بيني وبين اهلي تمر على يده وهو الذي يجيبني عما اكتبه • وهكذا مثل دور الرجولة على صغره اذذاك • وهذه المراسلات محفوظة الى الان عندنا • ثم لما وقع سراحي : تمادى على استاذيته الى ان جاء الاستقلال • فجاءت فرصة للحائزين للشهادة الثانوية وهو منهم • فتقدم للشهادة العالمية • فلاحظه السعد هو وكل من معه • فنجحوا في (المعهد) الرداني اول ما افتتح • وهكذا اصبح عالما رسميا • واذا ممتازا • ثم ظهر منه في المعهد شفوف بمعلوماته واقدامه وحسن اخلاقه • وعزوفه عن الدنايا ، ثم تزوج ببنت عمه عبد الرحمن • فصار رب عائلة • فلم ينشب ان ولد له ولد سماه (شكيبا) وما اختار هذا الاسم الا لانه اديب • وقد تخصص لدراسة الادب في (المعهد) ونأسف حين لم يتيسر لنا من آثاره ما نقدمه للقراء على عادتنا في امثاله • على انه لايزال شابا فرهدا • في وسعه ان شاء ان يظهر له آثارا تقر بها العين • وينشرح بها الصدر • وقد كان والده رحمه الله يقول فيه دائما مايقول ، مما يدل على هذا الشفوف • فالله يحفظه ويفتح له باب المجد على مصراعيه لنرى في كهولته ثم في شيخوخته ماكان له مظهر شبيبته كفلق الصبح • فجدير بمن كانت له اسرة لاتذكر الا بالعلم والادب والدين والاخلاق ، ان يواخذ نفسه حتى يكون خير خلف لخير سلف في العلم والادب والدين والاخلاق •

شيخنـــا

سيدى عبد الله بن ابراهيم ابن العم

١٥ - ٩ - ١٣٠٩هـ = حي

نسبه :

عبد الله بن ابراهيم بن احمد بن محمد بن احمد بن محمد بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن سعيد ط

قرأت فيما تقدم في (الفصل الاول) ترجمة والده العم سيدى ابراهيم وترجمة جده سيدى احمد بن محمد الرجل الصالح • ورأيت ان والده تزوج سنة ١٣٠٨هـ وكانت التي تزوج بها كريمة سيدى مولود الشغراى الافراني وكان من أصحاب الشيخ سيدى سعيد المعدري • وفي داره وقع للشيخ الالغي ماوقع • كما ذكرناه في ترجمته حين تعرضنا للطور الذي تلاقى فيه مع شيخه هذا • كان الشيخ الالغي ساح سياحة طويلة انتهت به الى افران وهو مستدير الى (الغ) • وقد كان من بين الفقراء صنوه العم ابراهيم ، فخطب له تلك السيدة • فعقد العقد في الحين • فاتى بها الى الغ ، وفي السنة التالية ولد صاحب الترجمة حفظه الله ، وقد ذكر لي ان سيدى سعيدا التناني هو الذي قيد يوم ولادته وعنه نقل

متعلمه

ابتدأ في مسجد القرية السليمانية عند سيدى محمد - فتحا - بن محمد اوباكي التانكرتي ، ثم الى سيدى محمد الاكميري ، ثم سيدى مولود الصوابي ، قال ان على يده ختمته الاولى سنة ١٣١٧هـ ثم سيدى محمد - فتحا - السملالي • فاتم عليه ختمتين ، وهؤلاء كلهم في ذلك المسجد • سمعت والده يقول • ان الله قد هداه اذذاك فماعرفت له نبوة من المكتب ، ثم ضمه الشيخ الوالد مع ولده سيدى محمد اخينا الاكبر • فارسلهما الى ساحل أيت بعمران عند طالب هناك يسمى سيدى عمر • فلم ينشب ان مات فجاة • ثم نقلا الى قرية (تالات ووشن) بأيت برابيم عند طالب يسمى سيدى الحسن لايزال حيا الى الان ١٣٥٦هـ فبقي هناك نحو سنة ، حتى جود غاية التجويد • فالتحق بالمدرسة (الايغشانية) اواخر سنة ١٣٢٤هـ عند الاستاذ سيدى العربي الساموكني ، فعلى يده افتتح المبادىء ، قال فكنت اتمشى تمشيا وئيدا • ولذلك انتقل سنة ١٣٢٥هـ الى المدرسة (الالغية) عند الاستاذ التاجارمونتي فتخطى

خطوات في المتون الابتدائية وفي ١٣٣٦ه التحق بالاستاذ شيخنا سيدى عبد الله بن محمد في (أداى) فهناك تمكن في المبادىء وخطا خطوات واسعة في الدور الثاني • فلم يلبث الا سنتين حتى التحق بالدور الثالث • وذلك بالهمة التى يدير بها استاذه اذذاك كل من عنده ، فنجب غاية النجابة ثم صاحبه إلى المدرسة (الايغشانية) حيث لازمه أيضا اربع سنوات • وقد كنت معه هناك فكنا نراه مع سيدى البشير بن الطيب • وطبقتهما في السماوات العليا وكان ابن العم اذذاك يعين استاذنا في المبتدئين • فكنت ممن مر تحت يده اخذت عنه بعض اللامية لابن مالك • فافرغ الجهد في ان اتقنها فلزني لزة الالغيين المشهورة ، فكان يستدعيني للاعادة عليه بين العشاءين • فكان ذلك بفضل الله ماجعل علم التصريف بارزا بين معلوماتي خصوصا ماذكر منه في اللامية فهو ارسخ العلوم العربية في ذهني رغم انني بعدما املصت بعد ذلك من هذه اللزة فخلعت الرسن • وطلقت الاجتهاد • واعرضت عن الاكباب نحو عشر سنوات قضيتها كلها في البطالة الا ماكان من كتب ادبية اتلوها ترويحا للنفس وتلالذا لاغير لم يزل علم التصريف عندى كماهو • فلماانقشع السحاب ورجع طور الندم • وقد نفخت فينا دروس الشيخ شعيب الدكالي رحمه الله روحا جديدة في سنة ١٣٤٢ه رجعت الى هذه القواعد التى اخذتها في مبتداى لاتفقدها فلم [illegible] الدار ، لعلي اتمكن من وضعها اسسا متينة لما عزمت عليه من [illegible] عالى لامر جديد فلاحياة الا للعلماء ، ولا علم بالقواعد ، ولاقواعد [illegible] الا [illegible] لاخذها في طور الابتداء عن الاستاذ المترجم وامثاله ، [illegible] ان لمست كل جوانبي افرغ من قلب ام موسى ، حتى الحدود [illegible] • طارت كلها كما طار كل ماتشتمل عليه هذه المتون الا ماكان من علم التصريف وحده فهو الذى وجدته مصونا كما هو • وما ذلك الا بفضل جهود صاحب الترجمة حفظه الله وجزاه خيرا ، فكانت هي اول ما ذاكرت فيه بعض اخواني في سنة ١٣٤٢ه في مسجد صغير يضاف لسيدى البغدادى في (الموقف) بتلك الحضرة المراكشية ، حياها الله وبياها • ثم لم أزل استرد مافي المتون بالمذاكرة حتى أمكن لى أن تكون في يدى هذه الصبابة القليلة التى يصلح بها قلمى • ويجول بها لسانى في الدروس • فينتفع بها من يجلسون الى • وما استطردت هذا الا ليعلم التاريخ انني ان زعم زاعم ان لى حسنة في التصريف فانني لأعدو ان أكون من حسنات هذا الاستاذ المترجم فلا خير فيمن لايقر بالفضل لذويه •

اذا افادك انسان بفائدة من العلوم فأدمن شكره ابدا
وقل فلان جزاه الله صالحة افادنيها وخل الكبر والحسدا

وعهدى بصاحب الترجمة اذذاك هو وقرينه سيدى البشير بن الطيب فرسا رهان ، وركبتا الراكب يتحاوران ويتناقشان عند مطالعة الانصبة او معاودتها بين العشاءين ، على ماهي العادة • فلايكاد احدهما يسلم للاخر لان

كل واحد منهما فحل لايقدع انفه *

ثم بعد ان تفرقنا عن تلك المدرسة نحو اواسط سنة ١٣٣١ه ذهب في رمضان السنة التالية الى المدرسة التانكرتية عند الاستاذ سيدى الطاهر • فحضر عنده في درس البخارى • فكان بذلك من اشياخه وقد سمعت بعد ذلك ان بعض التالين للبخارى كان يتلو ، فوصل عبارة فيها اعجب بكذا ، فبناه للمعلوم فرده المترجم ، فقال له انه هنا مبنى للمجهول ، فانكر عليه من حضر فحين راجعوا وجدوا كلامه موافقا للحق ، وهكذا كان محققا للمسائل ومستحضرا غاية الاستحضار • خلق اقتبسه من استاذه الذى به تخرج وهو شيخنا سيدى عبد الله بن محمد • وفي سنة ١٣٣٣ه راجع ايضا مجلس استاذه هذا الذى راجع أيضا المدرسة (الايغشانية) الى ان دخلت سنة ١٣٣٤ه

ودعه استاذه بكل رضا ، وقد تخرج وتعتقت راحته واستطاع ان يجول في الميادين كيف شاء

مشارطاته

رايت من ابن العم تحصيلا تاما • وتفوقا كثيرا على اقرانه وقد ساعده الحظ حتى ادمن على الدراسة الى ان نال مايمكن ان ينال في ذلك الوسط ، فلم يبق الا ان يجرب حظه في ميدان التدريس ، وان يلقى دلوه بين الدلاء ثم على الله الكمال ، ولبعض الالغيين :

فما على المرء سوى ان يعملا وأن يمد دلوه بين الدلا
وان يثابر وان لا يضجرا اما النجاح فهو من رب الورى

التحق باستاذه في المدرسة (السعيدية) بالاخصاص ، ينظر مدرسة او ماتيسر • فلم يلبث ان اتصل بمدرسة (ميرغت) فبقي فيها سنتين ١٣٣٥ه ١٣٣٦ه ، ثم فارقها والتحق بالبلد فصادف ان شارط ايضا استاذه في المدرسة (البومروانية) فاتصل به يعينه على بعض الدروس ، وفي سنة ١٣٣٧ه كنت توجهت الى البلد لازور والدتي على عادتي في حياتها كل عام فمررت بصاحبنا الشيخ سعيد التيكزيريني الحاحي الذى كان بعد ذلك قائد حاحة الكبير • فذاكرني في استاذ لمدرسة (ايت أمر) فنفضت ذلك لشيخنا سيدى سعيد التناني ، ففاتحته في ذلك عن اذنه فتوجه من الغ الى تلك القبيلة • ولكن استاذا بتلك المدرسة لايزال فيها • فشارط في مسجد سيدى على بن محمد - فتحا - بايت خميس ريثما تخلو المدرسة • وفي سنة ١٣٣٩ه اتصل بمدرسة سيدى عبد الرحمن ، وكذلك تسمى ، فبقي فيها سنتين وهو رافع لراية التدريس • وقد اقبل عليه الطلبة ، وعنده الاخوان سيدى عبد الله وسيدى عبد الحميد واخرون ياخذون عنه • وهو مجد • ثم في سنة ١٣٤١ه زاروالده

تلك الجهة ، فامره بالانتقال الى البلد • فكان ذلك هو السبب ان انطفات منه جذوة مستنيرة من الاجتهاد في التدريس ، ولم يساعف سيدي سعيد الذي اشار عليه ان لايفارق محله • ولكن اختار اشارة والده الذي كان سافر الى سيدي سعيد ، فالح عليه ان يساعفه في ذلك ، فلم يجد مناصا للمساعفة فشارط في مدرسة (اداى) تسع سنين • وقد انعدمت منه تلك الهمة • وقد وافق ذلك سنوات ١٣٤٥هـ التي فترت فيها همم الطلبة فخلت المدارس وطويت الكتب وجفت الاقلام والى الله المشتكى

ثم لازم البلد سنة او سنتين الى عام ١٣٥٢ فشارط في المدرسة (الالغية) تحت يد استاذها سيدي المدني ، وفي سنة ١٣٥٣هـ رجع الى حاجة فشارط في مدرسة سيدي (حسين اوحسين) بقبيبة اداكيلول سنة واحدة • وقد برقت منه ثانيا بارقة من التدريس • ولكن لم تبطىء • فانطفات بسرعة ، وفي سنة ١٣٥٥هـ شارط في مدرسة (ايمور) المبنية على مشهد جدنا سيدي عبد الله ابن سعيد ، فكان عنده بعض فتية يتعاطون • ولكن الهمم بكل أسف لاتزداد الا انحطاطا • ورسوم العلم والدراسة في عفاء مستمر

ان دام هذا ولم تحدث له غير   لم يبك ميت ولم يفرح بمولود

ثم انه ذهب ثانيا الى (اداى) الذي تزوج فيه زوجة ثانية • وبنى فيه دارا اخرى واستطاب سكناه فاتخذ ذلك موطنه ، وقد إلف سكانه والفوه • وقد يشارط في مدرستهم في بعض السنين ، وفي حين كان يتولى النظر في الرسوم رسميا في مركز (تافاجيجت) في زمن الاحتلال

المفضلون عليه

لم اعرف اليوم ١٣٥٧هـ في الغ من لهم الشفوف العالي في الافادة ولا من كانوا اليق الناس بها من أربعة • شيخنا سيدي عبد الله بن محمد • وسيدي المدني ، وسيدي الطاهر صنوه وصاحب الترجمة ، ولكنهم مع ذلك نراهم في قبوع وانزواء لامور يتوهمونها • والعلم يموت • ومظاهر العلم تضمحل فلا حول ولا قوة الا بالله ، ولكن ماذا عسى ان يعملوا لو ارادوا • والطلبة قدانعدموا والسؤال عن العلم ومسائله منقطع بهذا الاحتلال البغيض حتى ان من يبحث ليعد ممن اتى شيئا فريا ، ولبعض الالغيين من قصيدة :

فواكبد امن لوعة مستطيرة   احس بها بين الحشا تتحرق

على ماعزا العرفان في سوس أنه   كفلك بامواج الغطمطم يغرق

رأيت ان صاحب الترجمة قد عانى التعليم ، فلا بد اذن ان تجد بعض اناس عليهم فضله • سواء اشادوا به كما اشيدانا ، او غمطوا حقه وماأكثر الغامطين لحقوق الاساتذة من التلاميذ في هذا العصر ، فلنذكر من نستحضر انهم اخذوا

عنه او اخبروا عن انفسهم بذلك كسيدي الطاهر بن علي الذي اخبرني انه من الاخذين عنه •

١) محمد المختار جامع هذا الكتاب
٢) سيدي الطاهر بن علي الالغي
٣) الاخ سيدي عبد الله
٤) سيدي عبلا بن الحسين البعمراني القاضي (ذكر مع اهله في القسم الرابع)
٥) سيدي محمد بن احمد السليماني الالغي
٦) سيدي محمد بن محمد التانكرتي التناني
٧) سيدي محمد بن مبارك البعمراني
٨) سيدي الحسن بن صالح التانكرتي
٩) سيدي محمدا بن شيخنا عبد الله
١٠) سيدي احمد البناي الايغشاني يذكر في (القسم الثاني)
١١) سيدي الحسن بن المحفوظ الساموكني البعمراني
١٢) سيدي محمد بن ابراهيم الاركاني الحاحي
١٣) سيدي عبد السلام بن القضيب الحاحي التاغماوي
١٤) سيدي سعيد الحلمي التاغماوي الحاحي
١٥) سيدي الحسين بن الفاضل الحاحي

فهؤلاء من وفقنا عليهم • ولابد ان يكون هناك اخرون لم نهتد لمعرفتهم

أخلاقه

ان فينا بعض الالغيين خصوصا آل محمد بن سعيد بعض حزونة من الاخلاق • ولكنها لاتصدر عن نفسية سوداء ولا عن احتقار للناس • بل ذلك طبع وغريزة فينا الا من حفظه الله وقليل ماهم • وكثيرا ماارى من اتسعت اخلاقهم ودمثت شمائلهم كاستاذنا سيدي سعيد التناني فاتمنى لو اوتيت انا وبعض اهلينا من ذلك • ولكن من قسم الارزاق • هو الذي قسم الاخلاق • وكان سعيد بن المسيب بن حزن احد الفقهاء السبعة يحكي ان جده حزنا قال له النبي صلى الله عليه وسلم حين اسلم : أتريد ان ابدل اسمك بسهل • فقال له لاابغي باسم سماني به والداي بديلا • قال سعيد : ولاتزال فينا تلك الحزونة موروثة الى الان ، وهكذا ينصف الرجال • جعلنا الله من اولئك الرجال • وشيخنا صاحب الترجمة ممن له من هذا الخلق الذي مني وفي غيري • ولكننا ماذا نصنع • ولو خيرنا لاخترنا • على انا نعلن ثانيا ان ما صدر منا لايصدر الا عن طوية حسنة • فرحم الله امرء اعذرنا فيما كان فينا خلقا جبليا وغريزة

مناصلة ، فلو قدرنا ان نميله لامطناه في الحين . ولكن ذلك فوق قوانا ، والله يهذب اخلاقنا جميعا . على ان هذا في المترجم وفينا جميعا لا يلازمنا دائما ، وانما هو كلمحة فيغيب

مداركــه

جالست انــا كثيرين في السنة الماضية من علمائنا ، ولكن استفاداتي انما كانت من الائمة منهم . واعظمهم في ذلــك شيخنا سيدي عبد الله بن محمد . وقد ذكرنا في هذا الكتاب في ترجمته بعض ما استفدناه منه . وان كان اكثره مذكورا في غير هذا الكتاب . ثم الاديب سيدي الطاهر بن علي . ثم صاحب الترجمة الذي افادني فوائد كثيرة لن أنساها له . بعضها لغويــة ارشدني اليها بعد ما كنت فيها على غلط ، وبعضها تاريخية مما يتعلق ببعض نواحي سوس . او يتعلق بالذين أخذوا من المدرسة (الالغية) . وكان ابن أبيه في الاستحضار والنقــد . لا يغمض عن زلــة . ولا يعرف الا الاشادة بالحق . جلس الي يوما . فانشدتــه أبياتا ذكرت فيها العشايــا والابكار . فقال هل تصدق الابكار جمع بكرة فقلت لــه نعم . فان ذلــك مــذكور في القرآن . فتوقف مليا . ثم قال ان الذي ذكر في القرآن الابكار بالكسر لا الابكار بالفتح الا في جمع بكر في أوصاف النساء . فتلا قــول الله تعالى : (واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار) فرجعت أنا في الحين الى قوله . ثم راجعت الكلمة فوجدت ان الابكار بالكسر اسم للبكرة لا الجمع . وهكــذا بقي في كل جلسة جلس الي فيها . وما كنت أعتني بتقييد فوائده اذ ذاك ، والا لوصلت عشرات في مختلف الفنون. وأما فوائده عمن اخذوا عن المدرسة (الالغية) فمنه استفدت اسماء وتراجم كثيرين. ضلوا عن والده الذي هو ما هو . فقد قيدنا ذلك في محله في كتاب (من أفواه الرجال) وسنقتبس منه عند ذكرنا لهؤلاء انشاء الله . وهو مستحضر لمسائل العربية كلها . وللفرائض وضبط اللغويات . فهذه العلوم الثلاثة . اتقنها اتقانا . مع مشاركة حسنة في الفقهيات . ولو كان مولعا بالادب والمطالعة . كنجباء الغ لكان منه رجل آخر ، أعلى وانفذ ، ولكن مداركه قلما تعدو هذه العلوم التي له فيها التفوق التام ، وله المام بالحديث والتفسير مما مر به في دروسه التي حضرها ، فهذه مدارك استاذنا حفظه الله ونفع بعلمه

آثــاره

شاهدت العلوم التي تمكن منها صاحب الترجمة غاية التمكن ، وهــي نحوية ولغوية وفرضية وفقهية . وان افاداته ومناظراته ومجالاته وتنقيباته على هذه العلوم تدور ، ومنها تنجلي الميته ، ورقي فكره ، وسمعت مــن وراء

ذلك انه لايهتم كثيرا بالادب . وما يتبعه من المطالعات في مختلف كتبــه التاريخية . وامثالها من الحوادث التي تدور حول الرجال في مختلف الدهور فقد سمعته يقول انه غير معني من قديم بذلك . لانه اعطى همته للعلــوم المجدية النافعة الرائجة ، وقد صدق في ذلك فانها شغله الشاغل . ولذلك حصل فيها غاية التحصيل . لذلك لانجد له من الآثار الادبية كثيرا كما نجده للالغيين . وليس معنى ذلك أنه لايعرف الادب . ولا انه يغمطه حقه . بل قصده فيما قاله ان يخبر بالواقع ، والافله في الادب أيضا ما يشارك فيــه مشاركة ما . فقد راج في السنة الماضية مع ادبائنا الالغيين . في قصائــد جاراهم فيها في الميدان . ثم لم يسبقوه ، وتوجد في (الالغيات) وكذلك وجدت له بعض آثار قديمة ، نكتفي منها بواحد نسوقه كدليل ناصع على أننا صادقون في قولنا ان له أيضا في طرق الادباء مسيرا لاينكر

زار الاديب سيدي محمد بن علي المدرسة (الايغشانية) وهو اذ ذاك مجاور في المدرسة (البومروانية) فرحب به من في تلك المدرسة على عادتهم في امثال تلك المواقف فخاطبهم بقوله :

أتيت وبي من شوقكم جلة الورى ... الى ان ارى مغناكم جلوة حــرى
وجبت القفار راكبا متن شوقكــم ... فرؤيتكم لي منتهــى القصد والسرا
صرمتم حبال العجز واللهو والكرى ... فكنتم شموس العلم تعلو على الشعرى
احبة قلبي ما رحمتم متيما ... فانتم نفاة الحزن عني والضرا
امولاي عبد الله ماالقصد منكــم ... سوى دعوة ترقي لمرتبة غــرا
عليكم سلام الله من عبدكم غــدا ... يتابعه عنكم ومنكم له البشرى

فاجابه سيدي صالح بن احمد :

مرحبا بــاخ وفــي عــلي ... خدمته العــلا بحسال شهــي
كم انا كاحل لعيني بدمــع ... جريه قد غدا كسيل قــوي
طار همي والحزن ساعة لاقيـــ ... ـــناك امرا من الاله العلي

وقال سيدي احمد بن مسعود :

مرحبا بك أهل ودي فقلبي ... ماله في الورى أنيس سواكا
مرحبا مرحبا بــيــوم سرور ... زدت فيه السرور حين اراكا
زدت افق السماك منك ضياء ... بيننا حين جئتنا ببهــاكــا
ياسليل الكرام انت الذي قــد ... فقت كل الورى بمجد علاكــا
فعليك السلام ياخير خال ... من شكور ماجاءني من نداكا

وقال صاحب الترجمة :

انت من اذهب الكروب عن القلـ ... ـب وحارت في وصفه الافهام

صنونا ذو العلوم والمجد والفضـــ ـــل فهو الكريم وهــو الهمام
قد اتانا منه نظام بـلـــيـغ يبهر المنشدين ذاك النظام
ما سواه هــو الخيالات حقا ومرادى هو الـدعـا والسلام

والمقصود بهذه الخطابات انتكون نموذجا لما يتقومه المتأدبون فى الغ فى مبادىء تعاطيهم للنظم ، والمؤرخ لايفرط فى اى شىء

هذا هو شيخنا سيدى عبد الله بن ابراهيم الذى كان والدى يقدمه دائما للمعالى • وكثيرا ما أسمعه يقول لبعض اخواني تحريضا له • ان عبد الله ابن عمك ان لمتجتهد سيكون أفضل منك • وقد كان يعينه بكتب متى رجع من الحمراء وبامور اخرى كعادته مع كل من يقرأ • وقد حــكــى لى صاحب الترجمة ان الشيخ نزل مرة من عند الاستاذ على بن عبد الله • فصادفه هــو وقرينه سيدى البشير فى مستدار البير التى ازاء المسجد السليمانى • قالوكان سيدى البشير وضع على راسه عمامة تأنق فى وضعها ، وجعلها عمة (متوكية) فمر بناالشيخ ونحن لم نشعر به ، فلمح العمامة فلما جالس الاستاذ سيدى عليا واخرين • قاللهم انى رايت عبد الله بنابراهيم بعمة حسنة • قــد عرف كيف يضعها على هامته • فوصلنا خبر ذلك فاستحيينا • فكان ذلك سبب لزمنا للعمائم الاذال متى كنا فى البلد ، لئلا نقع فى مخجل ءاخر امام امام الشيخ • وقد كان اقترن بابنة عمنا محمد • فولد معها اولادا ذكــورا واناثا • واسمه زينب من فضليات النساء توفيت شبه فجاة فى بيتها ولــم يحضرها احد نحو ١٣٦٧هـ

أخبار عنه أخيرا

كان كما قلنا يشارط فى (أداى) بعد ما غادر (ايمور) فيتولى احيــانا فيها ما تولى من الحضور فى المحكمة الرسمية فى (تاغجيجت) كفقيه لابد من حضوره • لازم ذلك سنين كثيرة • وبعد ١٣٧٠هـ غادر (أداى) • ولم يطل به الزمان انالتحق ثانيا بحاحة فشارط فى مدرسة (تمانار) بعد الفقيــه سيدى احمد الوفقاوى ، ثم رجع الى(اداى) وبعدالاستقلالتولى العدالة هناك •

وكان احد العمد الذين تعتمد عليهم المحكمة ، وقد كان اولى الناس بالقضاء هناك لو كانت الامور تجرى مجرى الاستحقاق ، وعلى هذا الحال لايزال الى الان رجب ١٣٨٠هـ • وربما ناب عن القضاة ولكنه ليس بنائب رسمى ، وفى (الالفيات) ماجرى بينى وبينه من القوافى

هذا وللمترجم ابن اخ يسمى محمد بن احمد احد نجباء الغ الذينظهروا فى ميدان المعارف من النشء الالغى ، وقد اهل هلاله ، وذلك مما يدل على انه

سيصير عن قريب - ان استتم - بدرا كاملا • وله الان نحو ٢٨ سنة •

افتتح القرءان عند الاستاذ سيدى محمد السملالى الملقب وزكن فــى مسجد القرية السليمانية حتى وصل حزب (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ماخلقنا السموات والارض) ثــم الاستاذ سيدى محــمــد البولخيرى الايفشانى - وهو لايزال حيا الان وكذلك المذكور قبله - ولديه ختم الختمــة الاولى • ثمرجع السملالى المتقدم الى المسجد ، فاختتم عليه ثلاث ختمات• فهذان أساتيذه فى القرءان

وأما المعارف فقد افتتح فى المدرسة (الشيشاوية) من قبيلة (ايتبكو) فى هشتوكة ، عند ابن عمته العلامة سيدى محمد بن احمد المتقدم الذكر • فلازمه حتىأخذ عنه الجرومية والجمل والزواوى واللامية والالفية مــرتين وابن عاشر والرسالة القيروانية والتحفة والرسموكيــة فــى الفرائض • ومنظومة الحساب للسملالى • ونصف مختصر خليل الاول • والمــقــامات الحريرية ولامية العجم والهمزية والبردة • ونور اليقــيــن فى السيرة • والبخارى البعض منه • وبعض القصائد الادبية للمعرى والمتنبى والصفى الحلى وغيرهم ، لازمه سنوات حتى شدا وظهرت نجابته • ثــم لازم عمــه الاستاذ الكبير سيدى عبد الله بن ابراهيم • فى مدرسة بالشياظمة فــى الكريمات • فاخذ عنه فى شهور من الالفية ومن المختصر • والرسالة القيروانية ثم بعد اربعة شهور هناك انتقل معه الى مدرسة (افــرض اوطاها) بحاحة • فيستتم عنده ما كان يأخذه قبل ، وزاد الفرائض ولامية ابن الوردى ، مكث معه هناك سنة • ثم الى مدرسة (تمانار) • فياخذ عنه مــن الالفية والمقامات والمختصر والسلم • والهمزية والبردة ، وبعد عام ونصف فى (تمانار) فارقه

ثم أرسله استاذه وعمه هذا الى زاوية اخينا سيدى الحاج عبلا ليعلم ولديه جعفرا وحمزة ، فلازمهما اربعة عشر شهرا • كــان فيها مثالا للاستاذ الحازم النزيه •

ثم وفد على فى الرباط • وهو متحفز ان يستتم ليتمكن • فاختير له ان يرجع الىسوس ليستتم معلوماته حتى تكون كمعلومات الالغيين التى لاتعرف التهدج ولا التلعثم • ولعل الله يوفقه لما اختير له ليكون عالما الغيا كبيرا ءاخر • كتبت هذا فى المحرم ١٣٧٧هـ • ثم انه التحق بالاستاذ سيدى البشير فى مدرسة (تمانار) بحاحة حيث بقى الى شعبان ، ثم عين من كتاب محكمة القضاء الشرعى فى مركز (تاركانت) اعانه الله • ثم فى مركز (ايست عبلا) حيث هو الان ١٣٨٠ هـ

ولهذا الشاب اخلاق عجيبة لطيفة • كانه ليس منا ءال محمد بن سعيد وفقه الله واعانه • ومن اكرمه الله بالاخلاق فقد أكرمه بأعظم كنز (لــن تسعوا الناس باموالكم فسعوهم باخلاقكم) حديث شريف

القـاضي

سيدي محمد بن احمد الصالحي

١٣١٣ هـ = ١٧ ـ ٤ ـ ١٣٧٩هـ

نسبه :

محمد بن احمد بن الحاج صالح بن احمد بن محمد بن سعيد بن محمد ابن احمد بن عبد الله بن سعيد

هذا احد علماء السعيديين البارزين من بين جيله • وله ولاخيه ابراهيم الالغي مكانة مكينة في المعالي • وامه رقية بنت مبارك بن احمد بن محمد بن سليمان بن محمد بن احمد بن سعيد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن سعيد وهو سعيدي من ابويه معا • وجده احمد بن محمد بن سعيد هو المقبور في [illegible] من مقبرة الشيخ سيدي محمد ـ فتحا ـ بن ابراهيم في تامانارت [illegible] من حزمه انه اقام اربعة اعراس في يوم واحد • فقد زوج بنتين [illegible] ولدا له • وتزوج هو بنفسه • وقد ذكرناه في ترجمة سيدي الحسين ابن احمد بن الحاج صالح في (الفصل الاول) من القسم الاول • والحسين هذا هو اخو المترجم •

متلقاه للقرآن

اخذ القرءان اولا عن الاستاذ سيدي مولود الصوابي • وهو من ءال سيدي بلعيدالصوابي المتجرد ، وكان من أصحاب الشيخ الالغي ، ولم يتوف الابعد ١٣٥٦هـ وعن الاستاذ محمد ـ فتحا ـ السملالي • وهو اذذاك شيخ مسن قال المترجم كان رجلا مباركا يفتح على من يمر بين يديه • فلم انس كلمة مما أخذته عنه في الختمة الاولى ولم ينشب ان توفي نحو ١٣٣٠هـ لازمه سنة ونصفا وعن الاستاذ سيدي محمد بن علي الاكميري الساموكني • وهو رجل طوال نفي نفي • ويعمر الى نحو ١٣٤٠هـ وهو الذي جمع عليه القرءان فقد ختم عليه ثلاث ختمات • وعن الاستاذ علي بن المدني التاغجيجتي • واصله من ايشت • اخذ عنه الختمة الرابعة • وقد طال عمره الى ما بعد ١٣٥٦هـ وقد كان المترجم ياخذ في مسجد القرية ولم يتجاوزه • ويحكي انه كان اذذاك يلبس دراعة صوف، وكثيرا ما ينمق ما فوق الصدر منها بخياطة الخيوط البيضاء • وذلك اذذاك

علامة على اتساع ذات اليد في الاسرة • قال : واتذكر ان محلنا في المكتب يسيل بالهوام والقمل • فكثيرا ماتنزع عني جدتي قميصي لتزيل عنه ماعلق به من ذلك • ثم صار يتعجب كيف ينجون اذذاك من عدوى الجراثيم التي يرى الناس اليوم بعدما تحضروا ، يتوقنها كثيرا خوف الهلاك بها • ثم ذكر ماكان يقاسيه هو والتلاميذ من المدررين من التعذيب بسبب وبلا سبب • ووالدوهم يرضون بكل ذلك رجاء جمع القرءان الكريم

في مناغاة العلوم

قال افتتحنا في المدرسة (الالغية) اواسط ١٣٢٨هـ وكان معي يوم افتتحنا الجرومية سيدي المحفوظ بن الهاشم الايغشاني • وسيدي الحسين بن ابراهيم بن عبدالله بن صالح الالغي ، وسيدي محمد بن الحاج احمد اليزيدي وابن عمه الاعلى سيدي محمد بن احمد الواعظ • وسيدي محمد بن بلقاسم الاستاذ التاجارمونتي • وسيدي احمد بن محمد الاهريبي التاجارمونتي • في طائفة يبلغ افرادها اثنى عشر ، ولكن لم يستفد منهم الا هؤلاء (وهم مترجمون كلهم في أمكنتهم من هذا الكتاب)

قال : وقد بلغنا (باب الاستثناء) في الجرومية يوم توفي الشيخ الالغي ٢٨ ذي الحجة ١٣٢٨هـ وكان الاستاذ سيدي بلقاسم نفسه هو الذي يتولى تعليمنا لانه يحافظ على ولده • وكان الذي يعيد لنا الدروس هو الاستاذ سيدي احمد بن محمد بن بلقاسم اليزيدي • ولم نزل على ذلك في كل متون المبادىء • وكنا لانغسل لوحة الحفظ في كل صباح حتى نعرضها على سيدي احمد اليزيدي ، واتذكر انني كنت احفظ الهمزية ، وفي رأس اللوحة هذا البيت :

أصبحت شولا عجافا وامست ما بها شائل ولا عجفاء

فدخلت على سيدي أحمد اليزيدي في بيته صباحا لاعرض عليه اللوحة قبل ان أغسلها • فوجدته يطبخ الحريرة في اناء فوق المجمر ويحركها بالمغرفة • فحين سمع البيت تطير من معناه • فنهرني فطردني • فقلت له هل أغسل لوحتي • فقال بقلق اغسلها وابتعد عني • وكان الذي يعرب لنا الحزب على العادة بين العشاءين هو استاذنا سيدي بلقاسم نفسه • وقد ذكر عن سيدي بلقاسم من الصبر على اللاواء العجب العجاب • قال : كثيرا ماتاتي اليه خادم المدرسة بكسكسو في صحفة عود • ولم يستتم الكسكسو النضج بعد • وقد تراكم عليه ماتيسر من الخضر • لفتا او اوراقه او بصلا ، فلا يزيد على أن يتناول شيئا قليلا من اناء السمن الذي ترسله اليه زوجه من داره فيدهن به الخضرة • فيتناول من ذلك قليلا ، ثم يخرج الباقي الى الطلبة •

فنرى ما اكل منه قليلا جدا • وقد كان من بين الطلبة من لهم اتساع فى الزاد فيستدعى الاستاذ فينة بعد فينة الى طعام يستطيبه له • كسيدى احمداليزيدى وابن عمه محمد بن عابد (الكبير) اليزيدى وسيدى محمد ابن الحاج الحسين بوكارع البعمرانى • وسيدى سعيد العنترى البليد ، وسيدى محمد ابـــن الاسرى التمل ، ومحمد بن ابلوش واخيه عمر • وسيدى ابراهيم القاسمى البعقيلى • ومحمد بن الحسين الكرامى المجاطى ، وهذا حال الاستاذ المتقشف الزاهد رحمه الله •

قال : فبقيت هناك اتدرج فى الفنون • وقد صاحبت سيدى على بـــن صالح الاوفقيرى فاتعاون معه على المراجعة • فبقيت هناك الى ان وقع ماوقع بين الفقيه سيدى على بن عبد الله وجيرانه ، بعدما قتل ولده أحمد • وقد كان والدى من المناوئين للفقيه فاحسست بان موقفى حرج ، فاردت ان اغــادر المدرسة • وقد قلت بيدى لابيد عمرو ، فاستأذنت الاستاذ سيدى بلقاسم فقال بل امكث حتى نعلم هل المدرسة لله او للوجهيات ؟ ثم طردنى الفقيه رحمه الله ، وقد فصل كيفية ذلك تفصيلا • كان والدى هو الذى امرنى ان استاذن سيدى بلقاسم لما هممت أن أنتقل من المدرسة • فاذا به أمــرنــى بملازمتها حتى يظهر ما يظهر • فبينما انا أحفظ لوحتى فى سطح المدرسة واذا بالفقيه جاء الى المدرسة فناداني فقال ما تصنع الان ؟ فقلت له احفظ لوحي • فقال اجمع اسبابك من المدرسة • فان أباك يوقد الفران • وانت تجمع له الحطب [illegible] بالمشاورة فما زدت على ان انشدته •

لاتاخذنى باقوال الوشاة فلــم اذنب وان كثرت فى الاقاويــل

[illegible] • فذهب عنى وتركنى معرضا ، فاتيت ببغلتنا ، فحملت متاعى • فذهبت بكتب كنت استعرتها من كتب زاوية الشيخ الالغى كان يعطيها لى سيدى سعيد التنانى • كما كان يعيننى ببعض دراهم فينة بعد فينة ثـم قال لى لاتتاخر عن متابعة دراستك • فاذهب الى الاخصاص عند سيدى عبد الله ابن محمد • فقلت له اننى سأزور شيخى سيدى بلقاسم لاشاوره ، وكذلك فعلت • فقال لى الان نودع كلنا المدرسة • فكان ذلك اخر عهده ايضابها • وهذا الموقف من الفقيه ينبغى ان يحمل محامل حسنة • وربما يكون مقصوده قطع دابر الوشاة الذين يتقولون فى المترجم انه يعين أباه • فاراد ان يفصم العروة لئلا يجدوا ما يقولون بعد • وقد كان رحمه الله فى مثل ذلك ذامقاصد حسنة •

فى مدرسة سيدي علي بن سعيد

التحق المترجم بهذه المدرسة حيث بقى سنة تامة • فاخــذ مــن هناك اواخر المختصر • كما اخذ عنه النحو واللغة وغيرهما • وقد كان الطلبة ازيد

من ستين • وقد قام الاخصاصيون بالطلبة خيرقيام قال: كناكثيرامانشاهدالقصاع التى يوتى بها الينا تطفح بالادام • فمتى رفع احدنا لقمة تقطر باركان • وهمة سيدى عبدالله مشهورة فى التعليم •

فى المدرسة الايغشانيــة

لم يبطىء سيدى بلقاسم في داره • بعد ما فارق المدرسة (الالغيـــة) فشارط فى (الايغشانية) فالتحق به تلميذه هذا هو واخوه ابراهيم والحسين وابن عمه سيدى بلقاسم بن محمد بن بلقاسم • فصار يهتم بهم تهذيبا وتعليما حتى نجبوا على يديه • وقد كان هو الذى يزاول شئون الاستاذ سيدى بلقاسم وقد جعله امينه فى كل شيء واتخذه نجيه • وحكى انه ذهــب اليه ليتلقـن منه الورد التيجانى ليذكره معه • فقال له وردك انت هو الاشتغال باخوتــك هؤلاء ، فقلت له • ولماذا فعلت ذلك بفلان وفلان • فكان جوابــه ان اولئك لاغرض لهم فى القراءة • ثم صار يذكر من احوال سيدى بلقاسم الباطنية من التاله ، وتحرى الحق والاستقامة ، ما يقضى به الانسان العجب • انعرف بيئة الطلبة اذذاك • وقد سألته عما قاله حين ضرب الطلبة سيدى محمـــدا أولموش فى المدرسة (الالغية) فقال اننى كنت حاضرا • وقد اطلع الاستاذ على أن المضروب يستحق اكثر من الضرب • ولذلك اغضى عن ضربه • مع انه لايغضى عن الظلم • ثم ذكر من ذلك ما لاينبغى ان يسطر

فى المدرسة الادوزية

قال المترجم كنا نريد ان نقرا البيان فى (التلخيص) فلم تجد شراحا فارسلنا الاستاذ حتى أتينا ببعضها من عند انسان ، وبعد ماقرانا فى ذلــك دروسا قال لى يوما بينى وبينه • يافلان اننى اريد ان ارسلك الى أدوز لتاخذ من هناك الاصول والبيان (من جمع الجوامع) و (التخليص) فاننا لانكذب على الله • فليس عندنا يد فى ذلك العلم • قال فابيت ان افارقه فقال لابد • فاشترى لى قميصا غليظا • واعطانى عشر ريالات حسنية • وذلك حينئذ مال عظيـــم عندنا • فالتحقت بأدوز عند سيدى المحفوظ فاتممنا التلخيص وثلاثة ارباع جمع الجوامع • قال : وقد كنا هناك فى اقلال شديد • والجوع ضارب اطنابه فى المدرسة • ولولامااعطانى الاستاذ لوقف حمارى فى العقبة • وقد كان عادة الطلبة ان يشترى كل من عنده النوبة فى المطالعة او الاعادة زيت القنديــل ففعلت تلك الريالات ففرى بين الطلبة ماشاء الله • فكذلك بقيت فــى ادوز عشرة اشهر بين يدى علامة ادوز ، وقد اخذت عنه أيضا زيادة على الاصول والبيان النحو فى التسهيل ، والشمقمقية ، وبعض متون اللـغـــة • وبعض المختصر

في حاحة

فبينما أنا غريق في هذا البحر الخضم اذا برسالة وردت على من ابن العم الاستاذ سيدى عبد الله بن ابراهيم الالغى • يحثنى فيها على أن الم به في حاحة ، تنفيذ الاشارة سيدى سعيد التناني ، لاسرد معهم البخارى في رمضان بدار الشيخ سعيد التيكزيريني – الذى صار بعد ذلك قائدا – وقد كان الفقيه الذى يتولى ذلك – وهو سيدى محمد بن عبد الرحمن الدرقاوى – مريضا • فلبيت وأنا امشي على رجل ، فوصلت قبل رمضان بخمسة عشر يوما فنزلت في مدرسة سيدى عبد الرحمن بأيت أمر حيث شارط ابن العم المذكور فاشار على ان التحق بالشيخ الحسن بوناكة • لانه أرسل اليه رسالة يتطلب منه أن ينظر له استاذا يشارطه في داره • فلم اجد بدا من اتباعه ، فذهبت فبلغ ذلك سيدى سعيدا التناني فتأثر • لانه انما ارادني لدار الشيخ سعيد التيكزيريني قال ثم كان العجب العجاب ان الاقدار ساقتني الى سيدى سعيد في (الربار) حيث زاويته • من غير شعور منى • وانما غضبت من اجل انني لااجد من الكتب ما اريد • فقد طلبت من رب المثوى (نفح الطيب) فأرسل الى كتابي (الطيب الفائح) في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم للنظيفي فادركت في ابن جهالات وقعت على امرأسي ، فغادرته بلا وداع • فتوجهت [illegible] الى (الربار) فتلقاني سيدى سعيد بانبساط وبكل فرح • فسالني من [illegible] ؟ فذكرت له (امرى) حيث دار بوناكة • وافضيت اليه بكل شيء [illegible] انما فعله بي ابن العم ، حين لم يمتثل الامر • ثم امرني ان اغسل [illegible] ، وامر مؤذن الزاوية سيدى الحسن السكسيوى ان يعيننى • ثم امرني ان اذهب في رفقة سيدى الحسين الاسغاركيسي • وقد توجه ليزور [illegible] والده المدفون عند مشهد سيدى ابراهيم بن محمد الولياضي في أيت خميس • ثم ذهب معى رفيق من هناك الى دار الشيخ سعيد فدخلت داره ليلة رمضان • فسردنا الشفاء ، وذلك في سنة ١٣٣٩هـ وقد كان ابن العم سيدى عبد الله بن ابراهيم حاضرا يرأس المجلس ومعنا الفقيه سيدى سعيد ابن محمد من ادالحاج التيماسينيني التامرى • قال اخا له من تلاميذ الشريف الكثيرى • وهو فقيه نوازلى • وهو أحد فقهاء ذلك الوادى اذذاك • يذكر بالعلم الكثير ، وله ولد يسمى محمدا فقيه كابيه ، يذكر أيضا بعد والده • ويحضر أيضا الفقيه سيدى عمر بن ابراهيم بن يحيا من قرية تيكيكرت وهو احد المفتين هنالك اذذاك • اخذ أيضا من سوس في مدرسة ايت يعزى بهشتوكة وهو حفيد مرابطي تافزا الركراكيين ، والفقيه الحسن بن احمد التامرى القارئ وعلمه وسط • ونحوه قليل • وكان ممن يحضر تلاميذ ابن العم كسيدى عبد الله ، وسيدى عبد الحميد ، ولدى الشيخ الالفي • وهما اذذاك ياخذان

عن سيدى عبد الله بن ابراهيم ويحضر اخرون غيرهم نحو ١٥ كما ان الرئيس الشيخ سعيدا يحضر • وكان معتنيا بمؤونتهم اعتناء لم يتكرر منه بعد مثله

ثم قلت لرب المثوى بعد رمضان انني أريد ان تودعني • وسأزور سيدى سعيدا • فقال اذهب حتى ترجع من عنده • فارسل معى عونا مع بغل ركبت عليه • فكتب معه رسالة الى سيدى سعيد يطلب منه ان ابقى عنده • فذكر لي سيدى سعيد ذلك • فقلت له انني أريد ان استتم معلوماتي ، وساذهب الى مصر ، حتى احرز على الكتب المطبوعة التي رأيتها في ادوز وقد كان سيدى عيسى بن المحفوظ ورفيقه سيدى الحسين الرخاوي يمنعاني منها ومن مطالعتها فقال لي باى شيء تدرك مصر ؟ فقلت له انني سأمشي برجلي هاتين كمايفعل طلبة ادوال حتى اصله • فمد الى بصره محملقا ساكتا • فزدت على ذلك ان قلت له انك الذى كنت تعينني قبل اليوم في الغ بالكتب وبالمال ، وانما انا ولدك • فقال : اثبت في مكانك فان من ثبت نبت • فقلت له : انني لا اتجاوز اشارتك • فامرني ان أرجع الى دار الشيخ سعيد وان ابقى هنالك • فتبعته فكان ذلك اليوم أول يوم فارقت فيه الاخذ ، واعتنقت فيه اشياء اخرى

ثم رجعت الى دار الشيخ سعيد • ثم لم ينشب ان توفي فقيهه سيدى محمد بن عبد الرحمن الدرقاوى على رأس الاسبوع بعد عيد رمضان في تلك السنة • وهو الذى كان كاتبه وملازمه • وقد فر اليه وسكن ازاءه منذ تنكر له القائد عبد الرحمن الكيلولي • من مبدأ الاحتلال ، فصرت منذ ذلك الحين كاتبه الخاص • ثم معلم مسجد الدار • وقد التحق بي اولاد الشيخ عبدالله وعبد الحميد • وابراهيم وبلقاسم وعبد الرحمن • ثم التحق بهم أخي ابراهيم ثم ابن العم بلقاسم بن محمد بن بلقاسم فكونا هناك مدرسة • فكنت اقتنع بما تيسر منه • وأنا لاازال اذذاك اطمع ان اتملص الى مصر • فكان كل مادخل يدي من عنده ذرة او قمحا او شعيرا أرسله الى زاوية سيدى سعيد • ثم حبب الى المكان حين رأيت اولاد الشيخ يتقلبون في بلهنية العيش من مكارم رب المثوى • فكذلك كنا الى مختتم ١٣٤٤هـ ثم لما انتقل اولاد الشيخ الى الحواضر بقيت وراءهم ، وقد توفي شيخنا سيدى سعيد في أواخر ١٣٤٣هـ

زواجه

قال ثم ان رب المثوى الذى وجد منى مايريد • صار يراودني على الزواج فكنت ءابى عليه ذلك اباء حتى يسر الله ما يسر

أقول كنت ارد اذذاك الى تلك الناحية • فامر بهم هناك لازور والدتي فكان القائد سعيد رحمه الله يعلى فضلا منه شاني ويتبعني في الذى اشير به عليه فذاكرني في امر زواج المترجم • فقلت له ان كان لابد له من زواج

فسالقلر له احدى اخواتي وعلى ذلك تم الامر • ومن العجيب ماحكاه المترجم قال : كان عندنا مرة فقراء من بينهم سيدى ابوبكر بن عمر المتجرد • فاخذته سنة يوما اثر مجلس الذكر صباحا • فقال لى : انني رأيت الشيخ اعطاك احدى بناته ، ثم اتم الله ذلك، قال : وكذلك رأيت الشيخ ليلة اخرى فى المنام ورد علينا هنا راكبا على بغلة ، فقبلت رجله فى الركاب فاعطانى خبزة صغيرة تامة ، فقعدت حتى اكلتها كلها • فكان تاويل ذلك ما وقع • ثم اتيته بالاخت السيدة «امنة» بنفسى على البغال • فقطن فى دار ازاء مشهد سيدى عبد الرحمن • وهبها له رب المثوى • ثم لما تحول القائد الحسن بن ابراهيم من ايت‌امر الى باشوية اكادير ، تعين الشيخ سعيد قائدا على أيت امر • بعد انلم يكن الاشيخا على أيت يوسف • ثم خليفة القائد على الجميع ، ثم لمامات القائد الحاج الحسن الكلولى ١٣٥١هـ صار قائدا أيضا على اداكلول ثم على ايت عيسى • فاتسعت ايالته • فانتقل الى (تامانار) فانتقل معه المترجم فاسكنه فى دار ازاء داره • وقد رءاه بعضا لايتجزأ من كله • وقد هناه استاذه سيدى بلقاسم التاجارمونتى حين تزوج بقصيدة نصها :

بشرى بحب بدا فى فنن الكرم	تسعى اليه وفود العز والنعم
بشرى له قد اتاه السعد فى منن	كما اتى ربه موسى على كلم
[illegible] من لدا فى كل مرتبة	وكل فعل جميل راسخ القدم
[illegible] لنجل احمد له نسب	الى جدود لهم اعلى الفخار نمى
ما [illegible] من به يشار الى	ما فيه من سودد كالشمس عن‌امم(١)
[illegible] فرع ذاك الاصل ان له	ترابطا باصول كل ذى كرم
ابهى ما شاء الله من صلة	بالعقد للنسل من اقارب الرحم
فالحمد والشكر يا اخى عليك له	لكى يزيد الذى عنده فى القسم
باطرفه قد رءاها كل ذى بصر	ونغمة قرعت من ليس ذا صمم
فلم يسع واسع الكونين خير نبا	الى فؤادى من ذا المجذل العمم
لكن ماغاب وسط القلب ليس‌يرى	لغير من اوجد الاشياء من عدم
فنحمد الله ربى ثم نشكره	لما هدانا وكنا افضل الامم
نساله بالدوام ان يبارك فى	شئونكم لا تعد ابدا بكم
ويكثر النسل والارزاق بينكما	لمحو ما خط من‌ذنب ومن لمم(٢)
فهاك تهنئة من شيق لكم	له صميم وداد غير منصرم
سلام شوق اليكم طيبا ارجا	يطيب ناشقه من قبل مستلم
اوجبه ما عهدتموه من خلد	منى يودكم من غير ما سام

١) امم محركا : قريب

٢) اللمم محركا : الصغير من الذنوب

بجاه سيدنا النبى من شرفت	به ظهور جدود قبل من قدم
عليه منى سلام الله ما لهجت	بمدحكم وصلة الاشعار بالقلم

أبو المواريث وعدل

فى سنة ١٣٥٣هـ توصل بظهير ان يكون ابا المواريث • ثم صار عدلا سنة ١٣٥٤هـ فهكذا اجتمعت له كتابة القائد مع العدالة والقيام بعمل ابى المواريث الى سنة ١٣٥٩هـ فرجع الحاج الحسن ابن ابن اخى القائد فتولى الكتابة عنه • فبقى فى غيرها الى ان جاء الاستقلال •

فى خطة القضاء

جاء العهد الجديد بعد الاستقلال فكانت الوزارة تنظم القضاء فى جميع النواحى • فكان ممن اختارتهم للقضاء فتولى فى (ايكودار) و (تافكولت) ثم طلبت منه الداخلية ان يقوم مع ذلك مقام القائد • فبقى كذلك فى الخطتين معا ستة اشهر ، الى ان تعين القائد ، فبقى فى القضاء وقد تكاثرت عليه‌الاعمال فبقى ثلاث سنين هناك الى آواسط شعبان ١٣٧٨هـ وهذا ظهيره فى هذا المكان

(يعلم من كتابنا هذا اسماه الله واعز امره • اننا بحول الله وقوته ولينا الفقيه محمد بن أحمد السوسى منصب القضاء بايكودار من الطبقة التاسعة مستندين اليه النظر فيما يحال عليه‌من القضايا • والفصل بين الخصوم حسبما هو معلوم او مشهور اوراجح فى المذهب المالكى ، فنامره ان يقوم بما هو واجب عليه فى اداء مهمته القضائية احسن قيام وأكمله • ويتوخى أرشد المسالك واوضحها • ويراعى العدالة فى أحكامه • وذلك بكف الجائر ، وانصاف المظلوم ، والاخذ بيد المهضوم والتسوية بين القوى والضعيف • وسلوك الجادة بين المشروف والشريف • سائرا بالمحكمة الشرعية سيرا نزيها مستقيما • قواما لله • شاهدا بالقسط • وفق ما يامربه الله ويرضاه الوازع الدينى ، ويقتضيه الشرع الاسلامى • ويرمى الى تحقيقه جنابنا الشريف اعانه الله ووفقه • والى سبيل الحق هداه وارشده • والسلام وحرر بالرباط فى ١٣ شعبان ١٣٧٥هـ الموافق ٢٦ مارس ١٩٥٦م)

ثم نقل الى (تاغاجيجت) حيث بقى اربعة اشهر • ثم اعفى من الخطة بحجة أنه لا يحسن تمشية النظام الجديد فى المحاكم •

أخبار حواليه

اما احوال المترجم فانه هين لين عارف كيف توكل الكتف ، يعرف كيف يحتال‌الامور ، جرىء فى محل الجراءة • متمسكن فى محل المسكنة • لبق

حاذق يستل الشعرة بلطف . وقد كانت حوله مواقف معتكرة الجو فاستطاع ان يمشي فيها . وقد كان مع القضاة في (تامانار) في معاركة . لانه فرض فقيه ، وهم دونه في ذلك . فيخافون منه . فيدسون حوله ما يدسون ، فيناهضهم بساعد قوي . ولسان ذلق . وحجج دامغة ، حتى المراقبة لم يخل ما بينه وبينها من مثل ذلك . ولكن الفرنسيين يعرفون كيف يحتالون لامثاله حتى يظهروهم للناس انهم ممن انحازوا اليهم . وهذا ما وقع له . حتى اساء فيه القائد رب نعمته ظنه . فكاد ينقطع ما بينهما بدسائس هؤلاء المراقبين وقد شكاه لي القائد مرارا . فاوصيه ان لايزور جانبه عن رب نعمته . وهكذا فهي ماشاء الله . وكان كريما لايكاد يفضل شيئا مما يدخل يده . وانا ارى ان بركة شيخنا سيدي سعيد هي التي انسدلت عليه . والا فانه يومئذ يوشك ان ينهار به البنيان . وقد اخذ من الحاحيين دروسا اي دروس . فهاهو ذا الان بعد ما امضى ما امضى من الخدم . وبعد ما مر بيده مامر من الاموال . لم يؤثل شيئا مذكورا . الا دارا في (تامانار) والا ارضا قليلة للحرث هناك . وهو على كل حال فقير ان لم يغنه ربه بما يزجي به الايام وذلك دليل على نزاهته من الرشا . وعلى انه كريم

لقد علم الاقوام لو ان حاتما اراد ثراء المال كان له وفر

ومن احواله انه يحسن الظن في أهل الله . ويرحم المساكين ، ويلبس لباس المتواضعين . ولولا لسانه الذلق المشحوذ لكان خير رجل اخرجته الى الناس . وحديثه ممتع فقد كان راوية للاخبار . خصوصا مامر به من الحوادث من عهد ان عقل الى الان . ولو جمع ذلك لكان سجلا مفعما مما يعجب القارئ .

ومن احواله انه محافظ على صلواته وعلى مراجعة الحديث . فلم يفلت قط الى الان المرور بالبخاري في كل رمضان حتى في أيام قضائه المملوء بالاشغال الرسمية .

وهاك نمطا من اخباره قال : حضرت ماوقع حين قتل احمد ابن الفقيه سيدي علي بن عبد الله فقد كان الوقت وقت الدراس في الصيف . ففي ذلك الصباح صار الفقيه يرسل من أعشاره الى هري المدرسة على العادة . فامر ولده احمد ان يقف على مايرسله حتى يصب في الهري . فوقف على الاحمال فاراد الطلبة ان يأخذوا شيئا من الحبوب يشترون بثمنه سكرا ، فابى عليهم ذلك . فعمد السيد احمد الوارحماني السملالي ، فملأ من الشعير حجر ثوبه بنحو صاع من شعير . فذهب به مراغما لاحمد . فبه اشترينا سكرا . فاجتمعنا عليه نحن الطلبة في المدرسة الالغية على عادتنا كلما وجدنا مانشتري به السكر ، فبينما نحن في سطح المدرسة اذ سمعنا صوت رصاصة . ثم تبعه صراخ . فاذا بامراة صاحت بان احمد ابن الفقيه اصيب . وقد كان احمد

يتحاذب مع الذين كانوا عند سيدي محمد ابن الشيخ في شيء (لايذكر) في القرية . ولذلك ثار بينهم ماثار ، فهدد بعضهم بعضا وكان لاحمد ابن الفقيه سلاح كالاخرين . فضربه اثنان منهم ، فاصابته رصاصة منهما قال : فخرجت من المدرسة متسللا . فتنكبت الطريق المعتادة ، فذهبت تجاه المقبرة اولا . ثم استدرت الى ان وصلت وسط قرية (ايت سليمان) حيث سقط احمد . وقد اجتمع عليه الناس . فاذا بالفقيه واخوانه قد وقفوا ، فقال قائل ان امعاءه قد تقطعت فخرج منها مانعشى به . فهو هالك لامحالة ، فقال سيدي ابراهيم ابن عبدالله . واي شيء تنتظر بعد بهؤلاء الذين فعلوا بولدنا ما فعلوه . فصاح الفقيه وقال دعوا الفتنة ، دعوا الفتنة ، فالولد ولدي انا لا ولد غيري فاحملوه رحمه الله . وقد كان الاستاذ سيدي الطاهر بن محمد الافراني، وسيدي البشير الناصري حاضرين في دار الفقيه . قال فرايت اهل قرية السليمانيين الذين وقع ما وقع بين ظهرانيهم قد دخلوا ديارهم ، وادخلوا جمالهم ، وتهياوا لما عسى ان يقع ، ولكن الفقيه اطفا الفتنة في الحين . فقد ذهب بولده ثم تتبع قضيته ، فتوارد المجاطيون والبعقيليون ، فبعضهم عند الفقيه ، وبعضهم عند سيدي محمد الذي قتل اعوانه الولد . فقام احمد الايغشاني بكل ما في وسعه ، حتى انفصلت القضية ، ومكن الفقيه من الذين قتلوا ولده وهما اثنان . فقتل احدهما . وهرب الاخر . وهكذا اطفا الله الفتنة بين المرابطين بفضله . قال والحقيقة انني كنت اذذاك انفذ مايريده والدي ، فاكون رفيقا ليلا لبعض الرسل يرسلون حوالي هذه القضية ، فاعتسف بهم حتى يتجاوزوا الخ . وقد ذهب عمي ابراهيم بن الحاج صالح الى الفقيه فحكى له ما أقوم به . ولذلك كان محقا حين اخرجني من المدرسة

هذا نمط من احاديث المترجم ، يستوعب به ما يحكيه بدلاقة وتفصيل حتى كان السامع حاضر لما يحكيه له . وهو ينصف في الناس وفي نفسه ويتحرى الحق . وفي ذلك ناحية عظيمة من مناحي اخلاقه .

من انشاداته

كنت معه في مجلس فكان مما انشده فيه بمناسبات ، وهذا المجلس اخر مجالسي معه في الرباط .

تخلق الناس بالادناس واعتمدوا من الصفات الدها والمكر والحسدا
كرهت منظرهم من حسن مخبرهم اني تعاميت حتى لا أرى احدا

وانشد ايضا :

لهفي على عمر مضى امضيته في ملعب للترهات فسيح

وانشد ايضا :

نصحت فلم افلح وغشوا فافلحوا	فاوقعني نصحي بدار هوان

وانشد ايضا :

لاتقصد القاضي اذا ادبرت	دنياك واقصد من جواد كريم
كيف ترجى الرزق من عند من	يفتي بان الفلس مال عظيم

وانشد ايضا :

من كان مردودا بعيب فقد	ردني العيد بعيبين
الراس واللحية شابا معا	عاقبني الدهر بشيبين

متوفاه

كان عندنا في الرباط نحو اسبوع ، ثم اعتراه في راسه دمل ، ففارقنا عشية الجمعة ٢٠ من ربيع الثاني • فظل يوم السبت في البيضاء وفي يوم الاحد كان في الصويرة فظل مع الفقراء في زاوية الفقراء الدرقاويين • فظهرت عليه اهوال • وقد كان ربما يعلن بان اجله قريب ، سمع منه ذلك كثيرون • وعند زوال الاثنين ذهب الى الحمام، قال حارسه : انه خرج من الداخل ، فجلس في محل الاستراحة فاذا به طلب شرابا باردا فشرب منه • فاذا به يقول انني احسست بالم • ثم طلب ماء ليجدد الوضوء ، فتوضأ ففرش ليصلي ، فاذا به لا يطيق القيام • فمال الى جنبه • فاذا بروحه فارقته • فجرى الحاضرون الى [illegible] والى ابي المواريث • فعرفه الناس • فكثر التاسف عليه من جميع من عرفه • فجهز ودفن في الزاوية الدرقاوية ، في قبر كان القاضي سيدي محمود السالمي • هياه من سنين لنفسه ، هكذا ذهب هذا الفقيه الجليل الكريم ، فكان اول من توفي من اصحاب هذا (الفصل) الذى خصصناه للذين كانوا احياء من الالغيين بعد ١٣٧٥هـ رحمه الله

سيدى ابراهيم بن احمد الالغى

نحو : ١٣٢٤ هـ = حـي

نسبه :

ابراهيم بن احمد بن احمد بن الحاج صالح بن احمد بن محمد بن سعيد بن محمد ابن احمد بن عبد الله بن سعيد

أخاف اذا أرسلت قلمي في صاحبى الترجمة الذيهو بمنزلة المهجة من جسدى ان اتجاوز حدود الحقيقة • وأن البسه حلة باهرة تشع بالانوار وتعشي الابصار • لانني هكذا أتصوره الان • حتى لاحس بعين بصيرتي كانما تعشيها أنواره •

حقيقة أنني ان قلت سيدى ابراهيم • فانما اقول هذا الذى امثله بقلبي روحا سامية عالية ، تتصل بروحي اتصال مصابيح الكهرباء بالاصل الذى ينفجر منه تيارها ، وقد كانت روحانا روحا واحدة • تقسمهاجسدان مفترقان لكل واحد منهما بصر خاص ، ينظر به من الوجه ، ولكن البصائر واحدة متحدة النظر • كمايتحد نظر العينين دائما الى متجه واحد ، وان كانتا دائما اثنتين

في أعوام ١٣٢٩هـ كنت ارى سيدى ابراهيم يقفز بين صبية القرية ، ويتسابق معهم في العابهم المختلفة • ومن ذا يدرى في ذلك الحين ان ذلك الصبي سيستحيل يوما الى استاذ كبير • ونحوى خطير • ومهذب متين • بصيقله تجلى مناصل كثيرة • هي الان في المعارض لاتعرف منها نبوة ولايؤثر فيها صدى

في سنة ١٣٤١هـ رجعت من البلد الى الحمراء ، وقد زرت الوالدة وموسم زاويتنا فاتيت معي باخوتي الصغار الاستاذ ابراهيم والاخ عبدالرحمن والاخ أبي القاسم ، فالحقتهم هناك بالاخوين الاخرين : عبد الله وعبد الحميد فلاقيت في سيف البحر ازاء (تاغازوت) بين (اكادير) وبين (ايت أمر)ولداكما راهق ، راكبا على بغلة • ومعه المرحوم سيدى أحمد بن الحاج صالح والده فلم أكد القاهما حتى اقترحت على سيدى احمد ان يأذن لي برد ذلك الولد ليصاحب اخوتي هؤلاء وليتأنس معهم في (ايت أمر) حيث ينقطعون الى القراءة عند ولده الاخر الاستاذ سيدى محمد بن احمد (المتقدم) ، فاسعفني الوالد •

فكانذلك للذالولدوهوالمترجم الخطوةالاولى لانقطاعهعنالغ الى الجهة الاخرى لم مازالت امواج الدهر تتموج حواليه وتتقاذفه حتى كشفت عن تلك الـدرة الثمينة التى يحملها الاستاذ سيدى ابراهيم بن احمد بين جنبيه • ويضيء بها السبل فى الحمراء وما الى الحمراء للذين ساعدتهم الاقدار • فلازمـوا دروسه واستسقوا كؤوسه •

نزل على فى الزاوية فى (باب دكالة) حوالى ١٣٤٩هـ ضيف جاءنى من الجنوب ، وقد اسود مابين عينيه ، لنكبة من نكبات الدهر ، حامت حول اسرته وقد كان بعض اخوته اندمجوا فى مدينة من المدن • ليتطلبوا من فضل الله فى الاعمال الحرة ، شان كل السوسيين ، فعزم ضيفى هذا أن يلتحق بهم • فما أدرى اى طالع سعيد طلع على اذذاك • فكان على بردا وسلاما فحلت بينه وبين ما يهم به من التطوح بين تلك الطوائح ، فاشرت عليه ان يلبث معى ، فاكون انا وهو كنفس واحدة فى كل شيء شيء • وكانت هذه المحادثة التى افضت الى هذا الاتفاق فى اصيل يوم من الشهور الاخيرة من سنة ١٣٤٩هـ كما احسبه وانا فى تلك الساعة «ابون عشية من جهة (الباب الجديد) وقد وصلنا غربى القبرة التى كانت الى (دار البارود) فى (الكتيبة) فهكذا يسر الله لى من ذلك الضيف الذى لم يعد لفارى فيه رجلا عالما كبير النفس • ثم صار يقوم بشؤونى فى التعليم شيئا فشيئا حتى قام عنى باعمالى كلها ، ومن يكون هذا الرجل العالم الكبير النفس ، الذى قام عنى بادارة الدراسة حق القيام ست سنوات [illegible] و[illegible] الاستاذ الذى هو شقيق روحى سيدى ابراهيم بـن أحمد الـذى [illegible] نفس كل واحد • وهو الذى يمتد يراعى الان حواليه

قال عبد الملك بن مروان ان حاجبك يقدم أصحابه عند الاستيذان عليك وما يترك منهم أشرف أواسن • فقال انني لاالومه على ذلك • لان الجمل وان كان غير عاقل ليرى لصاحبه الذى يلازمه مالايرى لغيره • وان هاج وهدرت شقاشقه • فهاانذا أيضا اجيب بمثل ذلك من عسى ان يواخذنى فيما اشدت به لصاحب الترجمة ، مما هو دون مايستحقه منى بمراحل • ورحـم الله العلامة السخاوى المؤرخ الشهير الذى فسح فى تاريخه الشهير (المطبوع) لخدمه ولاصحابه مالمله لم يجده منه بعض الاعلين من معاصريه • فلاكان من لايشكر اعمال الرجال ، ولادامت نعمة من ينقلب على أصحابه • وينظر اليهم بنظر الشزر يوم يتاح له مقام من المقامات العليا • وهذه النعمة القلمية التى انعم الله بها على • فنال بها من لااعرفهم قبل ولا يعرفوننى حظا وافرا ، أفلا يكون منها لشقيق روحى • سيدى ابراهيم نصيب كبير ؟ وهو ما هو علما وخلقا وهمة ، وصفاء نفس ، وطيب سريرة • وتحملا عظيما لاخلاقى التى اعرف منها انا بنفسى مااعرف ، قبل أن يعرف منها غيرى

دعونى دعونى فالعواطف قـدطمت … بامواجها مـن قلبـى المتشكـر

هل انني ماتجاوزت فى المترجم بما قلته عين الحقيقة التى يعرفها عنه كل احد ، ولا أعلنت الاكل مايعلنه من بالحمراء (وما قلت الا بالذى علمت سعد) فطالما قال الاستاذ سيدى محمد بن عثمان المسفيوى (رحمه الله) لولا سيدى ابراهيم بن أحمد ماذهب فلان ولاجاء فى كل ما يقبل فيه اويدبر • فهاانذا أصدقه • وأقر على ذلك بنفسى

حياك الله ياسيدى ابراهيم وبياك ياشقيق الروح ، فمتى ياترى يسعدنى الله ثانيا فالقاك ، فالمس أيضا تلك السعادة التى المسها متى حاذيتك ياأخا كله لطف وبشاشة • وحلم وجودة رأى • وسراوة نفس • ودفن للسيئات • وتشييد للحسنات

دم للعلا ، دم للصفا ، دم للطا … فة دم لهاتيك الخلال السامية
أنى اوفيك الذى أديتـــه … لى من مساع خالدات باقية
قد كنت تعمل دائما فى رفعتى … بجلائل الاعمال منك العاليـــة
فيخالها من لم يكن يدرى الحقا … ئق أنها منـى ومـن اعماليه
لكننى فى اليوم اعلن ما علمـ … ـت من الحقائق للقرون الاتية
لتتوج التاج الذى استحققتـه … منى فترجـع باللئالى الغاليـــة

متعلمـــه

ابتدأ القرءان على خاله سيدى موسى بن الطيب ، ثم التحق بعد ذلـك بالاستاذ سيدى بلقاسم الايسى فى مسجد (اكجكال) بادبنيران ، فلازمه سنة وعلى يده جود ، لانه يستتم تلاوة عليه كل يوم ختمة من القرءان ، ثم التحق بصنويه الاستاذ سيدى بلقاسم التاجارمونتى فاكب على المتون الابتدائية هو وقرينه سيدى بلقاسم بن محمد السليمانى وكان المعتنى بالمبتدئين هنـاك اذذاك • صنوه سيدى محمد بن أحمد (المذكور ءانفا) ، فلزه كما ينبغى ماشاء الله • حتى توسط الدور الثانى ، فالتحق بدروس استاذ المدرسة • فاجتهد غاية الاجتهاد سنين، وقدكان أخوههو الذى يزاول مئونة الاستاذالتاجارمونتى فلما فارق تلك المدرسة خلفه صاحب الترجمة فى ذلك ، فقربت منزلته من الاستاذ • فنال بركة ذلك ، ومعهود عندهم ان من يخدم استاذه يفتح عليه اكثر من ءاخرين • بشرط ان لاينكف عن الطلب • هذا مايقولون انهم جربوه فصح واياكان فقدتفوق سيدى ابراهيم فى طبقته وسما سموا يذكره بهاقرانه ثم التحق بصنوه المذكور فى حاحة • كما ذكرناه ، فلبث هناك فى المدرسة ثمانى سنين اخرى • انتخلوا فيها الفنون كلها • وهناك حفظ صاحبالترجمة المختصر كله • وقد كنت احثه على ذلك ، كلما زرتهم هناك ، كما اتقن النحو غاية الاتقان ، وشارك فى غيره مشاركة حسنة • وقـد درسوا هناك أيضا

البخاري مرات ، والشفاء والفرائض • وكان اخوه معنيا به • وهو اذذاك فارغ امايشط به من الاعمال مانيط بعد ذلك •

في الحمراء

رايت كيف اتصل بنا في الحمراء ، وما هو السبب ، فاقبل بعد ما عرف متجه أفكارنا • على المشي الحسن في المطالعة في مختلف الكتب • وما اوجدها عندنا هناك • ثم اشرت عليه ان يفتتح المبادىء مع طبقة • فلا ازال اتذكر انه كان يعتذر لي بأنه لايحسن العربية الدارجة • فقلت له اذن عليك بالعربية الفصحى • ثم لاعليك ، فعن قريب تفهم كل شيء • وكان الامر كذلك فلم تمض عليه الاسنة حتى تفوق في عبارته • وظهرت مقدرته في ميدان التدريس • وقد كان حصل تحصيلا فيما تقدم • فأقبل وادبر ، ونحن اذذاك ممعنون في الاجتهاد • لما تشر الينا الاصابع (والويل لمن اشارت اليه الاصابع ولو بخير)

تكيفت طبقتان او ثلاث بكيفية فائقة • فنسينا بهذا النجاح انفسنا وكل الذ نهم الناس حوالينا فاقبلت معه متساندين على التهذيب والتثقيف • ونحن نقاسي معا ما الله به أعلم ، عقبات حيوية تعترض في طريقنا ولكننا بالصبر نقدر ان نجتازها جمعاء • هذا والتلاميذ يتكاثرون والطبائع مختلفة وانا مبتل بحرج في الصدر وضيق في النفس ، فيعتريني احيانا ما يعتريني فيفسد علينا امورا كثيرة • فكان بدماثة اخلاقه يرأب كل صدع،ويرتق كل فتق في حين انه لايعد نفسه الا أحد الطلبة • ثم انه جال في الدراسة بجامع ابن يوسف في التوضيح لابن هشام • فكان حذاق الاساتذة الجدد الذين يعرفون ماهو الانصاف ينصفونه ويقولونه انه أنحى من راينا من اهل جيله • واكثرهم استحضارا للشواهد • هذا وهو مع ذلك يأخذ من مجالسنا الدروس الحديثية والادبية التي تروج بيننا • فكانت له ايضا فيها درجات عليا • وكذلك التاريخ ، والسيرة النبوية والجغرافية • وكان طبعه يحب النظام • كما احبه انا ايضا ، ولكن للنظام شروط تعوزنا ، منها اختيار الاساتذة • واين المال؟ ومنها الكتب المتحدة لجميع الطبقات ، التي تكون منها عندنا اكثر من عشرة ولكن اين المال ؟ هكذا وجدت العقبة التي لانقدر ان نوطئها ألا وهي المال فصابرنا ورابطنا ، ونحن نستعين بكبار التلاميذ النجباء في الطبقات الابتدائية وكثيرا ماكان بعضهم يسير سيرا غير محمود فيما يسند اليه • ولكن ما العمل؟ واين الاساتذة الاكفاء ؟ وكان صاحب الترجمة يحتمل من الدروس اكثر من طاقته • وهو صابر محتسب ، عارف للعقبة التي نجتازها • وقدر المهمة التي انتدبنا لادائها

ثم بعد سنة ١٣٥١هـ طلب مني القائد المبادي صاحبنا حفظه الله تنظيم

تعليم اولاده فلم اجد وقد وضع مني ثقته الا ان احمل صاحب الترجمة ضغثا على ابالة • فصبر على تحمل تلك المشقة • وهل خلق سيدي ابراهيم بن احمد الا من الصبر • فكان يسير على قدميه كل عشية من (باب دكالة) الى دار القائد في (باب الخميس) وقد تكون الحرارة شديدة الوقع ومن ذا يجهل حمارة القيظ في (مراكش) وقد تكون صبارة البرد • وقد تكون الاوحال • ومادراك ماأوحال الحمراء حينئذ قبل ترصيف الازقة ذلك كله لايرده عن اداء مهمته حتى لقد كان في ذلك كله عجبا

ثم درس في جامع باب دكالة مع الطلبة الالفية مرتين او ثلاث ، والتحفة والرسالة والمرشد مرات ، والسيرة مرات • وأما المتون الصغار والدروس الابتدائية والثانوية وما بعدها فهي هجيراه ، كما درس معهم ادبيات كثيرة وانقى دروس الانشاء وما الى ذلك من الدروس التاريخية والجغرافية وما اليها

هذا ولايشتكي الا من واحدة • وهي حرمانه من بعض فنون لايزال يحب التوفر عليها • حتى ياخذ منها حظه • وبسببه وبسبب نجباء اخرين درسنا (الاصول) وكان يقترح (البيان) وقد كنا درسناه في المبادىء مرة او مرتين فأحب أن نعيده بالدراسة العليا • وبينما نحن نتهيا لتنفيذ مقترحه • اذا به كتب الي رسالة صغيرة فيها ان صاحب الباشا الحاج التهامي ينتظرني بالباب فقرأتها صبيحة ٢٨ ـ ١٢ ـ ١٣٥٥ هـ وأنا لاأزال في الفراش ، فخرجت فوجدته في وسط الزاوية • فسلم علي سلام الصباح • وخرجت • فكان ذلك اخر عهدي به الى الان (١) وقد فارقت الحمراء بعد خمس دقائق من مفارقتي اياه • فرميت هنا في الغ حيث لاازال انتظر الفرج • وانتظار الفرج عبادة أكتب هذا الان اصيل يوم الجمعة ٢٣ من صفر ١٣٥٧هـ ونطلب الله ان نتلاقى وجوهنا أيضا حتى يانس بعضنا ببعض ، فهذا ما نتطلبه من الله في هذا الوقت الذي هو مظنة الاستجابة

ثم أنه بعد نفيي انكف عن الزاوية فالتزم فيما يبلغني دار القائد • وانقطع هناك حتى تدول الايام بما يشاء الله ان تدول به

وأخيرا

وقع الاتصال بالمترجم ، وقد زار سوس ١٣٦١هـ كما ذكرت ذلك في الرحلة الثانية من (خلال جزولة) وقد كان استقر بفاس بعد مافارق الحمراء بعدي باكثر من سنة • فأخذ ماشاء الله من القرويين • وقد سكن في المدرسة

١) كل هذا في المنفى ـ لان كل الكتاب مكتوب هناك • وليس فيه من غيره الازوائد قليلة • او تتمات

المحمدية • ثم انقطع للتجارة ، ثم تزوج اخت صاحبنا الحاج محمد بن داود الفاسي • ثم لما رجعت الى (الحمراء) سنة ١٣٦٤هـ كان في مدرسة (تماناي) سنة • ثم انقطع الينا ايضا بمراكش مع اهله فسكنا معا في دار واحدة ثم في سنة ١٣٦٨ هـ • صار عميد مدرسة ابن كرير التي بناها القائد العيادي ولايزال فيها الى الان ١٣٧٩هـ فهكذا تقلبت به الاحوال الى الان (وقد صابر ورابط في هذه المدرسة لايستميله عنها اي شيء • وقد عرضت عليه وظائف كالقضاء ، فابى من الخروج من مدرسته ، وهو على ذلك الان في رجب ١٣٨٠هـ)

آثاره

من ذلك ماكتبه الي وانا في الغ (انني أكتب اليك وقد ضرب بيننا الدهر بسد عريض • وخندق عميق • وحاجز كثيف • ولاانهي اليك الا ماتعلمه من قلوب تذوب اسى وتفيض حزنا • وتتاجج لوعة وهذا الدهر لايفتر ذا تقلب وكدر • والانسان يعتوره بين امواجه ما لايتحمله الا اقوى الرجال عزائم ، واشدهم ايمانا وغيرة • فنحن ابناءك في التياع ، وكلنا مشتاقون الى رؤيتك وتقبيل ذلك الجبين ، والمثول أمام تلك الحضرة التي عهدنا منهاماعهدنا • فاذا كان الاجانب عنا في تململ بهذا الرزء الذي ثل عرشنا • وفض جمعنا فكيف نكون نحن ابناءك البررة ؟ فمتى يساعد الزمان فنتلاقى متعانقين متضامين؟ ام الى القيامة الآزفة ، ولنات النفخة او الصعقة الاخيرة

لايعلم الا الله مافي الافئدة من الاحتراق ، وما في القلوب من الاشتياق وخصوصا اذا جرى ذكر تلك الايام التي كان لنا فيها ماكان مما رءاه الاعمى وسمعه الاصم • وشهد به حتى العدو الازرق • وكاد يرحم حالنا من بعده من كان يتمنى لنا الموت الاحمر

ربا، الياس وانت ارحم الراحمين ؟ ام نذوب أسفا وانت يامصرف القلوب من اقتدنا منه ان ينشر رحمته من بعد ان يقنط الكافرون بقدرتك • فكلنا رجاء يارب ان ترد المياه الى مجاريها • وأن تضم قوادم الاجنحة الى خوافيها • ومنك يطلب الفرج القريب ، فمتى تنفرج هذه الازمة الشديدة ياربا ه ؟

ومن ذلك أيضا ما كتبه كوصية بايتام عن لسان بعضهم من رسالة

انني منعت ان احضر هناك ، ولكنك كاف في كل مايراد من كفالة اولئك الايتام الذين هم كالفراخ الزغب ضعفا • ومن الكلاءة التي تلقي عليهم ظـلا ظليلا • وما غاب من كنت الحاضر وراءه وما يضيع من اليك رسن هدايته ان شاء الله •

وكتب الى الاستاذ الشاعر البونعماني من فاس بعد ماغادر الحمراء ياخذ في القرويين نزيلا ببعض مدارسها • وفي الرسالة دعابة لانها كتبت بقلم

الادباء الفكهين • وهي جزء من رسالة طويلة حذف منها مالاحاجة اليه للقارىء

الاخ المخلص الشاعر العبقري سيدى الحسن بن احمد البونعماني تحية واشواقا

ان أخاكم لاينساكم ولن ينساكم • وان وقع بين العيون والوجنات رغم ما تبتديه الاولى من فتور اللحظات • والثانية من تورد تارة واحمرار تـارة واصفرار كرة اخرى • هذا كله لايلهي اخاكم من أن ينصب شخصيتكم الفذة بين عينيه كل ثانية • فيرى فيها من الجلال مالايكون للحور وللكـحـل في العيون ، ولا للتورد بالخجل في الخدود • وشتان مابين متحل بالوان الجمال ومتحل باحسن الخلال • وبصفاء الصداقة وطيب السريرة • ان امثالكم اليوم في اخوتكم وفي صداقتكم لمما يعز أن نجد له ثانيا ، فالناس اليوم غير ماتعهد اغبرت آفاق الصداقة • واقشعرت بلاد الاخلاص في الود • فلم يبق لامثال المغمورين ان تخطاكم الا ان يجعل رأسه تحت جناحيه •• ويسد بالقطن اذنيه لئلا يرى اويسمع • والحقيقة ان كل من يرى اويسمع لايمكن له ان يتخذ (القرويين) قبلة في هذا اليوم الذي كادت العلوم تكون فيه صفرا

تنازلنا عن كل شيء ، والقينا ظهريا كل ما كان في أيدينا فابتدأناها في المدرسة حياة ابتدائية • كاننا لم نعد بعد دور الطفولة او كاننا في مفتتح حياتنا في أخذ العلوم ، بعد ما اوضعنا في ميادينها ماشاء الله • ءامنا بالله وءامنا بتصاريف الدهر •فهكذا اراد القدر منا ان نكون • فما العمل أمـام ارادته ؟

عجبا أنك تقول أن العلم اليوم يترقى • حقيقة انه يترقى • ولكن اين العلم الذي يرقي اصحابه • أهو موجود اليوم في (القرويين) يمثله اساتذة (القرويين) أهو هذا الذي تتموج ابحاثه الصحيحة بين اساطين (القرويين)

لو بغير الماء حلـقـي شرق   كنت كالغصان بالماء اعتصاري

كيف لمثلي ان يتكل على شقشقة المدرس في هذه الجامعة الهرمة • ثم ينتظر وراء اتكاله نجاحا او يرقب من بعد سعيه فيها فلاحا • مادام لم يدعم بجهوده • ويعتمد على فكره • ومباحثاته ومذاكراته مع الاقران ؟

زد على هذا ما انتشب فيه أخوك من جديد من الم الغربة • ومرارات العيش ، في بويت احرج من صدر الحزين • كانـه جحر ضب تفتك الهوام والوخم بالساكن فيه • فلا هواء ولا شمس ولا كهرباء فكانـه سجن مـن السجون التي تذكر في القرون الوسطى • أوليس ان السكنى في مثل هذا الناووس مجلبة لبذور السل اعاذنا الله • وأعجب من هذا ان هذا الرمس على عفونته وضيقه لايوجد الا بجريعة الذقن • والسعيد من وجده • لانه على كل حال افضل من لاشيء ولكن وجوده كيفما كان • ولا البيات في العراء البارز

تحت النجوم • ولهذاالايلام من يعد مثل هذا الجحر قصرا كقصر امثالك من المترفين • ولو بليت كما ابتلي ممثل لادركت كل هذا غاية الادراك •
اليوم توصلت برسالتك التي احيت الموؤود • وانعشت الفؤاد ، فوجدتني مرتطما في فنون شتى • فتسرب الى روح الاستبصار ما أحيا الامل • ونفى الملل ، وانساني هذا القبر الذى اثوى فيه ، كانني جان محكوم عليه بقعر السجون • وبالاشغال الشاقة •

ايه أيها الشاعر انك تتمتع في شواطىء (أبي رقراق) بما تريد • وتتبختر غاديا رائحا في شوارع فيحاء وقت اختلافك الى مدرستك التي تلقي فيها دروسك كموظف ، فأين أنت منا • ونحن هنا في ازقة ضيقة مظلمة ذات هواء مسموم ، مائج بالجراثيم ، ثم لانستمتع باى شيء • فلانزور لا مولاى يعقوب • ولاسيدى حرازم • أفلا تشكر الله على ما أنت فيه • وتمعن في الاستمتاع بتلك البهجة مادمت تتمتع بصفاء الدهر • واعراض نوائبه عنك

تمتع من شميم عرار نجد   فما بعد العشية من عرار

قرأت في رسالتك ما قرأت • أتكون محفوفا بالظباء السوانح في كل مسرح ، وتستهزىء بأخيك ؟ أم أنتم أيها الشعراء تعبثون بالناس • وتودون أنتم ان تسلموا من عبث العابثين • ام غركم ياشعراء الرباط ماتونسونه من ضعف الالسنة في (القرويين) فعلى رسلكم فعما قليل ترون شعراء جددا يحلقون في سماء فوق سمائكم (وان غدا لنا ظره قريب)

قال يخاطب احمد شوقي الدكالي — ينصحه —

ماذا يفيد شبابك الفتان   يا أحمد وشعورك الولهان
ما ان تمل من الصبابة والهوى   حتى تذيب ضلوعك النيران
يا احمد هلا ارعويت عن الهوى   ان الهوى لمذلة وهوان
ان الهوى بحر يموج عبابه   وتهاب من أهواله الشجعان
كم من اعاظم قد ابادهم الهوى   عقدت على هاماتهم تيجان
فغدوا بما ارتكبوه صرعى مالهم   من منقذ فعراهم الخذلان

وله أيضا عشية واقعة مراكش في الوطنيين برجب ١٣٥٦هـ (من قصيدة)

رزء عرا فأصاب كل فؤاد   ودهى الورى فاضل كل رشاد
رزء تميل الراسيات لهوله   ولوقعه ترتج كل بلاد

وله أيضا مطلع قصيدة :

أرى هذي الدنا تضع العظاما   وتعلى فوق هامتها اللئاما

وقال مخاطبا للمحفوظ بن الحضرمي والبيت الاول قديم — من قصيدة —

(كن كما شئت فالزمان هناء   ولك السعد خادم والقضاء)

أنت ذاك الذي يتيه به الدهـ   ـر ويشدو بذكره الشعراء
ان بدت منك وثبة للمعالي   فعظيم ءاباؤه عظماء

والم بالغ ١٣٦١هـ فلم يصادفني هناك فقال

مازرت الا بلقعا وقفارا   ان زرت الغ ولم تر المختارا

وفي هذه السفرة خاطبه شيخنا سيدى عبد الله بن محمد الالغي بقوله يستدعيه :

أبا سالم انا انسنا بكم جدا   ونلنا بفضل الله من وصلكم جدا
أبا سالم يا أيها الندب من له   مراتب ود فاقت الحصر والعدا
أبا سالم أما أتاك الرسول طر   بشوق كثير زائد تنعش العبدا
لك الفضل لا له ولم لا وانت من   قرابتنا قد حزت دون السوى حمدا
عليكم سلام الله ما قال منشد   (أبا سالم لقد انسنا بكم جدا)

ومن قوافي المترجم قوله اوائل قصيدة :

هو الدهر يأبى ان أنال المعاليا   ويبغي اعتسافا ان يشدو ثافيا
أريد المعالى ثم يثني عزيمتي   ويبتز ما قد عز عندى وماليا
رماني فاصمى القلب مني ولم يزل   يسدد نحوى اسهما وعواليا
هو الدهر يعلى فوق هامته الالى   تولوا ويبدى جهله لى مكانيا
هو الدهر لايرعى الزمان ومابدت   له حسناتي اليوم الا غزانيا
ولو علم الدهر الغشوم بانه   يز عزع طودا شامخا ماد هانيا
اسامع انت يازمان فانني   عدتني عن السماع منك عواديا
أيادهر لاتعجل فما انا بالذى   يريد حياة فابغ أنت وفاتيا
فسيان عندى يازماني ان أرى   قرين معاشي او قرين مماتيا
فكيف يرجى العيش مثلي بعدما   يرى من يعز عنده كان نائيا
وما انس ملاشياء لاانس قوله   (وداعا) فكانت طعنة في فؤاديا
فقد كان لي عونا على الدهر ان سطا   فلا يرعوى حتى يحل وثاقيا
واما وقد حم الفراق فانه   يكدر ما نلناه منه تصافيا

وقد كانت عندى مجموعة من قوافيه خبأتها بين الكتب لمثل هذا اليوم ولكن لما اقع عليها الان ، ولو وقعت عليها لذكرت كل ما اختاره منها • وسيجدها ان شاء الله القارىء في كتاب (جوف الفرا) ان وجدناها • وفيها ماكان يقوله في مناسبات • والمقصود ان يعرف ان المترجم من ادباء الغ الكبار

سيدي بلقاسم بن محمد السليماني

١٣١٨ هـ = حـــى

نسـبـه :

بلقاسم بن محمد بن بلقاسم بن أحمد بن محمد بن سليمان بن محمد ابن احمد بن عبدالله بن سعيد .

سيدى محمد بن بلقاسم والده كان من افاضل رجالات القرية جدا ونشاطا واقداما ، وتوفي سنة ١٣٤٥ هـ وهو ابن عمتنا رقية • وكانت هذه ممن ينحشن دائما الى دارنا • ويباشرن الخدمة والطبخ فى مطبخ الزاوية • وهى التى كانت عندنا تخصص طعاما مستطابا للشيخ على حدة ، فينهاها عن أن تطعمه الا مما يطعم منه الناس جميعا • وهى التى ربت صاحب الترجمة وعادت عليه بركتها حتى صار من الاساتذة اليوم •

وامه من آل (تيغشيت) بنت الحاج احمد من أصحاب الشيخ الكبـار [illegible] وتوفي سنة ١٣١٢هـ وهى اخت الفقير سيدى على التيغشيتي [illegible] اصحاب الشيخ ايضا المتجردين المذكورين في (منية المتطلعين) •

[illegible]

اخذ سيدى بلقاسم القرءان عن سيدى بلقاسم بن احمد الايسى بمسجد القرية • ثم عن الاستاذ سيدى على بن همو بمسجد (اكنى ايديان) قال وذلك سنة ١٣٢٨هـ قال وهناك وصلنا خبروفاة الشيخ • ثم أتـم حفظ القرءان وتجويده على ابن خالته سيدى موسى بن الطيب • حين شارط فـي المسجد السليمانى فى سنوات ١٣٣١هـ ثم افتتح الاجرومية عند شيخنا سيدى عبد الله بن محمد فى المدرسة (السعيدية) بالاخصاص • وبعض متون المبتدئين ثم اتصل بالاستاذ سيدى بلقاسم التاجارمونتي فـي المدرسة (الايغشانية) من سنة ١٣٣٥ هـ الى ١٣٤٥ هـ فعليه وعلى يد معينه سيدى محمد بن احـمـد الصالحي تدرج فى المتون ، وتخطى مراتب الطورين الاولين • وقد تمكـن في الطور الثالث ، فاتقن عليه العربية واللغة والفقه • والفرائض والحساب وقد أتى على المتون التى توخذ • فاستتم الالفية اربع مرات ، والمختصر ثلاث مرات او اربعا والمقامات مرات ومتون اللغة ، والادبيات التى تدرس • والمقنع والهمزية وبانت سعاد وامثالها والبخارى على العادة • هذه كلها من المبتدا الى

المنتهى من غير ان تتخللها بطالة ، لانه متفرغ من كل الشواغل • وهو مـن أسرة مستورة • فرغته الى ماهو بصدده • وهو ايضا ساكن النامة • ذوهمة وطموح • وفى سنة ١٣٤٥هـ افتتحوا التلخيص عند الاستاذ التاجارمونتي لكن عركة تلك السنة الشديدة • قد الجاتهم الى التفرق شغر بغر • فالتحق سنة ١٣٤٦ هـ بابن خاله الاستاذ سيدى محمد بـن احمد فـي دار القائـد سعيد التيكزيريني المتقدم الذكر ، وقد التحق بهذا القائد قبل هذا الوقـت (كما ذكر ذلك فى ترجمته) وقد كان اخذ عنه المبادىء حين كان لايزال في المدرسة (الايغشانية) يعين الاستاذ التاجارمونتي • فاخذ أيضا عنه هناك المختصر ودالية اليوسى ، والمعلقات والشفاء مرتين • فبقى هناك الى سنـة ١٣٤٨هـ • فالم به خلل فى مزاجه كان نتيجة وقوفه يوما شديد الحرارة في حمارة القيظ تحت الشمس في (ايسافن) مرتبع الغ وهو يعين اهله في الحصاد وما زال ذلك ينتابه بالضعف من سنوات حتى اثر عليه هذه المرة فاختل عقله لسبب جديد اعتراه هناك • ثم بعد ان أبل سافر الينا بالحمراء • فرأيته لاباس عنده • ثم ذهب الى (زطاط) فرجع الينا • وقدراجعه خلله فما شئت من مخاصمة وامور أخاف ان يفرطعنها مالاتحمد عقباه • فامرت به فوضع في بيت صغير • ثم كسر بابه او دفعه بقوة نادرة • فتزايد امره حتى أمرت الطلبة فربطوه ، ولكنهم تشددوا فى احكام الرباط حتى اثر كثيرا فى اعضائه وذلك فى الحقيقة لايزيده الا هيجانا ، ولكننا راعينا جانبا • ونسينا جوانب ثم ظهر لنا منه برء فاطلقناه ، ففرحت بابلاله • ثم رجع من عندنا • وهوالى الان لم ينس ذلك الرباط • ولانزال نباسطه به الى الان • وهذا الاختلال يلازمه كثيرا خصوصا فى الصيف ، فكل من عرف مقدار علمه ومتانة دينه يرحمه متى راى منه ذلك

مشـارطـاتـه

شارط فى مسجد (ادوز) من (تاسكا اودرار) بايت آمر • وبعد ستة اشهر راجعه الخلل ، فالتحق باهله اواخر ١٣٤٩هـ ثم شارط فى (تاوييت) فلم يبطىء فانقض عليه أيضا مايعتاده ثم شارط في (ارحالن) من قبيلة كسيمة سنتين ثم فى مسجد (النجارين) فوق تركال من قبيلة ايت حامد ، فبعد ستة اشهر أمره الاخ سيدى محمد ان يشارط فى مسجد القرية فبقى فيه ثلاث سنوات من مفتتح - ٥٣ - الى رمضان ١٣٥٥ هـ فالتحق بالمدرسة (الايغشانية) معينا لاستاذها سيدى الطاهر ،فقام فيها بالتعليم لثلةمن الطلبة باجتهاد تام ونعم المدرس والمذاكر كلما فارقه الخلل

اظن انني مارايت من طبقته التي نبغت معه افهم ولا اذكى منه ومن قرينه سيدي ابراهيم بن احمد ، ومن سيدى الطاهر بن علي فقد تقدمواتقدما كبيرا وحصلوا ، فان كان الاستاذ سيدى ابراهيم فاقهم بنواح شتى ، فما ذلك الا ببركة رحلته • وانقطاعه عن هذا الوسط الميت الذى لاتزداد فيه المعلومات منذ عقد من السنين • حتى ان الغ لولا اولاد الاستاذ علي بن عبد الله وشيخنا سيدى عبد الله بن محمد لقلنا ان علم الغ اليوم ١٣٥٧هـ في حشرجة الاحتضار لاقدر الله • وصاحب الترجمة اخذ كل الفنون المتداولة اخذا حسنا • ولو كان يروجها في هذه السنوات الكثيرة لكان من المتفوقين وهو ذكي حريص علي الاستفادة محاضر بمعلوماته • ولكنه لعدم مال يجعل حوله هالة مرموقة ملقى في زاوية الاهمال • فلا يبالى به • مع أنه من تتزين المجالس بافهامه وبمباحثاته • ولي معه في السنة الماضية مجالس زاهية • وذلك كله مع حسن خلق وهدوء ، وتواضع حقيقى ، وديانة تامة ، وهويستحضر [illegible] كثيرة كان يمليها علي من الابيات كلما جالسته وقد استنشدته يومالارى كيف يختار استشاداته من بين محفوظاته الادبية فاذا به يحفظ احسن مايطالع [illegible] في المحافل باجود ما يحفظ فانشدني :

[illegible] بالنفس يا هـذه   ليس الغنى بالجاه والدرهم

[illegible] لايستحل المترجم الفقير مثل هذا البيت مع انه يرى ان الاغنيين ماسوه [illegible] فقير

وانشدني ايضا :

لجلسة مع اديب في مذاكرة   انفي بها الهم او استجلب الطربا
اشهى الي من الدنيا وزخرفها   وملئها فضة وملئها ذهبا

وانشدني ايضا :

ماذاترى في محب ماذكرت لـه   الابكى او شكا او حن او طربا
يرى خيالك في الماءالزلال اذا   رام الشرابفيروى وهوماشربا

وانشدني ايضا :

ماذا تقول فدتك النفس في حالي   مضى زماني في حل وترحال
كذاالنفوس اللواتي العزيصحبها   لاترتضي بمقام دون ءامال

وانشدني ايضا :

اذا ما كنت في شرف مروم   فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في أمر حقير   كطعم الموت في امر جسيم

وانشدني ايضا :

وما انا من انيجمع الله شملنا   على خير ماكنا عليه بئايس

وانشدني ايضا :

كفاني من اللذات ان لايروعني   وزير ولا يسطو علي امير

حقيقة يابن العم فقد حرك مني هذا البيت عرقا كان دائما ينبض مني فلا احب الي من أن أكون مغمورا مستورا • مكفي المئونة مشغولا دائما بالعلوم والمدارسة فيها • من غير ان يتصل بى وزير فيروعني • ولا امير فيسطو علي وكان ذلك دائما منتهى املي • واقصىغايات مناى ولارجاءلي قط في ان أتعرف برئيس • أوأن أكون ممن يشار اليهم في مقام باصبع • الا ذلك المقام الذى هو كل مناى • ولكن الدهر يعامل الانسان دائما معاملة البركة الصافية للاشجار التي في حافتها اذ تقلب أعاليها اسافلها فتشاهد راسك وانت مار بها ادون من رجليك

تلك زفرة ارسلها الان فيهذا المنفى بمناسبة هذا البيت • وحقيقة من حقائق ذات نفسي اسجلها هنا • والله تعالى وكل الذين يداخلونني •ويتخللون من نفسيتي مسالكها الحقيقية • يعلمون هذا مني حق العلم • وان كان بعض الزملاء يزعمون انني ممن لايتطلب بكل اعماله الا العلو • والاتصاف بالمراتب سامحهم الله ولا واخذهم بما يزعمون

ءاثارلا

لايكاد ينقضي عجبي كلما اجلت طرفي من هذا الفتور الذي يستولي على بعض الطلبة النجباء ، فتجدهم وقد مرت بهم سنوات فسنوات ، والحوافز تحثحثهم من كل جهة ، ليجهروا بما يخامرهم من فرح ، وحزن او رضا اوغضب أو اكرام أو اهانة ، باسلات اقلامهم التي ربضوا سنين متتابعة على شحذها وكيفية اعمالها • حتى عرفوا كيف يتلقون وحيها ماشاء الله حين ربضوا في المدارس • ثملاتجد لهم ان توقف مؤرخ مثلي على بعض ءاثارهم ما تجمع عليه رؤوس اصابعك • كأنهم لم يعرفوا كيف تجال الاقلام • ولم يدركوا من كتب الاداب التيمرت بين أيديهم كيف يكون لهم ظلال في التاريخ • وكيف يرسلون صيحات الفرح في اوقات الفرح • وكيف يطلقون صرخات الغضب في ساعات الغضب • فصاحبنا هذا من اوليك ، فقد تطلبت جهدى لعلي اقع على بعض نتف منه كيفما كانت ، فاعوزتني الطلبة الا ما وقعت عليه في أوراق أتاني بها • وهذا ما استخرجت منها ، نسوقه مكتفين به • وماذاعسى ان نصنع لو لم نكتف بالموجود

كان الاستاذ سيدى المدنى ارسل اليه قميصا يخيطه فبعد ما ابطا عنده ارسله اليه فاذا به كما هو من غير خياطة فكتب اليه

ابا قاسم الزريت بالخلق الــــذى ... وسمت به فى الاقربا والابــاعــد
رددت القميص لم يخط بعد بطئه ... لديك وما وفيت حسب المــواعــد
(لئن كان اياه لــقــد حال بعدنــا ... عن العهد فعــل الناكث المتوادد)
فدامت على مثواه ازكى تحية ... تؤم جناب الاقعس المتباعــد

فاجابه :

الى العالم النحريــر والعلم الفرد ... واستاذنا الغطريف ذى الفضل والمجد
عليك اباعبد الالــه تــحــيــة ... يحاكى شذاها نفحة المسك والورد
رقيت مراقى العز عن رغــم حاسد ... وبلغت كل السؤل بالسعد والرغد
فقد جاء منك سيدى ما يريبنــى ... قلبت به ظهر المجن على ودى
اتطلب ردا للقميص فتنثنــى ... على بلوم اذ اطعتك فى الرد
تعاتب منى مــن يودك دائما ... وذو الود اهل الشكر لو شئت والحمد
عزمت على رفو القميص لو اننــى ... فرغت أ ألفى فيه امرك عن قصد؟
جهدت لكى القى الفراغ له وهــل ... يلام لدى شرع الهدى باذل الجهد
فقد كنت تدرى من انا فى الوفاء لو ... تانيت اياما وانى لــذو عهد
امرتنى لاسترداده قبل رفوه ... فساعفــت فيما قــد طلبته من رد
والا ستدرى غــدا ان تعرضت ... حوائج اقضيها عــلى سرعة وحدى
فاعفو وسامح واحملنى على الــذى ... عرفت فشم عنى عتابك فى الغمد
فلست ترى منى سوى ما تريــده ... فكل الذى تبغيه يوجد مــن عندى

وقال يخاطب سيدى محمد بن ابراهيم الحاحى سنة ١٣٥٦هـ • وهذا يتلقى الاذاك بالمدرسة (الايمورية) عن الاستاذ سيدى عبد الله بن ابراهيم

انى وحقك مشتاق بــلا فند ... الى لقائك شوق الام للولد
فحبكم فى فؤادى غير منتقل ... كنا على القرب او كنا عــلى البعد
فى كل حين ارجى ان أراك لكى ... ينزاح ماكان بالاشواق فى خلدى
فقد شجانى واضنانى البعاد فلو ... كان اقتراب هتكنا سجف ذاالنكد
عليك منى سلام الله ما التطمــت ... فى الابحر الزاخرات الموج بالزبد

هذا ما وجدناله • ويقول انه غير معنى بالقريض قبل اليوم • وقــد صدرت منه نحوى فى السنة الماضية ١٣٥٦هـ قصائد وقطعات • اودعناها فى كتاب (الالفيات) وحين اعطانى القافيتين المتقدمتين ، قلت له لاائبتهما حتى تمر بهما ثانيا فتصلح او تبدل ما ظهر لك • ففعل ذلك بهما

أخبار عنه أخيرا

لم يزل ذلك المرض يلم به فينة بعد فينة • فيفارق تمييزه • ولايدرى مايقول ولا ما يفعل • وقد شارط حينا فى حاحة والشياظمة ثم فى مدرسة (ايمور) ثم فى بعض المساجد • ثم كان فى مسجد قرية (ايت سليمان) ١٣٧٥هـ ثم كان فى اداوتنان ، ثم رجع الى البلد تحت مرضه الذى لايزال يعاوده فى كل صيف • واى عالم افسد فيه ذلك المرض المعضل • وهو رجل تقوى وعلم وتصوف واخلاق • ولله فى عبيده شئون • وقد تزوج فولد له • وهو الان ١٣٨٠هـ • يزجى الايام فى مساجد الغ وما اليها • يرحمه الناس • وقد اصيب بموت زوجه اخيرا • فالله يلطف بنا وبه •

سيدي محمد بن احمد السليماني

ثم الهشتوكي

مختتم ذى القعدة ١٣٣٨هـ = حـــي

••••ooo••••

نسبـه :

محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن احمد بن محمد بن سليمان بن محمد بن احمد بن عبدالله بن سعيد

هذا احد علماء الغ الجدد • الذين احسنوا الاخذ ثم برزت شهرتهم فى ميدان المعارف • ثم انتصبوا لتعليم الطلبة • فامتدبهم حبل الغ فى هــذا الميدان • وهل الالغى الحقيقى الا من تعلم تعلما مكينا • ثم علم تعليما متينا

لادر دره يا الغى ان جنفت رجلاك عن سيرة عن الغ قد عرفت

فما الرياض سوى عرف الزهور متى هب النسيم على اكمامهـا عرفت

.... القرآن

.... حروف الهجاء عند الاستاذ سيدى محمد أومليل البوخيرى الايغشانى الرجل الصالح الصوفى ، وذلك فى مسجد القرية حين شارط فيه حوالى ١٣٤٤هـ وقد اخذ عنه الى حزب (ولا تجادلوا) ، فادركه الموت • وقد مرض وذهب الى اهله • فدفن هنالك • ثم عن الاستاذ سيدى عبد الله بن أحمد الوليلى السملالى المخرج لعشرات فعشرات من أبناء الغ ، ثم انقطع الان سنة ١٣٧٦هـ الى مسجد (ايشوكال) من (اكادير ايزرى) (ولايزال الان ١٣٨٠هـ على عزيمته وهمته فى التعليم • وقدرايته قبل هذه السنة وهو شيخ هم عليه سيمى الخير) اخذعنه المترجم فى مسجد الزاوية العليا • فلازمه حتى ختم عليه ختمتين • ثم انتقل الى مسجد (الارجام) عند الاستاذ سيدى عبد الله بن بلعيد • وأبوه بلعيد من المتقنين لحفظ كتاب الله ومن التلاثين له • وكانت فيه لوثة • فيقول اننى ملك • فلقبه الناس باكليد • وكان يقطن فى (اداوشقرا) بافران • وقد توفى حوالى ١٣٧٠هـ • وأما عبد الله بن بلعيد فانه الى الان لايزال حيا يشارط فى المساجد • ويشارط فى مسجد (ادعبد) فى أيت بريم التى كانت الاصل الاصيل لاسرتهم • ثم سكن هو فى قرية (الارجام) • وقد عرفته ورايته فى (الارجام)

حيث اصهارى الشرفاء • اخوال اولادى • ختم عليه المترجم ختمة واحدة • ثم عن الاستاذ سيدى على البودرارى العبلاوى – من ايت عبلا البعمرانيين وحياته مابين مشارطة فى المساجد وبين وظيفة العدالة ، وله نصيب من علم العربية ويظن المترجم أنه ممن مروا بمدرسة الغ • ولايزال حيا الى الان • اخذ عنه المترجم فى مسجد اكادير من (ايت عبلا) لازمه نحو عامين • ثم عند الاستاذ سيدى احمد بن على اليعيشى البرايمى • من الاخذين عن شيخنا سيدى احمد ابن مسعود المعدرى فى بونعمان ولاباس بمعلوماته • ثم صار من القراء الالغيين ومن المسمعين المنشدين فى مجالس الذكر ، يحفظ كثيرا من القصائد وديدنه المشارطة فى المساجد ولايتخلف عن موسم الغ • وهو منذ سنين كثيرة فى مسجد (اكلميم) ثم انتقل اليوم الى مدرسة فى أيت بعمران ، وقد كان يعلم القرءان بالجد • أخذ عنه المترجم فى مسجد قرية الاستاذ (اديعيش) لازمـه عامين • وهو خاتمة اساتذته فى القرءان • وقد استتم المترجم اخذه هذا سنة ١٣٥٥هـ •

فى المـدارس العلميـة

افتتح الجرومية عند الاستاذ سيدى بلقاسم السليمانى – المتقـدم الترجمة – فى مسجد القرية (ءال سليمان) ثم التحق بالاستاذ عبد الله بـن ابراهيم خاله – وقد مرت ترجمته ايضا – وهو اذذاك فى (مدرسة سيدى حسين اوحسين) من اداكيلول بحاحة • ثم صاحبه الى مدرسة (ايمـور) • حيث صاحبه سنتين فاخذ عنه الجرومية والجمل والزواوى ولامية الافعال وابن عاشر • والبردة والهمزية • ولامية ابن الوردى • والالفية الى الابتداء والرسالة الى منتهاها

ثم الى مدرسة (تاكوشت) بايت صواب • عند الاستاذ سيدى محمد بن أحمد الرسموكى الاصل التاكوشتى المنشا الذى لايزال هناك الى الان – وسترى ترجمته ان شاء الله فى (القسم الثالث) – أخذ عنه الزقاقية ونظم الميراث للرسموكى • والالفية ومختصر خليل بنصابين احدهمافى اوله • والثانى فى الاواخر • فيستتمه دائما فى عامين • وورقات امام الحرمين • والبخارى فى الرمضانات (على العادة) ولم يبق المترجم هناك الا ما دون سنتين • ثم الى (مدرسة الغ) عند الاستاذ سيدى المدنى فكان مما اخذه المترجم هناك المنهج للزقاق • واعاد هناك المؤلفات الكبرى • وتوسع فى اللغة والادب فى المقامات ولامية العجم والمقنع والتحفة • ولم يزل يجول فى هذه المؤلفات وما اليها خمس سنين •

ثم تخلل اخذه عام لازم فيها القائد محمد بن البشير التامانارتى ككاتب

ولكن الله حفظه ، فلم يطل عنده • ومن لاحظته السعادة فان كل باب سوى ابواب الخير سرعان ما يسددونه • هذا ما اخذ المترجم في مدارس سوس •

في الحمـــراء

في سنة ١٣٦٥هـ اثر استقراري بالرميلة ومراجعة الدراسة في مسجدها الكبير • الم بنا المترجم • فصار يلازم ما ندرسه • من حديث وادب • ولغـة وكل مانجول فيه اذذاك ، اخذ النحو والسيرة النبوية والبخاري ورسالة ابن زيدان والسلم • ومنظومة ابن عاصم في الاصول والورقات • وكان استاذ طبقة يعلمها النحو والتصريف والتحفة • ولم يزل على ذلك الى سنة ١٣٦٨هـ فودعناه خير وداع مرضيا عن احواله كلها رضا تاما من اعماق القلـوب • لحسن ادبه ولمكانته فيما اخذه

في مدرسة الشيشاوي المشتوكية

اوى الى هذه المدرسة اثر تخرجه من الحمراء • فالقى فيها مراسيه • واستقبل التعليم بهمة الفية • وجد سليماني • وعزيمة لاتكون الا لمن ذاق حلاوة المعارف حق الذوق • فقد اكب اكبابا اطار له شهرة ما فتئت ان عادت [illegible] • فسالت اليه البطاح بالمتعطشين الى الاخذ فسرعان ما اتسعت هالته [illegible] • فظهرت نجابة تلاميذه ظهورا يذكر في كل النواحي السوسية في [illegible] العلوم • مع حسن التهذيب والتخلق بالاخلاق الفاضلة

من آثاره

كانت عندي قواف متعددة للمترجم ولتلاميذه • ثم ضاعت بين الاضابير ولم اجدها الآن • ولم يكن أمامي الا ما كنت تعاطيته معه في مبادئه • وهو لايزال في (الغ) يتعاطى • فقد كتب الي اثر رجوعي من سفرة ٤ – ٦ – ١٣٦١هـ

الغنا فائز بخير فقيـــه   ذي ذكاء فماله من شبيـــه
هو نجل الكريم اكرم به من   خير حبر قد فاق كل فقيـــه
فتراهم ان عن حوليه ذكر   قد صغوا ان ذاك لاغرو فيه
قد كفاني اني ببلدتكم نلـ   ـت بذا مفخرا بلا تمويـــه
فاض فينا احسانك الجم يامن   كان بالفهم فاق كل نبيه
دمت فينا بدرا مبينا ونورا   ساطعا رافلا بما التنزيـــه
كيف يلغى لكم لدى العلم ثان   او شبيه يامن يفوق ذويـــه
ومرامي هــو الدعاء وان لا   يغفل السيد الرضا عن اخيه
فعليك السلام ما قيل فينـــا   (الغنا فائز بخير فقيه)

فاجبته بقول :

اي شيء انا واي فقيـــه ؟   المثـــل يشاد بالتنـــويـــه ؟
انما كنت كالذنابي اذا ما ار   تج حفل بكل حبر فقيـــه
غير ان الظنون ان حسنت من   فاضل ظنني بما كان فيـــه
مثل قطب النجابة السيد النـ   ـب السليماني العديم الشبيه
سابح في الفهوم بالفكر حتى   فاق منه الاقران خير نبيـــه
ان بدا كالهلال في اليوم فالمر   جو منه الابدار بين ذويـــه
يابنيي بل يا اخي وكفى أن   يسمع المرء مسمعا من اخيه
انني منك ذو ابتهاج لان حز   ت شفوف العلا بلا تمويـــه
دمت للعلم تجتني منه زهرا   بخـلال صينت وبالتنزيـــه
واعذرن ايها المفوه من عمـ   ـك هذا المختار اي فهيـــه

وللمترجم اخ نجيب اسمه الحسين لازمه ماشاء الله حتى حصل كثيرا ثم التحق بكلية ابن يوسف حيث ربض في الثانوي ، ثم بداله فانخرط في التعليم الابتدائي حيث لايزال رسميا ، ولم اعرفه الى الآن ، وقد رايت له اثارا لاباس بها ، ولو يحضرني منها شيء ، وهو على كل حال من افاضل النجباء في جيله ، وقد تزوج وولدله

وأخيرا

انتقل سيدي محمد المترجم من مدرسته تلك الى (المعهد) في تارودانت فكان فيه استاذا رسميا • ثم تقدم مرات الى الامتحان في العالمية فلم يساعده القدر • مع ان من كانوا في مرتبته تلاميذه قد نجحوا • وهو اليـــوم يقـوم بفرع المعهد في (سيدي بيبي) بهشتوكة • وهو أحد الاساتذة المتفوقين في (المعهد) تحصيلا وتعليما واخلاقا • وقد خطر له اخيرا ان يفارق التعليم الى القضاء • ولكن تابى ادارة (المعهد) ان تسامحه • لكونهـا لاتجـد له خلفـا – وحسنا فعلت –

وله اولاد مع احدى كرائم الفقيه سيدي الحسن العفياني • لانه سلف أخينا الاكبر سيدي محمـد • ووالـد المترجم سيدي احمـد لايزال حيـا يتعاطى التجارة في (تامانارت) وكثيرا ما يكون هو وزوجه عند ابنهما المترجم الذي قرت به اعينهما •

والمترجم محظوظ في كثرة تلاميذه • وغالبهم لايـزالـون يستمرن الآن • وبعضهم أساتذة في المدارس الابتدائية • ولم تكن معتنين باحصائهم قبل • والا لراى القارىء جدولا طويلا منهم •

الفقيــه

ابراهيم بن الحسن السليماني

نحو : ١٣٥٠ هـ = حـــي

نسبـه :

ابراهيم بن الحسن بن محمد بن بلقاسم بن احمد بن سليمان بن محمد ابن أحمد بن عبد الله بن سعيد

هذا احد الالفيين الناشئين • وقد ظهر في ميدان المعارف اخيرا ، وكانت له مشاركة ما • ولا يزال يزداد •

دراسته

[illegible] القرآن عند ابن عمه الاستاذ سيدي بلقاسم السليماني في مسجد القرية • ثم لازم الاستاذ سيدي محمدا السملالي المشهور بوزكن في المسجد [illegible] وبه تخرج في القرآن فقد ختم عليه خمس ختمات • ولم يتجاوز مدى الاستاذين في القرآن •

واما في العلوم فقد أخذ الاجرومية عند الاستاذ سيدي بلقاسم في (ازمور) حسين شارط في المدرسة هناك • أخذ عنه الجمل والزواوي وما اشبههما من متون المبتدئين • كمنظوم الحساب ، ثم كان في المدرسة(الالغية) بعد سنة ، فلازم استاذها سيدي المدني سنة ، ثم توفي • ثم لازم أخويه سيدي الطاهر وسيدي الحسن • فاخذ هناك الرسالة القيروانية ثلاث مرات • والالفية مرتين ، والمختصر الى بيوع الاجال • والفرائض للرسموكي • وبعض المقامات الحريرية والتحفة • والاستعارات لابن كيران • والبخاري ولامية العجم وبانت سعاد • والهمزية والبردة والمقنع • بقي في المدرسة ست سنوات • ثم الى المدرسة (الايغشانية) عند الاستاذ الكبير سيدي عبد الله بن محمد • حيث بقي سنتين • اعاد فيهما الالفية والنصف الاول من المختصر • والفرائض • وكذلك نزل اربعة اشهر في المدرسة (الجشتيمية) عند سيدي محمد بن الحاج احمد اليزيدي • هذه مآخذه فتخرج وسطا بين اقرانه ، ملما بالفنون ولو امكن له أن يثابر لكان من المتفوقين

بعد تخرجه

شارط في مسجد في (أداوكماض) فيأحواز (تارودانت) فاستقر هناك اكثر من عام ونصف • ثم أرسلت اليه وأنا فيالرباط • فوردعلينا في ربيع الثاني ١٣٧٦هـ فاتخذته اماما للصلاة ومعلما لبناتي • ثم تزوج من عنداصهارنا فالقى مراسيه الى الآن عندنا وفي دارنا ١٣٧٧ هـ

آثار حوله

كانت هفا هفوة فكتب الى اثناء رسالة اعتذاره • وبعد فانني اطلب المسامحة فيما وقع مني واقالة عثرتي

احب من الاخوان كل مـوات   وكل غضيض الطرف عن هفواتي

فليسدل سيدي الستر عما وقع ، وليعذرني فان الله يمحو بعذر واحد الفي كبيرة • فأجبته بما كتبته ارتجالا صبيحة السبـت ٥ المحرم ١٣٧٧هـ

مسامحة اذ تبت توبة نادم   فاجدر بمن تابوا بكل المراحـم
خلقت عطوفا ابتغي الخير كلـه   لكل جليس حول ربعي حائم
اريد لهم دينا اريد لهم هدى   اريد لهم للمجد حرز الدراهم(١)
اريد لهم نيل المعالي بهمة   تطير خوافيها ازاء القـوادم
اريد لهم ان يحرزوا كل خصلـة   تنـال بأكباب المجد المداوم
اريد لهم فردا لفرد جميع مـا   أردت لنفسي من جميع المكارم
اريد لهم فضل التقى وشفوفـه   وطهر ذيول من دنايا المآثـم
اريد لهم ان يستغلوا شبابهم   باعمال افذاذ الرجال المقادم
وبعد فان (المين) هيهات ان يرى   ذووه نجاحا في جميع المخـادم
وصدق الفتى نعم الملاك لخلقـه   ومن يعر منه فهو صنو السوائم

ثم ساقته الاقدار سنة ١٣٧٨هـ فكان احد الاستاذة في المعهد ، ثم ارسل من (تارودانت) الى فرع المعهد الكائن في (تيزنيت) حيث هو الآن ١٣٨٠ هـ وقد تقدم الى الشهادة العالمية ، فنطلب الله ان يساعده الحظ في الدورةالاخرى حين لم يساعده في هذه الدورة الاولى ، انه سميع مجيب

١) كنت اوصي المترجم دائما ان يقتصد ، ولذلك ذكرت الدراهم هنا

الفقيه سيدي

عبد الله بن مسعود التيوتى

نحو : ١٣٠٨ هـ = حـي

نسبه :

عبد الله بن مسعود بن عبد الله بن احمد بن بلقاسم بن علي بن احمد ابن عبد الله بن سعيد .

احمد بن بلقاسم ووالده بلقاسم بن علي المذكوران في هذه السلسلة هما اللذان مرت ترجمتهما في (الفصل السابق)

ثم ان اسرة آل مسعود بن عبد الله لها اتصال باسرة آل صالح ، وقد اقترن مسعود ابوهم بعائشة اخت الاستاذين سيدى محمد بن عبد الله ، وسيدى [illegible] المتوفاة سنة ١٣٥٩هـ كما تزوج من عنده ايضا شيخنا سيدى عبد الله بن محمد بنته فهذا الاختلاط مع العلماء ، هو السبب حتى امالوا أولادهم [illegible] العلمية ، فكان صاحب الترجمة أول من تعلم العلوم ، وبرز في الميدان [illegible] اعرف هذا الاستاذ سنة ١٣٢٩هـ وأنا بالمدرسة (الايغشانيــة) [illegible] الم دراسته . وانما يرد أحيانا لوصلة استاذه شيخنا سيدى [illegible] الله . فكان بسمته وهيئته وورنق ملبسه يأخذ بابصارنا نحن الصغار [illegible] . والشباب كما افاض عليه سجله الفائض وشارتــه الاخاذة بالعيون وله لحية سوداء كثة جميلة ، ننظر اليها باكبار واجلال . ثم تفرقنا عن تلك المدرسة . فكان ذلك آخر عهدى به ، فلم اره بعد . وقد تقلبت بنا معاالاحوال ربع قرن ، وفي السنة الماضية ١٣٥٦هـ وقد الهبتني الغربة بما الهبتنــي . فجعلت لي من هذا التاريخ شغلا املابه فراغ وقتي . فصرت ابحث عمن لـم اعرفهم من اهلنا ومن غيرهم من العلماء ، ومن عرفتهم كنت اكتفيت بما لي عنهم مما وقرفي صدرى منذ صغرى . فكنت ارى ان ذلك يكفيني في التعريف بهم يوم ارجع وجهتي لتحرير تراجمهم . ولم أدرك مقدار ماالذلك من الخطا والخطل ، الافي جلسة جلستها مع ابن العم سيدى عبد الله بن ابراهيم وقد جرى ذكر صاحب الترجمة ، فذكر عنه تطورات وتقلبات له شتى ، كانت بعيدة عن دائرة علمي كل البعد . بل لم تطرق قط اذني ، ولا افترضت بذهني انه ذلك الرجل المقتدر الخواض لكل بحر عطمطم . الولاج الخراج . اللابس لكل حالة لبوسها

أخذ اولا عن الاستاذ صالح الساموكني . ثم سيــدى محمد السملالي ، ثم سيدى محمد الاكمارى . فعليهم جود في مسجد القرية . ثم التحق بالمدرسة (الالغية) فكان يأخذ باذن الاستاذين علي بن عبد الله وبلقاسم التاجارمونتي عن سيدى محمد ــ فتحا ــ بن محمد بن الحسن الماسي متون المبادئ . ثم عن أحمد بن صالح الافراني ، ثم لازم التاجارمونتي ، ثم أخذ عن الاستاذ سيدى الطيب بن ابراهيم الاكمارى الحساب في (المخصب) ثم عن سيدى عبد اللــه ابن محمد في (ايغشان) وفي (أداى) وعن الاستاذ علي بن عبد الله ، فكان من الطبقة العليا التي تشذبت حينئذ . وفي مصاحبة الذين تقدمت تراجمهم قبل هذه وبعدها . فحصل غاية التحصيل . ونال الشفوف على اقرانه في مختلف الفنون . واخاله اعلى من طبقته كلهم فيما أخذه . وانه في درجــة الاستاذ سيدى عبد الله ابن العم . وسيدى البشير ابن العمة . ثم كان ذلك الحيـن آخر وقت اخذه ، فانني رأيته في سنة ١٣٢٩هـ قد اوكا المزادة وكان مـن الفقهاء الذين يشار اليهم وقد كان في (اداى) قبل ان يتصل بثال ماء العينين ست سنين . ومن هناك عرفهم وقد مر به الهيبة سنة ١٣٢٩هـ من (تامانارت) في ثلاثين على جمالهم ، فأوصوه على بغلة جيدة رزمت لهم قبل (اداى) فاعتنى بها ثم أوصلها اليهم بعد شفائها ، فالتحم مابينه وبينهم بذلك ، وحين تموجت (تيزنيت) بالمبايعين للشيخ احمد الهيبة كان صاحب الترجمة ممن مثل هناك وكانت له جرءة ومخالقة وانقياد ، حتى أنه لايخالف جليسه لافي حديث ولافي غيره . بل يدورمعه كيفما دار . فسرعان ماانصل بالشيخ احمد الهيبة، فانتظم في كتابه ، وقدذكر لي عنه ان له ترسلا حسنا فكانت كتابته سبب اتصاله بهذا الشيخ الامين ، فسار في ركابه الى (الحمراء) ثم كان ممن اغبرت قدماه يوم الهزيمة من الحمراء ، فكان بتارودانت فاسرسيف فتيمكر بايت واديم فكردوس . وهو في كل ذلك مداخل لمخدوميه مداخلة من اعتنق كل اخلاقهم وهيئتهم حتى في اللبــاس الاسود الفضفاض المجرور الاذيــال . وارسال الشعر وغيرهما ، كما اعتنق اذكارهم يجاربها كما يجارون ، فدل ذلك على انه ممن يفون لمن افضلوا عليه ، وقليل من الناس من يفون ، وانه ممن يمازجون ومن لايمازج لاتصح منه المخالة

وفي حوالي ١٣٣٢هـ فارقهم وقد رأى أن لابد من ذلك ، وقد ظهر له ماظهر من أمرهم فاسترجع هياة اهله ، فلبس البياض وحلق رأسه فاتصل بـ (اداى) فشارط فيه ايضا سنوات . ثملا فارقها شارط في مسجد (اكرض) بتامانارت وهو في كل تلك السنوات يتردد احيانا على من في (كردوس) فيصلونـه ويكتبون له مراسيم في الصيف ، يأخذ بها بعض اعشار . وكثيرا مايتوصل

باعشار ءال قرية (مستالات) من قبيلة ايت وفقا • ولم يزل الامر على ذلك ، الى الان طويت صحف (كردوس) ءاخر سنة ١٣٥٢هـ وفي يده رسائل منهم متعددة مطبوعة بطوابعهم

هذا طرف من تقلباته الاول اجمالا ، لانني لم اتصل بما في ذلك تفصيلا وقد رزق الاعتناء بالتدريس حينا • وهو اهل له لتحصيله • وذلك كل ما ظهرت فيه أعماله • مع ميدان النوازل ، فله فيه جولات ، خصوصا حين كان في (اداى) ف (أكرض) كما رأيت فقد صار هناك عالم ذلك الوادى • هو والحاج عبد الله اليزيدى الذى سترى ترجمته ان شاء الله في (القسم الرابع) ثم بعد الاحتلال كان من الذين يحررون أيضا هناك بالقلم العربي رسوما وماليها وقد الم ببعض اللغة الفرنسية ، اخذها عن بعض التراجمة هناك • فدل ذلك على همته • ثم طلق سوس ، فكان في (ابزو) ماشاء الله قبل ١٣٧٠هـ ثم رجع الى مسكنه في (تامانارت) وبعد الاستقلال صار معلما في احدى المدارس الابتدائية حيث لايزال الى الان ١٣٨٠ هـ

آثاره الادبية

رايت أن بعضهم ذكر لى ان له ترسلا حسنا • وقد كنت أرسلت اليه [illegible] لان اتصل منه بما أريد ، وهو غير مدفوع عن الكتابة العليا ، لانه [illegible] في الادب وغيره • ولذلك ننكب عن نثره حتى ييسر الله ان شاء [illegible] به ، فنثبته ان وجدنا ما عنده في محل ءاخر ك (جوف الفرا) •

واما ءاثاره النظمية فقد سقط الى بعض نتف مما قاله في اول شبيبته [illegible] بالقائلين • وذلك سداد من عوز • كتب الى اخوان له من الطلبة بعد [illegible] يتشوق اليهم :

عيون العبيد بعد بعد احبتي — تسيل بدمع بالاسى يترقرق
فصرت اذا ما جبت كل تنوفة — تشاممت ريار بعكم للتنشق
اعرض وجهي للصبا من تجاهكم — ليبرد ما في اضلعي من تحرق
ولكنني ما كنت ازداد بالصبا — سوى حرقة من أخمصي لمفرقي
سقى الله يوم الوصل صوب سحابة — فزهر اماني به في تفتق
فهل ذلك اليوم السعيد يعود لى — فينكف دمع لم يزل في ترقرق؟

وقال ايضا يخاطب صاحبيه سيدى صالحا وسيدى محمد بن علي المتقدمين:

على اصحابنا زهر السماء — وزهر الروض من بعد الحياء
تحية من يشوقه اليهم — من الصبح المنير الى المساء
فؤاد لم يكن ينسى صحابا — كمزج الخندريس بعذب ماء

تذكر صالح ومحمدا ابن الـ — ـذى فاق الخلائق بالعلاء
ابى لى ان انام بوسط ليل — اذا ما نام من تحت السماء
فزورا كي تزورا اصاحبا لـم — يكن يحيا على هذا التناءى

وكتب الى قرينه شيخنا سيدى محمد بن الطاهر :

محبتي لك ياخذني مروقة — ياليت عيني في ممشاك والفرش
صفا لك الود من قلبي فلو فتقوا — قلبي لالفوه من صافي هواك حشى
عليك مني السلام ماتهب صبا — على شج فغدا في روح منتعش

فاجابه شيخنا المذكور :

احبك الله ياعبد الاله كما — احببتني ففؤادى من هواك حشى
لا زال فكرك فكاكا مغاليق اسـ — ـرار العلوم بلاعي ولا دهش
عليك مني سلام الله ما طلعت — شمس النهار فزالت ظلمة الغبش

اخبرني صاحب الترجمة ان هذه الابيات اصلها انه كتب الى سيدى الطاهر بن محمد وسيدى القرشي الناصرى بهذا البيت في (اداى)

في حبة القلب حب الطاهر العلم الـ — ـبدر المنير المفى والسيد القرشي

فاجابه سيدى الطاهر بقوله :

احبك الله يا عبد الاله كما — احببتنا ففؤادى من هواك حشى

وبعد ذلك خاطب سيدي محمد بن الطاهر بما تقدم • فاخذ سيدى محمد بيت ابيه وبنى عليه جوابه •

هذه النتف الثلاث كل ما امكن لى ان اتوصل به الان من اقواله والذنب كله له لانه تباطا في جوابي مع ان ءاثار يده كثيرة وان كان لاينقح ما يقول•

وقد وقفت على بعض مخاطبات يخاطبه بها معاصروه •فربما كانت اجوبة لمقطعات له لم نجدها • فمن ذلك قطعة لشيخنا سيدى الطاهر الافراني يجيبه عن قطعة في رويها •

العلم في المحل كنز للذى التمسا — وفي الظلام ضياء للذى اقتبسا
فجد عن ساق جديا ابن مسعود ان — أردت مجدا سما بناؤه ورسا
لماتي نظمك الزاهي ببهجته — وسال ماء البيان منه وانبجسا
ادار لفظك كاسا لى مشعشعة — سكرت حين رشفت راحه السلسا
عليك ازكى سلام ياهلال سما — ء العلم يكشف ليل الجهل ان دمسا

ووفد صاحب الترجمة ورفيقاه سيدى صالح وسيدى محمد بن على على الاستاذ سيدى الطاهر الافراني ، فخاطبهم بقوله :

مرحبا بالثلاثة الاقمار   اطلعتها بـروج افق الفخـار

صالح ومحمد وعبيد اللـــــ   ـــه هم انجم الهـدى للسارى

قدموا زائرين يـا لك من غلـ   ـــة وجـد قـد اطفاوا واوار

شرفونا بوصلهم فجـزاهـم   بمنال المنى الكريم البارى

فهم سادة اتوا منزل العبـــ   ـــد فيزهـى اذ شرفوا بمزار

وصل الله مجدهم وادام العـ   ـــز فيهم ورفعة المـقـدار

بالنبى الشفيع صلى عليه اللـ   ـــه دأبا وءالـه الاخيـار

وسلام عليكم سادتى مـــا   ضحك الروض من بكا الامطار

ثم وقفت اخيرا على قطعة ميمية لصاحب الترجمة يخاطب بها هذا الاستاذ الافرانى فى بعض زياراته اياه نصها :

ابا من نحوه انقاد الكرام   ويتبعــه بخدمته الانـــام

ويامن فى الوجود به عيانـا   تجـلى الحق وانكشف الغمام

ويامن للمفاخر والمعالـــى   يقود الناس وهـو لـهـم امام

اليك للزيارة فادعـون لى   بخير دام • معـه لاانصرام

فاجابه الاستاذ :

ابيه الله هل هذا نظام   سكرنا منه او هذا مدام

بعثت باربع كالزهر تحكـى   خرائـد زال عنهن اللثـام

فورك فيك من ندب تسامى   الى نيل السيادة والسلام

وزار مرة هو ورفقة من الطلبة الاديب سيدى محمـد بن على بالمدرسة (الافرانية) فقال الاديب سيدى محمد بن على يرحب بهم

ابا مرحبا بمن اتونا بغسان   وفوا بعهود الوصل من غير نسيان

فكم لكم من حسن ذكر معطر   واحدوثة أزرت بمنظوم عقيـــان

لقد قمتم بحق ما بيننا وقد   قطعتم موامي يا أفاضل اخدان

وذيلها بعض ادباء الغ :

كذاك يكون الودان كان صافيا   ممتنة اسبابه بين اخوان

فان كنت ذا ود ولم تك زائرا   اخاك فدعوى لـم تؤيد ببرهان

وللشاعر الفحل محمد الامام ابن الشيخ ماء العينين يخاطب صاحـب الترجمة :

أيا صاعدا للمجد اسنى العزائـم   وليس جهول الشىء يلفى كعالـــم

وياصاحبا لم انس دهرى وده   اقاسى الهوى من حبه المتقادم

---

١) الموامى جمع موماة • الفلاة

اقص بريقى كلما غبت مثل مـــا   تقص البرى فى زندريا المعاصم

واصبوا لى سلسال وصلك دائما   صبو من استصبته غر المباسم

فلا تلتفت يوما عن العهد اننا   على العهد ماغنت شوادى الحمائم

وقد كان الشيخ الهيبة اجازه بهذه الاجازة

(أما بعد فليعلم من سيقف عليه اننا اعطينا الاذن التام لمريدنا وولدنا ولد الروح • والابر النصوح ، السيد عبد الله بن مسعود المرابط التيبيوتى فى الاسماء العربية ، والايات القرانية ، فى الاستعمال فى خاصة نفسه ونفع من شاء بماشاء من ذلك ، واعطاء الاوراد لمن أراد النفع من العباد ، ونرجو الله ان ينفعه به وعلى يديه • وانى أوصيه كنفسى بتقوى الله العظيم ، لانه هو العروةالوثقى • والمسلك الاقوى • والله يوقر من وقره ، ويعظم من عظمه • ويجازى الجميع بكمال المرام بجاه نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام فى ١٤ – رجب عام ١٣٣٠ هـ وعليه طابعه الصغير

ثم وقفت على ما قال شيخنا سيدى محمد بن الطاهر يرحب بالمترجم وبرفيقه سيدى محمد بن على وبسيدى صالح وبآخر يسمى ابابكر بن عبد الرحمن ، وقد وردوا عليه سنة ١٣٢٧هـ والجميع اذذاك تلاميذ

يامرحبا باناس كشفوا الكربـــا   عن قلب صب غدا بالبين مكتئبـا

اهلا بوصلكم يا سادة شرفت   بهم منازل عبد بهم طربـا

نجل الشيوخ الكرام الصيد سيدنا   محمد من له فخرا ذا انتسبا

الفكر سيفه يمناه ندى واذى   غيث وليث وطود الحلم ان عزبا

والماجد الخير الصنديد صالح من   حاز المكارم والعلياء والادبـــا

خلق كما هب نفح الروض صابحه   من النسيم عليل ذيله سحبا

والسيد الندب عبد الله حائز سبـ   ـق فى ميادين نصح والندى نصبا

سامى النجوم مقاما فعلا شرفا   فيالها رتبة فاتت به الرتبا

واختم بواسطة العقد النفيس ابى   بكر بن عبد الرحمان بهم اربا

دوموا ادامكم الرحمان فى دعـــة   منعمين على رغم العدا ادبا

سلام عبدكـم معطرا ارجـــا   عليكم مثـل ودق الغيم ان سكبا

واذذاك خاطبهم سيدى الطاهر بالرائية المتقدمة

(مرحبا بالثلاثة الاقمار) وفى احدى وفدات سيدى الطاهر الى الغ خاطبه كل واحد من هؤلاء بقطعة مرحبا فاجاب كل واحد منهم فقال لسيدى محمد بن على

على الاخ الندب الرفيع الشان   مقلى العدو ومغيظ الشانـى

محمد نجم سما البيـــان   للسودد المشـهـود بـالعيان

نجل على الشيخ ذى العرفان   مرشد كـل حائر لـهـفـان

ازكـــى سلام عطـر الاردان   ما سر صب بحبيــب دان

هذا وانت فارس الميـــدان   مالك مـن نـد ومـن مدان

فجد كل السجد فالتوالي   يفقى بمن يهواه للهوان
لازلت في كلاءة الرحمان   ممتعا باليمن والامان
ونيل ما ترجو من الاماني   والحفظ من حوادث الزمان
بجاه سيد الورى العدناني   صلى عليه الله كل ان

وقال لصالح :

سلام كما قد فاح غب الحيا العد   نسيم ذكت انفاسه بشذا الورد
على بدر افق المجد والعلم صالح ب   ن احمد من قد لاح في افق السعد
فلازال يسعى في اقتناء شوارد ال   علوم الى ان يرتقي ذروة المجد

وقال للمترجم – وقد تقدمت –

احبك الله ياعبد الاله كما   احببتنا ففؤادي بهواك حشي

(على انك عرفت فيما تقدم متى قيلت هذه الشينية)

فوائد وإنشادات :

قال يوما انشاء محادثة هذا المثل العربي (مفوز علق شنا باليا) ومعناه دخل في المفازة – القفر – مع انه لم يستعد بالماء لها

وقال يوما اخر (من غربل الناس نخلوه) اى من عرف بالتفتيش عن عيوب الناس كافئوه بالتفتيش عن عيوبه اكثر منه

وقال ايضا (صبابتي تروى وليست غيلة) معناه ماءى قليل ، ولكنه يروى وان لم يكن كثيرا ، والغيلة بفتح الغين • الماء الكثير

وقال ايضا (لاملام هارب من حتفه)

وقال ايضا (تلبدي تصيدي) وتلبد : التصق بالارض وسكن • اى اذا اردت حاجتك فالبس لطلبها لبوسها بالتمسكن لمن تطلبها منه

وقال ايضا (رب حثيث مكيث)اى رب انسان يسرع ، فكان الاسراع نفسه سبب عدم وصوله للذى يريده

وقال ايضا (ليس عليك نسجه فاسحبى وجدى) اى انك ياهذه لم تلاقى في نسج ما البسته مشقة فابتذليه كما تشائين

وقال ايضا (بالاعتراف يهدم الاقتراف)

وقال ايضا (من يزرع الشوك لايحصد به عنبا) شطر بيت

وقال ايضا (ان كذب نجى فصدق اخلق) شطر بيت من الرجز

وقال ايضا (لاتقعن البحر الا سابحا) شطر أيضا

وقال ايضا (جاء العيان فالوى بالاسانيد) شطر أيضا

وقال ايضا (حط جزيل بين شدقي ضيغم) شطر بيت أيضا

وقال ايضا (دمث لجنبك قبل النوم مضطجعا) شطر بيت أيضا

وقال أيضا (كان كراعا فصار ذراعا)

وقال أيضا (من الحبة تنشأ الشجرة)

وقال أيضا (ما في الحجر مبقى) اى مطلب

وقال أيضا (لست من احلاسها) اى لست من الذين يليقون لهذه الحالة

وقال ايضا (خروف يتقلب على الصوف)

وقال أيضا (ليس فلان بخل ولا خمر)

وقال أيضا (يعد لكلب السوء كلب يعادله)

وقال أيضا (ودع ما لا مودعه)

وقال أيضا (النزائع لا القرائب) والمقصود بالنزائع النساء البعيدات عن المتزوج ، ومعناه تفضيل تزوج غير القرائب

وقال أيضا (ما اهون الحرب على النظارة)

وقال أيضا (اقصر لما ابصر)

وقال أيضا (وعد بلا وفاء • عداوة بلا سبب)

وقال أيضا (الذبان ، تعرف وجه اللبان)

وقال أيضا (شر ايام الديك يوم تغسل رجله)

وقال أيضا (ان ذهب عير فعير في الرباط)

وانشد بمناسبة :

رايت الناس تكره ما لديها   وتطلب كل ممتنع عليها

وقال (لاتكن رطبا فتعصر • ولايابسا فتكسر) فانشد له في هذا المعنى

لا تكن سكرا فياكلك النا   س ولا حنظلا تذاق فترمي

وانشد ايضا :

اولئك اخواني الذين رايتهم   وما الكف الا اصبع ثم اصبع

وانشد ايضا :

الناس تكلف بالدنيا وقد علمت   ان السلامة فيها ترك ما فيها

وانشد ايضا :

ولربما اعتضد الحليم بجاهل   لا خير في اليمنى بغير يسار

وانشد ايضا :

ان النجوم على علو محلها   لترى صغار الجرم وهى كبار

وانشد ايضا :

تان ولا تعجل بلومك صاحبا   لعل له عذر او انت تلوم

ذلك هو الاستاذ سيدى عبد الله بن مسعود الذى طلق سكنى بلده فقطن في (تامانارت) الى الان • وقد رزق هناك ما لم يرزق في مسقط راسه والمرء من حيث يثبت لا من حيث ينبت

احمد بن مسعود التييوتي

نحو : ١٣١٤ هـ = حـــي

نسبـه :

احمد بن مسعود بن عبد الله بن على بن أحمد بن بلقاسم بن على بن احمد ابن‌عبد الله بن سعيد

هذا اخو الفقيه سيدى عبد الله بن مسعود المتقدم • وهما معا ابناء عائشة بنت الحاج عبد الله بن صالح الزاوى • وهى الوحيدة من الاناث عند ابيها • فاقترن بها سيدى مسعود بن عبدالله • فاورثت العلم ابناءها • وقد تزوج أيضا بنت سيدى مسعود هذا وشقيقة هذين الفقيهين عبد الله واحمد شيخنا عبد الله بن محمد بن عبدالله بن صالح ـ كما تقدم ـ وهى ام ولـده سيدى محمد بن عبد الله ، وام اخته نفيسة التى تزوج بها سيدى محمد بن احمد بن الحاج ابراهيم الغشانى الى ان ماتت عنده وأم فاطمة التى تـزوجها سيدى الهاشم ابن سيدى الطاهر بن عبد السلام القصبى التامانارتى • وقـد توفيت زوجة شيخنا هذه منذ عقد من السنين • فتزوج بعدها بسملالية • هى ام صالح واولاده الجدد • استدركنا هذا وقد فاتنا فى ترجمته بمناسبة هذا الذى التفتنا به اليه • وانا حريص على تبيين مثل هذا الان ولهذا بعد أزمـان فائدة جليلة عند اهالينا الاتين الذين تكتب لهم اولا ماتكتب • واما المعاصرون فهم حاضرون •

اخذ سيدى احمد بن مسعود بتيبيوت عن سيدى صالح الساموكنى • وبقرية الزاوية عند أخواله عن سيدى محمد بن ابراهيم الاكمارى • وعـن بلديه سيدى احمد الاكمارى وعن سيدى ابراهيم القاسمى • ثم افتتح المبادئ العلمية فى المدرسة (الالغية) على يد الاستاذ التاجارمونتى ، وعن خاله الاستاذ على بن عبدالله • ثم لازم شيخنا سيدى عبد الله بن محمد بالمدرسة (الايغشانية) و (الادائية) و (السعيدية) بالاخصاص • وقد كنت معه بالمدرسة (الايغشانية) أعوام ١٣٣٠هـ واخذ ايضا عن صنوه سيدى عبد الله بن مسعود • فاتم المختصر والالفية مرات فضلا عن‌غيرها • ولكنه مع هذا الاخذ المتسع انما حصل تحصيلا وسطا مع اننى كنت اراه • وهو معنا اذذاك يعد من الرعيل الاول فى‌المدرسة وانما له قصر بنفسه بعد ذلك • والعلم اذا هجر هجر صاحبه

وقد مضى فى‌ترجمة الاستاذ عبد الله بن ابراهيم نتفة من قوله • ولكنها بيضة الديك • فلم‌اره غيرها • وقد سالت عنه ايكثر المطالعة • ويـذاكر

بعلومه التى اخذها ؟ فذكر لى عنه مايدل على انه دب اليه مـادب الى كـثير من الطلبة الذين تبسم لهم الدهر • وهمى عليهم شؤبوب من المعارف • ولكنهم اعرضوا فاشتغلوا بالكد وراء المعاش • وقصروا جهودهم على ذلك • وكسلوا عن الجولان فى المعلومات بما امكن من المطالعة والمذاكرة والمباحثة • ومسائل العلم انفر من الابل غير المروضة اذا تفلتت من عقلها فى أيام الربيع متى بدت لهاقطائع من النياق ، وهاك رسالة كتبها الى بعد ما رجعت الى البلد • وقـد بلغه اننى سالت عنه

الى الاخ الاكرم والفقيه المحترم ، سيدى محمد المختار وبعد فقد بلغنى أننى جريت على لسان ذكرك • فحمدت الله على ذلك • فالله يبقـى ذكرك جاريا على السنة الناس بالخير مجرى الايام والليالى • وكم مرة عولت عـلى زيارتك ولكن

(ارى علل الدنيا على كثيرة)

وكم مرة اصبح عليها • او امسى (أقول افعل والايام كاذبة)

والان ادع لى وسامح لى

اطلب الراحة فى دار العنا خاب من يطلب شيئا لايكون

والسلام

وله اخلاق هينة لينة دمثة • وقد شرفنى بزيارته مرارا بعد هذه الرسالة فرأيته محافظا على اخلاقه هذه • وهو اليوم يشارط فى المساجد • فمضت له ثلاث سنوات فى (تاركااوخضير) من سنة ١٣٤٥هـ وسنة فى (تاكـنـزا) وسنتان فى (ادعلى‌اوباها) وثلاث فى (انفك) ثم فى (امتضى) ثم فـى السنة الماضية شارط فى (ايفير) بوادى (تامانارت) ولايزال فيه سنوات • وهكذا لايزال يتنقل بين المساجد ويعلم القرءان

وكان اهدى الى‌شيخنا سيدى عبد الله بن محمد سراويل فاجابه شيخنا بقوله :

كساني سربا لايقى‌البرد والشمسا	كساه الاهي ما يوقى بـه البأسا
اخونا الاديب نجل مسعوداحمدالتـ	ـيوتى من قد حاز كل العلا راسا
بجد وحزم واجتهاد وهـمـة	ونفس عـن الدنيا الدنية لاتاسى
كفاك قدم ياصاح حتى ترى عـلى	بساطالعلا يسقيك‌رب الورى‌كأسا
ومن يصطبر يظفر قريبا بحاجتـه	وحيط من الشيطان لم يغشه‌بأسا

أخبار عنه أخيرا

كان كما ذكرنا ربما شارط فى بعض مساجد مشارطات يزجى بهاالايام لاالسمن ولاالغنى من جوع • والدهر عنه مزور • وعيشه مفتــر الى ان بدا للدهر فاذا به التفت اليه التفاتة فاذا به من المقربين الى (المحكمة) • كفقيه ثان ازاء سيدى الطاهر بن على • فامكن له ان يتنعش وان يذوق حلاوة للحياة • وذلك نحو ١٣٧٢هـ وهو على ذلك الى ان جاء الاستقلال فراجع المشارطة فــي المساجد • وهو الانفي مسجد قريته (تافراوت) الالغية اعانه الله وسدده الحقت هذا اواسط ١٣٧٩ هـ

سيدى عبد الحميد ابن الشيخ

١٣٢٢ هـ = حــى

نسبـه :

عبد الحميد بن على بن احمد بن محمد بن احمد بن محمد بن سعيد بن محمد بناحمد بن عبد الله بن سعيد

شقيق الاخ الاكبر سيدى محمد • وامهما فاطمــة • وهما الذكران الشقيقان اللذان أدركا مدرك الرجال • كان عبد الحميد قرين سيدى الحاج عبلا المتقدم منذ نشئا • فاخذا القرءان معا فى محلات متحدة ، واساتيذ متحدين ثم افتتحا أيضا العلوم معا ، فكانا اولا فى (ايغشان) عــنـد سيدى بلقاسم التاجارمونتى ، ثم عند الاستاذ سيدى عبد الله بن ابراهيم فى (ايت امر) ثم عند الاستاذ سيدى محمد بن احمد بنالحاج صالح هناك • ثم انقطع المترجم عن قرينه • فذهب الى (بونعمان) حيث ربض ماشاء الله • ثم الم حينابادوز عند سيدىالمحفوظ

هذه هى المدارس التى زارها • ولكنه لم يستفد ما يعد به بين الطلبة الالغيين الا ما يخرج بهمنالامية ، ويستطيع به ان يكتب رسائلساذجة بخط لاباس به • ثم لازم دارهم ، فصار يعين شقيقه الاكبر فــي شئون الدار الىان تولى شقيقه رياسة المرابطين بعد الاحتلال • فكان عضده • ثم نائبه الرسمى بعد الاخ أحمد • ثم لما نفت الحكومة الاخ الكبير الى (اكلو) ابعادالة تعينهو رئيسا على المرابطين فى محله فبقى فى هذه الرياسة نحو عشر سنين اجتهد انيتمشى فيها على حسب خطة اخيه • وقد لاقى منالمراقبة اخيرا فــى أيام الازمة شدة وعنتا وتوبيخات رسمية • رأيت بعضها • ثم لماجاء الاستقلال أراحه اللهمن تعب تلك الرياسة • فاقام بالدار • فاصبح وحده عميدها • فيحاول مااستطاع أن يقوم بالعبء وان كان العبء ثقيلا • فهاهو ذا الان يصاير لأواء (الغ) فى الوقت الذى لايجد فيه معينا ولا عاملا ، ولامن يستجيب لندائه فنطلب الله ان يكون فى عونه •

ونحن نذكره هنا لرياسته التى مضت فى(الغ) • على ماكنا شرطناهفى الكتاب • والرجل محافظ على صلاته فى اوقاتها • وفيه نفحة من نفــحــات الفقراء • فاللهيوفقنا واياه • ولم يرزق من الاولاد الا ولدا واحدا اسمه عبد الرحمن ثمسمىعبده • وهوالانيعمل مع الجند • وقدكانالمترجم تزوج باحدى كرائم الشيخسيدى احمد الفقيه الركنى رضى الله عنه • وهى حية الان١٣٨٠هـ

سيدى عبد الله بن اليزيد الالغى

نحو ١٣٢٥ هـ = حـــى

نسبـه :

عبد الله بن اليزيد بن محمد ـ فتحا ـ بن احمد بن عبد اللهبن سليمان بنعبدالله بن احمد بن عبدالله بن سعيد

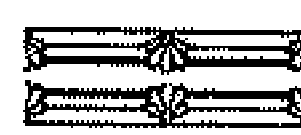
هذا هو الرئيس على المرابطين السعيديين الان • وله معلومات لاباس بها مع حفظ القرءان فى بلده ، فقد اخذ القرءان عن الاستاذ محمد ـ فتحا ـ ابن محمدالسملالى فىمسجد القرية • ولعله استاذه الوحيد وقد نشأ تحت نظر والد لم يكن يفارق العلامة على بن عبد الله فى وقت يتمنى فيه كل الغى ان يكون عالما عربيا مبينا • لما يرونه من شفوف العلماء الالغيين وسعادتهم راى العين • وذلك فى عهد محمد بن عبد الله وفى عهد العليين: على بنعبد الله وعلى بن احمد

ثم انقطع الى المدرسة (الالغية) وفيها اذذاك الاستاذ احمد ابن الحاج محمد اليزيدى • فعنده افتتح المبادىء • ويحضر احيانا فى دروس يلقيـها العلامة على بن عبدالله • ومن عند هذين اخذ ماتيسر له اخذه • ثم دفعهوالده القيام بشؤون الاسرة • فحال ذلك بينه وبين اتمام دراسته • ولعل فى ذلك خيرا • حين غادر هذه المدارس بسرعة • لان عهدنا بها اذذاك تفسد من اخلاق التلاميذمالاتكاد تصلحه بوساطة المعلومات

ثم اشتهر المترجم بالتجارة • فلحظته السعادة فيها لحسن معاملته • ولكونه كريما ولبقا فيماشى كل لون من الوان الحياة التى مرت فى (الـغ) قبل الاحتلال وبعده • وقد ازدهرت تجارته فى حين حتى صار من المغبوطين بين اهل حرفته • فتوسع فى تاثيل الاملاك • فزاد كثيرا الىماكان والده اثله وهو يملك منالمشترين القلوب قبل ان يملك ماعندهم من الجيوب • ولاتكاد ترىاحدا راى منه مايسوء فى وقت تجارته الواسعة • ثم لما جاء الاستقلال اختارته السعادة للمرابطين بعد الاخ عبدالحميد • فأداه اشتغاله بمهاموظيفته الى ان فترت همة التجارة فى نفسه • فها هوذا بعد خمس سنين مشكور بكل لسان • الامنلايريد الاستقامة • وافضل مافيه انه يراعى الحرم • وذوى البيوتات الكبرى • ولايتعالى على احد • ويصبر على كلماعسى ان يلاقيه ممن لايقدرونه قدره وفقه الله واعانه • وقد اعتنى بغرس الزيت حـول داره •

فاقتدى به ءاخرون • فحفروا ءابارا خاصة لهم يستقون منها بالمضخات ولم يكن هذا بمجموعه معروفا عند المرابطين الالغيين قبل • وانما هى ءابارمشتركة

وقد كان الله اكرمه بسيدة عاليةالهمة وهى فاطمة بنت سيدى عبـد الرحمن بن محمدبنالحاج عبدالله بنصالح • فعمرتداره • ورفعت من شان مائدته • الى ان توفيت نحو ١٣٧٨هـ فخلفت له اولادا نجباء فى مقدمتهمالسيد احمد الحافظ لكتاب الله • والمحصل على معلومات حسنة من المدرسة (الالغية) ومن المدرسة (الشيشاوية) عند الاستاذ سيدى محمد بن احمد المتقدم • ثم تقلبت به الاحوال الى ان تعين كاتب الضبط بعد الاستقلال فى (تافـراوت) ثم أخاهابراهيم الذى التحق أيضا بعد ما حفظ القرءان بسيدى محمد بن احمد فاخذعنه كثيرا ثم التحق بالثانوى من كلية ابن يوسف حيث هو الى الانيتتبع ولهما اخ يسمى عبدالرحمن لايزال كذلك فى الثانوى فى مدرسة عصرية • فى (تيزنيت) وهكذا رزق المترجم من اولاده قرة عينه • ويرجومنهم ان يدركوا مالم يدركه هو من العلوم •



خاتمة

انتهى القسم الاول بفصليه • وقد اجتهدت ان اذكر فيه كل من له شأن من المرابطين السعيديين • فاعتنيت اولا بالصالحين منهم • قبل ان ينبثق منهم العلم • ثم لما رفرفت على الغ راية علومهم حرصت على ان اذكر كل من له من المعلومات • وان لم تتسع كثيرا • مادام مارا بالفنون • وءاخذا للمتون ويقدر ان يحرر بالعربية • وان يقرأ كتبها قراءة يفهمها • او كان له في الفقه يد • واخالني استوعبت الجميع من الاموات ومن الاحياء • ولم يفتني الا الاستاذ سيدي محمد ابن اخي صاحبنا الكريم الحسن بن بلامن اكادير ايزرى وهو استاذ حسن ربما كان افضل من بعض من ذكرت • ولكن أرسلت اليه مرارا ليوافيني بترجمته فلم يجبني • فكان ذلك هو السبب على ان لم اذكره • على ان اعماله ستذكره فيما بعد • وقد كنت عرفته اذ انا في البيضاء • وقد جاور عندي حينا واخذ عني قليلا وقد رايت له همة وفهما وتحصيلا • وحبا للاستتمام • ثم فرق الدهر بيننا • وقد سمعت انه شارط في مدرسة (للاماماس) في (امانوز) ثم في مدرسة (تازموت) بسملالة ومثله من تعمر به المدارس • وفقه الله كما انني ذكرت من كانوا رؤساء المرابطين • لان الشفوف كما يكون بالعلم والصلاح يكون ايضا بالرياسة • فما ينبغي لنا ان ننساهم • مع انهم قاموا بادارة شئون المرابطين احقابا

فيا اخواني المرابطين • هذا تاريخكم سجلت منه ماامكن في هذا (القسم) وقد رايتم انكم من البشر • وانكم ماامتزتم عن الحربيليين والمجاطيين وامثالهم الا بالدين المتين والعلم الصحيح • فبماذا ظهر جدكم عبدالله بن سعيد حتى نال شأنا عظيما في عهده الا بالدين المتين ؟ وبماذا ساد سليمان بن محمد • وابنه ابراهيم ، ومحمد بن بلقاسم ومحمد بن عبدالله وعلى بن عبد الله وعلى بن احمد الا بالدين المتين ، وبالعلم الصحيح ؟ فقد كان مجد الصالحين الاولين من اجدادكم مجدا اقليميا لايعد وتلك الناحية • ثم لما كان مجد العلماء الصالحين منكم مجد الصلاح والعلم معا طارت لكم الشهرة حتى عمت الخافقين وشرق ذكر (الغ) وغرب • وسمع انباءه حتى الصم • ورأى سناه وسناءه حتى العمى • افيقدر هذا الجيل الذى نراه الان يدرج بين ايدينا قدر هذا المجد العظيم • ليعض بالنواجذ على الدين المتين • وعلى العلم الصحيح • فيسلسل الى الاحفاد ماساد به الاجداد

ان اولادنا اليوم مضطرون ان يشاركوا في كل ميدان من ميادين المعرفة وان يحاولوا كما يحاول اهل جيلهم ان يتفننوا من لغات اخرى غير العربية • ولكن ايحملهم ذلك على الاعراض عن اتقان العربية التى هى مفخرة اجدادهم واسس مجدهم الشامخ ؟

لااكذب قومي — والرائد لايكذب اهله — ان الزمان قد استدار • وان مجد اليوم غير مجد امس وان الافراس في المغرب اليوم لتجرى ملء فروجها اطلاقا • فان شمرتم يا اهل (الغ) شاركتم بكل عزيمة • وبذلتم من الجهود ما عرف به من قديم (الالغيون) فان مكانتكم لاتزال لكم محفوظة بين الماجدين وما ذلك الا بالاقبال التام على التهام العلوم كيفما كانت • مع الحرص على اتقان اللغة العربية • وعلى المحافظة على الدين المتين • فلئن قمتم بهذه المساعى ليأتين مؤرخ ءاخر يسجل عنكم علماء ءاخرين كبارا في كل علم • ودكاترة عظاما في ميادين شتى • واما اذا تكاسلتم وتواكلتم وجركم احتقار العربية او تناسيها • ودب اليكم ضعف العقيدة الاسلامية الحق • وتهاونتم في القيام بشعائر دينكم • فعلى الغ منذ الان السلام • وسيكون هذا الكتاب ءاخر من سجل لمن يستحقون الذكر من بنيه (لاقدر الله)

تم الجزء الثانى

ويليه الجزء الثالث

بعون الله وقوته

الفهارس ستة

١) فهرس المترجمين

٢) الفهرس العام لعناوين ما فى الكتاب

٣) فهرس القوافى

٤] « الرسائل والمقالات والمحاضرات والاجازات

٥] « الخطأ والصواب

٦] « الالفاظ الشلحية التي فيها حرف مشدد

الفهرس الاول المترجمين

الفهرس الثاني في البرنامج العام للعناوين

الفهرس الثالث فى القوافى التى يقولها المترجمون • وتكتفى بالشطر الاول ان كان المطلع مصرعا • والا فناتى أيضا بالكلمة الاخيرة من الشطر الثانى

الهمزة

البـاء

التـاء

الجيـم

الحــاء

الــدال

الراء

السيـن

الشيـن

الصـاد

الضـاد

الطـاء

العيـن

الـفـاء

الـقـاف

الكـاف

الـلام

الصفحة والشاعر	مطلع القصيدة
٧١ محمد بن الحاج اليزيدي	قد طار من ذكر الهوى بلبالى
٧١ علي الارفقيري	أمن الحمى يسرى نسيم شمال
٨٨ صالح بن أحمد	قد لاح وافد منزل السعد الذى ـ فضله
٨٨ الطاهر بن محمد	ياصالح يامن اقر بفضله
٨٩ صالح بن أحمد	وكل رزء اذا لاقيته جلل
١١٣ الحسن بن علي	فؤادى حزين ودمعى يسيل
١٦٧ بعض الالغيين	لخوض الثلج والاوحال اولى
١٨٤ البشير الناصري	لبيك ياعقد جيد المكرمات ومن ـ وكل
٢٠٤ الطاهر بن محمد	قالت وقد نظرت فى انسجف بالمقل
٢٦٤ المؤلف	اذا عن فى الميدان مجد مؤثل
٢٧٨ الاديب الزيانى	ماذا دهاك أخيسة الاشبال
٢٨٢ المؤلف	أناسمى الخليل
٣١٢ ابراهيم الالغى	ليس يعنينى رياح تعصف ـ وصال

الميم

الصفحة والشاعر	مطلع القصيدة
٢١ مساجلة	قد لاح سر الختم عند الخاتمة
٧٠ بعض الالغيين	والمرء لايسمو سوى ان عزم
٨٧ صالح بن أحمد	أياطالعا على الاحبة كالنجم
٨٩ الطاهر بن محمد	أبرق لاح كالثغر البسيم
٨٩ بعض الالغيين	ومن لم يذاكر بالعلوم فانها ـ غطمطم
١١١ محمد بن علي	أمن بعد ما اودى الهمام الذى سما
١٣٥ ابو الحسن الالغى	الم يان للاعداء ان يتمزقوا ـ الظلم
١٣٥ المؤرخ الاكرارى	الى سيد حاز الكمال بدينه ـ بالعلم
١٨٧ عبد الله بن محمد	حفظت من كل هامة
٣٠٦ ابراهيم الالغى	ذكريات تمر عاما فعاما
٣٤١ عبدالله بن ابراهيم	أنت من أذهب الكروب عن القلب ـ الافهام
٣٥٠ بلقاسم التاجارمونتى	بشرى بحب بدا فى فنن الكرم
٣٦٢ ابراهيم بن أحمد	ارى هذى الدنا تضع العظاما
٣٧٥ المؤلف	مسامحة اذ تبت توبة نادم
٣٨٠ عبدالله بن مسعود	أيا من نحوه انقاد الكرام
٣٨٠ الطاهر بن محمد	أعبد الله هل هذا نظام
٣٨٠ محمد الامام	أياصاعدا للمجد اسنى العزائم

النون

الصفحة والشاعر	مطلع القصيدة
١٠ المؤلف	يرحمك الرحمن ياحسن

الصفحة والشاعر	مطلع القصيدة
٢١ الطاهر الافرانى	الهوا وما طرف الخطوب بوسنان
٦٤ محمد بن مسعود	سقى الله الحمى من (تحت حصن)
١١٣ بلقاسم السليمانى	الم بنا خطب شجانى ياحزان
١١٣ أحمد بن زكرياء	خطب الم فاضنانى وانحلنى
١١٧ المؤلف	سبق القضاء بما يكون فكانا
١٣٨ الطاهر بن محمد	مولاى اوفدت فضلا شبلك المدنى
١٣٨ محمد بن الطاهر	بدر الكمال ببرج السعد قد بانا
١٤٠ المدنى بن علي	أيها السيد الامام عبيد الله ـ بيان
١٤٤ المؤلف	أبنى على ان ما اوتيتم ـ تبينه
١٥٢ عبد الله بن محمد	لقد أصبنا بموت السيد المدنى
١٥٢ الحسن بن علي	ما للمجادة بعد السيد المدنى
١٥٢ احمد البناءى	الدهر ذو عجب اما ترى فرحا ـ حزن
٢٠١ محمد بن علي	بشرى الفؤاد ومطمع العين
٢٥٩ بلقاسم السليمانى	انعم صباحا أطيب الازمان
٢٦٤ المؤلف	أنا على ولم اسم به ـ الاقران
٣١٧ ابراهيم الالغى (موشح)	ذهبت تتبع الخطأ ـ تخفقان
٣٣٣ المؤلف	عبد السلام نجيب بين اقرانه
٣٦٢ ابراهيم بن أحمد	ماذا يفيد شبابك الفتان
٣٨٠ محمد بن علي	أيا مرحبا بمن أتانا بغشان

الهاء

الصفحة والشاعر	مطلع القصيدة
١٧٩ عبد الله بن محمد	يا أيها السيد الترضى سجاياه
١٨٠ الطاهر بن محمد	لبيك من ولد أحيا محياه
٢٢٨ محمد بن علي	أهلا بمن قد أتى والقلب يرعاه
٣٧٢ محمد بن أحمد	الغنا فائز بخير فقيه
٣٧٣ المؤلف	اى شيء أنا وأى فقيه

الواو

الصفحة والشاعر	مطلع القصيدة
١٣٤ ابو الحسن الالغى	أقول لمن أحيا الفتوة والندى ـ بغوا

الياء

الصفحة والشاعر	مطلع القصيدة
٥٣ بعض الالغيين	فكم من نفوس طلبن نفيسا ـ منايا
١٥١ عبد الله بن محمد	ياعين جودى بدمع ـ القرى
١٧٩ الطاهر بن محمد	اجب عبد الاله وقيت عيا

الالف المقصورة

الرجز

الفهرس الرابع

في المنثورات من الرسائل والمقالات والمحاضرات والاجازات

وقد تكرر الارقام لتكرر المرقوم لها

الفهرس الخامس في الخطأ والصواب

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣	٦	التاسينتى	التياسينتى
٣	١٦	الافقيرى	الاوفقيرى
٥	١٧	تجاوروا	تجاروا
٥	٣٠	مودبين	مؤدبين
٧	١	فلما يستنقر	فلما يستقر
٧	٢٧	نخلا	نفلا
٨	١	لم يلبت	لم يلبث
٨	١٨	الباذج	الباذخ
٩	٩	تكلف كما	تكلف ما
٩	٣١	ترجمتها	ترجمتهما
١١	١	الافقيرى	الاوفقيرى

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٤	٣١	من المملوم	من العلوم
١٦	١٨	خائف فزع	صارخ فزع
١٩	٣١	ابن قريتى	ابن قريتى
٢٢	٢٢	وكم منحة فى طى منحة	وكم منحة فى طى محنة
٢٣	٨	الفوض	الفرض
٢٩	١٣	يجبجبك	يحجبك
٣٠	٢	لان افضحك	لا ان أفضحك
٣٤	٢٠	الاستاذ	الى الاستاذ
٣٦	١٤	قبلك	قلبك
٣٨	١٣	مرور ما	مرور أما
٣٨	٢٧	بضائر	بصائر
٣٩	٢٩	سلامة	سلاسة
٤٣	٣٣	ذلك	ذاك
٤٤	٤	رضى الله	رضى الله عنه
٤٤	٢١	لنالى	لنال
٤٥	١٠	الغموسى	الغموسا
٤٥	٢٥	المشعشة	المشعشعة
٥٠	١٧	وكذلك	كذلك
٥١	٢٥	سيدى	لسيدى
٥٢	٢٥	ثم توفى سنة	ثم فى سنة
٥٤	٤	ورقت	رزقت
٥٦	١٨	المتقدمين	المتقدمتين
٥٨	٢	الطالبى السليمانى	الطالبى السعيدى
٦٤	١٣	من تحت الحصن	من تحت حصن
٦٤	٢٣	الشديد	السديد
٦٥	٣	وووری	ووری
٦٦	٩	البعيقلى	البعقيلى
٦٦	١٢	ما اخبره به	ما اخبر به
٦٧	٧	والقول منك	والفعل مبك
٧٠	١١	واعترم	واعتزم
٧١	١٠	ذلك	ذاك
٧١	١٢	ان اجشاك	ان أشجاك
٧٨	١٩	منه	منها
٨٦	٢٨	فى افناء	فى اقتناء
٩٠	٢٤	فليجعل	فليجل

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٠٦	١٢	ولنكه	ولكنه
١٠٧	٢	دراهم	دارهم
١١٠	١١	الصالحين	الصالحيين
١١٢	١	فى الحمراء	من الحمراء
١١٤	٢١	لاتزدر	لاتزدرن
١١٤	٢٣	فى تقلبه	فى معاملة
١١٥	١١	استمام	استتمام
١٢١	٨	ويغرس الا فىمنابتهالنخل	وتنبتالا فىمنابتهاالنخل
١٢٥	٢١	ومن يك راحما	ومن يك حازما
١٣٠	٧	اقلت	افلت
١٣٣	١٣	بينين	بيتين
١٣٧	٦	بهزة	فهزه
١٣٧	١٧	بدار	بـدرا
١٤٠	٢٩	والدارکة	والدراكة
١٤٢	٢٦	هذا لمقام	هذا المقام
١٤٣	٢	لاصحاب	لاصحابى
١٤٣	١٤	مدبح	مدبـج
١٤٤	١٥	لا بجرد	لا بمجرد
١٤٥	٢	اذا طالما	اذ طالما
١٥١	١٩	كالفرى	كالقرى
١٥٢	١٥	ودى بدن	وذى بـدن
١٥٢	١٧	فلا مقر	فلا مفر
١٥٣	٢	بفعله	يفعله
١٥٣	٦	بجثته	بجنته
١٥٣	١١	مرثيه	مرثية
١٥٧	١٣	بلاطفة	بملاطفة
١٥٨	٢٣	نقص	نقض
١٦٤	١٧	مسالممة	مسالمة
١٦٥	٢٩	فى بحبوجة	فى بحبوحة
١٦٦	٢٦	واخوتنا	واخواتنا
١٦٧	١٤	فمن ذالذى	فمن ذا الذى
١٧٠	١٣	من والد	من ولد
١٧٠	١٥	رباه	ربـــاه

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٨٢	٦	ميادين	ميادن
١٨٣	٦	سلامة	سلامه
١٨٤	٢٩	بالمرة	بالمبرة
١٨٦	١٥	وتعاظ	واتعاظ
١٨٧	٣١	ومن تحطه فعلته	ومن يحطه فعله
١٩١	١٦	العصاء	العصماء
١٩٣	٣١	ثم نتفرع	ثم نتفرغ
١٩٥	٦	رمدته	ومدته
١٩٥	٣٠	فذ المنى نرياقى	فذى المنى ترياقى
١٩٥	٢١	لحيه	لحبه
١٩٦	٢٢	قد حسها	قد جسها
١٩٨	٤	سيدى	سيد
١٩٨	١٠	بـد	يـــد
٢٠٢	١٩	جداد	جداذ

٢٠٦ سقط بعد السطر ١٨ سطر برمته وهو

اليه والده الاستاذ سيدى عبدالله بن ابراهيم فدخل هذا الاستاذ آذذاك •

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٠٩	٣١	منهر	منهمر
٢٠٩	٢٥	غيب	غـــب
٢١٠	٧	التعارف	المتعارف
٢١١	١٨	منازل الكرام	منازل الكرماء
٢١٤	١٠	من دوج	مسن دوح
٢١٥	١٩	لفث	لفتت
٢١٥	٢١	نفسية	نفيسة
٢١٦	٤	(كرر البيت الثالث)	
٢٢٢	١٣	بين مهاده	يبنى مهاده
٢٢٢	١٤	ويستهل	ويستسهل
٢٢٥	٥	الخطيئة	الحطيئة
٢٢٥	١٣	بالابيضاء	بالبيضاء
٢٢٦	٥	لكثرين	لكثيرين
٢٢٨	١٩	سراه	مسراه
٢٢٩	١	الزواوى	الزاوى
٢٣٧	١٥	الى أنه الان	الى الان
٢٣٨	١	قسطاطا	فسطاطا

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٤٠	١٤	لما اراد ان	لما أرادا أن
٢٤١	١	وسلاة	وسلامة
٢٤١	٢٠	وتبة	رتبة
٢٤١	٢٤	فبل	قبل
٢٤٣	١١	الوقحيين	الوقحين
٢٥٩	١٠	العم	انعم
٢٦٠	١٥	أمده اله	امده الله
٢٦٥	١٠	مااستر	ما استتر
٢٦٨	١٠	ثم التحقوا	ثم التحق
٢٦٩	٢	التى لازم	الذى لازم
٢٦٩	٣٠	والاستعارت	والاستعارات
٢٦٩	٣٠	وهو الذى اليوم	وهو اليوم
٢٧٠	١٣	تاردانت	تارودانت
٢٧٥	٥	مبارك	مباركا
٢٧٥	١٢	رراقلا	رافـلا
٢٧٥	١٤	وماوراء	وما راء
٢٧٥	٣٢	للثواب	بالثواب
٢٧٥	١٦	تلاميدتنا	تلاملتنا
٢٧٦	١٠	واصيغت	واصفيت
٢٧٦	٢٧	ذحر	ذخـر
٢٧٧	٦	يبض	ينبض
٢٧٧	٧	به (فى الجميع)	بها
٢٧٨	١٢	وهو الفاجعة	وهول الفاجعة
٢٧٩	٣٢	أى	اى
٢٨٠	٢٢	او باطنا	وباطنا
٢٨٤	١٠	بالحمراء بعد	بالحمراء
٢٨٥	٢٦	ساء	ساءت
٢٨٦	٣٣	ان يصحوا	أن يصحو
٢٨٧	٢٧	حتى يبدر	حتى يهدر
٢٨٧	٤	(فى الحاشية) جفلة	حفلة
٢٩١	٢٦	النقابيين	النقابين
٢٩٣	١٥	المؤخرين	المؤرخين
٣٠٢	١٥	حيت بفكرى	احيت بفكرى

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣٠٢	١٨	المصطفى	المصافى
٣٠٧	٢	اطيابا	أطايبا
٣٠٨	٩	اهـل	أهـلا
٣١٥	١٨	وفى شتباك	وفى اشتباك
٣١٦	٢٤	اللال	اللثال
٣٢٣	١	وثـم	وتــم
٣٢٣	١٤	على أخذ	على أحـد
٣٢٥	١١	الاحاديث	الاحديث
٣٢٦	٢٣	الا انستطيع	الا نستطيع
٣٢٦	٢٧	لثكن	لنكن
٣٢٨	١٣	فى ترجمته	فى ترجمة
٣٣٢	١٨	واستمعنا	واستعملناها
٣٣٥	٦	الشقراى	الشقراوى
٣٤٢	١٨	واسمه	واسمها
٣٤٤	١	الصالحى	ابن الحاج صالح
٣٤٥	٤	يتوفنها	يتوفونها
٣٥١	١٠	تافكولت	تافنكولت
٣٥٥	٤	فى صاحبى	فى صاحب
٣٥٨	٢١	ويقولونه	ويقولون
٣٦٢	١٣	تمتع	تمتع
٣٧٠	٢٢	ايت بريم	أيت برابيم
٣٧٢	٧	ابن زيدان	ابن زيدون
٣٧٣	٢٠	فى مرتبته	فى مرتبة
٣٧٣	٢٩	يستتمرن	يستتمون
٣٧٦	١١	الابغشانية	الايغشانية
٣٧٧	٢٢	الامين	الامير
٣٧٨	٢٢	يترقرق	بترقرق
٣٧٩	١	ومحمدا ابن	ومحمد ابن
٣٧٩	٣	تزورا اصاحبا	تزور اصاحبا
٣٧٩	٥	ياخذنى	ياخذنى
٣٨٢	٢٤	وجدى	وجـرى

(الفهرس السادس) فى الكلمات الشلحية التى فيها تشديد فى بعض الحروف • ولايلتبس القارئ ماكنا ذكرناه فى مطلع (الجزء الاول) من اننا نجعل امام الحرف المفتوح الفا • والمكسور ياء • والمضموم واوا • فى الكلمات الشلحية • واما اذا كان بعض الحروف مشددا من بعض الكلمات فاننا سنفردها آخر الجزء • ولهذا جعلنا امام القارئ فى هذه الصفحة مايراه

أمازّر	إيدبنّيران	ايكّي أوفرني
أملّن	إيسيل أوزمّوز	باوّلا
أكمّاض أوساكّا	إيداو كمّاض	تازمّورت
أنامسّر	إيزحّالن	تالات غزّيفن
أكّنى إيديّان	ايغير ويّلولن	تالات وّوشن
أيت أوحامّو	ايغير ملّولن	تيوزّك
أكادير زكّاغن ايسافن		تيّيوت
أيت أومسّرى	ايزونّيضن	دومّات
أمسّرا	ايدواوسّار	مومتّول
أكلّيد	ايسك	والكّوت
إيغشّان	ايداكّيلول	ويّجان

طبع بمطبعـة النجـاح ـ الهاتف ٠٧ـ٣٠١
الدار البيضاء ـ المغرب الاقصى
عام ١٣٨٠ هـ = الموافق سنة ١٩٦١